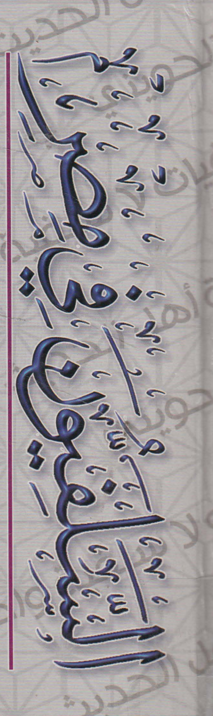


دراسة تحليلية عن المدارس السلفية في مصر من بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الى قيام ثورة ٢٥ يناير



تأليف

محمد حامد عبد الوهاب

متخصص في دراسة الحركات الإسلامية





مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع

٢ درب الدرديري من شارع البيطار خلف الجامع الأزهر


السلفيون في مصر

الطبعة الأولى

1433هـ - 2012

رقم الإيداع

2011 / 22233

الترقيم الدولي

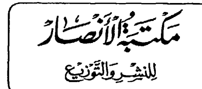
978-977-5235-01-5

الوكيل بالمملكة العربية السعودية

دار القبلتين الرياض

00966506639380

الناشر



هاتف : 00201145568777

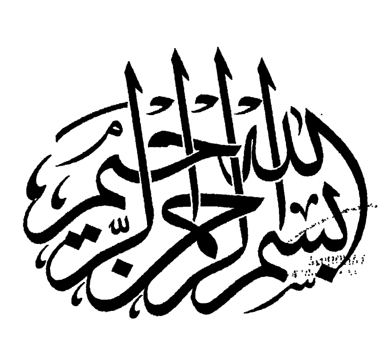
E : Mmr3000mmr@gmail.com

السلفيون في مصر

دراسة تحليلية عن المدارس السلفية في مصر من بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى قيام ثورة ٢٥ يناير

تأليف
محمد حامد عبد الوهاب
متخصص في دراسة الحركات الإسلامية

مكتبة الأنصار
للنشر والتوزيع
٢ درب الدرديري من شارع البيطار خلف الجامع الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70، 71].

ثمَّ أما بعد.

فالحمد لله الذي هدانا بعد ضلال، وبصرنا بعد عمىٰ، وأرشدنا سبيل المؤمنين الأتقياء، المتبعين بإحسان النبي الأمين، وصحابته الأخيار الراشدين، فبهم نهتدي ونقتدي إلىٰ يوم الدين.

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: 115].

قال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.

وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم».اهـ.

والمراد بقوله: ﴿غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100].

قال الشوكاني رحمه الله تعالىٰ: «ومعنىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾: الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلىٰ يوم القيامة».اهـ.

قال السعدي رحمه الله تعالىٰ: «﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله».اهـ.

هذه هي السلفية.

نعم الاتباع بإحسان للنبي المختار وصحابته الأبرار.

السلفية التي هُوجمت، وشُنت عليها الحروب الضروس، ونالها مبغضي الحق وكارهيه، منذ القرن الرابع وحتىٰ الآن!

ونال السلفيون، ما نالهم من اضطهاد، وسجن، وتعذيب، وتنكيل، ما لا يقدر علىٰ

تحمله إلا أصحاب الدعوات الراسخة، المستمدة قوتها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

وتأمل هذه القصة:

قال ابن كثير [1]:

ثم دخلت سنة إحدىٰ وثلاثين ومائتين:

وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه، وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وجده مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة في الناس إلىٰ دولة بني العباس، وكانت له وجاهة ورياسة، وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه **أهل الحديث**، وقد بايعه العامة في سنة إحدىٰ ومائتين علىٰ القيام بالأمر والنهي عن المنكر حين كثرت الدُّعار والشُّطار في أرجاء بغداد في زمان غيبة المأمون عن بغداد كما قدمنا بسط ذلك، وبه تعرف سُوَيقة نصر ببغداد.

وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، ومن أئمة المسلمين **وأهل السنة** الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلىٰ القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان هارون الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا؛ اعتمادًا علىٰ ما كان أبوه المعتصم وعمه المأمون عليه في ذلك من غير دليل ولا برهان، ولا حجة ولا بيان، ولا سنة ولا قرآن، فقام أحمد بن نصر هذا **يدعو إلىٰ الله**، وإلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد **والتف عليه من الألوف أعداد**، وانتصب للدعوة إلىٰ أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، وطالب يدعو أهل الجانب الغربي.

ولما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر

---

(1) البداية والنهاية 14/ 310 ط دار هجر.

علىٰ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج علىٰ السلطان لبدعته، ودعوته إلىٰ القول بخلق القرآن. فتواعدوا علىٰ أنه في الليلة الثالثة من شهر شعبان وهي ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل، فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه دينارًا دينارًا، فكان في جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس، وكانا يتعاطيان الشراب فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم، واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد، وكان ذلك قبله بليلة، فقاما يضربان علىٰ طبل في الليل؛ ليجتمع إليهما الناس، فلم يجئ أحد وانخرم النظام، وسمع الحرس في الليل، فأعلموا نائب السلطنة وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب نائب أخيه إسحاق بن إبراهيم؛ لغيبته عن بغداد فأصبح الناس متخبطين، واجتهد نائب السلطنة علىٰ إحضار ذينك الرجلين فأحضرا فعاقبهما، فأقرا علىٰ أحمد بن نصر في الحال فطلبه، وأخذ خادمًا له فاستقره، فأقر بما أقر به الرجلان، فجمع جماعة من رءوس أصحاب أحمد بن نصر معه، وأرسل بهم إلىٰ الخليفة بسُرَّ مَنْ رَأَىٰ، وذلك آخر يوم من شعبان من هذه السنة فأحضر له جماعة من الأعيان، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، ولم يظهر منه علىٰ أحمد بن نصر عتب، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الخليفة الواثق لم يعاتبه علىٰ شيء مما كان منه في أمر مبايعة العامة له علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعرض عن ذلك كله، وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله. وكان أحمد بن نصر قد **اسْتَقْتَل، وحضر وقد تحنَّط وتنَوَّر**، فقال له الواثق: فما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة: 22، 23] وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».فنحن علىٰ الخبر. زاد الخطيب في إيراده: قال الواثق: ويحك، أَيُرىٰ كما يُرىٰ المحدود المتجسم؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته.

قلت: وهذا الذي قاله الخليفة الواثق لا يرد، ولا يلزم، ولا يرد به مثل هذا الخبر

الصحيح. والله أعلم.

ثم قال أحمد بن نصر الخزاعي للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه: «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهُ». وكان النبي ﷺ يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ». فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك، انظر ما تقول. فقال: أنت أمرتني بذلك. فأشفق إسحاق من ذلك، وقال: أنا أمرتك بذلك؟ قال: نعم، أنت أمرتني أن أنصح له. فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا؟ فأكثروا القول فيه؛ فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيًا علىٰ الجانب الغربي فعزل وكان مُوادًّا لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم. وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب أحمد بن أبي دؤاد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين. فقال الواثق: يأتي علىٰ ما تريد. وقال القاضي أحمد بن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، هو كافر يستتاب، لعل به عاهة أو نقص عقل. فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومنَّ أحد معي، فإني أحتسب خطاي. ثم نهض إليه بالصَّمصامة وقد كانت سيفًا لعمرو بن معدي كرب الزبيدي أهديت لموسىٰ الهادي في أيام خلافته، وكانت صفيحة موصولة في أسفلها، مسمورة بثلاثة مسامير فلما انتهي إليه ضربه بها علىٰ عاتقه، وهو مربوط بحبل قد أوقف علىٰ نطع ثم ضربه أخرىٰ علىٰ رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط رَحِمَهُ اللهُ صريعًا علىٰ النطع ميتًا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم انتضىٰ سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه، وحز رأسه، وحمل معترضًا حتىٰ أتي به الحظيرة التي فيها بابك الخُرَّمي فصلب فيها، وفي رجليه زوج قيود، وعليه سراويل، وقميص، وحمل رأسه إلىٰ بغداد فنصب في الجانب الشرقي أيامًا، وفي الجانب الغربي أيامًا، وعنده الحرس في الليل والنهار وفي أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر، ممن قتل علىٰ يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن، ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع إلىٰ الحق فأبىٰ إلا المعاندة والتصريح، فالحمد لله الذي عجله إلىٰ ناره وأليم عقابه بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه.

ثم أمر الخليفة الواثق بتتبع رءوس أصحابه، فأخذ منهم نحوًا من سبعة وعشرين رجلًا، **فأودعوا في السجون وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين**، وهذا ظلم عظيم. اهـ

وما يتعرض له السلفيون اليوم ما هو إلا حلقة في تلك السلسلة الضاربة في أعماق التاريخ.

انبرت السهام على السهام تصيب المنتسبين للمنهج السلفي، وللسلفية على حدٍّ سواء. فكان ماذا؟ الانقسام والتشرذم حول السلفية والسلفيين، وتباينت آراء السلفيون أنفسهم فيما هم مقبلون وواقعون فيه الآن.

فكان لزامًا تجلية الأمر، وبيانه، وإظهار حقيقة السلفيين، وموقفهم من بعض المسائل والأمور الحادثة الآن على الساحة.

فكان هذا الكتاب «السلفيون. في مصر».

والذي أسأل الله عز وجل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، هو ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❀❀❀

مُقَدّمةمُهِمَّةفي الفُرْقَةوالافْتِرَاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كونوا جميعًا يا بني إذا اعترىٰ خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبىٰ العصي إذا اجتمعن تكسرًا وإذا افترقن تكسرت أفرادا

إنَّ الدَّعوة إلىٰ الله، وإرشادَ الضَّالِّ، وتعليمَ الجاهل، مِن أفضلِ الأعمالِ، وهي وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام ومَن اقتدىٰ بهداهم واقتفىٰ آثارهم مِن أُولي الأفهام.

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2]

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: 33]. وقال تعالىٰ مخاطبًا نبيه عليه السلام:

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

ومِمَّا يعين علىٰ احتساب الأجر في دعوة الخلق ويبعث الهمم علىٰ احتمال الصعاب قول الرسول ﷺ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين أعطاه الراية يوم خيبر: «انفذ علىٰ رسلك وانزل بساحتهم ثُمَّ ادعهم إلىٰ الإسلام، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم» (1).

(1) أخرجه أحمد 5/ 333 و«البخاري»4/ 57 (2942) و«مسلم»7/ 121 (6302).

ولولا مَن يقيمه الله لدعوة الناس إلىٰ الحق والصَّبر علىٰ أذاهم لَمَا وَصَلَنا هذا الخير الذي نَنْعَمُ به، فَلْنَجْتَهِد في إيصال هذا النور لمن يحمل الأمانة بعدنا.

ويجب أن تكون الدَّعوة إلىٰ الله وإلىٰ كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف، لا إلىٰ النفس ولا إلىٰ مقرّرات الحزب وما اخترعته عقول البشر.

فالدَّعوة إذا افتقدت الإخلاص لم يبارَكْ فيها، وإن لَم تتوخَّ الصواب ولزوم السُنَّة ضلَّت وأضلَّت.

وما يُدْعَىٰ الناسُ إليه من أمر الدين نوعان:

نوع: يشترك في معرفته وإدراكه العلماء والعامَّة، كالدَّعوة إلىٰ إفراد الله بالعبادة وإقام الصَّلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، واجتناب المحرَّمات الظاهرة كقتل النفوس بغير حقّ والزّنا والربا وعقوق الوالدين، فهذا النوع يجب أن يقوم به مَن تحصل بهم الكفاية من الأمـَّة.

والنوع الثاني: يختص به العلماء لحاجته إلىٰ الاستدلال والبصر بالأدلة، وإذا دخل فيه العامَّةُ وأشباهُهُم أفسدوا.

وقد حدث في شأن الدَّعوة في العصور المتأخرة أمورَ أوجبت الاختلاف وبذرت الشقاق من أهمها تقديم غير المتأهلين للدَّعوة والإصلاح، فتمحورت الدَّعوة حول أشخاصهم، وقلَّ الاحتساب، فتسمع عبارات مثل: مكاسب الدَّعوة، وإخفاقات الدَّعوة، والمقصود أمور دنيوية من مال أو جاه ورئاسة واحتلال مناصب إن تخلَّفت أو نوزِعوا فيها استوجب الأمر النفير للدفاع عن مكاسب الدَّعوة - زعموا - مهما أصيبت الدَّعوة الحقة في مقتل وتزعزع أمن الناس وذلّ المسلمون.

ومِن تلك الأمور التي أوجبت الاختلاف أنَّه لمَّا فرَّط كثيرٌ من الحكَّام في كثيرٍ من الأحكام قابلهم أُناس من الدُّعاة جعلوا كُلّ همّهم مصارعتهم وانتزاع السلطان من أيديهم، فخرجت الدَّعوة من أن تكون علاجًا إلهيًّا لأدواء المجتمع بما فيهم الحُكَّام إلىٰ شيء آخر وهو تأليب المحكومين علىٰ الحُكَّام حتَّىٰ فقدوا الثقة في الدُّعاة، مع أنَّ

المطلوب من الدَّاعية أن يعرض الإسلام علىٰ نقائه وفطرته وأن يُطَهِّر الأجواء من المعكِّرات وما يجلب سوء الظنّ به حتىٰ لا يتحجَّج كاره الإسلام بأنَّه إنَّما يدفع عن سلطانه عُشَّاق السُّلطة.

ومن هٰذا الأمر الأخير نجم – والله أعلم – نشوء الأحزاب السياسية في الإسلام، فهل هي ضرورية للدفاع عن الإسلام وحِفظه علىٰ أُصوله الأولىٰ؟ أم هي عبءٌ عليه؟

ثُمَّ ظهر مصطلح الحزبية مرادًا به الذَّمّ، وترامىٰ الناس بها فمسَّت الحاجة إلىٰ بيان مرتكزاتها، وحكمها في الإسلام، وهل يجوز إحداث الحلف في الإسلام؟ وهل تتسع جماعة المسلمين لاتجاهات متباينة، أو هي جماعة واحدة؟

وهٰذه الأمور الأربعة هي التي نتناولها في هذه المقدمة الهامة، فإليك بيانها:

مسألة في مرتكزات الحزبية المعاصرة:

قد تَغُرُّ الحركات الإسلامية الحزبية المعاصرة بعض طلبة العلم ببريق ألويتها المرفوعة وإعلاناتها المنشورة، فيقع في فخِّها المنصوب وشراكها المعقود، فيعيش تحت لوائها وظلِّها ردحًا من الزَّمن وحينًا من الدَّهر، فيلمس واقعها المرير، ويطَّلِع علىٰ أحوالها المؤلمة عن كثب، فيحصل له العلم بأنَّ هذه الحركات لا تخلو من هذه المحذورات الآتية التي هي بمثابة تنقيح المناط في الحكم علىٰ جماعةٍ مَّا بأنَّها مُتَحَزِّبة تَحَزُّبًا مذمومًا:

أولًا: عقد الولاء والبراء علىٰ ما لم يعقده الله عليه من الكينونة داخل الحزب، أو تأييده وإن لم ينتظم فيه.

مع أنَّ أصل الولاء يُعْطَىٰ للمسلم لمجرَّد كونه مسلمًا، ويزاد فيه لحسن إيمانه وتقواه وصحة منهجه، وبحسب علمه بالحق ونصرته له، ويُعَادَىٰ الشَّخْص لإخلاله بمقتضيات الإيمان وتعصُّبه للباطل وأهله [1].

فالمؤمن أخو المؤمن يواليه وينصره وإن تناءت الديار واختلفت الأجناس. فالإسلام

---

(1) ينظر مجموع الفتاوىٰ (11/ 512).

أقام الأُخُوَّة بين المؤمنين علىٰ أساسٍ متينٍ، وأحكمها بحيث لا تحتاج إلىٰ عمادٍ من الحزبية.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: 71].

قال العلّامة السّعدي في تفسيرها: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ أي: ذكورهم وإناثهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في المحبَّة والموالاة والانتماء والنصرة ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو اسم جامع لكُلّ ما عرف حسنه من العقائد الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وأوَّل مَن يدخل في أمرهم أنفسهم ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو كُل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله علىٰ الدوام ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه[1].

قال صفي الرحمن المباركفوري: «إذا قلنا بتكوين الأحزاب السياسية في الإسلام، فالحزب إمَّا أن يجعل الإسلام أساس الولاء والبراء أو يجعل أمرًا آخر غيره، فإنْ جَعَلَ الإسلام هو الأساس فإنَّ الإسلام لا يحتاج إلىٰ إقامة حزب آخر، أو تنظيم جماعة أخرىٰ، بل هو نفسه يكفي لذلك، وإن جعل أساسهما أمرًا آخر غير الإسلام فإنَّ هذا الأمر في معظم أحواله لا يخلو من أن يكون من أُمور الجاهلية من العنصر والقبيلة واللغة والوطن وغيرها، ومعلوم أنَّ الإسلام قد نهي عن الدَّعوة إليها، وعن الانضمام تحت لوائها، روىٰ مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَاتَل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلة جاهلية»[2].

وروىٰ البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس إلىٰ الله

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (303).

(2) أخرجه مُسْلم 6/ 22 (4820).

ثلاثة: مُلْحِدٍ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمـه»[1].

إذن فلندع هذا الأساس المنتن للأحزاب، ولا نلوِّث به الإسلام»[2].

ثانيًا: أخذ البيعة – وهي العهد بالطاعة – للحزب أو لزعيمه بقصد الربط بين أفراد مجموعة الحزب وإحكام تنظيمهم ليُنطلَق بهم إلىٰ تنفيذ أهداف الحزب، فالمسلمون لا يخلو حالهم من أمرين:

1 – أن يكون لهم إمام ثبتت ولايته بإحدىٰ الطُّرق المعتبرة عند أهل السُنَّة، فلا يجوز إحداث بيعة أخرىٰ، قال رسول الله ﷺ: «مَن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[3].

2 – أن يكونوا متفرقين متحزِّبين فلا يُتَّبع أحد هذه الأحزاب في الفرقة، ولا يُبايع أحد المتنافسين من أهل الشوكة، وهي الحال التي سأل عنها حذيفة حين قال: فإن لَمْ يكن لهم جماعة ولا إمام؟ فأجابه النبيُّ ﷺ بقوله: «فاعتزل تلك الفرق كلها»[4].

وأمَّا مَن لا شوكة لهم ولا يحصل بهم مقصود الإمارة من إنصاف المظلومين، وتأمين السُّبُل، وإقامة الحدود، وإيصال الحقوق والولايات إلىٰ أهلها، فهم أبعد من أن يُبَايَعُوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به علىٰ سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا مَن ليس له سلطان ولا قدرة علىٰ شيء أصلًا. كما أمر النَّبيُّ ﷺ بالاجتماع والائتلاف، ونهي عن الفرقة والاختلاف، ولم يأمر بطاعة الأئمة مطلقًا، بل أمر بطاعتهم في طاعة الله دون

---

(1) أخرجه البخاري 9/ 7 (6882).

(2) الأحزاب السياسية في الإسلام (46– 47) .

(3) أخرجه أحمد 2/ 161 و«مسلم» 6/ 18 (4804).

(4) أخرجه البخاري 4/ 242 (3606) و«مسلم» 6/ 20 (4812).

معصيته»[1].

وبعضهم يقول: ما دام أنَّ الرسول ﷺ بايع الناس بيعات مختلفة في مناسبات متعدِّدة، فنحن نقتدي بـه في ذلك.

ولو تأمَّلوا الأحاديث السالفة لتبيَّن لهم أنَّ الرسول ﷺ لم يفتح الباب علىٰ مصراعيه، فأقر بيعة الخلفاء ونهي عن منازعتهم.

وعملُ الصحابة يدل علىٰ أنَّهم استبْقَوا بيعة الخلفاء فقط، ورأوا ما عداها مِن خصائص الرسول ﷺ.

ثُمَّ إنَّ الرسول ﷺ كان يعمل بعض الأعمال التي يقول أهل العلم: إن الاقتداء به فيها يقتصر علىٰ أولي الأمر، فما مقام الحِزْبِيّ في الأُمَّة حتَّىٰ يسوغ لـه زعم أنَّه مقتدٍ بالنَّبِيِّ ﷺ في فعله؟!

بل إنَّ الخلفاء الراشدين الذين قاموا مقامه ﷺ في سياسة الأُمَّة، لم يُنْقَل عنهم التوسُّع في البيعات حتىٰ البيعة علىٰ الإسلام.

يقول المعلِّمي: «في الصحيحين وغيرهما عن عُبادة بن الصامت أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بايعهم علىٰ مثل بيعة النساء، وجاء مثله عن جرير بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو.

وهذه المبايعة كأنَّ المقصود بها - والله أعلم - تفسير الشهادتين وتأكيدهما. ولذلك - والله أعلم - ترك أئمة الصحابة ومَن بعدهم مبايعة مَن يُسْلِم مثل المبايعة المذكورة اكتفاءً بالشهادتين، وبأنَّ معناهما وما يتعلَّق بـه من التزام الأمور المذكورة قد اشتهر بين الناس»[2].

سُئِلَ الشيخ ابن باز: بعض الطُّلَّاب السلفيين يقولون: لابُدَّ أن نجتمع علىٰ عهد وعلىٰ بيعة لأميرٍ لنا وإن كُنَّا علىٰ المنهج السلفي، لسنا في الجماعات الأُخرىٰ؟

فأجاب الشيخ بقوله: «ما يحتاج بيعة ولا شيء أبدًا، يكفيهم ما كفىٰ الأولين. الأولون

---

(1) منهاج السنَّة النبوية (1/ 115).

(2) كتاب العبادة ص11 .

طلبوا العلم وتعاملوا بالبر مِن دون بيعة لأحد»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين في جوابٍ له عن سؤالٍ حول الجماعات: «أرىٰ أنَّ هذه الجماعات التي جاء في السؤال أرىٰ أن تجتمع علىٰ كلمة واحدة بدون مبايعة، بدون معاهدة، لأنَّ النَّاس ما داموا تحت لواء دولة وحكم وسلطان، فلا معاهدة ولا مبايعة، لأنَّ هذه المعاهدة والمبايعة إن كانت مخالفة للنظام السائد في الدولة، فهذا يعني الخروج علىٰ الدولة والانفراد بما تعاهدوا عليه.

وإن كانت تعني التساعد فيما يهدفون إليه فهذا لا يحتاج إلىٰ بيعة ومعاهدة، بل يكفي كل واحد من الشباب أن يدرس علىٰ شيخ يثق بعلمه وأمانته ودينه ويتوجه بتوجيهاته دون أن يكون هناك مبايعة ومعاهدة؛ كما كان أسلافنا.

الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام وله أصحاب ولم يجر بينه وبينهم معاهدة ولا مبايعة. الإمام الشافعي كذلك، الإمام مالك وأبو حنيفة وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة، هل أحد منهم طلب من تلاميذه وأصحابه أن يبايعوا أو يعاهدوا علىٰ أمرٍ من الأمور، أبدًا لم نسمع بهذا ولم نعلم ولا يمكن لمدَّعٍ أن يدَّعيه، فلماذا لا نكون مثلهم.

إنَّا لا نعلم أحدًا عاهد أو بايع شخصًا مَّا يكون تحت سيطرته في الشّدَّة والرَّخاء والحرب والسّلم إلَّا الخوارج الذين يخرجون علىٰ أئمة المسلمين ويحصل بخروجهم ما لم تحمد عقباه»[2].

ولنا عبرة بما وقع في عهد التابعين لَمَّا نسَّق بعضهم كلامًا فيه العبارات الآتية: الله ربنا، ومحمَّد نبينا، والقرآن إمامنا، ومَن كان معنا كُنَّا وكُنَّا، ومَن خالفنا كانت يدنا عليه، فَعُرِض علىٰ مَن بالمجلس يقال لكُلٍّ منهم: هل أقررت يا فلان؟ فوافقوا علىٰ ذلك إلَّا مطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ الله قد أخذ عليَّ عهدًا في كتابه فلن أحدث عهدًا سوىٰ العهد الذي أخذه عليَّ، فرجعوا كُلُّهم عن الإقرار ووافقوا التابعي

(1) من شريطٍ بعنوان «أسئلة أبي الحسن للشيخين ابن باز وابن العثيمين» سُجِّل بمكَّة المكرَّمة في السادس من ذي الحجة عام 1416 هـ.

(2) من الشريط السابق، وتمَّ تسجيله بعد عشرة أيام من لقاء الشيخ ابن باز.

الجليل مطرِّفًا - وكانوا زهاء ثلاثين رجلًا [1].

وقول بعضهم: إنَّه امتنع من العهد لخلل في صيغة العهد ولما فيها من التعصب قول لا طائل تحته، فإنَّ صريح عبارته تعطي أنه ينكر مبدأ إحداث العهد، ولو كان لخلل في عباراته لطلب منهم إصلاحه حتَّىٰ يوافق عليه.

ثالثًا: تعاطي أحقية الوصول إلىٰ السلطة وشرعية البحث عنها.

فإنْ كان الحاكم المسلم موجودًا فالحزب يعارضه وينافسه بما تهيّأ له من طريق ديمقراطي أو حدّ سيف وسنان.

وإن انفرط عِقْدُ الأُمَّة فلم يكن لهم سلطان أو كان كافرًا كُفْرًا بواحًا عندنا من الله فيه برهان، فإنَّ الحزب ينفرد عن أهل الحلّ والعقد ويسوّغ لنفسه البحث عن الحكم بأساليبه الخاصَّة لتصفو له الغنائم أو يكون له فيها الحظّ الأوفر.

وقد تحدَّث الخليفة الراشد عمر بن الخطَّاب ﷺ عن الذين يستبدُّون بالأمور عند شغور منصب الإمامة فأنكر فعلهم وحذَّر المسلمين منهم علىٰ ملأٍ من جماعة الصحابة الذين شهدوا خطبته في بلد العلم والسُّنَّة، مدينة النَّبيِّ ﷺ.

فقد أسند البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أنَّه قال لابن عباس بمنىٰ: لو رأيت رجلًا أتىٰ أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فغضب عمر، ثُمَّ قال: «إنّي إن شاء الله لقائم العشية في النَّاس فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم». ثُمَّ أجَّل خطبته إلىٰ مرجعه إلىٰ المدينة، فختم خطبته بقوله: «مَن بايَعَ رجلًا مِن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تَغِرَّةً أن يُقتلا»[2].

قال ابن حجر: «أي: حذرًا من القتل، وهو مصدر من أغررته تغريرًا أو تغرة، والمعنىٰ: أنَّ مَن فعل ذلك فقد غرّر بنفسه وبصاحبه وعرَّضهما للقتل»[3].

---

(1) حلية الأولياء (2/ 204) ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (4/ 192).

(2) «البخاري»3/ 172 (2462) و5/ 85 (3928).

(3) فتح الباري (12/ 155).

وشأن المسلمين التشاور بينهم في أمورهم العظيمة، قال تعالىٰ في وصف المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشورىٰ: 38].

قال السعدي في تفسيرها: ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمرٍ من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلَّا فرعًا عن اجتماعهم وتوالفهم وتوادّهم وتحاببهم.

فمن كمال عقولهم أنَّهم إذا أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلىٰ إعمال الفكر والرأي فيها اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها حتَّىٰ إذا تبيَّنت لهم المصلحة انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد وتولية الموظَّفين لإمارةٍ أو قضاء أو غيرهما. وكالبحث في المسائل الدينية عمومًا، فإنَّها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مِمَّا يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية)[1].

وبوَّب البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه بابًا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

وقال تحته: «كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلىٰ غيره»[2].

وهذا مِن عظيم فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث إنَّ الشورىٰ تعصم من الفِتَن والاختلاف وتساعد علىٰ انتظام شئون الخلق.

ولا يظنَّن ظانٌ أنَّ التشاور في الأمور العامَّة مفتوح لكُلِّ أحد، بل هو خاص بالعلماء والأمراء مع استطابة نفوس مَن لا يتمُّ الأمر بدونهم من مُقدَّمي العامَّة.

وقد نهي النَّبيُّ ﷺ عن طلب الإمارة، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة ! لا تسأل الإمارة، فإن أُعْطِيتَهَا عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مِسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عليها»[3].

(1) تيسير الكريم الرحمن (706) .

(2) فتح الباري (13/ 339) .

(3) أخرجه أحمد 5/ 61 و«البخاري»8/ 159 (6622) و«مسلم»5/ 86 (4292).

وعن أبي موسىٰ الأشعري قال: دخلت علىٰ النَّبِيِّ ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «إنَّا لا نُوَلِّي هذا مَن سأله ولا مَن حرص عليه»[1].

ذكر المهلَّب أنَّ الحرص علىٰ الولاية هو السبب في اقتتال النَّاس عليها حتَّىٰ سُفِكَت الدِّماء واسْتُبِيحَت الأموال والأعراض، وعَظُمَ الفساد في الأرض بذلك (2).

ونبيُّ الله يوسف عليه السلام لم يطلب الولاية ابتداءً، لكن لمَّا قال له الملِك ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: 54] فمكَّنه من أرضه وائتمنه علىٰ أسراره، بيَّن له ما يؤمِّل منه نفع عموم الخلق فقال: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55] فحدَّد العمل وبيَّن السبب، وهو أنَّه حفيظٌ عليمٌ. ثُمَّ هو نبي يُوحَىٰ إليه فهو أبعد ما يكون من التُّهْمَة.

فَمَن لَمْ يتَّهِم نفسه في هذه الأُمور ويَخَفْ عليها فإنَّه لا ينجو، ولذلك جاء في إحدىٰ روايات حديث أبي موسىٰ السابق قوله ﷺ: «إنَّ أخوَنَكُم عندي مَن يطْلُبُهُ»[3].

فحكم علىٰ طالب الإمارة بالخيانة، وذكر في الحديث الآخر أنَّه يوكل إليها.

فمتىٰ وُجِدَت المحاذير السابقة في جماعة واحدة فإنَّ قيامها غير شرعي لضرره المحقَّق لجماعة المسلمين إن عاجلًا أو آجلًا.

فكيف إذا تعدَّدت الجماعات بذلك الوصف، فإنَّ تعاديها وتخاصمها والتنافس بينها علىٰ الدنيا يكون شديدًا، والثمرة المجنية تكون مُرَّة كالعلقم، فحرمة قيامها تكون أظهر.

وأمَّا مَن تمسَّك بالإسلام علىٰ أصوله الأولىٰ ونأىٰ بنفسه عن محدثات الأمور، ولم

---

(1) أخرجه البخاري (7149).

(2) فتح الباري (13/ 126).

(3) أخرجه أحمد (4/ 393).

يفتئت علىٰ حقوق جماعة المسلمين بإحداث بيعة أو حلف أو ولاء وبراء في غير محلّه أو استبداد بأمر إمارتهم، فإنَّ ما يفعله من التعاون مع أهل الحق علىٰ البر والتقوىٰ ونصرة دعوة الحقّ ونفع المسلمين أمر حسن جميل وليس من الحزبية في شيء لاختلاف الوسائل والغايات.

مسألة في حكم الحزبية المعاصرة:

بادئ ذي بدء يحسن ذكر مفاسد الحزبية زيادةً علىٰ ما مضىٰ في مبحث مرتكزات الحزبية، ثُمَّ نثنِّي بإيراد أقوال العلماء في المسألة.

فقد عُرِف من سمات الفرق القديمة أنَّهم يجتمعون علىٰ عقائد فاسدة وأعمال بدعية يتعصَّبُونَ لها ويوالون ويعادون عليها، وهذا زيادة في إثمهم، لأنَّ الواقع في الباطل يكون أقلّ لجرمه ألَّا يدعو الخلق إليه، وألَّا يوالي ويعادي عليه، كحال الكافر إذا كان مِمَّن يصد عن سبيل الله فإنَّه يكون أشد إثمًا مِمَّن يقتصر علىٰ كفره ولا يزيد عليه.

فَهَل سلمت الحزبيات المعاصرة من استلهام عقائد الفرق الضالَّة؟ والجواب أنَّك واجد فيها مَن أسَّس منهاجه علىٰ مذهب الصوفية، ومنهم مَن اعتمد علىٰ منهج الأشاعرة، ومنهم مَن قدَّم العقل علىٰ النقل وتحرَّر من إجماع السلف، ومنهم مَن لم يمانع في توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والإرادة إلَّا أنَّه وافق الخوارج والمعتزلة في بعض مسائل الأسماء والأحكام فكفَّر مرتكب الكبيرة علىٰ الإطلاق، أو فيما يتعلَّق بمسألة الحكم والتحاكم، واستحلَّ دماء أهل القبلة إمَّا مطلقًا أو مقيّدًا، مخالفين بذلك ما تقرَّر في الكتاب والسُنَّة وما أجمع عليه سلف الأُمَّة ومشىٰ عليه أئمة السُنَّة المجتهدون في هذا العصر.

كما أنَّ الحزبيات المعاصرة لم تسلم من الطَّعن في أهل الحديث والسُنَّة، وهذا من علامات أهل البدع.

فإلىٰ بعض مفاسد الأحزاب:

أولًا: «الفرقة في الإسلام لا تكون إلَّا علىٰ أساس الاختلاف في الكتاب، ونتيجتها

تَمَزُّق الأُمَّة إلىٰ أحزاب، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: 176]»[1].

ثانيًا: قولهم: لا عمل للإسلام إلَّا بحزب، إذًا فإلىٰ أي حزب ينتمي الداعية؟ أم يطلبون من المسلم أن يكون متحزِّبًا مفرِّقًا لكلمة المسلمين، وأن تكون له الحرِّية في الانتماء إلىٰ ما شاء من الأحزاب حتَّىٰ يكونوا سواء في الملامة والمؤاخذة كما كان يقول قوم لوط عن المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: 56].

ثالثًا: الإذن بالأحزاب في الإسلام فيه فتح باب لا يرد بدخول أحزاب تتسمَّىٰ بالإسلام، وهي حرب عليه، فكم تبع أناس القاديانية والبهائية وما إليها، وكم التفَّ حولها من المسلمين ما لا يحصيهم إلَّا الله فأخرجهم من نور الإسلام إلىٰ الضلال البعيد[2].

رابعًا: «التعدُّد داعية الفرقة، والفرقة سبب للمنازعة المورِّثة للفشل والضعف والوهن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] فالحزبية مظنَّة الفرقة، بل مئنَّةٌ لها وللبغضاء بين أهل الإسلام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: 105]»[3].

خامسًا: «كم كانت الحزبية - وبخاصَّة السياسية منها - سببًا لصرف الأنظار عن الأمراض الحقيقية التي تنخر في جسم الأُمَّة من داخل، فتفرز فيها القابلية للتخلُّف والهزيمة»[4].

سادسًا: «ومن أظهر مضارها أن تفتقد السير بالدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ في مراحلها علىٰ منهاج النبوة، فهي لا تعنىٰ [بـ] ترسيخ الاعتقاد، ولا التفقه في الدين، ولا نشر لسان العرب. فإن قيل: بلىٰ، قيل: أرونا هذا بأدلته المادية، فأين الدعاة الذين صفتهم في هذه

---

(1) حكم الانتماء (138).

(2) حكم الانتماء (139)

(3) حكم الانتماء (142 – 143).

(4) السابق نفسه (150)

الأحزاب: رسوخ الاعتقاد في التوحيد خالصًا من البدع والأهواء في القدوة وفي العمل، مبرِّزًا في فقهه، متضلِّعًا بلغة العرب ونصاعة بيانها؟.أين هؤلاء؟ وأين آثارهم العلمية والشبابية؟ وأين معاقل العلم التي صنعوا بها رجالًا؟»[1]

سابعًا: «وكم كانت الأحزاب المبنية علىٰ تصعيد النظرة السياسية الخالية من القاعدة الإسلامية الملتزمة سببًا في التسلُّط علىٰ الإسلاميين وحصدهم، وتقهقر الدعوة، وقهر الدعاة، وكبت الانطلاقة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ»[2].

ثامنًا: «هل يسمح الحزب بتعدُّد الأحزاب في البلدة الواحدة، وتوزع انتماءات أهلها؟ ... فمن قال: نعم، فهو جواب مَن لا يعقل ولا يريد بالأُمَّة خيرًا. وإن قال: لا، فكيف يسمح لنفسه بحزبه دون بقية الأحزاب؟ ليس أمامنا إلَّا لزوم جماعة المسلمين السائرين علىٰ مدارج النبوة، مَن كان علىٰ مثل ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه ﷺ)[3].

تاسعًا: «بدعيتها، ولو لم يكن من أمر الحزبية التي تنفرد باسم أو رسم عن منهاج النبوة، إلَّا أنَّها عمل مستحدث لم يُعْهَد في الصَّدر الأوَّل [لكان كافيًا في المنع منها] فليسعنا ما وسعهم»[4].

❁ أقوال العلماء في منع التحزُّب:

قال الطبري في شرح حديث حذيفة الذي أورده البخاري تحت باب «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة». قال: «. وفي هذا الحديث أنَّه متىٰ لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا، فلا يتَّبع أحدًا في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خشيةً من الوقوع في الشر»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس للمعلِّمين أن يحزِّبوا الناس ويفعلوا ما يلقي

---

(1) السابق نفسه (150 – 151)

(2) المصدر السابق (141) .

(3) المصدر السابق نفسه (140) .

(4) المصدر نفسه والصفحة ذاتها .

(5) فتح الباري (13/ 37) .

بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين علىٰ البرِّ والتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة: 2].

وليس لأحد منهم أن يأخذ علىٰ أحد عهدًا بموافقته علىٰ كُلِّ ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله؛ الذين يجعلون مَن وافقهم صديقًا والي، ومَن خالفهم عدوًّا باغي، بل عليهم وعلىٰ أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرِّموا ما حرَّم الله ورسوله، ويرعوا حقوق المعلِّمين كما أمر الله ورسوله.

فإن كان أستاذ أحد مظلومًا نصره، وإن كان ظالمًا لم يعاونه علىٰ الظُّلْم، بل يمنعه منه»[1].

وبعد معرفة موقف شيخ الإسلام الصريح من تلك الحزبية، يحسن بنا نقل قول له يتعلَّق به مسوِّغو الحزبية المعاصرة من بين ما يتعلَّقون بـه في تسويغها ورؤية مشروعيتها.

قال شيخ الإسلام في كلام له: «وأمَّا رأس الحزب فإنَّه رأس الطائفة التي تتحزَّب، أي تصير حزبًا، فإن كانوا مجتمعين علىٰ ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصُّب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمَّن لم يدخل في حزبهم سواء كان علىٰ الحقِّ والباطل، فهذا من التفرُّق الذي ذمَّه الله تعالىٰ ورسوله، فإنَّ الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن الفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ونهيا عن التعاون علىٰ الإثم والعدوان.

وفي الصحيحين عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحُمَّىٰ والسَّهر»[2].

والمتأمِّل لمقولة شيخ الإسلام، الجامع بين أطراف كلامه يلوح له أنَّ الرئاسة التي

---

(1) مجموع الفتاوىٰ (28/ 15-16).

(2) المصدر السابق (11/ 92).

يسوِّغها الشيخ هي رئاسة العلم، وزعامة شيخ لحزبه، أي تلاميذه وطلبته الذين يعلمهم ويزكيهم ويربيهم علىٰ العلم والعمل كما كانت حياة أئمة السَّلَف، فما مِن أحد من علماء السلف إلَّا كان له تلاميذ وأتباع يعلمهم ويربيهم ويخرجهم علىٰ يديه، وهذا أمر متوارث جيلًا عن جيل، وقرنًا بعد قرن إلىٰ يوم الناس هذا.

وهي الرئاسة التي جاءت علىٰ لسان أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ حين قيل له: في مسجد كذا حلقة يتناظرون في الفقه، فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقهون أبدًا [1].

وهي أيضًا الرئاسة التي وصف بها أبو جعفر الأنباري إمَامَ أهل السُّنَّة أبا عبد الله أحمد بن حنبل إبَّان فتنة خلق القرآن فيما ساقه الذهبي من طريق الأصم: حدَّثنا عباس الدوري: سمعت أبا جعفر الأنباري يقول: لَمَّا حُمِلَ أحمد إلىٰ المأمون أُخبرت، فَعَبَرْتُ الفراتَ، فإذا هو جالس في الخان، فسلَّمت عليه، فقال: يا أبا جعفر تعنَّيت. فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلىٰ خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعنَّ خلق من الناس كثير.

ومع هذا فإنَّ الرَّجُلَ إن لم يقتلك فإنَّك تموت، لابُدَّ من الموت، فاتَّق الله ولا تُجِب، فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله. ثُمَّ قال: يا أبا جعفر أعد عليَّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله [2].

وليس معنىٰ قول شيخ الإسلام تسويغ الحزبية وزعامتها بالمفهوم المعاصر الذي يفرق بين الأُمَّة ويجعلهم أوزاعًا وأحزابًا متناحرة متباغضة متدابرة. قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»[3].

فإنَّ هذه المفاسد بِنْتُ تلك الحزبية المشئومة. وهذه الحزبية مقارنة للتفرُّق الذي ذمَّه الله ونهي عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: 159]،

---

(1) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/ 555).

(2) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (11/ 238).

(3) أخرجه «أحمد»2/ 288.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32].

فكُلُّ مَن خرج عن جماعة المسلمين وسوادهم بفهم أو عمل يخالف به ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسانٍ من سلف الأُمَّة فإنَّ له نصيبًا من الوعيد المذكور حتَّىٰ ينزع عمَّا سبَّب الفرقة والاختلاف.

وأمَّا أبو إسحاق الشاطبي فإنَّه بنىٰ كتابه «الاعتصام»، علىٰ ذمِّ البدعة وأهل الافتراق، وممَّا قاله فيه عند كلامه علىٰ حديث الثنتين والسبعين فرقة: إنَّه لا يعمُّ الخلاف الواقع في مسائل الاجتهاد «وإنَّما يراد به افتراق مقيّد، وإن لم يكن في الحديث نص عليه، ففي الآيات ما يدل عليه: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: 159]، وما أشبه ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ التفرُّق الذي صاروا به شيعًا.

ومعنىٰ «صاروا شِيَعًا» أي: جماعات، بعضهم قد فارق البعض، ليسوا علىٰ تآلف ولا تعاضد ولا تناصر، بل علىٰ ضد ذلك، فإنَّ الإسلام واحد، وأمره واحد، فاقتضىٰ أن يكون حكمه علىٰ الائتلاف التام لا علىٰ الاختلاف.

وهذه الفرقة مشعرة بتفرُّق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، فبيَّن أنَّ التأليف إنَّما يحصل عند الائتلاف علىٰ التعلُّق بمعنىٰ واحد، وأمَّا إذا تعلَّقت كُلّ شيعة بحبل غير ما تعلَّقت به الأخرىٰ، فلابُدَّ من التفرُّق، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153][1].

وقال الشيخ الألباني في حديث حذيفة الذي فيه: «فاعتزِل تلك الفرق كُلّها». قال: «في هذا الحديث أنَّ المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع؛ فعليه حينذاك ألَّا يتحزَّب، وألَّا يتكتَّل

---

(1) الاعتصام (2/ 409).

مع أي جماعة أو مع أي فرقة، مادام أنَّه لا توجد الجماعة التي عليها إمام مبايع من المسلمين»[1].

وسُئِلَ سماحة الشيخ ابن باز: هل تُقِرُّون مثل الدخول في هذه الجماعات: جماعة الإخوان، جماعة التبليغ، جماعة الجهاد، أو تنصحونهم بالبقاء علىٰ طلب العلم مع طُلَّاب العلم من الدعوة السلفية؟ فأجاب بقوله: «ننصحهم جميعًا بالاجتماع علىٰ كلمةٍ واحدة وهي طلب العلم والتفقُّه في الكتاب والسُنَّة والسير علىٰ منهج أهل السُنَّة والجماعة، ننصحهم جميعًا بأن يكون هدفهم هو اتباع الكتاب والسُنَّة والسير علىٰ منهج أهل السُنَّة والجماعة، وأن يكونوا جميعًا يُسَمُّون أنفسهم أهل السُنَّة، أو أتباع السلف الصالح.

أمَّا التحزُّب للإخوان المسلمين أو جمعية التبليغ، أو كذا وكذا، لا ننصح به، هذا غلط، ولكن ننصحهم بأن يكونوا كتلة واحدة وجماعة واحدة يتواصون بالحق والصبر عليه، وينتسبون لأهل السُنَّة والجماعة.

هذا هو الطريق السويّ الذي يمنع الخلاف، وإذا كانوا جماعات علىٰ هذا الطريق ما يضر كونهم جماعة في «إب»، وجماعة في «صنعاء»، لكن كلهم علىٰ الطريقة السلفية؛ اتِّباع الكتاب والسُنَّة، يدعون إلىٰ الله وينتسبون إلىٰ أهل السُنَّة والجماعة من غير تحزُّب ولا تعصُّب، هذا لا بأس به وإن تعدَّدت الجماعات، لكن يكون هدفهم واحد وطريقهم واحد»[2].

وسُئِلَ الشيخ أيضًا: بعض الشباب يقول: نحن إذا دخلنا في جماعة مثل جماعة الإخوان، أو التبليغ، أو الجهاد لنُصْلِح الأخطاء من الدَّاخل أحسن ما نكون بعيدين عنهم ندخل معهم إن طلبوا مِنَّا بيعة بايعناهم أو نرفض البيعة ولكن ندخل معهم لنصلح أخطاءهم، هل تنصح بذلك؟

(1) الدَّعوة إلىٰ الله لعلي الحلبي الأثري (98).

(2) من شريطٍ بعنوان «أسئلة أبي الحسن للشيخين ابن باز وابن العثيمين» سُجِّل بمكَّة المكرَّمة في السادس من ذي الحجة عام 1416 هـ.

فأجاب سماحة الشيخ ابن باز بقوله: «أمَّا زيارتهم للصُّلْح فلا بأس، أمَّا الانتساب إليهم لا، لكن زيارتهم للصُّلْحِ بينهم وللدعوة إلىٰ الخير وتوجيههم إلىٰ الخير ونصيحتهم فلا بأس، ولكن يكونوا مستقلِّين علىٰ طريق أهل السُّنَّة والجماعة.

وإذا زاروا الإخوان أو جماعة التبليغ ونصحوهم لله وقالوا: دعوا عنكم التعصُّب، عليكم بالكتاب والسُّنَّة، تمسَّكوا بالكتاب والسُّنَّة، كونوا مع أهل الخير، دعوا التفرُّق والاختلاف، هذا نصيحة طيب»[1].

وسُئِلَ الشيخ ابن عثيمين: هل هناك نصوص في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ فيها إباحة تعدُّد الجماعات الإسلامية؟ فأجاب بقوله: «ليس في الكتاب والسُّنَّة ما يبيح تعدُّد الجماعات والأحزاب، بل إنَّ في الكتاب والسُّنَّة ما يَذُمّ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: 159]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم: 32].

ولا شكَّ أنَّ هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله، بل ما حثَّ الله عليه في قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: 52]، ولا سيّما حينما ننظر إلىٰ آثار هذا التفرُّق والتحزُّب حيث كان كُلّ حزب وكُلُّ فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسبِّ والتفسيق، وربما بما هو أعظم من ذلك، لذلك فإنَّني أرىٰ أنَّ هذا التحزُّبَ خطأٌ»[2].

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «إنَّ إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو بجزئيات لا يجوز، ويترتب عليه عدم جواز الانتماء إليه، ولنعتزل تلك الفرق كلها، وعليه فلا يجوز الانصهار مع راية أخرىٰ تخالف راية التوحيد بأي وجهٍ كان من وسيلة أو غاية. ومعاذ الله أن تكون الدعوة علىٰ سنن الإسلام مِظَلَّة يدخل تحتها أي من أهل البدع والأهواء، فيُغَض النَّظر عن بدعهم وأهوائهم علىٰ حساب الدعوة»[3].

وقال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: «إنَّ الإسلام لا يتحمَّل في داخله تنظيمًا

---

(1) من الشريط السالف نفسه.

(2) مجلَّة الجندي المسلم، العدد 83 في ربيع الأوَّل عام 1417 هـ.

(3) حكم الانتماء 153.

آخر بحيث تكون أُسُس ذلك التنظيم وقواعده أساسًا للولاء والبراء. وذلك لأنَّ الإسلام لمَّا قضىٰ علىٰ جميع المواد التي كانت أساس الولاء والبراء في الجاهلية، وجعل الإسلام نفسه مادَّة الولاء والبراء، وجعل جميع المسلمين سواسية في الحقوق، لم يبق عنده مجال لتعدُّد الجماعات والكتلات المتفرقة، بحيث لا يكون لإحداها حقوق وعلاقات بالأخرىٰ حتىٰ يحتاج إلىٰ عقد التحالف بينها»[1].

وبما سبق يتبيَّن أنَّ الحزبية المفرِّقة بين الأُمَّة ضررها أكبر من نفعها، وإذا كان المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن مَن أمنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم، فإنَّ التنظيم ذا التوجه الشمولي يعطي لنفسه الحق في الانفراد بقرارات تؤثِّر علىٰ مجموع الأُمَّة كتدبير الانقلابات، وشنِّ الغارات بحيث لا يشعر الناس بالأمان من جانب ذلك التنظيم ويتوجسون منه الشر كل حينٍ وآن.

تنبيه علىٰ خطأ كبير:

بعض من الذين كتبوا عن الجماعات والفرق الإسلامية المعاصرة للموازنة بينها ونقدها يذكرون من أقسامها أهل السُنَّة والجماعة ! وهذا خطأ كبير في الفهم والتصور والبعد عن الحقيقة، فإنَّ أهل السُنَّة والجماعة وأهل الحديث هم جماعة المسلمين، وليست هذه في شكلها ومضمونها إلَّا دعوة الإسلام بجميع ما تعنيه هذه الكلمة؛ بخلاف الجماعات الأخرىٰ، فهي أحزاب وفرق: منها ما فيه دخل، ومنها ما يدعو إلىٰ شعبة من شعب الإسلام دون الأخرىٰ.

ومعاذ الله أن يكون المسلمون جماعاتٍ وأحزابًا، بل إنَّ الطائفة المنصورة والفرقة الناجية – جماعة المسلمين الملتزمة بالكتاب والسُّنَّة والدعوة إليها – ما زالت ولن تزال باقية إلىٰ أن يأتي أمر الله»[2].

---

(1) الأحزاب السياسية في الإسلام 45-46 .

(2) حكم الانتماء 115. وانظر كتابنا «السلفية . إشكالية منهج أم مفهوم» ففيه تجلية وبيان لهذا المعنىٰ .

۞ مسألة في حكم إحداث الحِلف في الإسلام:

يستدل دعاة الحزبية المعاصرة علىٰ مشروعيتها بمشروعية الحلف في الإسلام في نظرهم، ويقيسونها عليه ويوردون مثل حديث «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا هو أحب إلي من حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم في الإسلام لأجبت».

والجواب عن هذا أن أئمة السلف أشبعوا الكلام في الحلف وإحداثه في الإسلام واستوفوا القول فيه وهذا سياق كلام بعضهم فهاكموه:

قال الإمام محمد بن جرير الطبري ت310هـ[1]: «حدثنا أبو كريب وعبدة بن عبد الله الصفَّار، قالا: حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، قال: حدثني سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جبير بن مطعم، عن النبي ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة».

ذكر الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا هو أحب إلي من حمر النعم».

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي، أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال النبي ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا هو أحب إلي من حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»[2].

قالوا: ومن الدليل علىٰ أن الحلف الذي شهده النبي ﷺ حلف الفضول: ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي، عن محمد بن إبراهيم، قال: كان بين الحسين بن علي، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما بذي المروة، قال: فكان الوليد تحامل علىٰ الحسين بن علي في حقه لسلطانه فقال له الحسين: أقسم بالله لتنصفنَّ لي من حقي، أو

---

(1) في كتابه «تهذيب الآثار» ص 19 .

(2) ضعيف، لكن هذا الحديث والأحاديث بعده وردت من طرق أخرىٰ صحيحة.

لآخذن سيفي، ثم لأقومنّ في مسجد النبي ﷺ ثم لأدعونَّ بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال الحسين ما قال -: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي، ثم لأقومنَّ معه حتىٰ ينصف من حقه أو نموت جميعًا، فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف حسينًا من حقه.

❁ القول فيما في هذا الخبر من الفقه:

والذي فيه من ذلك: الدليل علىٰ أن كل حلف كان عقد في الجاهلية قبل الإسلام، أن علىٰ أهله الوفاء به، وذلك أن النبي ﷺ قال في الحلف الذي شهده مع أعمامه من بني هاشم، وبني المطلب قبل الإسلام: «ما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه»، وذلك نظير الأخبار الواردة عنه ﷺ أنه قال: «لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة».

ذكر الأخبار الواردة بذلك عنه:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وما كان في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، عن إسرائيل بن يونس، عن محمد بن عبد الرحمن مولىٰ آل طلحة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وكل حلف كان في الجاهلية، فلم يزده الإسلام إلا شدة، وما يسرني أن لي حمر النعم، وأني أنقض الحلف الذي كان في دار الندوة».

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هيثم قال: أخبرنا مغيرة، عن أبيه، عن شعبة بن التوأم الضبي، عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف، قال: فقال: «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، ولا حلف في الإسلام».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبيه، عن شعبة بن التوأم

الضبي، أن قيس بن عاصم سأل النبي ﷺ عن الحلف، فقال: «لا حلف في الإسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن داود بن أبي عبد الله، عن ابن جدعان، عن جدته، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»، فإن قال لنا قائل: فإن كان الأمر في الحلف في الإسلام كما قلت من أنه غير جائز عقده، فما أنت قائل فيما حدثكم به ابن حميد قال: حدثنا جرير، عن عاصم، عن أنس قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في داري التي بالمدينة؟ قيل: هذا أمر كان في أول الإسلام، كان رسول الله ﷺ آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، وكانوا يتوارثون بذلك العقد، وكانت الجاهلية في جاهليتها تفعل ذلك، فنسخ الله – تعالىٰ ذكره – ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 75]ورد المواريث إلىٰ القرابات بالأرحام والحرمة بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11 – 12] الآيتين، فإن قال: وهل من دليل علىٰ صحة ما قلت؟ قيل: حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 33] قال: كان الرجل يعاقد الرجل فيرثه، وعاقد أبو بكر مولىٰ فورَّثه.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيىٰ بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: 33] قال: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فيرث أحدهما الآخر، فنسخ ذلك في الأنفال فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 75] فكان هذا هكذا إلىٰ أن فتحت مكة، فلما فتحت مكة نسخ ذلك، فقال النبي ﷺ حينئذ: «أوفوا بحلف الجاهلية، فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة».

حدثنا حميد بن مسعدة الشامي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا حسين

المعلم، وحدثنا مجاهد بن موسىٰ، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا حسين، وحدثني حاتم بن بكر الضبي، قال: حدثنا عبد الأعلىٰ بن حسين المعلم، قال: حدثنا أبي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم فتح مكة: «أوفوا بحلف الجاهلية، فإنه لا يزيده الإسلام إلَّا شدة، ولا تحدثوا حلفًا في الإسلام».

وحدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، قام خطيبًا في الناس فقال: «أيها الناس! ما كان من حلف في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة، ولا حلف في الإسلام».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ مثله.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أسد بن عمرو، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ مثله.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، قال: حدثنا سليمان بن بلال، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ بنحوه.

فإن قال لنا: أوَجائز في الحلف الذي أمر النبي ﷺ بالوفاء به من حلف الجاهلية، وقد علمت أن القوم إنما كانوا يتعاقدون بينهم علىٰ أن يرث بعضهم بعضًا، ويكون بعضهم عونًا لبعض علىٰ من أرادوه بظلم أو أرادهم بذلك - أن يوفىٰ بشروطه التي كانوا تعاقدوا عليها في الجاهلية؟ قيل: إن الذي أمر النبي ﷺ بالوفاء به من ذلك هو ما لم يفسخه الإسلام، ولم يبطله حكم القرآن، وهو التعاون علىٰ الحق، والنصرة علىٰ الأخذ علىٰ يد الظالم الباغي، فإن قال: فإن هذا حق لكل مسلم علىٰ كل مسلم فما المعنىٰ الذي خص به في الجاهلية حتىٰ وجب من أجله الوفاء به، ونهي عن مثله في الإسلام استئنافه؟ وهل

علىٰ مسلم من حرج في معاقدة إخوان له من أهل الإسلام علىٰ التناصر إن بغىٰ أحدًا منهم أحدٌ بظلم أو قصده بسوء؟ قيل: إن ذلك من معنىٰ ما ذهب إليه بعيد، وإنما معنىٰ قول النبي ﷺ: «ما كان من حلف في الجاهلية، فتمسكوا به». إنما هو الحلف علىٰ النصرة من بعضهم لبعض في الحق، وذلك وإن كان واجبًا علىٰ كل مسلم لكل مسلم، فإن علىٰ الحليف من ذلك لحليفه من وجوب حق نصرته علىٰ من بغاه بظلم دون سائر الناس غيره ما يجب للقريب علىٰ قريبه، والنسيب علىٰ نسيبه، دون سائر الناس غيره، وإن نابته نائبة من عدوٍّ له قصده بظلم ... فله من استصراخه عشيرته وقبيلته بمثله، وذلك أن الأخبار متظاهرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعزَّىٰ بعزاء الجاهلية، فأَعِضُّوه بِهَنِ أبيه، ولا تَكنُوا» ... فنهي ﷺ المظلوم عن الاعتزاء بما ذكرنا وأمر من ظُلم فاستصرخ علىٰ ظالمه أن يقول: يالَعباد الله! ويالَلمسلمين! ثم أطلق له من الاستصراخ بحليفه مما نهي عن الاستصراخ بمثله بنسيبه من قبيلته وعشيرته، فأجاز للرجل من أهل حلف الفضول أو غيره أن يقول: يالحلف الفضول! أو يا لحلف المطيَّبين! وما أشبه ذلك، أوَ ما تسمعه يقول في الخبر الذي ذكرتُ عن عبد الله بن طلحة التيمي: «ولو دعيت إليه اليوم في الإسلام لأجبت»؟[1] أوَما ترىٰ أن الحسين بن علي قال للوليد بن عتبة: أقسم بالله لتنصفن لي من حقي أو لآخذن سيفي، ثم لأقومنَّ في مسجد النبي ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول؟ فذلك هو الخصوص الذي خص به الحليف بالحلف الذي كان عقده في الجاهلية من حليفه دون سائر الناس غيره».اهـ. كلام الإمام الطبري.

وقال الإمام المحدث الفقيه المفسر أبو جعفر الطّحاوي ت321هـ: «قول النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام». إنما كان منه عند فتحه مكة، كما حدثنا أبو أمية، قال: حدثنا

(1) ومعنىٰ هذا الحديث كما يظهر في السياق الذي ساقه فيه أبو جعفر الطبري: أن النصرة بسبب الحلف الذي أُبرم في الجاهلية بين الحلفاء مستمرة في الإسلام بينهم، وأن من دُعي إلىٰ الوفاء به في الإسلام لزمته إجابة حليفه وإنصافه من ظالمه تأدية إلىٰ الحليف حق الحلف المبرم في الجاهلية ومقتضياته، وليس معناه إنشاء حلف في الإسلام، وعقد رباط به بين المسلمين لنفي النبي ﷺ الحلف في الإسلام، ونهيه عنه «لا حلف في الإسلام» «لا تحدثوا حلفًا في الإسلام» بل عدَّ الإمام ابن بطة العكبري الحلف في الإسلام من البدع المحدثة كما يأتي النقل عنه .

عبيدالله بن موسىٰ العبسي، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح قام خطيبًا، فقال: «أيها الناس! إنه ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا حلف في الإسلام»، وكما حدثنا ابن أبي داود، قال: حدثنا الوهبي، قال: حدثنا ابن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ فذكر مثله.

أخبر عبد الله بن عمرو أن هذا القول إنما كان من رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، والذي كان من رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم من المؤاخاة التي حالف بينهم فيها كان قبل ذلك بالمدينة، وكان الذي كان من النبي ﷺ في خُطبته يوم فتح مكة، مما ذكره عبد الله بن عمرو ناسخًا ولم يكن منه ﷺ بعد قوله: «لا حلف في الإسلام». حلف إلىٰ أن قبضه الله صلوات الله عليه»[1].

وقال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري ت387هـ: ومن البدع المحدثة التي ليس لها أصل في كتاب ولا سنة – تشبهوا فيها بأفعال الجاهلية – اجتماعهم والتحالف بينهم علىٰ التعاضد والتناصر، وهذا مبتدع مكروه، وكانت الجاهلية تفعله فأذهبه الله ﷻ بالإسلام، ونهي عنه علىٰ لسان نبيه ﷺ، وقال النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فما زاده الإسلام إلَّا تأكيدًا»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تنازع الناس هل يشرع في الإسلام أن يتآخىٰ اثنان، ويتحالفا كما فعل المهاجرون والأنصار؟ فقيل: إن ذلك منسوخ لما رواه مسلم في صحيحه عن جابر أن النبي ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة». ولأن الله قد جعل المؤمنين إخوة بنص القرآن، وقال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه، ولا يظلمه، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم

(1) «شرح مشكل الآثار» 4/ 300 .

(2) «الشرح والإبانة علىٰ أصول السنَّة والديانة» ص 364 .

حتىٰ يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه»، فمن كان قائمًا بواجب الإيمان كان أخًا لكل مؤمن، ووجب علىٰ كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاص؛ فإن الله ورسوله قد عقدا الأخوة بينهما بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: 10]، وقال النبي ﷺ: «وددت أني رأيت إخواني». ومن لم يكن خارجًا عن حقوق الإيمان وجب أن يعامل بموجب ذلك، فيحمد علىٰ حسناته، ويوالىٰ عليها، وينهي عن سيئاته، ويجانب عليها بحسب الإمكان، وقد قال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». قلت يا رسول الله! أنصره مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه». والواجب علىٰ كل مسلم أن يكون حبه وبغضه، وموالاته، ومعاداته تابعًا لأمر الله ورسوله، فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله، ومن كان فيه ما يوالىٰ عليه من حسنات وما يعادىٰ عليه من سيئات عومل بموجب ذلك، كفساق أهل الملة؛ إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، والحب والبغض، بحسب ما فيهم من البرّ والفجور، فإن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: 7، 8]، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، بخلاف الخوارج والمعتزلة، وبخلاف المرجئة والجهمية؛ فإنَّ أولئك يميلون إلىٰ جانب، وهؤلاء إلىٰ جانب، وأهل السُّنَّة والجماعة وسط.

ومن الناس من يقول: تشرع تلك المؤاخاة والمحالفة، وهو يناسب من يقول بالتوارث بالمحالفة»[1].

قلنا: وهذا القول الأخير مرغوب عنه لدىٰ الشيخ؛ حيث لم يسق له أي دليل يؤيده وينصره، ويدل علىٰ بطلان القول الثاني أيضًا قول الشيخ: «وهو يناسب من يقول بالتوارث بالمحالفة». وقد ثبت قطعًا نسخ التوارث بالمحالفة، فكذلك المحالفة المجردة المناسبة له منسوخة أيضًا كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وذهب إليه

---

(1) «مجموع الفتاوىٰ» 35/ 93 .

الأئمة فيما سقناه آنفًا.

وهكذا تضافرت أقوال الأئمة وتظاهرت في نسخ الحلف، ونسخ التوارث به، ومنع إحداثه في الإسلام.

«ومن هنا يظهر أن الإسلام ربط المسلمين برابطة لايمكن لأي تنظيم وضعي مهما حصل عليه من القوة والدقة أن يصل إلىٰ مثلها، وأن العلاقة أو الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء في الإسلام، فالمسلم ولي المسلم سواء عرفه أولم يعرفه، بل ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيمًا آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساسًا للولاء والبراء؛ لأن هذا النوع من التنظيم يقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة، والإخاء وغيرها من الحقوق، ومن لم ينتظم فيه لا يستحق تلك الحقوق، مع أن الإسلام أعطىٰ المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلمًا لا لسبب آخر»[1].

جماعة المسلمين واحدة:

جعل الله سبحانه وتعالىٰ أهل الحق حزبًا واحدًا قدرًا وشرعًا وناط به الفلاح في أنفسهم والغلبة علىٰ أعدائهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: 22]، وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: 56].وهذه الغلبة الموعودة ثابتة لحزب الله بالحجة والبرهان في كل صقع وآن، وتتبعها الغلبة بالسيف والسنان إذا كانت أحوالهم مستقيمة، وقاتلوا من أمر الله بقتالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات: 173] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: 51]، فهذه بشارة عظيمة لمن اتصفوا بأنهم من جند الله وتحلَّوا بالإيمان أنهم غالبون لغيرهم منصورون من ربهم نصرًا عزيزًا يتمكنون فيه من إقامة دينهم [2].

---

(1) الأحزاب السياسية في الإسلام، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري 45 .

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي 654- 655.

وهذا الحزب هو المعبَّر عنه بـ «الجماعة». في حديث افتراق هذه الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، قال ﷺ: «ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»[1]. ومن شواهده لفظ «ما أنا عليه وأصحابي».

وهو مدلول حديث العرباض بن سارية المرفوع: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ»[2].

وهذا الحزب حزب واحد قد فُرغ من إنشائه علىٰ يدي رسول الله ﷺ فيجب علىٰ كل مسلم ينشد الحق ويسعىٰ في فكاك نفسه من عذاب الله أن يلزم غَرزَ هذا الحزب وينأىٰ بنفسه عن شق عصاه وإنشاء حزبٍ شقاقٍ داخل هذا الحزب الواحد.

وكان هذا الحزب متمثلًا في جيل الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وكانوا ينابذون بشدة ويناصبون أشدَّ العداء كلَّ من يفتُّ في عضد هذه الجماعة بمفهوميها «العلميّ المنهجيّ». و«السياسيّ». ويخرج عليها من حيث العقيدة والسلوك والسياسة.

ففيما يتعلق بالمخالفة العقدية نجد الإنكار الشديد والحاسم من عبد الله بن عمر ﷺ علىٰ منكري القدر، فقد روىٰ مسلم [3] عن يحيىٰ بن يعمر قال: «كان أولَ من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ. فقلت: أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قِبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أُنُفٌ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا

(1) أخرجه أبو داود (4/ 198 ح 4597) من حديث معاوية وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (204).
(2) أخرجه أحمد (4/ 127)، والترمذي (2676) وابن ماجه (43) وغيرهم وهو حديث صحيح.
(3) في صحيحه 1/ 36 ح (8).

فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر».

ومن حيث المخالفة السلوكية نرىٰ كيف أن عبد الله بن مسعود شدَّد النَّكير علىٰ هؤلاء الذين أحدثوا أنماطًا في العبادة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ من إحصاء الأذكار وعدِّها، مما لم يؤمروا به، فكان مما قال لهم في تعنيفهم: «إنكم لعلىٰ ملة هي أهدىٰ من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن؛ ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه». أخرجه الدارمي[1] بإسناد جيد.

ومن حيث المخالفة السياسية لجماعة المسلمين نرىٰ كيف أن ابن عمر هدَّد حَشَمَه وولده بالمفاصلة بينه وبينهم في شأن خلع يزيد بن معاوية، فقد روىٰ البخاري[2] أن ابن عمر جمع حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل علىٰ بيع الله ورسوله ﷺ، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايَع رجلٌ علىٰ بيع الله ورسوله ثم يُنصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه.

ولا يعني ذم التحزب والافتراق أن تتشتت الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ولا يجتمع منهم اثنان كما يحلو لبعض المتحزبين أن يصموهم به لتخذيل الناس عنهم وتشويه صورتهم وإظهارهم بمظهر الرَّافض للتعاون الشرعي والمفرق لكلمة المسلمين.

فالإسلام لا يحجر علىٰ أهل الحق أن يتعاونوا لإعزاز دين الله، بل يوجب عليهم أن يتضافروا لنصرة دين الله بكل طريق لا يتعارض مع الشرع ومصلحة خالصة أو راجحة، ولا يضيق عليهم في إنشاء المدارسَ والجامعات وجمعيات النفع العام والمراكز التي تخدم دعوتهم بشرط أن يتجنبوا مفاسد التحزب والتفرق من الافتئات علىٰ حقوق أهل الحل والعقد في نصب الإمام أو منابذته حين يُشرع ذلك، وتحزيب المجتمع وتوزيع ولائه علىٰ الأحزاب وأخذ البيعات وعهود الطاعات عليهم.

---

(2) في مسنده (1/ 287) .

(1) في صحيحه (6/ 2603) .

ثم إن الإسلام كما نهى عن الاختلاف والتفرق والتحزب وكل ما يكدر صفو ألفة المسلمين وتماسكهم وتعاضدهم الذي يكفل لهم وحدة صفهم الداخلي وتضافر القوىٰ والجهود في التصدي للعدو الخارجي الغاشم شرع لهم تشريعًا يدلهم علىٰ مكانة وحدة المسلمين وسدّ الذرائع التي قد تفتّ في عضدهم وتفرِّق شملهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك: «إنه ﷺ سنّ الاجتماع علىٰ إمام واحد في الإمامة الكبرىٰ وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلىٰ حصول الصلاة الأصلية لما في التفريق من خوف تفرق القلوب وتشتت الهمم، ثم إن محافظة الشارع علىٰ قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضي إلىٰ ضدّ ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضبط، وكل ذلك شرع لوسائل الألفة. وزجر عن ذرائع الفرقة».اهـ[1].

ومن أمثلة ذلك أنه إذا كان المسلمون في أمرٍ جامعٍ وأمكن اجتماع أبدانهم في صعيد واحد كُره لهم أن يتفرَّقوا إلا من عذر؛ لأن ذلك أدعىٰ لائتلاف قلوبهم وأبعد عن تفرُّقها، كما روىٰ الإمام أحمد [2]، وأبو داود [3]، والنسائي [4]وغيرهم واللفظ لأحمد: من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذ نزل رسول الله ﷺ منزلًا فعسكر؛ تفرقوا عنه في الشعاب والأودية، فقام فيهم فقال: «إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». قال: فكانوا بعد ذلك إذا نزلوا انضمَّ بعضهم إلىٰ بعض حتىٰ إنك لتقول: لو بسطتَّ عليهم كساءً لعمَّهم أو نحو ذلك.

وشرع لهم النبي ﷺ أيضًا – أنه إذا كان إمام الصلاة مريضًا ولم يستطع أن يصلي بالناس قائمًا فصلىٰ قاعدًا – أن يصلوا بصلاته قاعدين حفاظًا علىٰ الوحدة ومراعاة عدم

(1) بيان الدليل علىٰ بطلان التحليل ص: 371 لابن تيمية تحقيق فيحان المطيري، نشر مكتبة لينة في مصر ط2، 1416هـ.

(2) في المسند (29/ 237).

(3) في السنن (3/ 41).

(4) في السنن الكبرىٰ (5/ 269).

الاختلاف علىٰ الإمام.

أخرج الشيخان من حديث عائشة قالت: اشتكىٰ رسول الله ﷺ فدخل عليه ناس من أصحابه يعودونه، فصلىٰ رسول الله ﷺ جالسًا، فصلّوا بصلاته قياما فأشار إليهم: أن اجلسوا، فجلسوا، فلما انصرف قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلىٰ جالسًا فصلوا جلوسًا»[1].

ولم يجز الإسلام حين عجز الإمام عن الصلاة قائمًا أن يتشتتوا ويتفرقوا ويصلوا أوزاعًا وجماعات.

وهذا أحد الأقوال في المسألة، وبه عمل أئمّة الصحابة بعد النبيّ ﷺ لما اعتلّوا فصلّوا قعودًا والناس خلفهم قعود وإليه ذهب فقهاء أهل الحديث، وهو الذي تأتلف به الآثار في المسألة.

ثم إن الأحزاب والجماعات الإسلامية دأبوا علىٰ الاستماتة في الدفاع عن تفرقهم وتحزبهم والاستبسال في تسويغ فعلتهم تلك عند مضايق الطرق عليهم فأصبحوا يبحثون عن شبهات يؤيدون بها مواقفهم ويحفظون بها ماء وجوههم فافتروا علىٰ السلفيين أهل الحديث أنهم أيضًا أحزاب وجماعات لهم مدارسهم ومعاهدهم وجمعياتهم الخيرية، قالوا: ولا يحسن من العاقل أن يعيِّر غيره بما هو واقع منه ومتربع فيه.

والحقيقة أن الحزبيين في شبهتهم هذه يتعامون عن حقيقة أن أهل الحديث هم الامتداد الطبيعي لجيل الصحابة والتابعين، وأن تعاونهم فيما بينهم بريء من مرتكزات الحزبية التي سقناها في مبحث سابق.

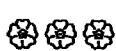
فليس وصم السلفيين بالتحزب المذموم بمغنٍ عنهم فتيلًا، وما هو إلَّا كما قيل: رمتني بدائها وانسلَّتْ، وإلا فإن أهل الحديث هم المشهورون بالتحذير من التحزب والحزبية وبالكتابات الجادّة في ذلك، وتربية المسلمين علىٰ الإسلام المصفّىٰ من كل

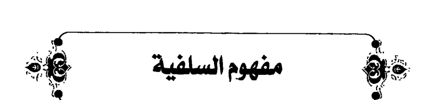
---

(1) صحيح البخاري كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، (فتح الباري 2/ 173)، وصحيح مسلم 1/ 309 ح (412).

شائبة، والاعتصام بحبل الله جميعًا وترك التفرق، ورعاية حقوق الراعي والرعية، كل ذلك علىٰ هدي من العلم بالحق والرحمة بالخلق ونشر السنن والعقيدة السلفية بتفصيلاتها وقمع البدع بشُعَبِها، كما تميزوا بتحقيق النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فأنىٰ يصح رميهم بالتحزب والحزبية والحال ما ذكر؟

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والصدق في النية والقول والعمل.





مفهوم السلفية

اتفق علماء اللغة علىٰ أن السلف يطلق علىٰ الماضي المتقدم.

- **قال الجوهري في الصحاح (603):**

«سلف يسلف سلفًا أي: مضىٰ، والقوم السلاف المتقدمون، والجمع أسلاف، وسلاف، والسلف نوع من البيوع يعجل فيه الثمن، وتضبط السلعة بالوصف إلىٰ أجل معلوم، والسلف والسليف المتقدم، والتسليف التقديم».اهـ.

- **وقال الرازي في مختار الصحاح (309):**

«سلف يسلف بالضم مضىٰ، والقوم السلاف المتقدمون، والجمع أسلاف».اهـ.

- **قال الراغب الأصفهاني في مفرداته (244):**

«السلف: المتقدم، قال تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّخرُف:56].ولفلان سلف كريم: أي آباء متقدمون».اهـ.

- **وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط (3/ 158):**

«والسلف.. كل من تقدمك من آبائك وقرابتك».اهـ.

- **وجاء في العين (باب السين واللام والفاء معهما):**

«سلف: أسلفته مالًا: أقرضته، والسلف من القرض. والسَّلَفُ: كلُّ شيءٍ قَدَّمْتَه فهو سَلَفٌ، والفعل سَلَفَ يسلُفُ سُلُوفًا. والقومُ إذا أرادوا أن يَنْفِروا، فمن تقَدَّم من نَفيرهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم، قال:

نحــن مَنَعْنــا مَنبِــتَ النَّــصِيِّ ... بــســَلَفٍ أرعَــــنَ عَنْبَـــرِيِّ

والسُّلْفَةُ: ما يَتَسَلَّفُ الرجلُ فيأكُلُ قبل غَدائه.والأُمَم السالفة الماضية أمام الغابرة، قال:

ولاقَتْ مناياها القُرونُ السَّوالِفُ كذلك تَلقاها القرون الخوالِف

أي يموت من بقِيَ كما ماتَ من مَضَىٰ». اهـ.

- وجاء في المقتضب (باب السين واللام والفاء):

السلَفُ: من القَرْضِ، أَسْلَفَ إسْلافًا، وتَسَلَّفْتُ واسْتَسْلَفْتُ. وكذلك ما قَدمْتَه أمامَكَ فهو سَلَفُك، والفِعْلُ: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوْفًا. وكذلك القَوْمُ إذا أرادوا النَفْرَ فَمَنْ تَقَدمَ من نَفِيْرِهم فَسَبَقَ فهو سَلَفٌ. والمُسْلِفُ: الجارِيَةُ إذا كانَتْ فَوْقَ الكاعِبِ، وقد أسْلَفَتْ. وبَعِيْرٌ مُسَالِفٌ: أي مُتَقَدِّمٌ. وهذا سَلِيْفٌ من الناسِ: أي سَلَفٌ، وهو ضِد الخَلِيْفِ. والأمَمُ السالِفَةُ: هي الماضِيَةُ أمَامَ الغابِرَةِ، وهي السَّوَالِفُ. اهـ.

- وجاء في تهذيب اللغة (مادة سلف):

والسلَف أيضًا: من تقدَّمك من آبائك، وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنّ والفضل، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مَضَوا سَلَفًا قَصْدُ السبيلِ عليهمُ وصَرْفُ المَنايا بالرِّجالِ تَقَلَّبُ

أراد: أنهم تقدَّمونا وقصد سبيلنا عليهم أي نموت كما ماتوا فنكون سلفًا لمن بعدنا كما كانوا سلفًا لنا.

وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّخرُف: 56] يقول: جعلناهم سَلَفًا متقدِّمين ليتّعظ بهم الآخرون.

قال: وقرأ يحيىٰ بن وثّابٍ «سُلُفًا». مضمومة مثقّلة.

قال: وزعم القاسم أنه سمع واحدها سَلِيفًا، قال: وقرئ «سُلَفًا». كأن واحدتها سُلفة، أي قطعة من الناس مثل أُمة.

وقال الليث: الأُمم السالفة: الماضية أمام الغابرة، وتُجمع سوالف، وأنشد في ذلك:

ولاقَتْ مَناياها القُرونُ السَّوالِفُ كذلك يَلْقاها القُرونُ الخَوالِفُ

- قال ابن منظور في لسان العرب (مادة سلف):

والسلَفُ أيضًا من تقدَّمَك من آبائك وذوي قَرابَتِك الذين هم فوقَك في السنِّ والفَضْل

واحدهم سالِفٌ ومنه قول طُفَيل الغَنَوي يَرْثي قومه:

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السبيلِ عليهمُ ... وصَرْفُ المَنايا بالرِّجال تَقَلَّبُ

أَراد أَنهم تقدّمونا، وقصدُ سَبيلِنا عليهم، أَي نموت كما ماتوا فنكون سَلَفًا لمن بعدنا كما كانوا سلفًا لنا.وفي الدعاء للميت: واجعله سلَفًا لنا. قيل: هو من سَلَفِ المال، كأَنه قد أَسْلَفَه وجعله ثمنًا للأَجر والثواب الذي يُجازىٰ علىٰ الصبر عليه، وقيل: سَلَفُ الإنسان مَن تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قَرابته ولهذا سمي الصدْر الأَول من التابعين: السلَف الصالح، ومنه حديث مَذْحِجٍ نحن عُبابُ سَلَفِها أَي مُعْظَمها وهم الماضون منها وجاءَني سَلَفٌ من الناس أَي جماعة .اهـ.

قلتُ: ومنه قول النبيٰ ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «فإنه نعمَ السلفُ أنا لكِ». أخرجه مسلم (2450/ 98).

والسلفي هو: المنسوب أو المنتسب للسلف، لأن الياء هذه ياء النسبة، فالسلفي هو الذيٰ ينسب نفسه، أو ينسبه غيره للجماعة المتقدمين، ولابد من علة لهذه النسبة.

هذه العلة ليست سوىٰ تحقيقه-أو زعمه التحقيق-بجانب السبق الذي صار به أولئك سلفًا، تقدم به علىٰ الخلف معه في السير أو حيازة الفضل الذي كان السابقون به سلفًا، ونحو ذلك [1].

- **واصطلاحًا:**

ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقىٰ الناس كلامهم خلفًا عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رمي بالبدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة[2].

---

(1) السلفية وقضايا العصر. د .عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ص19، ط دار إشبيليا.

(2) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية 1/ 6.

فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس المكان والزمان.

ويعضد هذا الذي ذهبنا إليه قول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ – في صحيحه:

«باب: الركوب على الدابة الصعبة، والفحولة من الخيل، وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح(6/ 51):

«**قوله**: (كان السلف): أي: من الصحابة فمن بعدهم».اهـ.

قلتُ: راشد بن سعد، من الثالثة، كثير الإرسال، قد روى عن جماعة من الصحابة، فيكون المقصود بالسلف هنا: الصحابة، ومن تبعهم على طريقتهم من التابعين.

وقال (5/ 2068): باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

وقال أيضًا: قال الزهري في عظام الموتى – نحو الفيل وغيره –: «أدركت ناسًا من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدّهنون بها ولا يرون بأسًا». فتح الباري (1/ 342).

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال: سمعت علي بن شقيق سمعت عبدالله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف. مقدمة صحيح مسلم ص6.

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم قل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم». الشريعة للآجري ص58

وقال القاضي عياض في «إكمال المُعْلِم»(8/ 553):

«بين السلف اختلاف كبير في كتابة العلم من الصحابة والتابعين».اهـ. فحد السلف بالصحابة والتابعين.

قال القلشاني رَحِمَهُ اللهُ في «تحرير المقالة»(36):

«السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي ﷺ، الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالىٰ لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم».اهـ.

- **قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ في الواقع الأنوار (1/ 20):**

«والمراد بمذهب السلف، ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وائمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقىٰ الناس كلامهم خلفًا عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضىٰ مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء».اهـ.

وقال السمعاني في الأنساب (3/ 273): «السلفي؛ بفتح السين واللام وفي آخرها فاء: هذه النسبة إلىٰ السلف، وانتحال مذاهبهم علىٰ ما سعمت منهم».اهـ.

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (21/ 6) عند ترجمة: الحافظ أحمد بن محمد المعروف بأبي طاهر السلفي: «السلفي بفتحتين وهو من كان علىٰ مذهب السلف».اهـ.

* وقال في ترجمة الفسوي: «وما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفيًّا». السير (13/ 183).

* وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني: «وكان دينًا خيرًا سلفيًّا». معجم الشيوخ: (2/ 280).

* **وقال في ترجمة:** أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: «وكان علىٰ عقيدة السلف». معجم الشيوخ: (1/ 34)

* وقال في السير(16/ 457): «وصحّ عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليّ من

علم الكلام.

قلت– أي الذهبي – لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا».

* وقال في ترجمة ابن الصلاح «قلت وكان سلفيًّا حسن الاعتقاد كافًّا عن تأويل المتكلمين» تذكرة الحفاظ (4/ 1431)

* **وقال في ترجمة عثمان بن بن خرزاذ الطبري:** «فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيًّا ذكيًّا نحويًّا لغويًّا زكيًّا حييًّا سلفيًّا» السير (13/ 380).

* وقال في ترجمة الزبيدي: «وكان حنفيًّا سلفيًّا» السير (20/ 317).

* وقال في ترجمة ابن هبيرة «وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفيًّا أثريًّا» السير (20/ 426).

* وقال في ترجمة ابن المجد «وكان ثقة ثبتًا ذكيًّا سلفيًّا تقيًّا» السير (23/ 118).

* **وقال في ترجمة يحيىٰ بن إسحاق:** «وكان عارفًا بالمذاهب خيرًا متواضعًا سلفيًا حميد الأحكام» معجم الشيوخ رقم (957).

– **سئلت اللجنة الدائمة:** ما هي السلفية وما رأيكم فيها؟

الجواب:

«السلفية نسبة إلىٰ السلف، والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدي من أهل القرون الثلاثة الأولىٰ – رضي الله عنهم– الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير في قوله: «خير الناس قرنىٰ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينة ويمينة شهادتهُ» رواه الأمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلىٰ السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا علىٰ منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة، والدعوة، إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة».اهـ[1].

(1) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (2/ 165) فتوىٰ رقم (1361).

وتعريف «السلف». بالصحابة والتابعين لا نجده عند أهل الحديث فقط، بل كان الاصطلاح متداولًا وواردًا عند أهل الكلام، قال أبو حامد الغزالي في «إلجام العوام عن علم الكلام»(ص62) مُعَرِّفًا السلف: «أعني مذهب الصحابة والتابعين».اهـ.

وقال الشيخ محمد أمان الجامي – رَحِمَهُ اللهُ –: «عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضًا طريًا في أصوله وفروعه. كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم «خير الناس». حيث يقول ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين».اهـ[1].

- **قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رَحِمَهُ اللهُ –:**

«إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفىٰ أثرهم وسار علىٰ منهجهم فهو (سلفي) ومن خالفهم في ذلك فهو من (الخلف)».اهـ[2].

- **وقال سماحة الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد – رَحِمَهُ اللهُ –:**

«وإذا قيل: السلف، أو السلفيون، أو لجادتهم: السلفية: فهي هنا نسبة إلىٰ السلف الصالح: جميع الصحابة رضي الله عنهم من الخلوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم، وعليه فإن لفظه (السلف) هنا يعنىٰ: السلف الصالح، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعنىٰ كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حتىٰ ولو كان في عصرنا. وهكذا، وعلىٰ هذا كلمة أهل العلم، فهي نسبة لم تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول، بل هي منهم وإليهم، اما من خالفهم باسم او رسم، فلا وإن عاش بينهم، وعاصرهم، ولهذا تبرأ الصحابة رضي الله عنهم من القدرية والمرجئة ونحوهم».اهـ[3].

قال الشيخ ابن عثيمين – رَحِمَهُ اللهُ – في شرح العقيدة الواسطية (1/ 53-54) ما نصه:

---

(1) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص57)

(2) نقلا من تعليق الشيخ حمد بن عد المحسن التويجري علىٰ العقيدة الحموية ص203

(3) حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص46

«يخطئ من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون !! ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: 32]، وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد علىٰ الآخر؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين. فنعم وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة. فمن هو؟! الأشعرية؟ أم الماتريدية؟ أم السلفية؟ نقول: من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة، فنحن نقول: السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف علىٰ غيرهم أبدًا، والكلمات تعتبر بمعانيها. لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون فأين الاجتماع؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقدًا حتىٰ المتأخر إلىٰ يوم القيامة إذا كان علىٰ طريق النبي ﷺ وأصحابه فإنه سلفي».اهـ.

إذن فالسلفية عَلم علىٰ أصحاب الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين من القرون الثلاثة الأولىٰ المشهود لهم بالخيرية، ومن حيث المضمون فتعني السلفية في الإسلام كما يقول الدكتور مصطفىٰ حلمي في كتابه «السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية»(ص 5)«التعبير عن منهج المحافظين علىٰ مضمونه في ذروته الشامخة، وقمته الحضارية، كما توجهنا إلىٰ النموذج المتحقق في القرون الثلاثة الأولىٰ المفضلة وفيها تحقق الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعًا للتوحيد، وبيانًا لدور الإنسان في هذه الحياة، وتنفيذا لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة، في الاجتماع والسياسة والاقتصاد وروابط الأسرة وفضائل الأخلاق».اهـ.

وهي من جهة أخرىٰ: اقتداءً بالنبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام، وهذا يتضح من خلال التدرج في الدعوة والبدء بالأهم ومراعاة ما يسمىٰ بـ «فقه الأولويات»، فالدعوة السلفية إصلاحية تعمل علىٰ النهوض بالفرد قبل المجتمع أو بتعبير آخر تسعىٰ لتربية النفس قبل الدعوة إلىٰ إصلاح الأنظمة، ومن هنا سر اهتمام السلفية بالتوحيد

ودعوتهم لإخلاص العبادة لله ونبذ الشرك بكل مظاهره والإنكار على أصحاب الطرقات والغالين في الأولياء، وهذا سيرًا على نهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ [الأعراف: 65]، وقال كذلك: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: 73]، والآيات التي تبين أهمية الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك كثيرة في الوحيين، بل هي لب الرسالات السماوية وجوهرها وغايتها الأولى.

عكس بعض الحركات الإسلامية التي تعمل على تعبئة الجمهور بتبنيها لإيديولوجيا إسلامية، لكنها أبعد ما تكون عن الاقتداء بمنهج الرسول ﷺ.

وعليه:

فليس مجرد هذا التحديد الزمني كافيًا في الانتساب الصحيح للسلف، بل لابد أن يضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة والشريعة والسلوك، فمن خالف رأيه ما جاء في القرآن الكريم، وما صح من السنة النبوية الشريفة، فليس بسلفي، وإن عاش في القرن الأول للهجرة، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم وهم ضُلَّال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم، أمثال عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنت الإله حقًّا، وزعم أن عليًّا لم يمت، ولم يقتل، وأن فيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وأنه هو الذي يأتي في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وابتسامته، وأنه سينزل إلى الأرض فيملؤها عدلًا كما ملئت جورًا[1].

ونافع بن الأزرق الذي تبرأ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما،

(1) مقالات الإسلاميين (1/ 84)، والملل والنحل للشهرستاني (1/ 174).

وكفر مخالفيه من المسلمين، واستحل دماءهم، وانكر رجم الزاني المحصن[1].

ومعبد بن خالد الجهني الذي ظهرت بدعته في القدر في زمان المتأخرين من الصحابة رضي الله عنهم.

لذلك ينبغي أن نتثبت في كل ما لدينا من أخبار وآراء نقلت إلينا على أنها تمثل مذهب السلف حتى نعرضها على الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح رضي الله عنهم، فمن كان على هذا النهج فهو سلفي، وإن عاش في عصور متأخرة، ومن خالفه فهو غير سلفي وإن عاش في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

وعلى ذلك فإن السلفية هي: «ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين، فمن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رمي ببدعة، أو اشتهر بلقب غير مرضيٍ مثل الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة»[2].

أما كتب الفرق، فغالبية أصحابها يعرِّفون السلفيين ومذهبهم باسم: أهل الحديث والسنة، وربما ذكروهم باسم «الصِّفَتِيّة».

يقول الأشعري في بداية كلامه عن مذهب السلف: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئًا وأن الله – سبحانه! – إله واحد فرد صمد، لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله – سبحانه! – على عرشه»[3].

---

(1) الخطط للمقريزي (2/ 354).

(2) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (1/ 6) .

(3) مقالات الإسلاميين 1/ 345.

أما الشهرستاني فقد ذكر السلفيين باسم أصحاب الحديث، وعنون لهم فصلًا بالصفاتية، ثم قال: «اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالىٰ صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقًا واحدًا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين، والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع، فنسميها صفات خبرية. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة»[1].

وقد أطلق علىٰ السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره اسم «الحنابلة»؛ لأنه لم يبق علىٰ مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة أتباع الإمام أحمد بن حنبل، فإنهم كانوا علىٰ ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات.

وفي الحقيقة، أن الفرق الإسلامية المختلفة ظلت علىٰ مدىٰ التاريخ تعلق ارتباطها بالسنة، وكل طائفة تدعي أنها علىٰ النهج القويم، والطريق المستقيم، وتحاول الانتساب للسلف، حتىٰ إن لفظ السلف أصبح يطلق في عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير علىٰ أئمة المذاهب المختلفة الذين ينتمون إليها، ويوجبون علىٰ جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء، ومعتقدات.

ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج، وأصبحت كلمة السلف واسعة المدلول [2].

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرىٰ المنتسبة للإسلام، بصفة دقيقة – فلا بد من ضوابط موضوعية تكون مقياسًا للانتساب الصحيح للسلف خاصة وأن

(1) الملل والنحل 1/ 92، و103 .

(2) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة – محمود أحمد خفاجي ص20.

مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلىٰ السلف، أو تتسمىٰ باسم أهل السنة، أو تدعي أنها لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم علىٰ الأقل.

ولا شك أن من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة ﷺ المنقول بواسطة المحدثين، هذا الفهم الذي وصفه المقريزي بقوله: «ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف علىٰ الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة ﷺ علىٰ اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن شيء مما وصف الله به نفسه الكريمة، وعلىٰ لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا لله تعالىٰ صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، ونحو ذلك، مع نفي مماثلته للمخلوقين.

فأثبتوا ﷺ بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلىٰ تأويل شيء من ذلك، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت»[1].

إن أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرىٰ في القديم والحديث هي: «تقديم النقل علىٰ العقل، ورفض التأويل الكلامي، والاستدلال بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقوف عند النص»[2].

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدم أن السلف هم: أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون، دون المبتدعين، ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحًا يطلق علىٰ من تمسك بمذهب السلف، وترك مذاهب المبتدعة، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة كما زعم الدكتور البوطي، ولكنه ممتد إلىٰ العصر

---

(1) الخطط 2/ 226

(2) قواعد المنهج السلفي – مصطفىٰ حلمي ص253 -263

الحاضر، ولله الحمد حيث ما تزال توجد إلىٰ الآن جماعة مؤمنة بدين الله عز وجل وفق عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، وسوف يستمر ذلك ويزداد بإذن الله تعالىٰ حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها.

فـ «السلفية اصطلاح جامع يطلق للدلالة علىٰ منهج السلف الصالح في تلقي الإسلام وتعاليمه وفهمه والعمل به، وللدلالة علىٰ الملتزمين بهذا المنهج قديمًا وحديثًا».

إن الحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم أن الدعوة السلفية ليست دعوة إلىٰ حزبية ولا إلىٰ جماعة أسست فكرها علىٰ أشخاص بعينهم ولكنها دعوة إلىٰ عقيدة الأنبياء وأتباعهم والمدافعون عنها لا يدافعون عن فكرة شخص أو أشخاص وإنما يدافعون عن أصول عقيدة المسلمين بحيث لا يسعهم السكوت إذا رأوا من ينال من صفائها ونقائها ولك أن تتأمل تاريخ الإسلام منذ عهد الصحابة حتىٰ الآن؛ تجد هؤلاء الحراس الأمناء بالمرصاد لكل مبتدع مهما كان شأنه وتجد الطعنات والجهالات دائمًا موجهة إليهم لأجل مواقفهم الصلبة في مواجهة المعتدين علىٰ أصول الإسلام، ولهذه العقيدة في قلوبهم منزلة عظيمة فهي تستحق عندهم الولاء والبراء والحب والبغض والجدال والنقاش والشدة والعنف والهجرة أيضًا، حتىٰ الموت في سبيلها، وبهذا لا يمكنهم التحالف مع من يخالفها ولا التهوين من شأن مخالفته فضلًا عن تمييعها وتقريبها من العقائد المنحرفة[1].

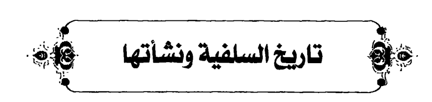
لقد شوهت ممارسات – بعض – السلفيين منهج السلف، وقزَّمته في قضايا معينة وانعزلت به عن الواقع، حتىٰ صار الانتساب إلىٰ السلف، والمناداة بالسنة منقصة في نظر الناس، إذ عندما يسمعون عن السلف والسلفية، يظنون أنهم المختصون بالأسماء والصفات، واختصار المصادر القديمة والمتاجرة بها، وبتحقيق الكتيبات.. ألخ، الأمر الذي اضطرنا عند الانتساب إلىٰ السلف أن نُبيِّن للناس، أن منهج السلف غير ما يرون، وخلاف ما يسمعون. وكان من نتائج هذا الوضع أن عادت مقالات أهل الأهواء

(1) الطريق إلىٰ الجماعة الأم ص78

ومناهجهم إلىٰ الظهور، بعد أن عجز أهل السنة عن الارتفاع إلىٰ مستوىٰ منهجهم، والدعوة إليه، واستيعاب الناس الذين سُرُّوا بهم في البداية، ثم نبذوهم نبذ النَّوىٰ، لما رأوهم تجمَّدوا عند قضايا لا يحيدون عنها [1].



(1) السلف والسلفيون – إبراهيم العسعس ص15 الطبعة الثانية .



تاريخ السلفية ونشأتها

عندما اقترب القرن الهجري الأول من نهايته، كانت الفتوحات العربية قد بلغت مداها، وامتدت أطراف الإمبراطورية العربية التي صنعتها هذه الفتوحات. فلقد فتح العرب في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون!

وهذه الفتوحات الكبرىٰ قد نقلت العرب المسلمين إلىٰ طور جديد. فقبلها كانوا أقرب إلىٰ البساطة في مجتمع عربي ساذج وبسيط، تعينهم مواريثهم الحضارية المحدودة، وبيئتهم البدوية التي تشبه الصفحة الواضحة المبسوطة، علىٰ أن يفهموا الإسلام من نصوص قرآنه الكريم وسنة نبيه، عليه الصلاة والسلام، وذلك دونما كثير تأويل أو قياس. ولقد حافظت بساطة الحياة في شبه الجزيرة العربية، وخلوها من التركيب والتعقيد علىٰ سيادة هذا النهج الذي عرفه العرب والتزموه في فهم الإسلام، «النهج النصوصي»، الذي يقدم الكتاب. علىٰ الحكمة، والمأثور. علىٰ الرأي والقياس، حتىٰ إن الصحابة الذين كانت لهم دربة وذخيرة في الحكمة والتفلسف. قد طووا صدورهم علىٰ حكمتهم وفلسفتهم. في أغلب الأحيان، لزهد المناهج فيها، ولقلة الدواعي التي تدعو إلىٰ انتشار هذا النهج في ذلك الزمان وذلك المكان.

لكن الفتوحات الكبرىٰ قد وضعت العرب المسلمين في قمة السلطة بالإمبراطورية التي ضمت أكثر بقاع الأرض يومئذ حظًّا من المواريث الحضارية والأبنية الفكرية البالغة حدًّا كبيرًا من التطور والتركيب والتعقيد. ففارس بما تملك من ميراث حضاري، والهند بما لديها من حكمة، ومصر والشام بما فيهما من تراث غني -محلي أو يوناني وروماني- كل ذلك قد غدا في وعاء الدولة التي يحكمها العرب المسلمون. وبدلا من المجتمع البدوي البسيط أصبحوا مسئولين عن قضايا مجتمع تنوعت قضاياه ومشاكله وتركبت.

الأبنية الفكرية لمؤسساته ومفكريه. وكان طبيعيًّا وضروريًّا أن يواجه العرب المسلمون الفاتحون هذا الواقع الجديد، وكان طبيعيًّا وضروريًّا كذلك أن يتعلموا، وأن يعوا هذه الظاهرة الجديدة، ليحذقوها، كي يرتفعوا إلىٰ مستوىٰ القادة في هذا الواقع الجديد.

وهذا الذي حدث للعرب المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية، حدث للإسلام!

فدين القرآن العربي المبين، الذي أقنعت نصوصه البسيطة الواضحة عرب مجتمع شبه الجزيرة البسيط والواضح، قد أصبح محتاجًا إلىٰ وسائل جديدة وبراهين معقدة وأدلة مركبة، كي يقنع أقوامًا ألفوا وسائل أخرىٰ في الجدل والمناظرة والبرهنة والحجاج. وزاد هذه الحاجة الجديدة ضرورةً وإلحاحًا أن الشرائع والعقائد والمذاهب غير الإسلامية التي كان يدين ويتمذهب بها أبناء البلاد المفتوحة، قد استفادت من رفض الإسلام وأهله طريق الإكراه في الدين، فشنّت علىٰ الإسلام حربًا فكرية ضروسًا، مستخدمة فيها الأسلحة التي لم تعرفها شبه الجزيرة ولم يحذقها من قبل العرب المسلمون.

وعندما وجد العرب المسلمون أنهم يدافعون عن إسلامهم بمنطق بسيط في مواجهة مؤسسات فكرية لاهوتية قد تسلحت في صراعها ضده بمنطق أرسطو، وأنهم يبشرون بإسلامهم، مستخدمين النصوص، بين أقوام قد امتلكوا حكمة الهند وفلسفة اليونان. رأوا أن الاحتكام إلىٰ النصوص لا يجدي مع الذين لا يؤمنون بحجية وقدسية هذه النصوص، وأن الجدل بالمأثورات لا يقنع الذين يرفضون هذه المأثورات. ورأوا كذلك أن هذا الواقع الفكري الجديد يتطلب أدوات صراع جديدة لذلك النزال الفكري الجديد، وأن هذه الأدوات لا بد أن تكون إنسانية الطابع عالمية النمط، أي: عقلانية، تصلح لكل ألوان الجدل والبرهنة، بصرف النظر عن لون الحضارة، أو النمط الفكري، أو اختلاف الأمة، أو تغير الزمان والتنوع في المكان.

وأمام هذه الضرورات الجديدة، أفرزت الجماعة العربية الإسلامية طليعة فلاسفتها

الإلهيين – المتكلمين. من علمائها – أولئك الذين امتدت بصيرتهم إلىٰ ما وراء النصوص، مستخدمين العقل والقياس والتأويل، ناظرين في المواريث الفكرية – وخاصة الفلسفية- لأبناء البلاد المفتوحة، ومحصلين لمقولاتها، ثم مستخدمين لأسلحتها الفكرية وأدواتها في الجدل والمناظرات للدفاع عن عقائد الإسلام، وللتبشير بهذه العقائد في البيئات التي ما كان للنصوص والنصوصيين أن يحرزوا فيها نصرا لهذا الدين الجديد.

وهذه الطليعة من «المتكلمين»، فلاسفة الإسلام الإلهيين، هم مدرسة المعتزلة، أهل العدل والتوحيد.

لكن طبيعة هذا اللون الفلسفي من ألوان التفكير، وطبيعة البراهين التي يستخدمها هؤلاء المتكلمون، قد جعلت هذا الفكر فكر «صفوة»، لا فكر عامة. وجمهور، ذلك أن العامة والجمهور. قد وقفت بها مداركها عند النصوص، بل وعند ظواهر النصوص. في أغلب الأحيان. بل لقد ارتابت العامة في جدوىٰ هذا المسلك الذي سلكه المتكلمون، بل وفي عقائد هؤلاء المتكلمين! وزاد من هذه الريبة أن غلو اللاهوتيين من غير المسلمين في رفض النصوص، قد جعل نفرًا من المتكلمين. يهملون بعض النصوص الإسلامية أو يغضون من شأن بعض المأثورات، أو يؤولونها تأويلا لا يبرأ من العسر والاعتساف حتىٰ جاء الوقت الذي خيل فيه إلىٰ العامة والجمهور. أن إسلام عرب شبه الجزيرة الأول، إسلام النصوص الواضحة البسيطة الغنية عن التأويل، والذي عرفه الناس زمن البعثة والصحابة والتابعين، قد أصبح غريبًا في هذا الواقع الفكري الجديد! وعند هذا الطور من أطوار الحركة الفكرية في الإمبراطورية العربية الإسلامية برزت لهذا الجمهور. ولهذا الفكر الجمهوري. قياداته، فأذاعوا بين الناس حديث الرسول ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ»[1] وأذَّن هؤلاء القادة في الجمهور: أنه لا بد من العودة إلىٰ الإسلام السلف، الإسلام الذي مضىٰ وسلف، الإسلام الذي أصبح غريبًا.

---

(1) أخرجه مسلم 1/ 90

في مناخ فكري تفلسف وقدم العقل وبراهينه علىٰ النصوص والمأثورات، وأعمل الرأي والقياس والتأويل في هذه النصوص وتلك المأثورات. وكان رأس هؤلاء الأعلام، أعلام الحركة السلفية، وإمامها الأول والأبرز الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل [164-241هـ 780-855م] الذي كان، كما كان خصومه، «ظاهرة عباسية»، بمعنىٰ أن تبلور هذا الواقع الجديد وتلك التيارات الفكرية الجديدة إنما حدث في ظل حكم دولة بني العباس!

۞ المعالم الأولية والرئيسية للسلفية:

كان ابن حنبل أشبه ما يكون بـ«قراء عصر الصحابة، قبل أن يعرف عالم الإسلام». «الفقهاء». و«المتكلمين»، فضلًا عن «الفلاسفة والحكماء»، وكان شبهه بقراء. عصر الصحابة شاملًا السلوك. مع الفكر، فهو كما يصفه ابن قيم الجوزية «691-751هـ 1292-1350م»: «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته البدع فنفاها، والدنيا فأباها.!»[1].

ونحن إذا شئنا تكثيفًا لمقولات الحركة السلفية، كما صاغها إمامها الأول أحمد بن حنبل، في مواجهة ما رآه بدعًا ومحدثات جعلت الإسلام غريبًا، وجدنا هذه المقولات والعقائد:

- **الإيمان**: قول وعمل. وهو يزيد وينقص، تبعًا لنقاء العقيدة أو شوبها، وتبعًا لزيادة العمل ونقصانه.

- **والقرآن**: كلام الله، وفقط. فليس بمخلوق -كما تقول المعتزلة- وليس شريكًا لله في قدمه، كما يلزم المعتزلة نفاة خلق القرآن.

- **وصفات الله**: التي وصف بها نفسه وأثبتها لذاته، نصفه بها ونثبتها لذاته، علىٰ النحو الذي وردت عليه في النصوص والمأثورات، لا نلجأ في بحثها إلىٰ رأي أو تأويل.

- **وعالم الغيب**: لا ينبغي أن نخوض في بحث شيء منه، بل يجب أن نفوض حقيقة

---

(1) أعلام الموقعين 1/ 137 .

علمه إلىٰ الله سبحانه.

- **ورؤية أهل الجنة لله**: عقيدة حق يجب أن يؤمن بها المؤمن، دونما تأويل أو تمثيل، كما وردت بها ظواهر النصوص.

- **وعلم الكلام**: منكر منكر. الاشتغال به منكر، وأخذ العقائد بأدلته منكر، بل ومجالسة أهله منكر، مهما كان دفاعهم به عن الإسلام!

- **والقضاء والقدر**: لا يكتمل بدونهما الإيمان، وهما من الله.

- **والذنوب والكبائر**: لا تجعل المؤمن كافرًا، ولا تخلده في النار، علىٰ عكس قول الخوارج في الأمرين. وقول المعتزلة في الثاني.

- **وخلافات الصحابة**: لا يصح الخوض فيها، بل يجب العدول عن ذكرها، والوقوف عند محاسنهم وفضائلهم.

- **وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل**: وفق ترتيبهم في تولي الخلافة.

- **وطاعة ولي الأمر**: واجبة حتىٰ ولو كان فاجرًا فاسقًا، والثورة عليه منكر لما تجلبه من الأخطار وتعطله من مصالح الناس في حياتهم اليومية.

- **والفرائض والمعاملات والجهاد**: نؤديها ونمارسها علىٰ النحو الذي جاءت به النصوص في القرآن والسنة. إلخ. إلخ. إلخ.

وكما نهي الرسول ﷺ، عن كتابة ما عدا القرآن الكريم، كي لا يختلط الحديث بآياته، وكما لم يعرف عصر البعثة والصحابة تأليف الكتب. وأمام اشتغال المتكلمين. بتأليف الكتب. نهي أحمد بن حنبل عن الاشتغال بتأليف الكتب، ودعا للوقوف عند جمع الحديث والمأثورات. لكن تلاميذه وأصحابه دونوا فتاواه وتعاليمه، معتبرين إياها جزءًا من المأثورات، ومن بين ما دونوه - وهو كثير جدًّا - نجد الكثير من النصوص التي توجز عقيدته السلفية، من مثل قوله في «صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة» أنه:

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه علىٰ ما ظهرمن لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم

يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلىٰ الله، وفوض أمره إلىٰ الله، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، الخير والشر جميعًا، ورجاء لمحسن أمة محمد، وتخوف علىٰ مسيئهم، ولم ينزل أحدًا من أمة محمد الجنة بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتىٰ يكون الله الذي ينزل خلقه حيث يشاء، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله بصحبة نبيه ﷺ، وقدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حق علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وترحم علىٰ جميع أصحاب محمد، صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير، بر أو فاجر، والمسح علىٰ الخفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتنزيله، وليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا إلىٰ آخر عصابة، يقاتلون الرجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلىٰ يوم القيامة، علىٰ حكم الكتاب والسنة، والتكبير علىٰ الجنائز أربعًا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة، وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالىٰ، وأن الموحدين يخرجون من النار، بعدما امتحنوا، كما جاءت في الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ﷺ، ولا تضرب لها الأمثال»[1].

علىٰ هذا النحو صاغ ابن حنبل عقائد الحركة السلفية، ودعا إلىٰ إسلام العرب الأولين، إسلام المجتمع العربي البسيط، إسلام النصوص والمأثورات، وبهذه العقائد، ومن خلفه الجمهور صارع المتكلمين، والكلام والفلسفة والرأي والقياس والتأويل، وصمد للمحنة الشهيرة عندما امتحن إبان تدخل الدولة في عقائد العلماء حتىٰ يقروا

---

(1) «عقائد السلف» ص11، 12 جمعها ونشرها: د. علي سامي النشار، د. عمار الطالبي. طبعة الإسكندرية سنة 1971م.

بخلق القرآن. الأمر الذي رفع من قدره، لا عند أنصاره فحسب، بل وفي نظر الخصوم، وعند جميع المؤرخين للفكر علىٰ اختلاف المدارس والمنطلقات.

❁ السلفية تنتعش:

كانت الحضارة العربية الإسلامية التي تبلورت من فكر الإسلام، كما صاغه المتكلمون العقلانيون، بعد مزجه بالمواريث الحضارية الملائمة لشعوب البلاد التي فتحت، والتي أخذت تتعرب، كانت هذه الحضارة مرتكزة علىٰ قسمتين رئيستين:

العروبة: بالمعنىٰ الحضاري، لا العرقي. علىٰ النحو الذي بلغته في الصراع ضد قطبي التطرف: الشعوبي الرافض لكل ما هو عربي. والعصبية التي أحيتها الدولة الأموية، والتي تغض من شأن كل ما ليس بعربي عرقيًّا.

والعقلانية: التي تحول بها الإسلام من موقع الدفاع أمام المؤسسات الفكرية اللاهوتية غير الإسلامية والتيارات الفكرية المعادية لعقائده. تحول بها من موقع الدفاع إلىٰ موقع الهجوم الذي هيأ له الانتشار دون إكراه.

لكن هذه الحضارة، بما صحبها من ازدهار مادي ورفاهة في العيش، قد ابتعدت بالعرب عن خشونة الجند التي عرفوا بها في عصر الفتوحات، فلم يعودوا القوة العسكرية التي تعتمد عليها الدولة في الفتح أو الحفاظ علىٰ أكبر إمبراطورية عرفها ذلك التاريخ. وكانت للموالي، ذوي الاتجاه الشعوبي، أحلام في السيطرة علىٰ الدولة، بل وتدميرها، صرفت الدولة كذلك عن أن تتخذ منهم الجند الذي يتكون منه جيشها الكبير. ومن هنا كان سعي الخليفة العباسي المعتصم «218-227هـ 833-842م». إلىٰ تكوين جيشه من الترك المماليك!

ولقد ظن المعتصم أنه باتخاذه الجند الغريب، حضاريًّا وقوميًّا عن المجتمع، سيحصل علىٰ أداة القمع الأسهل قيادًا وانقيادًا، والتي لا أمل لها في السلطة، ولا مصلحة لها في الصراعات الناشبة من حولها، وأنه بذلك سيقيم القوة الضاربة التي يحافظ بها علىٰ التوازن بين العرب والموالي وغيرهما من العناصر والأجناس المتصارعة

والمتنافسة. ولكن تضخم هذه القوة العسكرية الجديدة سرعان ما جعلها مركز ثقل وقوة جذب ومركز توجيه. فمدينة «سامراء» التي بنيت لها معسكرًا تابعًا للعاصمة بغداد تحولت من سنة 221هـ 836م إلىٰ عاصمة للدولة، انتقلت إليها الخلافة، وأصبحت بغداد تابعة لها!. وهؤلاء الجند الذين أرادهم المعتصم قوة بيد الخلافة، سرعان ما أصبحت الخلافة لعبة بيدهم، يولون من أطاع ويعزلون من عصىٰ، بل ويسجنون ويقتلون من يتمرد علىٰ أوامر المماليك الأتراك!

وبسبب من أن هذه المؤسسة الجديدة والكبيرة هي: جند وجيش. كانت بعيدة عن الاهتمامات الحضارية. وبسبب من غربتها عن العروبة، وتخلف قادتها بداهة عن نمط التفكير العقلي والفلسفي كانت أميل إلىٰ «العامة»، وأمعن في عدائها للفكر الفلسفي والتيار العقلاني. وهكذا انفتح الطريق بسيطرة الترك المماليك لذلك الانقلاب الفكري الذي حدث في الدولة العباسية عندما تولىٰ الخلافة الخليفة المتوكل «232-247هـ 847-861م». فاستبدل السلفية بالمعتزلة، وحلت النصوص محل العقلانية والرأي والتأويل، وخرج المحدثون من محابسهم، وحل محلهم فيها علماء الكلام! وعندما أراد المتوكل ملء الفراغ الذي حدث بإقصاء المعتزلة عن جهاز الدولة استشار الإمام أحمد بن حنبل، فكتب له قائمة بالقضاة والمستشارين، وقدم قليل العلم من السلفية علىٰ علماء الكلام؛ لأن الأول سني ذو دين، أما الثاني فإنه -مع علمه- يضر الناس في الدين! وهكذا انتعشت الحركة السلفية، وساد نهجها النصوص في البحث والتفكير، فشهدت تلك الحقبة الزمنية الذيوع والانتشار لأعمال «أصحاب الحديث»، الذين هم أعلام الحركة السلفية، سواء منهم أولئك الذين تقدموا أحمد بن حنبل أو عاصروه أو أتوا من بعده. وذلك من مثل:

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي «181هـ 797م».
- أبو سعيد يحيىٰ بن فروخ التميمي القطان البصري «198هـ 816م».
- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي «225هـ

840م».

- يحيىٰ بن أبي يحيىٰ بكير بن عبد الرحمن بن يحيىٰ الحنظلي «226هـ 841م».
- أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي «228هـ 843م».
- عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي «229هـ 844م».
- ابن راهويه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم «238هـ 852م».
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل «256هـ 870م».
- أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم البغدادي «273هـ 886م».
- أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال «273هـ 886م».
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني «275هـ 888م».
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة «213-276هـ 889م».
- أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيباني البصري «277هـ 890م».
- الدارمي، عثمان بن سعيد «280هـ 893م».
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل «290هـ 903م».
- أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي «292هـ 905م».
- أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن منده العبدي «301هـ 913م».
- أبو العباس بن سريج «306هـ 918م».
- أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال «311هـ 923م».
- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة «311هـ 923م».
- أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال «349هـ 960م».
- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني «360هـ 971م».
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان «369هـ 979م».
- عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري «387هـ 997م».
- أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي «418هـ 1027م».

- أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي «429هـ 1038م».
- أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي «434هـ 1043م».
- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي «458هـ 1066م».
- ابن عبد البر أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي «463هـ 1071م».

فلما كانت الدولة المملوكية، وطال الأمد علىٰ سيطرة الجند الغرباء حضاريا وقوميا علىٰ مقدرات الأمة، فشت البدع والمظالم، وغالبت عقائد السلفية حتىٰ غلبتها، فكان أن عرفت الحركة السلفية صحوتها التي تمثلت في عدد من أئمتها كان من أبرزهم:

- أبو الوفاء ابن عقيل «431-513هـ 1040-1119م».
- شيخ الإسلام ابن تيمية «661-728هـ 1263-1328م».
- وابن القيم الجوزية «691-751هـ 1292-1350م».

ولقد واصلت الحركة السلفية، في صحوتها هذه، السير علىٰ منوال العقائد التي صاغها ابن حنبل ومعاصروه، ونهجت النهج النصوصي الذي بلوروه، مع إضافات عديدة طرحتها مواجهتهم لما استجد من بدع وخرافات، ومع مرونة ملحوظة في الموقف من القياس والتأويل، فرضتها التعقيدات التي طرأت علىٰ المجتمعات التي عاشوا فيها والأبنية الفكرية التي تصارعت في هذه المجتمعات.

لكن هذه الصحوة السلفية لم تنجح فيما نجح فيه أحمد بن حنبل. فلم تصبح مذهبًا للدولة، وإنما ظلت حركة معارضة يلقىٰ أعلامها السجن والعنت والاضطهاد.

فلما ورثت الدولة العثمانية دولة المماليك، وواصلت -علىٰ الجبهة الفكرية- جمودهم وما شاع في ظل سلطانهم من بدع وخرافات، الأمر الذي فتح في جدار الشرق الإسلامي العديد من الثغرات التي بدأ الغرب الاستعماري يسعىٰ كي يتسلل من خلالها. لما حدث ذلك، وأصبح الإسلام غريبًا، مرة أخرىٰ، كما كان في البدء، اتخذت حركة اليقظة والتجديد في عصر أمتنا الحديث سبيل الحركة السلفية تدفع بعقائدها البدع والخرافات عن فكر الإسلام، ساعية إلىٰ إعادة قيادة الإسلام إلىٰ العرب، بعد أن تأكد

عجز الأتراك العثمانيين عن القيادة أمام الخطر الاستعماري الزاحف علىٰ بلاد الإسلام.

وهكذا عرفت الأمة أعلام الحركة السلفية الحديثة:

- محمد بن عبد الوهاب «1115-1206هـ 1700-1792م».
- ومحمد بن علي السنوسي «1202-1276هـ 1787-1859م».
- ومحمد أحمد المهدي «1260-1302هـ 1844-1885م».
- وجمال الدين الأفغاني «1254-1314هـ 1838-1897م».
- والإمام محمد عبده «1266-1323هـ 1849-1905م».
- وعبد الرحمن الكواكبي «1270-1320هـ 1854-1902م».
- والشيخ محمد رشيد رضا «1282-1354هـ 1865-1935م».
- وجمال الدين القاسمي «1283-1332هـ 1866-1914م».
- وعبد الحميد بن باديس «1307-1359هـ 1889-1940م».

وإذا كانت تلك هي مسيرة الحركة السلفية، وهؤلاء هم أبرز أعلامها، منذ أن تبلورت في العصر العباسي حتىٰ عصرنا الحديث، فالأمر المؤكد أن هذه الحركة قد تميزت باتساق المنهج ووحدة الأصول الاعتقادية والفكرية في عصرها الأول، الذي تبلورت فيه، وفي عصرها الوسيط، الذي قادها فيه ابن تيمية وابن القيم، وإن يكن هؤلاء الأعلام قد اختلفوا في عدد من مسائل الفروع، وبمعنىٰ أدق فهم قد اتفقوا في «الإلهيات»، واختلف بعضهم عن البعض الآخر في «الفقهيات». وهم لم يجدوا في ذلك بأسا يخرجهم عن إطار الحركة الفكرية الواحدة، وكما يقول ابن القيم: «فإن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان. وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم علىٰ إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة، من أولهم إلىٰ آخرهم، ولم يسوموها تأويلًا. ولا ضربوا

لها أمثالًا»[1].

وهذا الاتفاق في الأصول الفكرية، وفي «المنهج النصوصي». قد اتسع لإضافات أفاض فيها أعلام سلفية العصر الوسيط استجابة لمشكلات العصر الذي عاشوا فيه. فما طرأ علىٰ عقيدة التوحيد من بدع وخرافات وإضافات طمست نقاءها الذي تميز به الإسلام، وشابته بشوائب الشرك، خفيًّا كان أو جليًّا، جعل ابن تيمية يولي هذه القضية اهتمامًا كبيرًا، حتىٰ لقد رأىٰ أن جماع الدين أمران: رفض الشرك، ورفض البدع التي طرأت علىٰ الدين، وبعبارته «فإن جماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع»[2].

وكذلك صنعت سلفية العصر الوسيط عندما واجهت مقولات متفلسفة الصوفية، من أصحاب وحدة الوجود، وهي قضية لم يكن فكرها قد طرح بالساحة الإسلامية بعد يوم أن تبلورت الحركة السلفية في عهد الطلائع والرواد[3].

وإذا كان هذا هو حال سلفية العصر الوسيط مع سلفية العصر الأول: اتفاق في الأصول «الإلهيات»، واتحاد في «المنهج النصوصي» مع مرونة نسبية في استخدام القياس، مع اختلافات في الفروع «الفقهيات». فإن هذا الحال قد اختلف مع سلفية العصر الحديث، التي تميزت في إطارها مدارس وتيارات، حافظ بعضها علىٰ «المنهج النصوصي». لسلفية القدماء، علىٰ حين رفع بعضها سلطان العقل وبراهينه علىٰ سلطان ظواهر النصوص، ولم يعد إسلامها هو إسلام المجتمعات البدوية، بل الإسلام الذي أرادت به بعث خير ما في الحضارة العربية الإسلامية العقلانية من قسمات، كما أرادت أن تقاوم به وبحضارته وعقلانيته ذلك الزحف الحضاري الذي أرادت به أوربا الاستعمارية سحق الشخصية العربية المسلمة قوميًّا وحضاريًّا.

---

(1) أعلام الموقعين1 / 49.

(2) ابن تيمية «العبودية» رسالة منشورة ضمن «مجموعة التوحيد» ص645. طبعة دار الفكر - بيروت - مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(3) انظر المصدر السابق «رسالة العبودية» ص560، 561- ورسالة «الواسطة بين الحق والخلق» ص148.

❁ المنهج النصوصي:

يقول ابن القيم عن الإمام أحمد بن حنبل: إنه «إمام أهل السنة علىٰ الإطلاق. وأن أئمة الحديث والسنة بعده، هم أتباعه إلىٰ يوم القيامة»[1]، ولقد صاغ ابن حنبل منهج السلفية النصوصي، الذي يأخذ الإسلام، أصولًا وفروعًا، من النصوص والمأثورات، وذلك في مواجهة منهج متكلمي المعتزلة الذين كان للعقل والتأويل شأن عظيم في المنهج الذي أخذوا بواسطته الإسلام. ولقد بلغ من أتباع ابن حنبل للنصوص والمأثورات، ولها وحدها، إلىٰ الحد الذي جعله لا يرجح، بالرأي أو العقل أو القياس، مأثورة علىٰ أخرىٰ عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المأثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة، فكان يفتي بالحكمين المختلفين؛ لأن لديه مأثورتين مختلفتين في الموضوع!

وبعبارة ابن القيم: «فإن الصحابة إذا اختلفوا علىٰ قولين جاء عن ابن حنبل في المسألة روايتان!»[2].

أما أركان هذا المنهج النصوصي وأصوله، كما صاغها إمام السلفية فهي خمسة، يذكرها ابن القيم بهذا الترتيب:

«**الأصل الأول**: النصوص: فإذا وجد النص أفتىٰ به، ولم يلتفت إلىٰ ما خالفه ولا من خالفه، كائنًا من كان. ولم يكن يقدم علىٰ الحديث الصحيح عملًا ولا رأيًا ولا قياسًا ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف.

الأصل الثاني: ما أفتىٰ به الصحابة: فإنه إذا وجد لبعضهم فتوىٰ، لا يعرف له مخالف منهم فيها، لم يعدل عنها إلىٰ غيرها. ولم يقدم عليها عملًا ولا رأيًا ولا قياسًا.

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلىٰ الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكىٰ الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

---

(1) أعلام الموقعين 1 / 28.

(2) المصدر السابق 1 / 29.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه؛ وهو الذي رجحه «الحديث الضعيف»[1] علىٰ القياس.

الأصل الخامس: القياس للضرورة: فإذا لم يكن عنده في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلىٰ القياس، فاستعمله للضرورة».

هذه هي الأصول الخمسة لمنهج ابن حنبل، وهي تدور وتعتمد أولًا وقبل كل شيء آخر، بل وأخيرًا علىٰ النصوص والمأثورات، وتقف عند هذه النصوص والمأثورات، وتنكر استخدام الرأي أو القياس، فضلًا عن العقلانية والتأويل، حتىٰ في ترجيح نص علىٰ آخر من هذه النصوص. لقد كان ابن حنبل يسمي «النص»: «الإمام»!

وكما يقول ابن القيم، معقبًا علىٰ أصول منهجه: فإنه «كان شديد الكراهة والمنع للإفتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، ولقد قال لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام!»[2].

ويروي عنه ابنه عبد الله فيقول: «سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إلي من الرأي». وعندما سأله ابنه عبد الله «عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا صاحب حديث، لا يعرف صحيحه من سيقمه، وأصحاب رأي. فمن يستفتىٰ ويسأل؟ قال: يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث أقوىٰ من الرأي»[3].

وانطلاقًا من هذا «المنهج النصوصي»، الذي لا يلتفت لغير المأثورات، رأت السلفية أن علماء أمة محمد ﷺ، منحصرون في النصوصيين، فهم قسمان: حفاظ الحديث، والفقهاء[4]. ورأت كذلك أن النصوص والمأثورات قد حوت كل

---

(1) الحديث الضعيف -عند ابن حنبل- كما يقول ابن القيم - هو المقابل للصحيح، وقسم من أقسام الحديث الحسن، فهو ليس الضعيف بالمعنىٰ الذي تعارف عليه المتأخرون من علماء الحديث.

(2) أعلام الموقعين 1 / 29-33.

(3) المصدر السابق 1 / 76، 77.

(4) المصدر السابق 1 / 8، 9.

شيء من أمور الدين والدنيا، وأن «الرسول قد بين كل شيء، وأنه قد توفي وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علمًا، وعلمهم كل شيء»[1].

والنصوص التي جعلها المنهج السلفي مصدرًا وحيدًا قد شملت إلىٰ جانب الكتاب والسنة أقوال صحابة رسول الله ﷺ، فهم الذين حازوا قصبًا في السباق، واستولوا علىٰ الأمد، فلا طمع لأحد من الأئمة بعدهم في اللحاق. فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ لقد أيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالًا[2]. وكانت أفهامهم فوق أفهام جميع الأمة، وعلمهم بمقاصد نبيهم ﷺ، وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم»[3].

وبسبب من القداسة التي أضفاها المنهج السلفي علىٰ النصوص امتدت هذه القداسة للعصر الذي قيلت فيه تلك النصوص، وشاع في الحركة السلفية تعظيم الماضي، وزاد ذلك التعظيم كلما ازداد هذا الماضي إيغالًا في القدم واقترابًا من عصر صحابة الرسول، عليه الصلاة والسلام. فكان أن قرروا «أن فتاوىٰ الصحابة أولىٰ أن يؤخذ بها من فتاوىٰ التابعين، وفتاوىٰ التابعين أولىٰ من فتاوىٰ تابعي التابعين، وهلم جرًّا. وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب. فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين»[4].

هكذا. وعلىٰ هذا النحو أضفت الحركة السلفية القداسة علىٰ النصوص والمأثورات، ووقف منهجها النصوصي عند هذه النصوص والمأثورات. بل لقد وقف عند ظواهرها، عندما رفض أن يعمل فيها الرأي أو الاجتهاد أو التأويل أو القياس، حتىٰ عندما كانت تتعارض وتتناقض نصوص هذه المأثورات ومضامينها.

---

(1) المصدر السابق 4 / 375.

(2) المصدر السابق 1 / 5، 6.

(3) ابن القيم «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ص178. تحقيق: د. محمد جميل غازي. طبعة القاهرة سنة 1977م.

(4) أعلام الموقعين 4 / 118.

ولقد روىٰ أعلام الحركة السلفية عن إمامهم أحمد بن حنبل الكثير الذي يدعم المنهج النصوصي ويزكيه، ورووا عنه، كذلك، شعرًا يقول فيه:

دِيــنُ النَّبِــيِّ مُحَمَّــدٍ آثَــارُ ... نِعْـمَ الْمَطِيَّـةُ لِلْفَتَـىٰ الْأَخْبَـارُ

لَا تُخْـدَعَنَّ عَـنِ الْحَـدِيثِ وَأَهْلِـهِ ... فَـالرَّأْيُ لَيْـلٌ وَالْحَـدِيثُ نَهَـارُ

فَلَرُبَّمَـا غَلِـطَ الْفَتَـىٰ سُـبُلَ الْهُـدَىٰ ... وَالـشَّمْسُ بَازِغَـةٌ لَهَـا أَنْـوَارُ

ورووا عن بعض أعلامهم أيضًا:

الْعِلْـمُ قَـالَ اللهُ قَـالَ رَسُـولُهُ ... قَـالَ الـصَّحَابَةُ لَـيْسَ خُلْـفٌ فِيـهِ

مَـا الْعِلْـمُ نَـصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَـيْنَ النُّـصُوصِ وَبَـيْنَ رَأْيِ فَقِيـهِ

كَـلَّا وَلَا رَدُّ النُّـصُوصِ تَعَمُّـدًا ... حَـذَرًا مِـنَ التَّجْـسِيمِ وَالتَّـشْبِيهِ

حَاشَا النُّصُوصِ مِنَ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ ... مِـنْ فِرْقَـةِ التَّعْطِيـلِ وَالتَّمْوِيـهِ[1]

۞ النص لا الرأي:

في أمور الدين -لا الدنيا- يكاد يتفق علماء الإسلام علىٰ أنه لا مجال «للرأي». أو الاجتهاد إذا ما وجدت النصوص، لكن من عدا السلفية يشترطون في هذه النصوص، وحتىٰ يمتنع بوجودها الرأي والاجتهاد، يشترطون فيها أن تكون «قطعية الدلالة وقطعية الثبوت»، بمعنىٰ أن تكون دلالتها واضحة وقاطعة، لا تقبل الاحتمالات، وأن يكون ثبوتها قطعيًّا، من حيث الرواية، والأكثرون يشترطون في النصوص الدالة علىٰ أمور اعتقادية أن تكون «متواترة»، ولا يقبلون الإلزام في هذا الباب بأحاديث الآحاد. أما إذا لم تكن النصوص «قطعية الدلالة، قطعية الثبوت». فإنهم -غير السلفية- لا يرون وجودها مانعًا من إعمال الرأي فيها أو الاجتهاد معها. فالاجتهاد مع النصوص، في هذه الحالات، أمر وارد، بل ومقرر عند غير السلفيين من العلماء.

---

(1) المصدر السابق 1/ 79.

أما علماء السلفية فإنهم يرون في وجود النصوص والمأثورات مانعًا من إعمال الرأي فيها، وذلك بصرف النظر عن قطعية دلالتها وقطعية ثبوتها. ولقد سبق ورأينا إفتاء أحمد بن حنبل بوجوب التزام الحديث الضعيف، والامتناع عن «الرأي». عند وجوده، وإفتاءه بالحكمين المختلفين في الأمر الواحد عند وجود نصين متعارضين فيه، ذلك دون إعمال «الرأي». في الموازنة بينهما والترجيح لأحدهما علىٰ الآخر!

والروايات في هذا الباب عن إمام السلفية كثيرة، فمحمد بن أحمد بن واصل المقري يقول: «سمعت أحمد بن حنبل -وقد سئل عن الرأي- فرفع صوته، وقال: لا يثبت شيء من الرأي، عليكم بالقرآن والحديث والآثار»[1]

أما عندما لا يوجد نص أصلًا في الأمر يعرض للإنسان، وبعد أن يعرض الأمر علىٰ الكتاب، ثم السنة، ثم مأثورات الصحابة وأقضيتهم فلا يجد فيها نصًّا، فإن الأخذ «بالرأي». هنا يجوز، يتفق في ذلك السلفيون مع غيرهم من العلماء. لكن علماء السلفية يعودون فيتقربون بهذا «الرأي» من «النصوص والمأثورات»، وذلك عندما يقدمون مرتبة «الرأي المروي» عن الذين شاهدوا التنزيل، أي: «رأي الصحابة»، ثم «الرأي المفسر للنصوص»، ثم «الرأي الذي تواطأت عليه الأمة، وتلقاه خلفهم عن سلفهم» علىٰ غيره. ثم يعودون أيضًا فيقررون أن هذا «الرأي»، في هذه الحالات، وبهذه الشروط، لا يفيد أكثر من الظن، وأنه غير ملزم للآخرين، بل ومذموم، وبعبارة ابن القيم: فإن «الصحابة يخرجون الرأي علن العلم، ويذمونه، ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس علىٰ ثقة منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله بريء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة، من غير لزوم لأتباعه والعمل به»[2].

ذلك موقفهم من الرأي. جاء متسقًا مع منهجهم النصوصي، الذي ينحي العقل جانبًا

---

(1) الطرق الحكمية ص400.

(2) أعلام الموقعين 1 / 79، 82، 83، 60، 61.

طالما وجدت النصوص والمأثورات.

۞ النص لا القياس:

وفي الموقف من «القياس» نجد السلفية يقبلون جوانب يعدها غيرهم من القياس، لكنهم هم يخرجونها من إطاره، كما نجدهم يحددون للمقبول منه شروطًا تُضيِّق منه نطاقه إلىٰ حد كبير. ثم هم ينظرون إليه نظرتهم إلىٰ الرأي. في حضرة النصوص!.

فإذا كان المراد بالقياس: «رد الشيء إلىٰ نظيره» قبلوه، شريطة أن يكون التماثل بينهما تامًّا ومن كل الوجوه. وبعبارة الإمام أحمد:

فإن «القياس: أن يقاس الشيء علىٰ الشيء إذا كان مثله في كل أحواله، فأما إذا أشبهه في حال وخالفه في حال فأردت أن تقيس عليه فهذا خطأ».كما يقبلون رد الفروع إلىٰ أصولها، وإن لم يعدوها -علىٰ خلاف الآخرين- قولًا بالرأي[1]، أما إذا أريد بالقياس: «المعنىٰ المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه إلىٰ غيره» فإنه عندهم غير مقبول. وهذا الذي لم يقبلوه من أنواع القياس هو الميدان الأوسع والأساس للقياس عند غير السلفيين من العلماء.

وهذا الموقف الذي وقفه السلفيون من القياس هو الآخر أثر من آثار منهجهم النصوصي. فهم تبعًا لهذا المنهج قد رأوا أن النصوص والمأثورات قد أحاطت بحكم جميع الحوادث، الماضي منها والحاضر والمستقبل، ومن ثم فلا حاجة للقياس، كما أنه لا حاجة للرأي؛ لأن النص إذا وجد -وهو في رأيهم موجود- فلا مكان للقياس. ولقد عرض ابن القيم لموقف الفرق الإسلامية من إحاطة النصوص بحكم جميع الحوادث، وتحدث عن انقسام هذه الفرق في هذه القضية إلىٰ معسكرات ثلاثة، أنكر أولها إحاطة النصوص بأحكام الحوادث، بل ولا بعشر معشارها. ومن ثم قرر أن الحاجة إلىٰ القياس تفوق الحاجة إلىٰ النصوص. وقابل هذا المعسكر القائلون ببطلان كل قياس، وتحريمه جليا كان هذا القياس أو خفيًّا. وهم بذلك أنكروا وجود الحكمة أو العلة في التشريع، أما

(1) المصدر السابق 1 / 269، 53.

المعسكر الثالث -وهم الأشعرية- فقد نفوا الحكمة والعلة والسببية، ومع ذلك أقروا بالقياس.

وبعد أن يعرض ابن القيم لآراء هذه الفرق الثلاث في القياس، يقرر أن للسلفية موقفًا متميزًا، فهم يؤمنون بإحاطة النصوص بأحكام جميع الحوادث، ومع ذلك يقولون بالقياس الصحيح، وحتىٰ يفهم جمعه بين هذين الأمرين، نقول: إنه يجيز استعمال القياس الصحيح، أي: الذي يكون الشبه فيه تامًّا بين المقيس والمقيس عليه، عندما تخفىٰ دلالة النص علىٰ العالم، فالنص موجود، لكن خفاء دلالته يبيح للعالم القياس، فإذا فهم النص واتضحت موافقة القياس له كان صحيحًا؛ لأن العمدة هنا هو النص، وإن ظهر خلاف القياس مع النص كان فاسدًا؛ لأن العمدة هو النص باستمرار، وعبارته التي صاغ فيها مذهب السلفية هذا تقول: «. والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث، وهو: أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث، ولم يحلنا الله ولا رسوله علىٰ رأي ولا قياس، بل قد بين الأحكام كلها، والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص، فهما دليلان للكتاب والميزان، وقد تخفىٰ دلالة النص أو لا تبلغ العالم فيعدل إلىٰ القياس، ثم قد يظهر موافقًا للنص فيكون قياسًا صحيحًا، وقد يظهر مخالفًا له فيكون فاسدًا، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته، ولكن عند المجتهد قد تخفىٰ موافقته أو مخالفته. إننا نقول قولًا ندين الله به، ونحمد الله علىٰ توفيقنا له، ونسأله الثبات عليه: إن الشريعة لم تحوجنا إلىٰ قياس قط، وإن فيها غنية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها».

بل لقد عقد في كتابه «أعلام الموقعين» فصولًا ثلاثة، اعتبرها من أهم فصول الكتاب، وجعل عناوينها:

- «**الفصل الأول:** في بيان شمول النصوص للأحكام، والاكتفاء بها عن الرأي والقياس».

- «**الفصل الثاني:** في سقوط الرأي والاجتهاد والقياس، وبطلانها مع وجود النص».

- «الفصل الثالث: في بيان أن أحكام الشرع كلها علىٰ وفق القياس الصحيح، وليس فيما جاء به الرسول حكم يخالف الميزان والقياس الصحيح»[1]، هذا هو موقف المنهج النصوصي للسلفية من القياس.

النص لا التأويل ولا الذوق ولا العقل ولا السببية:

واتساقًا مع منهج السلفية النصوصي رفضوا التأويل. الذي هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلىٰ معنىٰ يحتمله [2]، بل ذهبوا إلىٰ أن التأويل هو الذي أفسد سائر الأديان، وحولها عن الاستقامة والسداد [3].

وكذلك رفضوا ذوق الصوفية ووجدهم، لأنها أمور ذاتية تختلف باختلاف أهواء صاحبها وما يحبه ويهواه، واستنكروا تقسيم الصوفية الأمور إلىٰ شريعة لغيرهم، وحقيقة لهم، جعلوا سبيلها الرياضة والسلوك، غير المقيد بأمر الشارع ونهيه، اكتفاء بالذوق والوجد، لأن النصوص هي مصدر الأمر والنهي الإلهيين [4].

كما رفضوا ما يسميه المتكلمون: «حقائق عقلية» لم تشهد عليها السمعيات. وعرضوا وهم يناقشون هذه القضية للموقف من العقل، فلم ينكروه؛ لأن السمعيات قد تحدثت عنه ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [تبارك: 10]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [الرعد: 4]، ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ [الحج: 46]. ولكنهم أنكروا العقل كما تصوره الفلاسفة اليونان، ومن نحا نحوهم من علماء الإسلام وفلاسفته، وهو التصور الذي يجعل «العقل عندهم جوهرًا قائمًا بنفسه»، وقالوا: إن العقل. لا يعدوالغريزة التي جعلها الله في الإنسان يعقل بها.

وهذا الخلاف حول العقل. هل هو جوهر قائم بنفسه، أم مجرد «غريزة جعلها الله في

(1) المصدر السابق 1 / 333-337، 267، 268، 350.

(2) انظر «التعريفات» للشريف الجرجاني. طبعة القاهرة سنة 1938م.

(3) أعلام الموقعين 4 / 250.

(4) ابن تيمية «رسالة العبودية» ص567، 568 - ضمن «مجموعة التوحيد».

الإنسان ليس خلافًا شكليًّا ولا هينًا، ذلك أن القول بأنه جوهر قائم بنفسه يجعله أداة تدرك كنه الأشياء وإن لم ترد فيها نصوص ولا مأثورات، أما إذا كان مجرد غريزة جعلها الله في الإنسان يعقل بها فإن هذا التصور له يوحي بعدم استقلاله بالإدراك، كسبب أول لهذا الإدراك، ويزكي هذا التفسير أن السلفية يحكمون بالضعف أو الوضع علىٰ «كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث»[1]. فنحن هناء بإزاء موقف يغض من شأن العقل لحساب النصوص والسمعيات. وهذا الموقف الذي تتخذه السلفية من العقل لا يوافقهم عليه الكثيرون من فرق الإسلام وعلمائه، هؤلاء العلماء الذين لم يمنعهم الخلاف حول تقديرهم لسلطان العقل بإزاء السمعيات، ولا اختلافهم في تعريف العقل من ترجيح تعريفه القائل: «إنه جوهر مجرد، يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة»[2].

أما السببية فإن السلفية تتخذ منها موقفًا وسطًا -أو يبدو كذلك- ففي رأي ابن القيم أن الناس قد افترقوا بإزاء الأسباب والسببية إلىٰ طرق ثلاث: فقوم أنكروا السببية علىٰ الإطلاق، وقالوا: إن الله سبحانه هو السبب الأوحد لوجود المسببات. وقوم أثبتوا السببية، وقالوا بلزوم المسببات عن أسبابها لزوم المعلول عن العلة، دائمًا وأبدًا، دون تخلف، وهؤلاء هم «الطبائعية والمنجمون والدهرية»، والفريق الثالث، وهم السلفية، اعترفوا بالأسباب، وبفعلها في المسببات، لكن ليس علىٰ وجه الاستقلال بالفعل؛ لأن السبب عندهم يظل دائمًا وأبدًا محتاجًا - كي يفعل المسبب - إلىٰ سبب آخر، والسبب الذي يفعل دون حاجة إلىٰ سبب غيره هو الله سبحانه[3]، «فما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله. والله وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب، فهو خالق السبب والمقدر له، والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب، وليس في

---

(1) ابن تيمية: «العبودية» ص568 و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص776، 737 ضمن «مجموعة التوحيد».

(2) «التعريفات» للجرجاني».

(3) أعلام الموقعين 2/ 298، 299.

المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضر، بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلىٰ سبب آخر يعاونه، وإلىٰ ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه، وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه»[1].

ومن يمعن النظر في هذا الموقف الذي حسبه السلفية طريقًا ثالثًا، بين منكري السببية بإطلاق ومثبتيها بإطلاق، يجده شديد الشبه بموقف الذين ينكرونها؛ لأن الأسباب إذا لم تستقل بالفعل لم تكن فاعلة علىٰ التحقيق، ومن ثم لم تكن أسبابًا للمسببات، والقول بأنها مستقلة بالفعل لا يتعارض مع أنها كغيرها مخلوقة لله، فمثلها كمثل القوانين والسنن في الكون، برأها الله لتفعل هي أفعالها دون تبديل، لكنه المنهج النصوصي الذي اختارته السلفية، واتسقت مع معطياته وهي تنظر في مختلف المجالات.

۞ النصوص وحدها مصدر الحلال والحرام:

ومن إيجابيات المنهج النصوصي للحركة السلفية تضييق دائرة «الحرام والحلال»، بقصرها علىٰ الأمور الدينية التي وردت فيها النصوص والمأثورات، وذلك علىٰ عكس الذين توسعوا في هذا الباب، متخذين الرأي والقياس، بل والشهوات، وسيلة لإحراج الناس والتضييق عليهم، عندما مدوا نطاق الحل والحرمة. إلىٰ ما وراء أمور الدين التي نص الشارع علىٰ حلها أو حرمتها. والسلفيون يميزون هنا بين حكم البشر وبين حكم الله ورسوله. فحكم الله ورسوله - القائم في النصوص - هو الذي يندرج تحت الحل والحرمة والوجوب والكراهة الدينية، أما ما عدا ذلك من أحكام البشر في الأمور التي لم يرد فيها نص فإنها تدخل في باب النافع أو الضار، وما ينبغي وما لا ينبغي، وما يحسن وما لا يحسن. ومن أدخلها في نطاق الحلال والحرام فقد ادعىٰ لنفسه سلطان الله، وفي نص واضح وحاسم وشامل يقول ابن القيم: إنه «لا يجوز للمفتي أن يشهد علىٰ الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله علىٰ إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته، أما ما وجده في كتابه الذي تلقاه

(1) ابن تيمية «الواسطة بين الحق والخلق» ص148، 149. و«العبودية» ص605، 606 ضمن «مجموعة التوحيد».

عمن قلده دينه، فليس له أن يشهد علىٰ الله ورسوله به، ويغر الناس بذلك، ولا علم له بحكم الله ورسوله، قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، أو حرم الله كذا، فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه. وثبت في صحيح مسلم[1] من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ قال: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا». فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد، ونهى أن يسمىٰ حكم المجتهدين حكم الله. ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي عمر بن الخطاب حكمًا حكم به فقال: هذا ما أرىٰ الله أمير المؤمنين عمر، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: هذا ما رأىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: لم يكن من أمر الناس ولا من مضىٰ من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدىٰ به يقول في شيء: هذا حلال، وهذا حرام، وما كانوا يجترئون علىٰ ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره كذا، ونرىٰ هذا حسنًا، فينبغي هذا، ولا نرىٰ هذا. ولا يقولون: حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 59] الحلال: ما أحله الله ورسوله، والحرام: ما حرمه الله ورسوله.

وسمعت شيخ الإسلام[2] يقول: حضرت مجلسًا فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر[3]، فقلت له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به وألزم به الأمة؟! قل: هذا حكم زفر، ولا تقل: هذا حكم الله»[4].

ولابن تيمية نص آخر يعلل فيه هذا الموقف السلفي، النابع من منهجهم النصوصي،

---

(1) (1731) (3).

(2) أي: ابن تيمية شيخ ابن القيم.

(3) زفر بن الهذيل(110–158هـ 728–775م) فقيه كبير، من أصحاب أبي حنيفة.

(4) أعلام الموقعين 4 / 175، 176. 1 / 39.

يقول فيه: «. والأصل في هذا أنه لا يحرم علىٰ الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلىٰ الله إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ شرعه، إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرمه الله، بخلاف الذين ذمهم الله حيث حرموا من دون الله ما لم يحرمه الله، وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانًا، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»[1].

ونحن إذا قارنا هذا الموقف السلفي، الذي يميز بين حكم الله وحكم المجتهدين من الناس، بموقف أولئك الذين يجعلون فتاواهم - فيما لا نص فيه - قسمًا من أقسام الحلال والحرام، أي: دينًا وشرعًا، وجدنا الموقف السلفي يرفع الكثير من الحرج عن الناس عندما يترك ما لم يرد فيه نص بعيدًا عن ميدان الحل والحرمة، علىٰ حين يضيق الآخرون علىٰ الناس بإدخالهم جميع أنواع المعاملات الإنسانية في إطار الحلال أو الحرام!

۞ تناقض:

لكننا إذا تتبعنا مدىٰ التزام أعلام الحركة السلفية بمنهجهم النصوصي هذا، لم نعدم رؤية شيء من التناقض وقعوا فيه، وابتعدت آراؤهم في مواضعه عن الاتساق مع منهجهم النصوصي. ذلك أن من آراء الحركة السلفية الجيدة والمتقدمة رأيها في «تغير الفتوىٰ واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد» وهم يصفون هذا المبدأ بأنه «عظيم النفع جدا»، كما أنهم قد أسسوه علىٰ أن «الشريعة مبنية علىٰ مصالح العباد في المعاش والمعاد. فمبناها وأساسها علىٰ الحكم، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها»[2].

وهم كذلك يؤسسون العلم الضروري للحاكم -القاضي- علىٰ نوعين من الفقه: فقه الواقع الذي يعيشه الناس، وفقه النصوص الواردة في المشكلات التي يرفعها إليه

---

(1) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ص180. طبعة القاهرة سنة 1971م.

(2) أعلام الموقعين 3 / 3.

المتحاكمون، ويجعلون القضاء: مطابقة الواجب من النصوص علىٰ أحكام العرف والواقع والحوادث. بل ويرون أن معرفة الواقع والتفقه فيه هو المنطلق إلىٰ معرفة حكم الله ورسوله في هذا الواقع «فههنا نوعان من الفقه، لا بد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس. ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع[1].

فالمفتي والحاكم -القاضي- والعالم: من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلىٰ معرفة حكم الله ورسوله»[2].

ولما كان هذا الواقع متغيرًا متطورًا كانت الفتاوىٰ والأحكام متغيرة متطورة هي الأخرىٰ؛ لأن تغير الواقع يستلزم تغير المصالح، وهي التي عليها مبنىٰ الشريعة الإسلامية. ولقد ضرب أعلام السلفية العديد من الأمثلة علىٰ أمور تغيرت فيها الفتاوىٰ والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة واختلاف المصالح.

- فالقرآن والسنة قررا الحد علىٰ السارق. لكن عام الرمادة جعل عمر بن الخطاب يرىٰ. إسقاط القطع عن السارق.

- والقرآن والسنة النبوية -القولية والعملية- جعلت الطلاق بلفظ الثلاث طلقة واحدة، وجاء الإجماع فصدق علىٰ هذه النصوص من أبي بكر وسنتين من خلافة عمر. ثم رأىٰ عمر بن الخطاب أن يغير الفتوىٰ والحكم فجعله ثلاثًا، أي: إننا بإزاء حكم «دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعده إجماع يبطله، ولكن رأي. أمير المؤمنين عمر أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق، وكثر منهم إيقاعه جملة واحدة، فرأىٰ من المصلحة. عقوبتهم بإمضائه عليهم»[3].

- **الإماء وأمهات الأولاد**: كن يبعن علىٰ عهد النبي ﷺ. فهذا البيع مقرر كسنة. فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب «منع بيع أمهات الأولاد. وكان ذلك رأيا. منه رآه

(1) الطرق الحكمية ص5، 130

(2) أعلام الموقعين 1 / 87، 88.

(3) المصدر السابق 3 / 10-12، 30، 35، 36، 41. والطرق الحكمية. ص23.

للأمة»[1].

. إلخ. إلخ. إلخ. إلخ. إلخ.

فنحن إذن بإزاء أحكام قررتها نصوص من القرآن والسنة معا، أو من السنة وحدها، أو من القرآن والسنة والقياس والإجماع، سواء في العهد النبوي أو عهد الخلفاء. ثم تغير الواقع، فتغيرت المصالح، فجاء «الرأي»، فغير هذه الأحكام. هكذا حكىٰ أعلام السلفية، من أحمد بن حنبل إلىٰ ابن القيم. وعلىٰ أساس هذه الوقائع قرروا أن «الفتاوىٰ والأحكام تتغير وتختلف بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد». بل لقد جعل ابن القيم من هذه العبارة عنوان فصل عقده لهذا الموضوع، ووصفه بأنه «فصل عظيم النفع جدًّا»[2] وهنا، وعند هذا الموقع من التأمل والنظر، نسأل:

– ألا يتناقض هذا الذي سلم به السلفيون، بل قرروه، وعقدوا له الفصول في آثارهم الفكرية، ألا يتناقض مع منهجهم النصوصي، الذي يحرم «الرأي» عندما يوجد النص، حتىٰ ولو كان ذلك النص حديثًا ضعيفًا؟!

إننا نرىٰ التناقض واضحًا وجليًّا. ذلك أن القول بتطور الواقع وتغيره، وهي حقيقة. وبتغير المصالح تبعا لتغير الواقع وتطوره، وهي حقيقة ثانية. ثم القبول بتغير الأحكام والفتاوىٰ «بالرأي»، بسبب هذه المتغيرات، رغم وجود النصوص والمأثورات إن القول بذلك إنما يهز ثبات العموم والإطلاق اللذين قررهما المنهج السلفي لسلطان النصوص والمأثورات!

وحتىٰ إذا سلمنا بأن هذه الأمثلة، التي غير فيها الرأي. أحكامًا تقررت من قبل بالنصوص، هي من «السياسات الجزئية»، وليست من «الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة» فإن العموم والإطلاق اللذين يضفيهما المنهج السلفي علىٰ النصوص سيهتز ثباتهما بالتأكيد، ولعل ابن القيم قد شعر بهذا التناقض فقال: «والمقصود أن هذا

---

(1) الطرق الحكمية ص24.

(2) أعلام الموقعين3 / 3.

وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمنة، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلىٰ يوم القيامة. وهذه السياسة التي ساسوا بها الأمة، وأضعافها، هي تأويل القرآن والسنة. ولكن هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة؟ أو من السياسات الجزئية التابعة للمصالح، فتتقيد بها زمانًا ومكانًا؟ إن أضعاف أضعاف هذه المسائل مما جرىٰ العمل فيه علىٰ العرف والعادة»[1] ونحن نتفق معه في أن كل ما ارتبط بالمصالح فالتغيير فيه، بواسطة الرأي، بل وبواسطة التأويل كما قال هو: أمر وارد ومقرر، رغم وجود النصوص والمأثورات. ويعد ذلك لنا أن نسأل: إذا كان هذا التغيير في الأحكام قد امتد إلىٰ الحدود –حد السرقة، وحد الخمر– فهل هما من السياسات الجزئية؟. وما هي إذن الشرائع الكلية؟. وفي رأينا أن الأوفق هو النأي «بالعقائد والثوابت» عن التغير تبعًا للزمان والمكان وما عداها، مما يرتبط بالمصالح من الشرائع والسياسات، فإن للرأي فيه مجالًا، تبعًا للواقع والمصلحة، حتىٰ مع وجود النصوص والمأثورات. فكما يجب التمييز بين شرائع وسياسات ترتبط بالمصالح، وتتغير بتغيرها، وأخرىٰ ثابتة لا تتغير، كذلك يجب التمييز بين نصوص العقائد والثوابت. ونصوص المتغيرات.

۞ في الفكر السياسي:

في التراث السياسي القديم للحركة السلفية تبرز صفحات الفكر السياسي التي بقيت لنا من آثار ابن تيمية وابن القيم. وفي هذه الصفحات تنعكس التطورات والتغيرات التي طرأت علىٰ واقع المجتمع، تنعكس في اتساع مضمون مصطلح «الشرع والشريعة» عند أعلام سلفية العصر الوسيط.

ففي عصر الوحي والبعثة كان مصطلح «الشرع» يعني الكتاب والسنة، أي: الشرع المنزل، وكانت أحكام هذا الشرع قد نمت وتكاملت كاستجابة لما طرحته حياة ذلك العصر من حوادث ومشكلات لكن الحوادث لا تتناهي، وتطور الحياة واختلاف

(1) الطرق الحكمية ص25، 26، 33.

الأماكن يطرح منها الجديد والمزيد، الأمر الذي جعل الفقهاء والعلماء والمجتهدين، ومنهم الولاة والحكام، يشرِّعون أحكامًا لما استجد ويستجد من الأحداث، فنشأ إلىٰ جوار «الشرع المنزل»: «الشرع المتأول». وهذا «الشرع المتأول»، الشامل لاجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء وتشريعات الحكام والولاة، والذي يمكن أن نسميه «تراث الأمة القانوني والسياسي»، قد أصبح مما يندرج تحت مصطلح «الشرع والشريعة»، وإن لم تكن له قدسية الدين وإلزام الشرع المنزل: لجميع المؤمنين، فهنا نمو في الشريعة والشرع، ولكنه نمو يتكون منه بناء قانوني ذو طبيعة مدنية، وليس دينية، إذا استخدمنا هذا المصطلح الحديث. وابن تيمية وابن القيم يدافعان عن اندراج هذا «البناء القانوني السياسي» تحت مصطلح «الشرع والشريعة»، ويقرران تجاوز مضمون هذا المصطلح لما نص عليه القرآن والحديث: فلقد «صار لفظ الشرع غير مطابق لمعناه الأصلي، بل لفظ الشرع. في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام:

الشرع المنزل والشرع المتأول والشرع المبدل.

- **الشرع المنزل:** وهو الكتاب والسنة، واتباعه واجب.

- **والشرع المتأول:** الذي هو حكم الحاكم. أو قول أئمة الفقه. واتباع أحدهم ليس واجبًا علىٰ جميع الأمة، كما هو حال الشرع المنزل.

- **والشرع المبدل:** الذي هو افتراء علىٰ الشريعة وإضافة إليها ما ليس منها»[1].

ولقد كان بعض المعاصرين لأعلام السلفية هؤلاء يقف بهم جمودهم عند حدود المضامين التي كانت لمصطلح الشريعة. في عصر الوحي والبعثة، فسموا تراث الأمة القانوني. الذي نما استجابة لمحدثات الأمور وتطورات الحياة سياسة. ورفضوا إدراجها تحت مصطلح الشريعة، ولقد أدىٰ تضييقهم هذا لنطاق مضمون الشريعة إلىٰ جعل الولاة والحكام يقننون لأحداث الحياة ومشكلاتها وفق أهوائهم، الأمر الذي قطع الصلة

(1) ابن القيم «الطرق الحكمية» ص145، 146. وابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص771، 772، 774، 775.

بين «السياسة». والشريعة!

لكن أعلام السلفية اتخذوا لأنفسهم موقفًا عبقريًا بالغ العمق في هذا الموضوع، فقرروا أن مقاصد الشريعة هي: إقامة العدل، وتحقيق المصالح ودفع المضار في المجتمع، ومن ثم فإن كان ما يحقق هذه المقاصد فهو شرع وشريعة، أو جزء من الشرع والشريعة، حتىٰ ولو لم ينزل به الوحي ولم ينطق به الرسول. وهكذا جعلوا المعيار في الشريعة. هو المصلحة وتحقيق العدل، وليس ما كان شرعًا شريعة. في عصر النبوة التنزيل، ويزيد من روعة هذا الموقف المتقدم أن أصحابه هم السلفيون أصحاب المنهج النصوصي، يميل أصحابه -بداهة- إلىٰ المحافظة والجمود!

ونحن لا نستطيع أن ندع الحديث عن هذه الصفحة من صفحات الفكر السياسي للحركة السلفية دون أن نورد واحدًا من نصوص ابن القيم في هذا الموضوع، فهو يقول تحت عنوان: «اختلاف العلماء في العمل بالسياسة»:

«.. وجرت في ذلك مناظرة بين أبي الوفاء بن عقيل، وبين بعض الفقهاء من الشافعية:

فقال ابن عقيل: العمل بالسياسة هو الحزم، ولا يخلو منه إمام.

فقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

فقال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلىٰ الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: «لا سياسة إلا ما وافق الشرع»، أي: لم يخالف ما نطق به الشرع، فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع، فغلط وتغليط للصحابة، فقد جرىٰ من الخلفاء الراشدين من القتل والمَثْل[1] ما لا يجحده عالم بالسير، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأيًا اعتمدوا فيه علىٰ مصلحة، وكذلك تحريق علي ﷺ الزنادقة في الأخاديد، عندما قال:

لَمَّـا رأيـتُ الأمـرَ أمـرًا منكـرًا ... أجَّجـتُ نـاري ودَعَـوتُ قُنْـبرًا[2]

(1) أي: التمثيل «التشويه» بمن توقع عليهم العقوبات.

(2) قنبر: غلام علي بن أبي طالب.

ونفي عمر بن الخطاب لنصر بن حجاج. من المدينة عندما خشي منه فتنة نساء المجاهدين المقاتلين!

وبعد أن يورد ابن القيم نص حوار ابن عقيل مع الفقيه الشافعي، وهو الحوار الذي يقرر فيه ابن عقيل أن السياسة. التي لا تخالف ما نطق به الشرع، والتي تستجيب للمصلحة هي شرع، اتسع لها وبها مضمون مصطلح الشريعة بعد أن يورد ذلك يعقب فيقول:

« وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب. فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من الطرق التي يعرف بها المحق من المبطل، وعطلوها، مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق، ظنًّا منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاة الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهمه هؤلاء من الشريعة، فأحدثوا لهم قوانين سياسية تنتظم بها مصالح العالم، فتولد من تقصير أولئك في الشريعة وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شر طويل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر وتعذر استدراكه، وأفرط فيه طائفة أخرى، فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به ورسوله، فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها، وإنما المراد

غاياتها، التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق علىٰ أسبابها وأمثالها، ولن نجد طريقًا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها. وهل يظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك؟ إننا لا نقول: إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحي، وإلا فإذا كانت عدلًا فهي من الشرع، وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلىٰ: شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلىٰ: شريعة، وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلىٰ: عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل، كل ذلك ينقسم إلىٰ قسمين: صحيح وفاسد، فالصحيح قسم من أقسام الشريعة، لا قسيم لها، والباطل ضدها ومنافيها، ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع علىٰ كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المحاسن والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علمًا بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلىٰ سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة، تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها»[1].

هكذا قنن أعلام السلفية تطور الفكر السياسي والقانوني، فربطوا بين العادل منه وبين الشريعة، واضعين أنظارهم علىٰ مقاصد الشريعة، جاعلين هذه المقاصد هي المعيار لما يقبل وما يرفض من القوانين والأحكام التي توضع والتي وضعت لما استجد بعد عصر التنزيل والبعثة من محدثات الأمور.

وإذا كانت هذه النظرة الفكرية الثاقبة، التي طورت ونمت مضمون الشرع والشريعة ليشمل السياسة، هي واحدة من ثمار الموقف المبدئي للسلفية من ضرورة «فقه الواقع». قبل «فقه الشرع»، حتىٰ يمكن للولاة والعلماء والحكام الانطلاق من الواقع إلىٰ الشرع

(1) أعلام الموقعين 4 / 372، 373، 375، و«الطرق الحكمية» ص 5، 17 – 19.

في محاولة للتوفيق والمطابقة بينهما، التي هي في الحقيقية لب سياسة أمور الناس. فإن هذا الاهتمام بالواقع قد عكس في مجالات أخرىٰ مواقف مترددة، انعكس عليها سوء الواقع الظالم الذي عاشه أعلام سلفية العصور الوسطىٰ في ظل مظالم دولة المماليك.

ففي آثارهم الفكرية نجد تقرير حقيقة هامة تقول: إن الولاة هم وكلاء العباد علىٰ نفوسهم وأنهم بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنىٰ الوكالة وهذه الكلمات تقرر ما نسميه الآن: «الأمة مصدر السلطات، والحكومة نائبة عن الشعب». لكن نفس هذه الآثار الفكرية تتحدث عن أن «الولاة: ولاة الله علىٰ عباده!»[1] بل وتردد المأثورة التي تقول: «إن السلطان ظل الله في الأرض!»[2] رغم براءة الشريعة منها لفظًا ومضمونًا.

وعلىٰ حين تقرر هذه الآثار الفكرية أن شكل الدولة وأقسام ولاياتها واختصاص ولاة هذه الولايات، هي أمور مدنية، يحكمها تحقيق المصلحة للأمة، ولا دخل للشرع فيها؛ لأن «عموم الولايات وخصوصها – وما يستفيده المتولي بالولاية – يتلقىٰ من الألفاظ والأحوال والعرف، وليس لذلك حد في الشرع». تعود ذات الآثار الفكرية لتتحدث عن أن ولايات الدولة هي في الأصل ولايات دينية ومناصب شرعية، وحتىٰ لو كان المراد من وصفها هذا هو الحث علىٰ العدل فيها طلبًا للمثوبة الأخروية «فمن عدل في ولاية من هذه الولايات، وساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان، فهو من الأبرار العادلين، ومن حكم فيها بجهل وظلم، فهو من الظالمين المعتدين: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار 12، 13]»[3]. حتىٰ لو كان هذا هو القصد، فلقد أسهم ذلك في إضفاء الطابع الديني علىٰ جهاز للدولة ابتعدت به مظالمه بعدًا شديدًا عن سلوكيات الدين!

والموقف من الدولة، التي بلغت في الظلم مبلغًا عظيمًا، اتسم هو الآخر بالتردد بين الواقع الظالم الذي أصبح عادة مألوفة وبين مثل الشرع التي بلغت في تقديس العدل شأوا

(1) السياسة الشرعية ص24.

(2) المصدر السابق ص175. وقال الألباني: منكر. انظر: الضعيفة (1661) .

(3) الطرق الحكمية ص348.

يأسر العقول والقلوب، فأقدم أعلام سلفية العصر الوسيط علىٰ نقد الدولة ومعارضتها، لكنهم أحجموا عن نزع الشرعية عن جهازها الظالم. فدعوا لطاعته، ونهوا عن الثورة ضده، وارتكبوا في سبيل ذلك تخريجات للنصوص الآمرة بالنهي عن المنكر باليد والفعل، بزعم أن تغير الواقع يدعونا أن نقف عند أدنىٰ مراتب هذا النهي وأضعفها! ولم يميز بين الواقع الجديد المحقق للمصلحة، والذي لا بد من تجاوز النص القديم لأجله، وبين الواقع الجديد. الظالم والمحقق للمفسدة، وهو ما لا يجوز أن نطوع النصوص كي نضفي عليه شرعية الدين وقداسته!

لقد قرر أعلام سلفية العصر الوسيط أن جماع السياسة أمران لا بد للولاة من أدائهما، وهما: «أداء الأمانات إلىٰ أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة».

وقرروا كذلك أن ولاة الأموال ليسوا ملاكًا لما في أيديهم من أموال الأمة، بل هم نواب ووكلاء، ومن ثم فليس لهم أن يتصرفوا فيها تصرف المالكين.

وقرروا أيضًا أن طاعة ولاة الأمور مشروطة بأن لا تكون أوامرهم معصية، إذ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

لكن موقف هؤلاء الأعلام، المعادي للثورة، كطريق لإزالة الجور الذي اعترفوا بممارسة الدولة له، والمعاصر للأمور التي جأروا هم بالشكوىٰ من شيوعها، ومارسوا النقد لها والمعارضة لأهلها، إن هذا الموقف المعادي للثورة هو أثر من آثار تحول الواقع الظالم إلىٰ أمر معتاد، أصبح يمارس سلطانًا علىٰ الفكر، حتىٰ دعا هؤلاء الأعلام إلىٰ تغيير الفتوىٰ - من مشروعية الثورة إلىٰ التحذير منها- تبعًا لتغير هذا الواقع، ولربما كانت تجارب الأمة في الثورات الفاشلة، عبر تاريخها الطويل، وما جرته من محن وما أسالت من دماء وما عطلت من مصالح. إلخ. إلخ. ربما كانت هذه التجارب جزءًا من

(1) السياسة الشرعية ص15، 16، 43.

الخلفية التي أفرزت هذا الموقف المعادي للثورة عند أعلام سلفية العصر الوسيط[1].

ويلفت النظر أن الحركة السلفية كلها تتفق في هذا الموقف المعادي للثورة، ففي «مقالات الإسلاميين» يقول الأشعري: إن أهل الحديث قد اتفقوا علىٰ أن «السيف - أي: استخدام القوة في التغيير- باطل، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية، وأن الإمام قد يكون عادلًا، ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج علىٰ السلطان، ولم يروه»[2].

والقاضي أبو يعلىٰ الفراء «380-458هـ 990-1066م» - وهو من أعلام السلفية- يذكر كلمات إمام السلفية أحمد بن حنبل، التي رواها عنه صاحبه عبدوس بن مالك القطان، والتي يدعو فيها إلىٰ الاعتراف بسلطة الحاكم الذي يستبد بالسلطة، ويغلب الناس علىٰ حكومتهم، بصرف النظر عن حظه من العدل ونصيبه من شروط الإمامة كما قررها الفقهاء!. يقول ابن حنبل: «. ومن غلب بالسيف حتىٰ صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا عليه، برًّا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين»[3].

فهو هنا لا يبيح للناس استخدم السيف لمقاومة الوالي الفاجر الذي استبد بحكومتهم، حتىٰ ولو كان استخدامهم للسيف ردًّا علىٰ استخدامه له في الاستبداد بما لا يستحق من السلطة والسلطان.

ويروي كذلك أبو يعلىٰ عن الإمام أحمد أن تنازع عدد من المستبدين علىٰ السلطة لا يعفي الناس من ضرورة الاعتراف بأحدهم، إذ الواجب اتباع «من غلب» [4].

وابن تيمية -الذي عاش في ظل دولة سلاطين. المماليك - رغم شجاعته في الحق، وجرأته التي أوصلته إلىٰ السجن حتىٰ مات فيه، يردد في آثاره الفكرية تلك المأثورة التي

(1) ولعل هذا ما دفع - من يسمَّوْن سلفية الإسكندرية - إلىٰ تغيير موقفهم من ثورة 25 يناير.

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 2 / 451، 452. طبعة استانبول سنة 1929م.

(3) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلىٰ ص4. طبعة القاهرة سنة 1938م.

(4) المصدر السابق ص6.

تبرأت منها الشريعة، والتي تقول: «إن السلطان ظل الله في الأرض»، ويحبذ الطاعة للإمام الجائر؛ لأن ضررها أقل بما لا يقارن من أضرار العصيان «فستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»[1]. كما يقول: «إن المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج -الثورة- على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى»[2].

أما ابن القيم -الذي عرفت عنه الشجاعة في الحق، والذي شارك شيخه ابن تيمية السجن والاضطهاد- فإنه يجتهد كي يعلل ويبرر هذا الموقف السلفي المعادي للثورة، والذي لم تجتمع عليه فرقة إسلامية سوى فرقة السلفية، فيتحدث عن السبب في قول السلفية بعدم استخدام السيف -القوة- في إنكار المنكر الذي شاع في المجتمع الإسلامي، رغم وجود النصوص القاطعة بوجوب ذلك، في القرآن والسنة، ويقول إن هذه القضية مما تغير فيها الواقع بتغير الزمان، ومن ثم فلا بد من تغير الفتوى فيها!. ثم يجتهد لإيراد نصوص من السنة تؤيد عداء السلفية للثورة، فيذكر حديث الصحابة الذين استأذنوا الرسول في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وكيف رد عليهم الرسول بقوله: «لاَ مَا أَقَامُوا الصَّلاَةَ»[3].

ونحن نتساءل: ألا يوحي استئذان الصحابة بقتال من يؤخر الصلاة من الأمراء، وتعليق الرسول عدم قتالهم على إقامتهم لها، أنهم إذا لم يقيموها يجوز قتالهم. ومن باب أولى إذا أشاعوا في الأمة الظلم والجور والفساد، وهي ذنوب يتعدى ضررها ليشمل الأمة، وليست كالصلاة حقا خاصا من حقوق الله؟!

إن ابن القيم يرى «أن الإنكار على الملوك والولاة، بالخروج عليهم، هو أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر. ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها

---

(1) السياسة الشرعية ص185.

(2) منهاج السنة 2 / 87 طبعة القاهرة الأولى.

(3) أخرجه أحمد 3/ 28، 3/ 29.

من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر علىٰ المنكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه. ولهذا لم يأذن الرسول في الإنكار علىٰ الأمراء باليد، لِمَا يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه. ولا يدع ابن القيم مجالا للشك في أن داعيه إلىٰ هذا الموقف هو «الواقع الظالم». الذي عاش فيه، وشبح الانتكاسات التي مرت بها ثورات المسلمين ضد مظالم حكامهم علىٰ امتداد التاريخ، فهو يقول: «إن الواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، وينفذ الواجب بحسب استطاعته، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، وإذا عم الفسوق وغلب علىٰ أهل الأرض فلو منعت إمامة الفساق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام، وفسد نظام الخلق، وبطلت أكثر الحقوق، فأمام الضرورة والغلبة بالباطل ليس إلا الاصطبار، والقيام بأضعف مراتب الإنكار»[1].

فالدعوة واضحة للصبر علىٰ المنكر، والاكتفاء «بأضعف مراتب الإنكار» وهي الإنكار بالقلب، الذي قال عنه الرسول ﷺ إنه «أضعف الإيمان».

ولنا أن نتساءل: عندما يعم الفسوق، وينتشر الظلم، ويسود الجور، ويصبح الفساق هم الأئمة والحكام والولاة -بل والمفتون- في مجتمع الإسلام. فأية حقوق ومصالح ونظم للخلق ندعوهم أن يدفعوا ثمنًا للحفاظ عليها، الخضوع لدولة الفساق والصبر علىٰ أوان الفسوق؟!. وألا يكون الأوفق والأكثر اتساقًا مع روح الإسلام أن ندعو إلىٰ رفض الجور والظلم ومقاومة الجائرين، مع اشتراط الأعداد والاستعداد كي تكون مقاومة ولاة الجور مجدية، ونجاحها قريب المنال، علىٰ نحو ما قرر المعتزلة في هذا الموضوع؟

ولنا أيضًا أن نتساءل: هل يتسق مع المنهج النصوصي للسلفية الاستناد، في رفض الثورة، إلىٰ نهي الرسول ﷺ عن قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة، مجرد تأخير؟ في الوقت الذي نهمل فيه حديثًا نبويًّا واضحًا وحاسمًا يدعو المسلمين إلىٰ اللجوء إلىٰ

(1) أعلام الموقعين جـ3 ص4، جـ4 ص220.

السيف والاعتصام به إذا ما واجههم الشر في المجتمع الذي يعيشون فيه؟ لقد سأل الصحابي حذيفة بن اليمان رسول الله ﷺ:

أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ، كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟

فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: السَّيْفُ[1].

ويزيد من أهمية تساؤلنا عن سر إغفال السلفية -أصحاب المنهج النصوصي- لهذا النص، أن أئمة السلفية قد رووه في مسانيدهم. فلقد رواه أحمد بن حنبل -وهو إمام السلفية ورواه أبو داود وهو من أعلام السلفيين.

لكنه الواقع الظالم -كما قلنا- قد ترك بصماته على فكر هؤلاء الأعلام، منذ تبلور حركتهم وحتى صحوتها في العصر الوسيط.

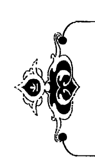
لقد بدأت الحركة السلفية في العصر العباسي كتيار فكري محافظ، تحصن أعلامه بظواهر النصوص والمأثورات، عندما علا سلطان العقل، وأصبح فكر المعتزلة العقلاني أهم قسمة تميزت بها الحياة الفكرية يومئذ في الإمبراطورية العربية الإسلامية ذلك أن السلفية قد رأت الأخطار محدقة بصورة الإسلام الأولى، التي ناسبت مدارك الإنسان العربي في عصر البعثة، يوم كانت بساطة البيئة وفقر المجتمع يجعل النصوص والمأثورات كافية في الهداية والرشاد واليقين، بل لقد رأت السلفية أن صورة الإسلام تلك قد أصبحت غريبة في مجتمع أخذ يتفلسف، ويقدم عقائد الإسلام على نحو ما يقدم الفلاسفة النظريات، فنشأت وتبلورت لتعيد الإسلام إلى صورته الأولى، وبساطته الأصلية، رغم ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتطورات، ورغم ما فعلته المواريث الحضارية لشعوب البلاد المفتوحة، وما بلورته من بناء حضاري جديد جاء ثمرة لامتزاجها بفكر الإسلام.

(1) أخرجه أحمد 5/ 386 و«أبو داود» 4244

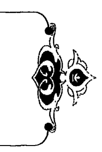
ولقد استجابت السلفية لبساطة الفكر عند العامة وفقر الفكر المركب والفلسفي عند الجمهور، وكذلك استجاب لفكرها وأعلامها العامة والجمهور، فسارت تصارع الفلسفة وتناقض المتكلمين، معتمدة علىٰ النصوص والمأثورات. واستمرت هكذا في عصر نشأتها الأولىٰ، وكذلك في عصرها الوسيط. وأيضًا من خلال حركة محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث، تلك الحركة التي نهضت في شبه الجزيرة العربية، بمهمة تجديد الدين وتنقية عقائده من البدع والخرافات التي تراكمت عليه طوال عصر المماليك والعثمانيين.

وبقيت باقية من أبناء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مصر، نزحوا إليها إبَّان غارة إبراهيم والي مصر حينئذٍ ابن محمد علي ، كان لهم فضل السبق في نشر الدعوة السلفية، ووضع بذورها في مصر، نذكر منهم:

❀❀❀



الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن عبد الله بن
محمد بن عبد الوهاب (1274هـ)[1]



هو الشيخ العالم الورع الجليل عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ولد بمدينة الدرعية سنة ألف ومائتين وتسعة عشرة (1219هـ) وقرأ القرآن ومبادئ العلوم بها، ثم نُقل مع والده الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلىٰ مصر بعد سقوط الدرعية آخر سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين (1233هـ) ودرس بالجامع الأزهر ولما تخرج تولىٰ مشيخة رواق الحنابلة في الأزهر ودرس عليه أناس كثيرون.

قال عنه الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي في كتاب «عنوان المجد» مصورة لندن بالحرف الواحد ما نصه:

«وأما عبد الرحمن فإنه أُجلي مع أبيه إلىٰ مصر في أول طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتم له الطلب، وذكر لنا أنه اليوم في رواق الحنابلة يدرس في الجامع الأزهر وأن له معرفة ودراية عظيمة». وذكره الشيخ عبد الرزاق البيطار فقال عنه ما نصه:

«الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي العالم المشهور والهمام الذي فضله مأثور، ولد في بلاد نجد، ثم إن محمد علي باشا وزير مصر لما أمره المرحوم السلطان محمود بمقاتلة الوهابيين أرسل ولده إبراهيم باشا ومعه عسكر عظيم من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهوَّارة لمحاربة عبد الله بن سعود أمير نجد فقاتلهم

---

(1) علماء نجد (2/ 393 - 395).

وقتل ونهب وحرق وخرب وأسر عبد الله بن سعود وأرسله إلىٰ مصر، فبعثه والي مصر إلىٰ السلطان محمود وباقي بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعبر عنهم ببيت الشيخ، فإنه نقلهم جميعًا إلىٰ مصر وأسكنهم هناك ورتب لهم معاشات تكفيهم، وكان من جملتهم المترجم المرحوم فالتفت إلىٰ الطلب والتعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلىٰ أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة وكان ظاهر التقوىٰ والصلاح والزهادة والعبادة ولم يزل علىٰ حالته المرضية وطاعته وعبادته وإفادته السنية إلىٰ أن اخترمته المنية سنة أربع وسبعين ومائتين وألف -رحمه الله تعالىٰ-».انتهي كلام الشيخ عبد الرزاق البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره عثمان بن سند البصري النجدي بقوله في كتابه «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»: «واعلم أنه بقي للوهابية بقية بمصر ظلوا فيها برغبتهم؛ لأنه صار لهم فيها أولاد وأملاك بمصر؛ مثل الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي وله أولاد منهم أحمد الأزجي وعبد الله كاتب في قلعة الوجه. ومن الذين بقوا بمصر أحمد بن الشيخ عبد اللطيف. وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر يدرس مذهب الحنابلة سنة 1273هـ برواق الحنابلة وتوفي سنة 1274هـ وكان عالمًا فقيهًا ذا سمت حسن يظهر عليه التقىٰ والصلاح. انتهي ما ذكره الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني مختصر كتاب ابن سند.

إذا عُرف هذا، فالمترجم الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب توفي بمصر سنة 1274هـ وخلف أبناء ثلاثة هم أحمد الأزجي أي الصيدلي، وعبد الله ومحمد فأما أحمد الأزجي الصيدلي، فأنجب ابنًا اسمه عبد الرحمن حقي وابنة اسمها لطيفة وعبد الرحمن حقي بن أحمد الأزجي الصيدلي أنجب ابنًا اسمه محمد رئيس إسعاف العياط بمصر زمن فؤاد وفاروق والجمهورية، توفي بمصر عام 1378هـ - ورثته جريدة الأهرام المصرية في عددها 26171 تاريخ 23/ 1/ 1378هـ، وله ابن اسمه أحمد مهندس، وأما عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن

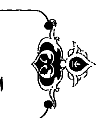
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أخو أحمد الأزجي الصيدلي الآنف الذكر فله أبناء وذرية ضاعوا بمصر حيث لا نعرفهم.

❁ موقفه من المشركين:

جاء في تاريخ علماء نجد: وبلغني أن جماعة السّبكية، لم يعتنقوا المذهب الحنبلي، ولم يكونوا محققين لتوحيد العبادة إلا عن طريقه [1].

❁❁❁

(1) تاريخ علماء نجد (2/ 394).



عبد الرحمن بن حسن
ابن محمد بن عبد الوهاب (1285هـ)[1]



الإمام الفقيه والمجدد الثاني عبدالرحمن ابن الشيخ حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي ثم المصري الحنبلي الأزهري.

ولد هذا العالم الكبير سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة في بلدة الدرعية، موطن الدعوة ومهد علمائها، وعاصمة ولاتها في ذلك الحين، فنشأ بها وقرأ القرآن حتىٰ حفظه وهو في التاسعة من عمره، ثم لازم دروس العلم وحلق الذكر فقرأ علىٰ جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد من أوله إلىٰ أبواب السحر، وجملة من كتاب آداب المشي إلىٰ الصلاة، وحضر عليه قراءات كثيرة في كتب التفسير والحديث والأحكام.

ثم توفي جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهو لا يزال في الثالثة عشرة من عمره، فلازم علماء الدرعية وجهابذتها الأعلام، فقرأ علىٰ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر كتاب «المقنع» في فقه الإمام أحمد بن حنبل، وقرأ علىٰ الشيخ عبد الله بن فاضل من علماء الدرعية، وقرأ علىٰ عمه علامة نجد في زمنه وخليفة والده بعد وفاة الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقرأ الفرائض علىٰ عبد الرحمن بن خميس من علماء الدرعية، وقرأ في النحو علىٰ العلامة الشيخ حسين بن غنام صاحب التاريخ المشهور.

وبعد هذه القراءات جلس لطلاب العلم يدرسهم علم التوحيد والفقه، ثم ولي قضاء

---

(1) (علماء نجد 1/ 56) و(الدرر السنية 12/ 60) و(مشاهير علماء نجد وغيرهم ص 58 وما بعدها) والأعلام (3/ 304) ومعجم المؤلفين (5/ 135).

الدرعية زمن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وزمن ابنه الإمام عبد الله بن سعود، وكان في الدرعية ذلك الحين قضاة كثيرون مرجعهم علامة نجد في زمنه الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستمر الشيخ عبد الرحمن في وظيفتي القضاء والتدريس حتىٰ خرج طوسون بن محمد علي باشا لقتال أهل هذه الدعوة السلفية.

فعند ذلك جند الشيخ عبد الرحمن نفسه للدفاع عن الدين والأوطان، فصحب الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسيره لقتال طوسون فحضر معه وقعة وادي الصفراء؛ الوقعة المشهورة بالقرب من المدينة التي حصلت بين طوسون وبين الإمام عبد الله وهزم فيها طوسون هزيمة منكرة.

وبعد هذه الوقعة استمر الشيخ في الدفاع وحضور الوقائع والحروب التي حصلت بين الدعوة السلفية والدولة العثمانية حتىٰ قدر الله سقوط الدرعية واستيلاء إبراهيم بن محمد علي باشا عليها، وعلىٰ جميع الجزيرة العربية فنقله إبراهيم باشا إلىٰ مصر، ومعه حرمه وعائلته وابنه الشيخ عبد اللطيف وذلك في سنة 1233هـ.

وبقي ثمان سنوات بمصر، قرأ فيها علىٰ عدة علماء منهم الشيخ حسن القويسني ذكر: أنه حضر عليه «شرح جمع الجوامع» للمحلي، و«مختصر السعد في المعاني والبيان»، وأجازه بجميع مروياته، ولقي بمصر مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي فقرأ عليه في «الأحكام الكبرىٰ» للحافظ عبد الحق الإشبيلي، وأجازه بجميع مروياته عن شيخه الشيخ محمود الجزائري، والشيخ علي بن الأمير، ووجد بمصر الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، شيخ مصر في زمنه في القراءات، فقرأ عليه القرآن ولقي الشيخ أحمد بن سلمونة فقرأ عليه «الشاطبية» و«شرح الجزرية»، وقرأ علىٰ الشيخ يوسف الصاوي «شرح الخلاصة» لابن عقيل وقرأ علىٰ الشيخ الباجوري «شرح الخلاصة» للأشموني.

وحضر علىٰ محمد الدمنهوري في «الاستعارات والكافي» في علمي «العروض والقوافي» وذلك بالجامع الأزهر الشريف عمّره الله بالعلم والإيمان وجعله مقرًّا للعمل بالسنة والقرآن.

ولم يزل المترجم له الشيخ عبد الرحمن بن حسن مقيمًا بمصر ينهل من العلوم ويتزود من الفنون إلىٰ أن رد الله الكرة لأهل نجد ورجع إليها.

وله رَحِمَهُ اللَّهُ الكثير من الآثار السلفية منها:

1 - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

2 - قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

3 - القول الفصل النفيس في الرد علىٰ ابن جرجيس.

موقفه من القدرية:

- تكلم في فتح المجيد عن القدر في صدد شرحه للنصوص التي أوردها جده في كتاب التوحيد، قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد حديث ابن عمر الطويل: ففي هذا الحديث: أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85] اهـ.

وقال بعد حديث عبادة: وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالىٰ، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 12]، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، لما سُئل عن القدر، قال: (القدر قدرة الرحمن) واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمعنىٰ: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء، ونُفَاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالىٰ، فضلوا عن سواء السبيل. وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم[1]، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا كفروا.

وقال في خاتمة الباب: وكل هذه الأحاديث، وما في معناها فيها الوعيد الشديد علىٰ عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة علىٰ نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم:

---

(1) يعني: علم الله سبحانه لأفعال العباد.

تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة: إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا علىٰ أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم علىٰ مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.





عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب (1293 هـ)[1]



الإمام الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي ثم المصري الحنبلي الأزهري

هو العلامة الأوحد الكبير علامة المعقول والمنقول حاوي علمي الفروع والأصول - كما وصفه بهذا علامة العراق محمود شكري الآلوسي - عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن ابن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي الأزهري الحنبلي، رحمهم الله بمنه وكرمه.

❁ **مولده:** ولد سنة 1225هـ في بلدة العلم والعلماء: الدرعية.

❁ **حياته:** انتقل الشيخ عبد اللطيف مع والده إلىٰ مصر، بعد خراب الدرعية، وكان عمره قرابة الثمان سنوات ونشأ بمصر وتزوج بها، وتمكن من الاشتغال بطلب العلم، والتزود منه، ثم بعد ذلك خرج إلىٰ نجد وذلك في سنة 1264هـ، وقدم مدينة الرياض واستقر فيها بضعة أشهر درس فيها بعض الدروس، ثم انتقل بعد ذلك إلىٰ الأحساء معلمًا وداعيًا، ومكث فيها فترة من الزمن، ثم عاد إلىٰ الرياض مرة أخرىٰ.

❁ **شيوخه:** مكث الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصر مدة من الزمن، درس فيها علىٰ عدد من المشايخ فمنهم:

1 - والده الإمام العلامة عبد الرحمن بن حسن.

2 - والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

---

(1) علماء نجد (1/ 63 - 71) ومعجم المؤلفين (6/ 10 - 11) والدرر السنية (12/ 66 - 75).

3 - الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب.

4 - عمه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب.

5 - الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ.

6 - أحمد بن حسن الأحسائي.

7 - الشيخ إبراهيم الباجوري.

8 - الشيخ مصطفىٰ البولاقي الأزهري.

9 - الشيخ حسن القويسني وغيرهم.

❁ تلاميذه:

تتلمذ علىٰ يد الشيخ عدد من التلاميذ منهم:

1 - تلميذه الشيخ العلامة «حسان السنة»؛ الشيخ سليمان بن سحمان.

2 - وابنه العلامة الشيخ عبد الله.

3 - وأخوه الشيخ إسحاق، وغيرهم.

❁ موقفه من المبتدعة:

عاش رَحِمَهُ اللَّهُ فترة تغلب الدولة العثمانية علىٰ ديار نجد، فكان هذا الإمام في مصر مدة طويلة قضاها كلها في طلب العلم والدعوة إلىٰ العقيدة السلفية، فلم يذُبْ في عقائد المصريين الباطلة، بل كان الداعية إلىٰ عقيدة السلف، وله مواقف مشرفة سجلها المؤرخون له في كتبهم، وستبقىٰ له ذخرًا عند الله يوم القيامة.

- جاء في تاريخ علماء نجد: ولما استولىٰ الإمام فيصل علىٰ الأحساء، وكان فيها خليط من العقائد والآراء، فالرافضة لهم شوكة، وعلماء الشافعية والمالكية أشاعرة، وعلماء الأحناف ماتوريدية، وتشترك هذه الطوائف كلها في وسائل الشرك، من نحو تعظيم القبور والغلو في الصالحين، والبدع من نحو الموالد، ومراسم الموت والجنائز، فكان الشيخ عبد اللطيف هو المختار لمقابلة مثل هؤلاء، ومحاربة أمثال هذه الأمور، فبعثه الإمام إليهم، فناقش هؤلاء العلماء بلسان فصيح، وعلم صحيح، وصدر فسيح،

وقابل الحجة بأقوىٰ منها، ورد الشبهة بأوضح منها، فأذعنوا له وسلموا، فزال ما في نفوسهم من رواسب الشبه، وباطل التأويل، فتقرر لديهم أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الأسلم والأعلم والأحكم، وأن الدعوة السلفية التي نادىٰ بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي العودة إلىٰ صفاء العقيدة، وخلوص العبادة، كما دعت إليها الرسل ونزلت بها الكتب، وبعد أن صارت العقيدة واحدة والطريقة متحدة، عاد الشيخ عبد اللطيف إلىٰ الرياض[1].

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة سنة 1293هـ رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلىٰ.

وله رَحِمَهُ اللَّهُ الكثير من الآثار السلفية:

1 - مصباح الظلام في الردّ علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام ونسبه إلىٰ تكفير أهل الإيمان والإسلام، وهو رد علىٰ عثمان بن منصور في كتابه (جلاء الغمة عن تكفير الأمة).

2 - منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس لكنه لم يتمه، فأتمه محمود شكري الآلوسي بكتاب أسماه فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان.

3 - تحفة الطالب والجليس في الرد علىٰ ابن جرجيس.

4 - فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب.

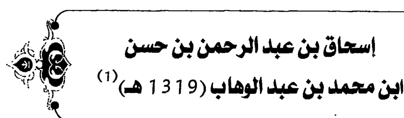
5 - البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية.

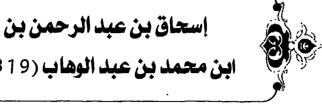
6 - الإتحاف في الرد علىٰ الصحاف.

❀❀❀

---

(1) (1/ 65 - 66).





إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب (1319 هـ)[1]

هو العلامة الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ الأزهري النجدي ثم المصري.

وُلد في مدينة الرياض عام 1276هـ، ونشأ بها نشأة صالحة في بيت علم وصلاح وتقىٰ، فشرع في طلب العلم وأخذ يقرأ علىٰ أخيه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، وابن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ الفقيه محمد بن محمود، والشيخ الخطيب الواعظ عبد الله بن حسين المخضوب، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد، فأدرك إدراكًا تامًّا في العلوم الشرعية.

فلمَّا هاجت الفتن واستولىٰ آل رشيد علىٰ الرياض، ارتحل آل سعود إلىٰ الكويت، ولم تطب له الإقامة في نجد، فرحل إلىٰ الهند عام 1309هـ، وأكمل دراسته هناك، وأخذ عن المحدث الكبير الشيخ نذير حسين، وأجازه وأخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية عن مشايخه، ثم ارتحل إلىٰ مدينة (بهوبال) بالهند، فقرأ فيها علىٰ الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ العلامة سلامة اللّه، وأجازاه في مروياتهما، كما أخذ عن الشيخ محمد بشير، فصار من كبار علماء وقته في الأصول والفروع وعلوم العربية، وأرسل من الهند إلىٰ الرياض قصيدة مؤثرة صارت تُنشد في المجامع والبيوت في الرياض، يتذكر فيها عهوده الخالية وبلاده المحكومة، ويترحَّم علىٰ أسلافه الماضين، كما سافر إلىٰ مصر لطلب العلم، وقرأ علىٰ علماء الأزهر الشريف بمصر مدة طويلة، واجتمع بابن أخيه أحمد بن عبد اللطيف، ورغبه في الخروج معه إلىٰ نجد، ولكنه امتنع.

---

(1) علماء نجد خلال ثمانية قرون (1/ 557 - 564).

❁ **تلاميذه:**

الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ والشيخ فوزان السابق والشيخ عبدالله بن فيصل والشيخ عبدالعزيز بن عتيق وغيرهم.

❁ **موقفه من المبتدعة:**

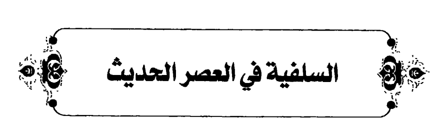
قال: ومما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام: أن المرجع في مسائل أصول الدين إلىٰ الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر، وهو ما كان عليه الصحابة، وليس المرجع إلىٰ عالم بعينه في ذلك. فمن تقرر عنده هذا الأصل تقريرًا لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمته، إذ لا معصوم إلا النبي ﷺ[1].

❁ **وفاته:**

توفي في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف في مدينة الرياض ورثاه العلماء.

❁❁❁

(1) حكم تكفير المعين (ص8 – 9).



السلفية في العصر الحديث

قامت في مصر حركة إصلاحية على يد شخصين يعتبران من قادة الفكر الإسلامي في العصر الحدبث وهما: جمال الدين الأفغاني – 1315 هـ والشيخ محمد عبده 1323هـ إلا أنهما شخصيتان يختلف فيهما كثيرًا، خاصة الأفغاني فإن انحرافاته واضحة في كتاباته وأعماله، وعقائده.

حركة الأفغاني ومحمد عبده صارت سببًا لاهتداء بعض النوابغ إلى المنهج الصحيح ومنهم تلميذهما: العلامة السيد محمد رشيد رضا (1354هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ الذي أنشأ مجلة «المنار» سنة 1315هـ.

تعلم السيد محمد رشيد رضا صراحة القول وحرية التفكير من الأفغاني ومحمد عبده التي دفعته إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ونصيرهما الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان النظر فيهما محظورًا في محيطه آنذاك.

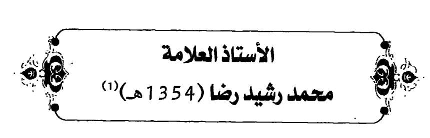
صادفت كتابات هؤلاء الأعلام رغبته الصادقة في دعوة الأمة إلى الكتاب والسنة. فاتجه اتجاهًا سلفيًّا نحو العقيدة والعمل، وتحرر من كثير من انحرافات شيخه محمد عبده. قال: «هذا وإنَّني لما استقللتُ بالعمل بعد وفاته خالفت منهجَه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرًا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يُقوِّي حُجَّتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعْيَا حَلُّها بما يطمئنُّ

به القلب وتَسكُن إليه النفس»اهـ[1].

فكانت الشرارة الأولىٰ لانتشار السلفية في ربوع مصر المحروسة، علىٰ يد هذا العالم السلفي ومن تبعه من أئمة وعلماء، نأتي علىٰ ذكر – بعضهم – فيما يلي:

❀❀❀

(1) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1/ 16



الأستاذ العلامة
محمد رشيد رضا (1354 هـ)[1]

هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب.

ولد 27 جمادىٰ الأولىٰ 1282 هـ/ 23 سبتمبر 1865 وتوفي في 23 جمادىٰ الأولىٰ 1354 هـ/ 22 أغسطس 1935م في قرية القلمون (لبنان)، وهي قرية تقع علىٰ شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال.

كان أبوه علي رضا شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه؛ فحفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلىٰ طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي كانت تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، وقد أسس هذه المدرسة وأدارها الشيخ حسين الجسر، وكان يرىٰ أنه من الضرورة لرُقي الأمة الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا علىٰ الطريقة الأوربية الحديثة مع التربية الإسلامية الوطنية.

حين أُغلقت المدرسة توثقت صلة رشيد رضا بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، آثر الشيخ الجسر رشيد رضا. برعايته، ثم أجازه سنة 1897م بتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس رشيد رضا. الحديث علىٰ يد الشيخ

---

(1) راجع: «الزركلي»: الأعلام 6: 361، 362، الصعيدي: «المجددون في الاسلام» 539 –، تشارلز آدمس: «الإسلام والتجديد في مصر» 169 – 195، شكيب أرسلان: «حاضر العالم الإسلامي» 1: 284 – 286 الجندي: «أعلام الأدب والفن» 2: 357 – 360.

محمود نشابة، وأجازه أيضًا برواية الحديث، كما واظب علىٰ حضور دروس نفر من علماء طرابلس، مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

ويعتبر محمد رشيد بن رضا مفكر إسلامي من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وبالإضافة إلىٰ ذلك، كان صحفيًّا وكاتبًا وأديبًا لغويًّا، هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسس مجلة المنار علىٰ نمط مجلة «العروة الوثقىٰ»، التي أسسها الإمام محمد عبده. يعتبر حسن البنا أكثر من تأثر بالشيخ رشيد رضا.

❁ رشيد رضا في قريته:

اتخذ الشيخ رشيد رضا من قريته الصغيرة ميدانًا لدعوته الإصلاحية بعد أن تزود بالعلم وتسلح بالمعرفة، وصفت نفسه بالمجاهدات والرياضيات الروحية ومحاسبة نفسه وتخليص قلبه من الغفلة وحب الدنيا، فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك، ويختار آيات من القرآن يحسن عرضها علىٰ جمهوره، ويبسط لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته.

ولم يكتف الشيخ رضا بمن يحضر دروسه في المسجد، فذهب هو إلىٰ الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا علىٰ الجلوس فيها لشرب القهوة والنارجيلة، ولم يخجل من جلوسه معهم يعظهم ويحثهم علىٰ الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة، فأقبل كثير منهم علىٰ أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال علىٰ الله، وبعث إلىٰ نساء القرية من دعاهن إلىٰ درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقىٰ عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد في أسلوب سهل يسير.

❁ بداية شاذلية:

لقد بدأ تصوف رشيد حين كان يقرأه شيخه حسين الجسر بعض كتب الصوفية ومنها بعض الفصول من الفتوحات المكية، وفصول من الفارياق.

وقد كان يقرأ ورد السحر؛ وعندما يبلغ البيت التالي:

ودمـــوع العـــين تـــسابقني مـــن خوفـــك تجـــري

كان يمتنع عن قراءته، لأن دموعه لم تكن تجري، فكان امتناعه عن قراءة البيت حياءً من الله أن يكذب عليه، وبعد أن تضلع بالعلم وأصول الدين أدرك أن قراءة هذا الورد من البدع. فتركه وانصرف إلىٰ تلاوة القرآن.

ودرس علىٰ شيخه أبي المحاسن القاوقجي ونال الإجازة في كتاب دلائل الخيرات. ثم بان له أن هذا الكتاب أغلبه أكاذيب علىٰ النبي ﷺ فتركه. وأقبل علىٰ قراءة أذكار وأوراد في الصلاة علىٰ النبي ﷺ ثابتة.

❁ سلوكه الطريقة النقشبندية:

يذكر رشيد في هذا المجال أن الذي حبب إليه التصوف هو كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي».

ثم طلب من شيخه الشاذلي محمد القاوقجي أن يسلكه الطريقة الشاذلية الصورية فأعتذر الشيخ وقال: يا بني إنني لست أهلًا لما تطلبه فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله.

ثم يذكر رشيد أن صديقه محمد الحسيني قد ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرىٰ أنه وصل إلىٰ مرتبة المرشد الكامل، فسلك رشيد طريقة النقشبندية علىٰ يديه وقطع أشواطًا كبيرة فيها، ثم يقول: «ورأيت في أثناء ذلك كثيرًا من الأمور الروحية الخارقة للعادة كنت أتأول الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها». ثم يقول: «ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل علىٰ أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد».

ويصف رشيد الورد اليومي في طريقة النقشبندية بأنه ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب

دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة وربط القلب بقلب الشيخ. ثم يذكر أن هذا الورد بدعة كما تبين له بعد ذلك؛ بل يصل إلىٰ الشرك الخفي حين يربط الشخص قلبه بقلب شيخه فإنه مقتضىٰ التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادته إلىٰ الله وحده حنيفًا مسلمًا له الدين.

وذكر أمور كثيرة.

يقول عن هذه التجربة الصوفية:

«وجملة القول أنني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف علىٰ أسرارها جائز شرعًا لا حظر فيه، وأنه نافع يرجىٰ به معرفة الله ما لا يوصل إليه بدونه».

❁ هدايته من الصوفية إلى السلفية:

يعبر عن هذه التجربة الصوفية بعد سنوات طويلة جدًّا في التصوف:

«إنني قد سلكت الطريقة النقشبندية، وعرفت الخفي والأخفىٰ من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت إلىٰ مذهب السلف الصالحين، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين».

وقد تأثر بمجلة العروىٰ الوثقىٰ ومقالات العلماء والأدباء. فتأثر بالأفغاني ومحمد عبده. وتأثر بشدة وأصبح شيخه الذي حرك عقله وفكره لنبذ البدع والجمع بين العلوم الدينية والعصرية والسعي لتمكين الأمة. ثم تأثر بشدة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله تعالىٰ-. لقد أحدثت له حركة ونشاط بدل الخمول وغيبة الوعي والانغماس في البدع والضلال كما في الصوفية.

❁ إنكاره على أهل الطرق الصوفية:

أول حادثة قام بها علنًا منكرًا سلوك الطرق الصوفية. ذات يوم وبعد صلاة الجمعة أقام أهل إحدىٰ الطرق الصوفية ما يسميه رشيد «مقابلة المولوية». ويقول رشيد في ذلك:

«حتىٰ إذا ما آن وقت المقابلة تراءىٰ أمامي دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه إيوان بالنظارة، وفي صدره شيخهم الرسمي، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيض ناصعة كجلابيب العرائس، يرقصون بها علىٰ نغمات الناي المشجية، يدورون دورانًا فنيًّا سريعًا تنفرج به غلائلهم فتكوّن دوائر متقاربة، علىٰ أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها علىٰ بعض، ويمدون سواعدهم، ويميلون أعناقهم، ويمرون واحدًا بعد آخر أمام شيخهم فيركعون».

أزعج هذا المنظر رشيد رضا وآلمه أن تصل حالة المسلمين إلىٰ هذا المستوىٰ من البدع والخرافات والتلاعب في عقائد الناس وعقولهم، وكان الذي آلمه كثيرًا هو أن هؤلاء بألاعيبهم البدعية قد اعتبروا أنفسهم في عبادة يتقربون بها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؛ بل يعتبرون سماع ومشاهدة ذلك عبادة مشروعة ولهذا لم يترك رشيد هذه الحادثة تمر دون أن يقوم بواجبه الإصلاحي الذي استقاه من قراءته دراسة بمدرسته السلفية التي يدرسها من خلال مجلاتها وكتبها. فقام حيث قال: «قلتُ: ما هذا؟! قيل: هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف، لم أملك نفسي أن وقفت في بهوة النظارة وصحت بأعلىٰ صوتي بما معناه أيها الناس والمسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه لأنه إقرار له، وإنه يصدق علىٰ مقترفيه قوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: 51] وأنني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله». ثم خرج رشيد مسرعًا إلىٰ المدينة. وكانت لصيحته السلفية هذه أن أتبعه عدد قليل إلا أن صيحته لاقت صدىً في مجتمعات الناي بين مؤيد ومعارض.

ورغم كثرة من عارضه وأنكر عليه من مشايخ الصوفية فقد صمم أن يسير في طريقه نحو إصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع، ومن الغريب في الأمر أن ممن أنكر عليه: شيخه الشاذلي حسين الجسر، فقد كان رأيه ألا يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم لا من قريب ولا من بعيد، وقال لرشيد: إني أنصحك أن تكف عن أهل الطريق، فرد عليه رشيد منكرًا: «هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع

المسلمين؟

فقال: لا؛ ولكن لهؤلاء نية غير نية سائر الناس، ووجهة غير وجهتهم، وسأل الجسر رشيد: لماذا يقصر إنكارك علىٰ أهل الطريق دون أهل اللهو والفساد، فرد عليه رشيد قائلًا: إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله علىٰ أني لم أر منكرًا آخر ولم أنكره.

ومع قوة حجة رشيد علىٰ أستاذه إلا أن شيخه تمسك برأيه لأن له حضرة ووجاهة!!

وبقي الخلاف بينهما، واشتد بعد هجرة رشيد لمصر وإنكاره الشديد علىٰ أهل الطرق الصوفية في مجلة المنار، بعد أن رأىٰ طرق الصوفية بمصر والبدع الكبيرة هناك وما يحصل في الموالد، وقد رد الجسر علىٰ رشيد، ورد رشيد علىٰ الجسر في مجلته.

وقد قام علىٰ القبوريين من الصوفية وغيرهم بعد استفادته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إضافة إلىٰ كتاب ابن حجر«الزواجر عن اقتراف الكبائر»، وقد اطلع علىٰ كتاب للألوسي «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» فكان من أسباب تبصره بخلل الصوفية، ونقاء دعوة شيخ الإسلام. وأن كلام الهيثمي وغيره لم يأتِ إلا من هوىٰ وهوس الصوفية!!

فرحم الله الشيخ المصلح الكبير محمد رشيد رضا علىٰ ما قدم وبذل في نصح وفضح الصوفية. وتقبل الله توبته وأوبته من الطرق المضلة.

۞ الاتصال بالأستاذ الإمام:

في الفترة التي كان يتلقىٰ فيها رشيد رضا دروسه في طرابلس كان الشيخ محمد عبده قد نزل بيروت للإقامة بها، وكان محكومًا عليه بالنفي بتهمة الاشتراك في الثورة العرابية، وقام بالتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت، وإلقاء دروسه التي جذبت طلبة العلم بأفكاره الجديدة ولمحاتة الذكية، وكان الشيخ محمد عبده قد أعرض عن السياسة، ورأىٰ في التربية والتعليم سبيل الإصلاح وطريق الرقي، فركز جهده في هذا الميدان.

وعلىٰ الرغم من طول المدة التي مكثها الشيخ محمد عبده في بيروت فإن الظروف لم تسمح لرشيد رضا بالانتقال إلىٰ المدرسة السلطانية والاتصال بالأستاذ الإمام مباشرة، والتلمذة علىٰ يديه، وكان التلميذ النابه شديد الإعجاب بشيخه، حريصًا علىٰ اقتفاء أثره في طريق الإصلاح، غير أن الفرصة سنحت له علىٰ استحياء، فالتقىٰ بالأستاذ الإمام مرتين في طرابلس حين جاء إلىٰ زيارتها؛ تلبية لدعوة كبار رجالها، وتوثقت الصلة بين الرجلين، وازداد تعلق رشيد رضا بأستاذه، وقوي إيمانه به وبقدرته علىٰ أنه خير من يخلف جمال الدين الأفغاني. في ميدان الإصلاح وإيقاظ الشرق من سباته.

وحاول رشيد رضا الاتصال بجمال الدين الأفغاني والالتقاء به، لكن جهوده توقفت عند حدود تبادل الرسائل وإبداء الإعجاب، وكان جمال الدين في الآستانة يعيش بها كالطائر الذي فقد جناحيه فلا يستطيع الطيران والتحليق، وظل تحت رقابة الدولة وبصرها حتىٰ لقي ربه سنة (1314 هـ - 1897م) دون أن تتحقق أمنية رشيد رضا في رؤيته والتلمذة علىٰ يديه.

۞ رشيد رضا في القاهرة:

لم يجد رشيد رضا مخرجًا له في العمل في ميدان أفسح للإصلاح سوىٰ الهجرة إلىٰ مصر والعمل مع محمد عبده تلميذ الأفغاني حكيم الشرق، فنزل الإسكندرية في مساء الجمعة (8 من رجب 1315 هـ - 3 من يناير 1898م)، وبعد أيام قضاها في زيارة بعض مدن الوجه البحري نزل القاهرة واتصل علىٰ الفور بالأستاذ الإمام، وبدأت رحلة جديدة لرشيد رضا كانت أكثر إنتاجًا وتأثيرًا في تفكيره ومنهجه الإصلاحي.

لم يكد يمضي شهر علىٰ نزوله القاهرة حتىٰ صارح شيخه بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميدانًا للعمل الإصلاحي، ودارت مناقشات طويلة بين الإمامين الجليلين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وأقنع التلميذ النجيب شيخه بأن الهدف من إنشائه صحيفة هو التربية والتعليم، ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع، وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها.

❁ مجلة المنار:

صدر العدد الأول من مجلة المنار في (22 من شوال 1315هـ - مارس 1898م)، وحرص الشيخ رشيد علىٰ تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة علىٰ الإسلام، وتفنيد ما يعزىٰ إليه من الخرافات.

أفردت المجلة إلىٰ جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادينه المختلفة بابًا لنشر تفسير الشيخ محمد عبده، إلىٰ جانب باب لنشر الفتاوىٰ والإجابة علىٰ ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور اعتقادية وفقهية، وأفردت المنار أقسامًا لأخبار الأمم الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول قضايا الحرية في المغرب والجزائر والشام والهند.

لم تمض خمس سنوات علىٰ صدور المجلة حتىٰ أقبل عليها الناس، وانتشرت انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي، واشتهر اسم صاحبها حتىٰ عُرف باسم رشيد رضا صاحب المنار، وعرف الناس قدره وعلمه، وصار ملجأهم فيما يعرض لهم من مشكلات، كما جاء العلماء يستزيدون من عمله، وأصبحت مجلته هي المجلة الإسلامية الأولىٰ في العالم الإسلامي، وموئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والعصر.

كان الشيخ رشيد يحرر معظم مادة مجلته علىٰ مدىٰ عمرها المديد، يمده زاد واسع من العلم، فهو عالم موسوعي ملم بالتراث الإسلامي، محيط بعلوم القرآن، علىٰ دراية واسعة بالفقه الإسلامي والسنة النبوية، عارف بأحوال المجتمع والأدوار التي مر بها التاريخ الإسلامي، شديد الإحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه، خبير بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية.

❁ منهجه في الإصلاح:

كتب رشيد مئات المقالات والدراسات التي تهدف إلىٰ إعداد الوسائل للنهوض بالأمة وتقويتها، وخص العلماء والحكام بتوجيهاته؛ لأنهم بمنزلة العقل المدبر والروح

المفكر من الإنسان، وأن في صلاح حالها صلاح حال الأمة، وغير ذلك بقوله: «إذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة، فاحكم علىٰ أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد وعلىٰ علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس».

اقترح رشيد رضا لإزالة أسباب الفرقة بين المسلمين تأليف كتاب يضم جميع ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم، في المسائل التي تتعلق بصحة الاعتقاد وتهذيب الأخلاق وإحسان العمل، والابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرىٰ كالشيعة، وتُرسل نسخ بعد ذلك من هذا الكتاب إلىٰ جميع البلاد الإسلامية، وحث الناس علىٰ دراستها والاعتماد عليها، طالب بتأليف كتب تهدف إلىٰ توحيد الأحكام، فيقوم العلماء بوضع هذه الكتب علىٰ الأسس المتفق علَيها في جميع المذاهب الإسلامية وتتفق مع مطالب العصر، ثم تُعرض علىٰ سائر علماء المسلمين للاتفاق عليها والتعاون في نشرها وتطبيق أحكامها.

۞ التربية والتعليم:

كان الشيخ رشيد رضا من أشد المنادين بأن يكون الإصلاح عن طريق التربية والتعليم، وهو في ذلك يتفق مع شيخه محمد عبده في أهمية هذا الميدان، «فسعادة الأمم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها».

حدد رشيد رضا العلوم التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم لإصلاح شئون الناس، ودفعهم إلىٰ مسايرة ركب العلم والعرفان، مثل: علم أصول الدين، علم فقه الحلال والحرام والعبادات، التاريخ، الجغرافيا، الاجتماع، الاقتصاد، التدبير المنزلي، حفظ الصحة، لغة البلاد، والخط.

لم يكتف رضا بدور الموجه والناصح، وإنما نزل ميدان التعليم بنفسه، وحاول تطبيق ما يراه محققًا للآمال، فأنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامي، وجاء في مشروع تأسيس المدرسة أنها تختار طلابها من طلاب العلم

الصالحين من الأقطار الإسلامية، ويُفضل من كانوا في حاجة شديدة إلىٰ العلم كأهل جاوه والصين، وأن المدرسة ستكفل لطلابها جميع ما يحتاجون إليه من مسكن وغذاء، وأنها ستعتني بتدريس طلابها علىٰ التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه وعبادته، كما تُعنىٰ بتعليم التفسير والفقه والحديث، فلا خير في علم لا يصحبه خلق وسلوك رفيع، وأن المدرسة لا تشغل بالسياسة، وسيُرسل الدعاة المتخرجون إلىٰ أشد البلاد حاجة إلىٰ الدعوة الإسلامية.

افتتحت المدرسة في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي سنة (1330 هـ - 1912م) في مقرها بجزيرة الروضة بالقاهرة، وبدأت الدراسة في اليوم التالي للاحتفال، وكانت المدرسة تقبل في عداد طلبتها شباب المسلمين ممن تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين، علىٰ أن يكونوا قد حصلوا قدرًا من التعليم يمكنهم من مواصلة الدراسة.

غير أن المدرسة كانت في حاجة إلىٰ إعانات كبيرة ودعم قوي، وحاول رشيد رضا أن يستعين بالدولة العثمانية في إقامة مشروعه واستمراره لكنه لم يفلح، ثم جاءت الحرب العالمية لتقضي علىٰ هذا المشروع، فتعطلت الدراسة في المدرسة، ولم تفتح أبوابها مرة أخرىٰ.

❁ مؤلفاته:

بارك الله في عمر الشيخ الجليل وفي وقته رغم انشغاله بالمجلة التي أخذت معظم وقته، وهي بلا شك أعظم أعماله، فقد استمرت من سنة (1316هـ - 1899م) إلىٰ سنة (1354 - 1935م)، واستغرقت ثلاثة وثلاثين مجلدًا ضمت 160 ألف صفحة، فضلًا عن رحلاته التي قام بها إلىٰ أوروبا والآستانة والهند والحجاز، ومشاركته في ميادين أخرىٰ من ميادين العمل الإسلامي.

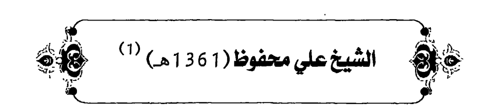
من أهم مؤلفاته: «تفسير المنار». الذي استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية (125) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتىٰ بلغ سورة

يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره، وهو من أجل التفاسير، وله أيضًا: «الوحي المحمدي ونداء للجنس اللطيف»، «تاريخ الأستاذ الإمام والخلافة»، «السنة والشيعة»، «حقيقة الربا»، «مناسك الحج».

۞ وفاة الشيخ:

كان للشيخ رشيد روابط قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلىٰ السويس لتوديع الأمير سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه، وكان قد سهر أكثر الليل، فلم يتحمل جسده الواهن مشقة الطريق، ورفض المبيت في السويس للراحة، وأصر علىٰ الرجوع، وكان طول الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقيه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم يلبث أن خرجت روحه الطاهرة في يوم الخميس الموافق (23 من جمادىٰ الأولىٰ 1354 هـ - 22 من أغسطس 1935م)، وكانت آخر عبارة قالها في تفسيره: «فنسأله تعالىٰ أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت علىٰ الإسلام».





الشيخ علي محفوظ (1361 هـ) (1)

۞ نشأته:

في محلة روح مركز طنطا غربية؛ كانت تقيم أسرة محفوظ، وهي أسرة طيبة، يتصل نسبها بالحسن بن علي رضي الله عنهما. في تلك القرية ولد، وفيها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، واستوعب حفظ بعض المتون.

وفي عام 1306 هـ التحق بالجامع الأحمدي بطنطا، واشتغل بتجويد القرآن الكريم علىٰ بعض الفقهاء، ثم بدأ يتلقىٰ العلم علىٰ كبار شيوخه، فكان من أساتذته: الشيخ عبدالرحمن الدماطي، والشيخ محمد الشبيني الكبير، والشيخ علي المنوفي، والشيخ قطب بكر.

وكان في أثناء طلبه العلم مَثَلًا حسنًا للطالب المُجِدّ، واستمر بالجامع الأحمدي نحوًا من عشر سنوات، ظهر فيها نبوغه وتفوقه علىٰ أقرانه.

ثم رأىٰ شيخه الأكبر الشيخ الدماطي أن ذلك النبوغ يجب أن يفيد منه الأزهر الشريف، فحبَّب إليه طلب العلم فيه؛ فتوجه في عام 1317 هـ إلىٰ القاهرة ونزل بالأزهر المعمور، ثم مالت نفسه إلىٰ مذهب أبي حنيفة بعد أن كان شافعي المذهب؛ فتتلمذ علىٰ صفوة علمائه؛ من أمثال الشيخ: محمد الحلبي، والشيخ بكر الصدفي، والشيخ أحمد أبي خطوة، والشيخ محمد بخيت، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وفي عام 1324 هـ - 1907م حصل علىٰ شهادة العالِمية، ثم اشتغل بالتدريس.

---

(1) انظر: «فن الخطابة» و«هداية المرشدين إلىٰ طرق الوعظ والخطابة».

ولما أدخل النظام في الأزهر عام 1911م سار فيه حتىٰ بلغ القسم العالي.

وفي عام 1918م أُنشئ قسم الوعظ والإرشاد في الأزهر؛ فكان أول من تعهَّده بالتأسيس والتوجيه، وفي هذا القسم وجد ضالَّته، فجاهد فيه بكل قواه، ووقف عليه فكره ووقته، وسرعان ما أنجب علىٰ يديه رجالًا دعاةَ خيرٍ ورُسُل إصلاح، أُشربوا حبَّ الفضيلة، ونَمَت فيهم نازعة الخير.

وفي عام 1356 هـ - 1937م أُوفِدَ علىٰ رأس أول بعثه أزهرية إلىٰ الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج.

وفي مايو عام 1939م قدرت هيئة كبار العلماء مزاياه وعلمه وفضله؛ فقررت ضمه إلىٰ عضويتها، وصدر بذلك الأمر الملكي رقم 16 لسنة 1939م.

وفي فبراير 1941م مُنِحَ كسوة التشريفة العالمية من الدرجة الأولىٰ.

ثم لقي مولاه في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة 1361 هـ الموافق 11 نوفمبر 1942م.

۞ نشاطه:

نظر الفقيد بفكره الثاقب إلىٰ العلم والعلماء؛ فوجده أشبه بصناعة خاصة بين طائفة خاصة في مكان خاص، لا يعدو العالِم والمتعلِّم، قد دأب الأزهر علىٰ ذلك جيلًا بعد جيل، وسواد الأمة عن هذا النور محجوبٌ باحتجاب العلماء عنهم، اللهم إلا بصيص من النور يظهر في بعض البلاد التي ينبت فيها العلم بوجود عالم من العلماء أو طالب من الطلاب في ليالي شهر رمضان من كل عام، فأخذ علىٰ نفسه المواثيق أن يجدِّد عهد السلف الصالح، وأن يقوم بنشر الدعوة الصحيحة بين طبقات الشعب المصري الكريم.

۞ وضع أساس فنِّ الوعظ والخطابة:

ولقد أحبَّ فنَّ الوعظ والإرشاد حبًّا لا يعدله حب، وأخلص له إخلاصًا ما بعده إخلاص، وامتزج هذا الحب وهذا الإخلاص بإيمان قوي لا حدَّ له، ثم سكن هذا المزيج المبارك في قلب كريم، في نفس طيبة راضية مطمئنة

وبهذا القلب عقد اللواء وتأهب للغزو، فأخذ يبث فكرته بين طبقات الأزهر من علماء وطلاب؛ فكان من ثمرات هذا الجهاد إنشاء قسم الوعظ والإرشاد في كلية أصول الدين.

۞ الوعظ في المساجد والمجامع العامة:

ثم انتقل إلىٰ الناحية العملية؛ فكان يغشىٰ المساجد كل أسبوع والمجامع العامة؛ ناشرًا الفضيلة، داعيًا إلىٰ التمسك بحبل الله المتين؛ فظهر نجمه، وسطع نوره، ورمقته العيون، وأسكنته القلوب في سويداتها، لما عُرف فيه من علم، وما أوتيَه من قوة البيان ودقة الأسلوب وسلاسة التعبير، وقد أنتجت قريحته الفذة في هذا الفن كتاب «سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة»، ثم أعقبه بكتاب «هداية المرشدين إلىٰ طريق الوعظ والخطابة»، وهو يعتبر أول كتاب حديث من نوعه.

وكان أهم ما يلاحظ عليه: ذوقه الرفيع في الوعظ، ومراعاته لشعور الحاضرين وعواطفهم، يستميلهم بالفكاهة النادرة برقة تملك المشاعر، ويلقىٰ إليهم بالحجج والحكم في دعة تفتح لها الطريق إلىٰ القلوب قبل الأسماع.

۞ الوعظ في القرى:

رأىٰ – طيب الله ثراه – أن كثيرًا من القرىٰ الريفية قد حُرم من العلم؛ فكان يذهب إليها مرشدًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه، مضحيًا في ذلك بماله وراحته ووقته؛ فكان يقضي العطلة الصيفية متنقلًا بالوعظ والإرشاد في شتىٰ البلاد. وقد كان يسجل خطبه في سجل خاص، حتىٰ بلغ مجموعها نحو (1000 خطبة).

۞ محاربة البدع والخرافات:

رأىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ أن كثيرًا من البدع والخرافات قد استحكم في نفوس الشعب حتىٰ أبعدهم عن طريق الدين المستقيم؛ فأخذ يكافح ويجاهد، ويذكِّر القوم بمحاسن الدين وقبائح البدع، ولم يُثْنِهِ عن سبيله ما أقامه دعاة هذه البدع من عراقيل وعقبات، وظل ثابتًا علىٰ

عزمه حتىٰ اقتلع الأوهام من القلوب، وعاد بالناس إلىٰ حظيرة الدين، وقد ألَّف في هذا كتابه العظيم «الإبداع في مضار الابتداع».

۞ الجمعيات الإسلامية العامة:

أيقن أن الجمعيات الإسلامية خير معين علىٰ نشر الفضائل بين الأمة؛ فساهم في تأسيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وكان من أعضائها العاملين البارزين، وساهم في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية، وقد انتُخِب وكيلًا لها في أول جلسة عُقدت لتأسيسها في عام 1346 هـ، وكذلك ساهم في تأسيس جمعية تحفيظ القرآن بالعباسية، وكان من أعضائها المخلصين.

وقبل الحرب العالمية الأولىٰ؛ كانت جمعية الرد علىٰ المبشرين بالخرنفش تناهض المبشرين، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ خطيبها وحامل لوائها.

وفازت جمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية بالكثير من نشاطه، ولما تكونت جماعة أنصار الحج ساهم في جهادها بكل قواه.

۞ الجمعيات الخاصة:

لم يكتفِ الفقيد بكل هذه الأعمال الجليلة؛ بل نظر في صفوف الأمة، فوجد طائفة من عظمائها المخلصين قد عكفوا علىٰ ما لديهم من الأعمال، فتلطَّف في الدخول إليهم، واستعمل ذكاءه وفطنته في استمالتهم، وهمس في آذانهم بأحكام الدين الحنيف؛ فوصلت دعوته إلىٰ قلوبهم، ووجد التربة صالحةً للغرس، والجو ملائمًا للإنبات؛ فكون جمعية قوامها العظماء وعناصرها الطبقة الراقية: مثل المرحوم الدكتور سالم هنداوي باشا، والدكتور سليمان عزمي باشا، والمرحوم الدكتور عبدالعزيز إسماعيل باشا. وغيرهم من طبقتهم، واشتغل معهم بتفسير القرآن الكريم في ليلة معينة من كل أسبوع، واتخذ لذلك عيادة الدكتور سالم باشا بعابدين حتىٰ أتمَّه في بضع سنين، وقد كان من آثار هذا الغرس أن طلع المرحوم الدكتور عبدالعزيز باشا إسماعيل علىٰ العالم الإسلامي بكتابه العظيم: «الإسلام والطب الحديث».

كذلك كوَّن رَحِمَهُ اللَّهُ جمعيةً أخرىٰ قوامها الدكتور عبدالسلام العيَّادي، ونخبة من خيرة المتعلمين؛ ما بين مهندس وتاجر وموظف، وجعل مقرَّها عيادة الدكتور العيَّادي بالدرب الأحمر، وقد ابتدأ في تفسير القرآن الكريم حتىٰ أوشك علىٰ إتمامه، ولكن المَنِيَّة عاجلته قبل ذلك بقليل.

وأنشأ جمعية ثالثة قوامها جماعة من أرباب المعاشات؛ فغرس فيهم الروح الدينية الحقَّة، وكان مقرها منزل صاحب العزة أحمد بك فهمي المهندس، وفي المغربلين، ثم بالعباسية.

وامتد نشاطه إلىٰ الطبيبات والممرضات داخل المستشفيات؛ فتعهدهن في مستشفىٰ فؤاد الأول للولادة بالموعظة الحسنة والنصائح الغالية، مما كان له أثر محسوس في قيامهن بواجبهن الإنساني علىٰ خير الوجوه.

❁ إلقاء دروس دينية في الإذاعة اللاسلكية:

وفي حوالي عام 1939م نبتت فكرة إلقاء دروس دينية علىٰ أمواج الأثير، فكان مَنْ وقع عليه الاختيار لهذا العمل الجليل؛ فكان يلقي درسًا في كل شهر تقريبًا حتىٰ لقيَ ربَّه.

دروس شهر رمضان في الأزهر الشريف:

وكان من عادته رَحِمَهُ اللَّهُ أن يلقي درسًا في الجامع الأزهر بعد صلاة العصر من كل يوم من أيام رمضان المبارك، وقد ظل محافظًا علىٰ هذه العادة الجليلة، وكان فيها مخلصًا متفانيًا، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من حرصه عليها وهو في مرض الموت!!

❁ التأليف:

ألَّف الفقيد الكتب الآتية:

- «الأخلاق»، وكان يدرَّس في المعهد الابتدائي بالأزهر.
- «سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة».
- «هداية المرشدين إلىٰ طرق الوعظ والخطابة».
- «الإبداع في مضار الابتداع».

- «الخطابة»، لم يُطبع، وقد ظهرت منه مذكرة مختصرة في 100 صفحة.

وكتب رشيد رضا في المنار مقالة عن كتاب الشيخ «الإبداع في مضار الابتداع»، فقال:

كتاب جديد صنَّفه أخونا الأستاذ الشيخ علي محفوظ من تلاميذ الأستاذ الإمام، المدرس بقسم التخصص في الأزهر الشريف (طبق ما قرره المجلس الأعلىٰ من مناهج التعليم في السنة الثالثة لقسم الوعظ والخطابة في الأزهر الشريف) فرغ من تأليفه سنة 1341 وطبع عقب ذلك، ثم أعيد طبعه في آخر سنة 1348، وقد ذكر المصنّف في آخر الطبعة الثانية سبب إعادته طبعه فقال:

(لما ولي صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفىٰ المراغي مشيخة الجامع الأزهر الشريف ورياسة مجلسه الأعلىٰ كان من باكورة أعماله الحكيمة أن وجَّه (حفظه الله) عنايته إلىٰ إصلاح نظام قسم الوعظ والخطابة ومناهجه إصلاحًا يكفل للطلاب النبوغ في هذا الفن، ويتناسب مع روح العصر الحاضر، فأدخل تعديلًا رشيدًا في مواد الدراسة، وأضاف إلىٰ مادة البدع والعادات زيادات ذات شأن. وقد عرض علىٰ مجلس الأزهر الأعلىٰ مذكرة بشأن هذا الإصلاح فوافق عليه في جلسة يوم الثلاثاء 13 ربيع الأول سنة 1347، وقد طُبع هذا الكتاب المرة الثانية في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي تمتاز عن الطبعة الأولىٰ بتنقيحات مفيدة مع تلك الزيادات التي أقرها المجلس الأعلىٰ في الجلسة المذكورة - اقرأ الدليل).

ويعني بالدليل فهرس الكتاب وهو مؤلَّف من مقدمة وبابين وخاتمة. وفي المقدمة مبحثان: الأول إخبار النبي ﷺ بغُربة الدين، والثاني الحث علىٰ التمسك بالدين وإحياء السنة النبوية، والباب الأول في النظر في البدع من جهة الأصول والقواعد وفيه سبعة فصول وجُله مستمد من كتاب (الاعتصام) للشاطبي، والباب الثاني في النظر في البدع من جهة فروعها وفيه اثنا عشر فصلًا:

(1) في بدع المساجد، (2) في بدع القابر والأضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفاسد، (3) بدع الجنائز والمآتم، (4) في بدع الموالد، (5) منكرات الأفراح، (6) بدع

الأعياد والمواسم، (7) في البدع التي تقع في العبادات، (8) في بدع الطرق (أي طرق المتصوفة)، (9) في بدع الاعتقادات، (10) في بدع الضيافة والولائم، (11) في بدع المعاشرة والعادات، (12) في خرافات العامة وأوهامهم.

وفي كل فصل من هذه الفصول مسائل كثيرة لخص فيها كتاب المدخل لابن الحاج وزاد عليه بعض ما حدث بعده من منكرات العادات، وبدع الضلالات ومسائل متفرقة في كتب كثيرة جمعها في زهاء 300 صفحة بقطع المنار.

ولم تكن كتابته لهذه المباحث كتآليف أكثر المتأخرين من علماء الأزهر وأمثالهم التي لا تعدو اختصار أحدهم لكتاب غيره وشرح آخر لبعض المختصرات بما ينقله من المطولات، بل هو تصنيف جديد حملته عليه حاجة العصر إليه، وكان له فهم ورأي فيما ينقله عن غيره.

وجملة القول: إن هذا الكتاب من الكتب النافعة الجديرة بالانتشار، ولعل ما يُنتقد من مسائله قليل، فهو خير من كثير من الكتب التي ينقل عنها، ويقول: قال الإمام فلان، والعلامة فلان، وإذا كان لا يسلم من الخطأ في مسائله فهو أولىٰ بألا يسلم من الغلط في طبعه، وإن قال في آخر فهرسه إنه: (قد استغنىٰ عن بيان الخطأ والصواب فيه لسلامته من الخطأ! وسنعود إلىٰ بيان الشواهد علىٰ هذا إن وجدنا فرصة، وثمن النسخة منه 10 قروش وهو يُطلب من مكتبة المنار[1].

❁ خاتمة:

وهكذا كان الفقيد الكريم شعلة من نور وعلم، تفرقت أشعتها في كل ناحية من نواحي الأمة؛ فكانت السراج الذي يهتدي به المهتدون.

كان رَحِمَهُ اللهُ يرىٰ أن العلم ثروةٌ، وزكاتها الوعظ والإرشاد، ليكون علمًا مباركًا طيبًا، يزيده الله من فضله.

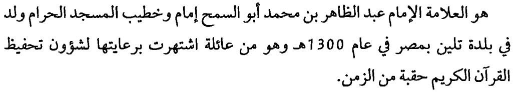
ولقد كان واعظًا بسَمْتِه، وهيئته، ووقاره، ووقفته، ومشيته، قبل أن يكون واعظًا بقوله

(1) المنار 31/ 396.

ومنطِقه؛ فرحم الله الفقيد الجليل، وأحلَّه مقامه بين الصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

❀❀❀





الشيخ العلامة
عبد الظاهر بن محمد أبو السمح (1370هـ) (1)

هو العلامة الإمام عبد الظاهر بن محمد أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام ولد في بلدة تلين بمصر في عام 1300هـ وهو من عائلة اشتهرت برعايتها لشؤون تحفيظ القرآن الكريم حقبة من الزمن.

حفظ القرآن الكريم علىٰ يد والده وهو في التاسعة من عمره ثم التحق بالأزهر فقرأ الروايات السبع وحفظ مجموعة في الحديث والتفسير والفقه واللغة وغيرها وعرضها علىٰ مشايخ الأزهر، وكان يحضر مجلس الشيخ محمد عبده وهو صغير السن ثم اتصل بالشيخ أمين الشنقيطي فأنار له سبيل العقيدة السلفية فعكف علىٰ دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم ثم عمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية بالسويس، ثم عاد إلىٰ القاهرة وطلب العلم ثم عين مدرسًا بمدرسة الإسكندرية، وهناك أسس جماعة أنصار السنة ،كان من أعلام أنصار السنة في منطقة الرمل بالإسكندرية، فاعتدي علىٰ الشيخ وهو يؤم الناس في المسجد بسبب دعوته إلىٰ توحيد الله عز وجل، ثم طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ عز وجل، فقدم إلىٰ مكة فشمله برعايته وعينه إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام ثم أسس مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة وقد كان الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة سنده الأكبر بعد الله في بث الدعوة ونشر العقيدة بهذه الدار التي تخرج منها الكثير من طلبة العلم ودعاة التوحيد، ومازال إمامًا وداعيًا إلىٰ الله عز وجل إلىٰ أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بمصر عام 1370هـ.

(1) الأعلام 4/ 11، تذكرة أولي النهي 4: 306 وعلي جواد الطاهر، في مجلة العرب 7: 947، وأم القرىٰ 13 رجب 1370.

❁ وله الكثير من الآثار السلفية منها:

1- الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية.

2 - حياة القلوب بدعاء علام الغيوب.

3 - الأولياء.

4- الكرامات.

❁ منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية[1]:

من خلال النظر في مؤلفات الشيخ، نذكر بعض الجوانب المهمة في مؤلفاته وهي تعكس حقيقة سيرة الشيخ، وهي ما يلي:

1 - معرفة الشيخ لشدة حاجة من كان في عصره - خاصة في مصر - إلى معرفة العقيدة السلفية وما يخالفها من العقائد الباطلة؛ ولذلك كتب بعض المؤلفات منها: (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) ، (الأولياء والكرامات) ،(الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية) ،(والقصيدة النونية في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية وأنواع التوحيد).

2 - منهجية الشيخ في كتابه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) مشابهة لمنهجية كتاب (كشف الشبهات) للإمام محمد بن عبدالوهاب، وذلك في ذكر شبهات أهل الشرك وردها.

وقد حرص الشيخ في كتابه (حياة القلوب) بذكر شبهات المشركين، فقد عقد فصلًا وسماه (بيان حقيقة وإزالة شبهة).

3 - مؤلفات الشيخ العقدية قائمة على الاستشهاد بالكتاب والسنة وذكر شبهات أهل الشرك وردِّها. ففي الغالب لا يستشهد بكلام العلماء، بل يكتفي بالكتاب والسنة.

4 - يحذر الشيخ في كتابه (حياة القلوب) من اتباع علماء السوء الذي يدعون الناس إلى الأعمال الشركية ولا ينكرونها.

---

(1) مستفاد من ملتقى أهل الحديث، ببعض التصرف .

فقد قال في مقدمة الكتاب: (أما بعد: فهذه رسالة في توحيد الألوهية عنيت بها وكتبتها لما وجدت كثيرًا من العلماء - فضلًا عن العامة - يؤلهون غير الله بدعائهم ونذرهم، وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، ويسمون ذلك كله توسلًا ووساطة واستشفاعًا.) ويقول أيضًا: (. وأكبر من ذلك وأدهي وأعظم فكرًا أن كثيرًا من يتتسبون إلىٰ العلم والإسلام وبعض من يعدون من كبار العلماء، يحاربون بألسنتهم وأقلامهم كل من ينكر علىٰ العوام هذه الأعمال الشركية، ويعادونه أشد العداء، ولو استطاعوا إسكاته ما قصروا، فإنا لله وإنا إليه راجعون).

5 - ينبه الشيخ في مؤلفاته أن عباد القبور يستدلون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة وأنهم لا يفهمون الاستدلال بالأحاديث، وقد ذكر الشيخ هذا في كتابه (الأولياء والكرامات) فقال: (. ويأتونك بأحاديث أكثرها ضعيف أو موضوع، أو صحيح، ولكن له معنىٰ لا يخالف القرآن وسائر الأحاديث الصحيحة، وهم يفهمون بالعكس؛ لأن عقولهم منكوسة وبصائرهم بالشرك مطموسة).

6 - من منهجية الشيخ في مؤلفاته إيراد السؤالات والإلزاميات علىٰ عباد القبور، وقد ظهر هذا جليًّا في كتابه (الأولياء والكرامات) ومن أمثلة ذلك قوله في هذا الكتاب: (أسئلة مفحمة من أولياء الله إلىٰ عباد القبور وعلمائهم).

7 - لا يستشهد الشيخ في مؤلفاته بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.

8 - من منهجية الشيخ في مؤلفاته عنونة المباحث التي يذكرها، فهو لا يذكرها سردًا أو في عناوين قليلة، بل كل مسألة يذكره لها عنوانًا مستقلًّا تسهيلًا لقارئ الكتاب.

9 - أسلوب الشيخ في مؤلفاته العقدية قائم علىٰ الوضوح والسهولة فلا تكلف ولا تقعر في الكلام، وهو مشابه لأسلوب أئمة الدعوة في نجد.

10 - يظهر الشيخ في مؤلفاته غضبه وغيرته علىٰ توحيد الله، ومن أمثلة ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (وكم انفقت الأوقاف في بناء هذه الأصنام ومساجدها حسيبهم الله، ولو أنهم بنوا بها سفنًا حربية، أو أنفقوها في تربية أبناء الأمة، ولكن ضلوا

ضلالًا بعيدًا، ومنذ أن استولت الإفرنج علىٰ البلاد زادت الطين بلة والأمة ذلة، وأخلوا المدارس من الدين والعلم الصحيح، وفتحوا للناس أبواب الشر والجهالة علىٰ مصراعيها، وحموا الكفر والفسوق أحسن حماية فأذلوا الأبرار وأعزوا الفجار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن ربك لبالمرصاد، وسوف يخزيهم الله ويبعث عليهم من يدمرهم ويذلهم، وما هي إلا فتنة يهودية سيطفئها الله قريبًا).

11 – من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية إظهار التحدي والإلزام علىٰ عباد القبور.

ومن أمثلة ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (مطالبة هؤلاء العلماء بأدلة شرعية علىٰ أعمالهم هذه الباطلة وقيام هذه التماثيل بينهم بغير نكير: نعم نطالب هؤلاء العلماء بدليل شرعي علىٰ تخصيص بعض الصالحين بإقامة هذه التماثيل بأسمائهم، وهذه القباب المشيدة المزخرفة عليهم، من الكتاب أو السنة، وفي أي كتاب من كتب المذاهب الأربعة المتبعة، وما هم بواجدين).

12 – يحكي الشيخ في مؤلفاته العقدية حالة من كان في عصره من عباد القبور.

ومن ذلك قوله في كتابه (الأولياء والكرامات): (فانظر إلىٰ مقارئ مصر عند التماثيل ترىٰ المشايخ جالسين يقرأ كل واحد منهم جزءًا من القرآن عكوفًا علىٰ الصنم المسمىٰ السيد فلان، والله قد مقتهم وغضب عليهم.)

وقوله أيضًا: (وإنك لتعجب ممن يتقدمون للاختبار في الأزهر لأخذ الشهادة العالمية، إذ يذهبون لضريح الإمام الشافعي يستعينون به ويستنجدونه ويضرعون إليه، ليحضرهم وقت الاختبار وينجحهم، وكذلك يطفون علىٰ كل ضريح يستنجدون به...).

13 – من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية عدم التصريح بأسماء وأعيان دعاة الشرك وأتباعهم.

14 – من منهجية الشيخ في مؤلفاته العقدية تنوع الأسلوب والمنهج، فهو ينتقل من أسلوب لآخر وهذا كله ليقنع القارئ ومن عنده شبهة من أتباع عباد القبور.

15 – يثني الشيخ في مؤلفاته علىٰ شيخه محمد رشيد رضا ويحيل عليه في بعض

المسائل العقدية.

❁ **ومن ثنائه عليه قوله في القصيدة النونية:**

لله درك يـــا رشـــيدُ مفــسرًا أو مفتيًـــا أو هـــاديَ الحيـــران

أنــت الإمــام وحجــة الإســلام في هــذا الزمــان ومنبــع العرفــان

16 – يدعوا الشيخ في القصيدة النونية للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود موحد الجزيرة وكذلك يدعوا لأسرة آل سعود.

يقول الشيخ في القصيدة النونية:

وانــصر أخــا التوحيـد سـيد يَعْـرُبٍ (عبــدالعزيز) علــىٰ ذوي الأوثــانِ

واضـرب رقــاب الغــادرين بــسيفهِ وأذقهــم الــسوء بــكل مكــانِ

وأحفــظ لنــا آل الــسعود جمــيعهم أنــصار إســلامٍ مــدىٰ الأزمــان

17 – نقل الشيخ في آخر كتابه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) عقيدة أبي الحسن الأشعري من كتابه (مقالات الإسلاميين) ثم قال: (يقول عبد الظاهر محمد أبو السمح، إمام الحرم الملكي ومدير دار الحديث: وبكل ما ذكر من قوله نقول، وبما دانوا به ندين، علىٰ بصيرة ونور، لا بعصبية وتقليد.

وقد نقلنا هذه النسخة حرفيًا من كتاب المقالات للإمام أبي الحسن الأشعري، لتكون حجة علىٰ الذين يزعمون أنهم أشعريو العقيدة، وهم في الحقيقة جهميون، أتباع الجهم بن صفوان الخبيث، المنكر صفات الرب سبحانه وتعالىٰ، النافي كل ما دلت عليه الآيات والأحاديث بالتأويل والتعطيل).

ينبه الشيخ في كلامه أن الأشاعرة الذين يزعمون أنهم علىٰ عقيدة أبي الحسن الأشعري هم في الحقيقة جهمية لأن عقيدة أبي الحسن الأشعري هي عقيدة السلف.

18 – كراهة الشيخ للمدح والإطراء، وتواضعه الشديد، واستصغاره لنفسه.

ومما يدل علىٰ ما ذكر أن ناشر كتاب الشيخ (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) وهو

محمد مصطفىٰ الفقيه صاحب مطبعة الصاوي عند نشره كتاب الشيخ ذكر في المقدمة ترجمة للشيخ، فما كان من الشيخ إلا أن كتب للناشر رسالة فيها دلالة علىٰ استصغار الشيخ لنفسه وتواضعه، وفيها أيضًا درس لبعض أهل العلم ممن يحب المدح والإطراء.

وهذه رسالة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(من المؤلف إلىٰ الناشر:

هذا ما ورد إلينا من فضيلة الأستاذ المؤلف، إثر اطلاعه علىٰ ما ذكرناه من ترجمته، ننشره هنا قيامًا بواجب الأمانة، وإن كنا لم نتمكن من إنفاذ رغبته.

أخي محمد:

سلام عليك: أما بعد فقد وصلني كتابك وما كدت أطلع علىٰ ما ذكرته من ترجمتي، حتىٰ وضعت يدي علىٰ وجهي استحياء، فقد ألبستني ثوبًا فضفاضًا واسعًا سابغًا من المدح والإطراء،.أرىٰ أني لا أستحقه.

وقد جاء في الأثر: أن رجلًا مدح آخر عند النبي ﷺ فقال: (قتلت الرجل) ونهي عن الإطراء فيٌّ المدح والثناء، لما عسىٰ أن يوقعه ذلك في الغرور. وإني أعيذ نفسي من ذلك. وأسأله تعالىٰ أن يحقق في حسن ظنكم وظن غيركم من الأحباب، ويغفر لي ما لا تعلمون.

فإن كان في الإمكان أن تمحَّ ما جاء بها من عبارات الإطراء، كان ذلك أحب إلىٰ نفسي وأرضىٰ. وإن كان لا سبيل إلىٰ محو ما كان، فليس لي حيلة بعد إلا أن أقول:

حسبي الله، يا رب أشهد علي وأنت علىٰ كل شيء شهيد، إني أبرأ إليك من كل مدح وإطراء لا استحقه، وإن يكن في شيء مما وصفني به أحد من المدائح، فهو منك وحدك أنت الذي سهلته لي، ومنحتنيه من غير حول لي ولا قوة.

وأرجو من الأخ أن يثبت هذه الكلمة بالرسالة ولابد، حتىٰ لا أكون مصرًّا علىٰ إطراء لا أستحقه وأنا حي أسمع وأرىٰ، والسلام عل من اتبع الهدىٰ.

أخوكم: أبو السمح).

المنار والإصلاح:

تحت هذا العنوان، قال الشيخ:

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح إسلامي لا يجاريها في مضمارها مُجَارٍ، ولا يسبقها في حلبتها سابق، كانت تُعْنَىٰ بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية علىٰ طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فبعد أن تُقَرِّر المعنىٰ تفضِي بما في الآيات من العبر، مقارنةً بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به، وما عليه مسلمو هذا الزمان، مهيبةً بهم، منذرةً لهم، مبينةً ما يحدثه المبتدعون في الدين من البدع، مجليةً شُبه الضلال والملحدين من الأمة بالأدلة الواضحة والحجج الساطعة، وكان صاحبها أستاذنا العلاّمة السيد رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخشىٰ في الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم، ولا يجامل صديقًا، ولا يصانع عدوًّا، ولا يرعىٰ غنيًّا لغناه، ولا فقيرًا لفقره، وكانت خاتمته الحسنىٰ ما علمه الخاص والعام مما انتهي إليه تفسيره ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101] يا لها من خاتمة حسنىٰ! وموقف جميل! لم يكن إلا بتوفيق من الله لعبد رضي الله عنه وتولاه، وأدخله في عباده الصالحين وأوليائه، ولما توفي السيد رَحِمَهُ اللَّهُ قلت وقال الناس معي:

شـعلة أطفئـت وشـمس تـوارت وكـأن الحيـاةِ لمـع سـراب

ووقف المنار، وتوارىٰ عن الظهور وخلا الكرسي، ولم نجد من يملؤه بعده، ولا من يسد مسده ذبًّا عن الإسلام، ودرءًا للشبهات، وبيانًا لحقيقة الإسلام، حتىٰ مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن يهب الإسلام مرشدًا رشيدًا يضيء النهج وليل الجهالات قاتم، وكأن الله سمع دعاءنا، فقيض لمجلة المنار من يبعثها بعثًا جديدًا، مصقعًا إذا خطب، مدرهًا إذا كتب، ذكي الفؤاد، قادرًا علىٰ حمل الأعباء، عالمًا ألمعيًّا وشجاعًا عبقريًّا، ذلك هو الأستاذ المرشد الجليل الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين حفظه الله، فنهنئه بهذا التوفيق، ونهنئ مجلة المنار وقراءها

بتولي حضرته رياسة تحريرها، ونسأل الله له التوفيق والسداد والعون علىٰ القيام بها.

وقد انتدبني حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه، وما كنت لأخالفه، لولا أشغال كثيرة وأعمال متواصلة تستنفذ الوقت كله؛ ولكن لا بد من تلبية الطلب كلما وجدت إلىٰ ذلك سبيلًا بحول الله وقوته - وإن كنت مزجىٰ البضاعة عاجز اليراعة، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسيكون موضوع كتابتي - إن شاء الله - الكتاب والسنة، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

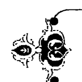
أخوكم أبو السمح [1].

---

(1) المنار 35/ 68.



محمد أحمد عبد السلام الشقيري (1371 هـ)



هو محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري.

• **مولده**: ولد ببلدة بني شقير بمحافظة المنيا عام 1901 م.

• **مؤهلاته الدراسية**: لم يحصل علىٰ أي مؤهل علمي، وبذلك فقد بدأ حياته عاملًا في (شركة السكر بالحوامدية)، ورغم أنه كان يقوم بأشق الأعمال إلا أن ذلك لم يَحُلْ بينه وبين طلب العلم، حتىٰ برز علىٰ كثير ممن أفنوا أعمارهم في معاهد العلم.

• كان من تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا.

• اختير نقيبًا للعمال علىٰ مستوىٰ الجمهورية - المملكة يوم ذاك -، وقد نال العمال علىٰ يديه كثيرًا من حقوقهم، ونال هو كثيرًا من الاضطهاد علىٰ يدي أصحاب الشركة (شركة السكر) بعد أن رفض كل ما أغروه به من المال والمركز نظير التخلي أو التواني في مطالب العمال

• **وفاته**: توفي في 12 جمادىٰ الآخرة سنة 1371 هـ، وقد خرج لتشييع جنازته جميع عمال الشركة مع أنصار السنة المحمدية بالحوامدية والبلاد المجاورة لها. وقد خطب فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي خطبة بليغة في مآثر الفقيد أسالت العبرات، وقد كتبت عنه مجلة (الهدي النبوي) - لسان حال أنصار السُّنة وقتئذ - تقول: «الشيخ محمد عبد السلام هو ممن أفنوا حياتهم علىٰ الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ هدي رسوله في وقت نبذ الجمهرة فيه كتاب الله وراء ظهورهم - إلىٰ أن قالت: - وسار رَحِمَهُ اللَّهُ سيرة المؤمن الواثق بربه المحب لإخوانه والشفوق بهم، فأخذ يرشدهم إلىٰ السُّنة، ويدعوهم إلىٰ الدين الحق،

ويحارب ما تفشىٰ بين العمال - بسبب الجهل - من المخدرات المهلكات، حتىٰ أحسوا جميعًا بما يحمل لهم بين جنبيه من الرغبة الأكيدة في رفع مستواهم فاختاروه رئيسًا لنقابتهم.

• **صلته بالشيخ رشيد رضا**: لما أصدر الشيخ عبد السلام كتاب (السنن والمبتدعات) كتب عنه الشيخ رشيد رضا (بالمجلد 34 جـ 6) من مجلة (المنار الإسلامية) تحت عنوان: (كتاب السنن والمبتدعات ... تأليف الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيري، ومؤسس الجمعية السلفية بالحوامدية، وأما هذه الجمعية فهي ثمار اشتغال رئيسها بكتب الحديث والدعوة إلىٰ الاقتداء بها، وقد جربت مرشدهم وداعيتهم بالنصيحة فألفيته يقبلها مغتبطًا مسرورًا داعيًا لي، ولمَّا رأيته في أول رسالة له ينقل الأحاديث النبوية من غير أن يعزوها إلىٰ مخرجيها، أنكرت عليه ونصحته بالمراجعة وتخريج الأحاديث، فقبل النصيحة ونوه بها).

ويقول الشيخ محمد عبد السلام عن أثر هذه النصيحة بعد أن اشتغل بعلم الحديث: (وكان سبب ذلك انتقاد شيخنا السيد رشيد رضا إمام المفسرين والمحدثين علينا في بعض الأحاديث الواهية في كتابنا المنة، فكان ذلك سببًا في اشتغالنا بعلم الحديث النبوي).

• **صلته بأنصار السنة المحمدية**: كان وثيق الصلة بالشيخ حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية، والذي كان يذهب لزيارته في الحوامدية، كما كانت له علاقة علمية طيبة مع الشيخ أبو الوفاء درويش - مؤسس أنصار السنة المحمدية بسوهاج -، والذي كان يزوره في الحوامدية أيضًا. كما كان له صلة بالشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ محمد علىٰ عبد الرحيم، والشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، وكان من رفقائه في الدعوة في الحوامدية: الأخ الشيخ محمد هيكل - مؤسس أنصار السنة المحمدية

بطوخ طنبشا -، والذي حكىٰ لي الكثير عن جهاد الشيخ محمد عبد السلام، وترجع صحبته له إلىٰ سنة 1940م، ومما يدل علىٰ صلته الطيبة بأنصار السُّنة أنه كان يحضر الندوات والمؤتمرات التي تعقدها الجماعة ويلقىٰ فيها الكلمات ناصحًا وموجهًا ومنتقدًا أحيانًا، كما حدث في المؤتمر الذي عقدته الجماعة في 2 شوال سنة 1357هـ وحضره فضيلة الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، وألقىٰ كلمة طيبة بين فيها لدعاة أنصار السُّنة المحمدية كيف يقومون بالدعوة بالأساليب الصحيحة، كما كان رَحِمَهُ اللهُ يكتب لمجلة (الهدي النبوي)، بل إنه كتب عند ظهور (الهدي النبوي) يقول: «أبشروا أيها المؤمنون بظهور (الهدي النبوي) وتحقيق التوحيد السماوي، وبيان العقائد الثابتة الصحيحة السليمة، والهداية القرآنية، والحقائق الإسلامية، والعبادات المحمدية. ولقد حقق الله أمنيتي - والحمد لله - فأظهر مجلة (الهدي النبوي) علىٰ يد الأستاذ الجليل الداعي إلىٰ السُّنة، والمحارب للبدعة الشيخ محمد حامد الفقي صاحب مجلة (الإصلاح) الحجازية سابقًا، وإنني لأرجو أن يجعل الله هذه المجلة زعيمة المجلات الإسلامية كلها). وعندما أصدر الشيخ محمد بن عبد السلام كتاب (السنن والمبتدعات) كتب الشيخ / محمد حامد الفقي يقرظ الكتاب بقوله: (والأخ الشيخ محمد قد طوف طويلًا وجرىٰ أشواطًا بعيدة، لكنه بحمد الله قد عاد من طويل تطوافه إلىٰ الحق من هدي رسول الله ﷺ، وإلىٰ العافية من مرض القلب والنفس بالشبهات والبدع والخرافات، وإلىٰ شاطئ الأمن والنجاة والسلامة من الأهواء، ووثنية الصوفية، وجهالات العادات، والتقليد الأعمىٰ للشيوخ، فوقف حياته وجهده علىٰ دعوة الناس إلىٰ العافية التي نالها بفضل ربه، فهو واثب الدعوة بلسانه وبين خصومه وإخوانه).

• **رفقاؤه في الحوامدية**: فهم علىٰ سبيل المثال: الشيخ محمد صالح، والشيخ عبد الواحد إدريس، وعبد الرحمن أحمد عبد السلام، وحسن محمد كامل، وعبد

الرحمن محمد كامل، وعبد المنعم حسن، وطه الواصي، والشيخ إبراهيم الخولي.

• **إنتاجه العلمي**: أشهر كتبه (السنن والمبتدعات)، وقد ذكر فيه 960 بدعة في الصلوات والأذكار والصيام والحج، وغير ذلك 130 من الأحاديث الموضوعة والخرافات الفاشية بين الناس. وله أيضًا كتاب (المنحة المحمدية)، ورسالة في القول الجلي، ورسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورسالة في حكم قراءة القرآن علىٰ الأموات، أجزل الله له الثواب. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



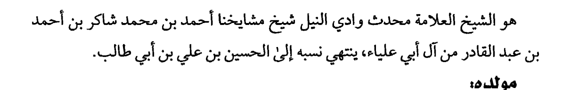




الشيخ العلامة المحدث



أحمد محمد شاكر (1377هـ)[1]



هو الشيخ العلامة محدث وادي النيل شيخ مشايخنا أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من آل أبي علياء، ينتهي نسبه إلىٰ الحسين بن علي بن أبي طالب.

مولده:

ولد بعد فجر يوم الجمعة 29 جمادىٰ الآخرة سنة 1309هـ الموافق 29 من يناير سنة 1892 (وهي نفس السنة التي ولد فيها الشيخ: محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة)، وكان مولده بدرب الإنسية قسم الدرب الأحمر بالقاهرة، وسماه أبوه: (أحمد شمس الأئمة، أبو الأشبال).

والده: هو العلامة الشيخ: محمد شاكر، شغل منصب وكيل الأزهر الشريف، وأبوه وأمه جميعًا من مديرية جرجا - محافظة سوهاج - بصعيد مصر.

لما عين والده الشيخ محمد شاكر قاضيًا بقضاء السودان 1900م أخذه معه وأدخله كلية غورون، فبقي بها حتىٰ عودة والده إلىٰ الإسكندرية سنة 1904م، فالتحق بمعهد الإسكندرية.

وفي سنة 1327هـ الموافق 1909م عين والده الشيخ محمد شاكر وكيلًا لمشيخة الأزهر الشريف، فالتحق الشيخ أحمد شاكر وأخوه عليٌّ بالأزهر، فاتصل بعلماء القاهرة ورجالها وعرف طريق دور الكتب العامة والمكتبات الموجودة في مساجدها.

وقد حضر في ذلك الوقت إلىٰ القاهرة الأستاذ عبد الله بن إدريس السنوسي عالم

(1) الأعلام (1/ 253) مقدمة الرسالة للشافعي (8) ومعجم المؤلفين (13/ 368) ومجلة التوحيد (العدد الرابع ربيع الآخر 1417هـ/ ص48 - 51).

المغرب ومحدثها، فتلقىٰ عنه طائفة كبيرة من «صحيح البخاري»، فأجازه هو وأخاه برواية البخاري. كما أخذ عن الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي كتاب «بلوغ المرام».

كما كان من شيوخه أيضًا الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي - عالم القبائل الملثمة - وتلقىٰ أيضًا عن الشيخ شاكر العراقي فأجازه، وأجاز أخاه عليًّا بجميع كتب السنة.

كما التقىٰ في القاهرة من علماء السنة الشيخ: طاهر الجزائري - عالم سوريا -، والأستاذ محمد رشيد رضا - صاحب المنار -.

حصل علىٰ شهادة العالمية بالأزهر سنة 1917م، فعين مدرسًا بمدرسة ماهر. ثم عين عضوًا بالمحكمة الشرعية العليا، وظل في سلك القضاء حتىٰ أحيل إلىٰ التقاعد سنة 1951م، عمل مشرفًا علىٰ التحرير بمجلة الهدي النبوي. سنة 1370هـ، وكان يكتب بها مقالًا ثابتًا بعنوان: «اصدع بما تؤمر -كلمة الحق»، وقد طبعته دار الكتب السلفية.

❁ مكانته العلمية:

كان والده الشيخ: محمد شاكر هو صاحب الأثر الكبير في توجيه الشيخ أحمد شاكر إلىٰ معرفة كتب الحديث منذ عام 1909م، فلما كانت سنة 1911م اهتم بقراءة «مسند أحمد بن حنبل» رَحِمَهُ اللَّهُ، وظل منذ ذلك التاريخ مشغولًا بدراسته حتىٰ بدأ في طبع «شرحه علىٰ المسند» سنة 1365هـ الموافق 1946م، وقد بذل في تحقيقه أقصىٰ ما يستطيع عالِم من جهد في الضبط والتحقيق والتنظيم، وعاجلته المنية دون أن يتمكن من مراجعته، ولم يقدر أحد أن يكمله علىٰ النمط الذي خطه الشيخ أحمد شاكر، فقد كان المقدر لفهارس «المسند». أن يكون المدار فيها علىٰ مشارب شتىٰ من المعاني التفصيلية التحليلية الدقيقة، ولقد كان الشيخ أحمد شاكر كما يقول عنه المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون: «إمامًا يَعْسر التعريف بفضله كل العُسْر، ويقصر الصنع عن الوفاء له كل الوفاء».

وقال عنه الشيخ محمود محمد شاكر: (وهو أحد الأفذاذ القلائل الذين درسوا الحديث النبوي في زماننا دراسة وافية، قائمة علىٰ الأصول التي اشتهر بها أئمة هذا العلم في القرون الأولىٰ، وكان له اجتهاد عُرف به في جرح الرجال وتعديلهم، أفضىٰ به إلىٰ

مخالفة القدماء والمحدثين، ونصر رأيه بالأدلة البينة، فصار له مذهب معروف بين المشتغلين بهذا العلم على قلتهم».

وكان لمعرفته بالسنة النبوية ودراستها أثر كبير في أحكامه، فقد تولى القضاء في مصر أكثر من ثلاثين سنة، وكان له فيها أحكام مشهورة في القضاء الشرعي، قضى فيها باجتهاده غير مقلد ولا متبع.

۞ تصانيفه العلمية والفقهية:

1 - تحقيق رسالة الشافعي «كتاب الرسالة».

2 - «مسند أحمد بن حنبل»، وقد طبعته دار المعارف ضمن سلسلة «ذخائر العرب».

3 - و تحقق كتاب «الشعر والشعراء لابن قتيبة».

4 - و«لباب الأدب لأسامة بن منقذ».

5 - كتاب «المعرب للجواليقي».

6 - ومن أظهر أعماله وأنفعها: شرحه المستفيض لكتاب الحافظ ابن كثير «اختصار علوم الحديث». في مجلد كبير.

ونجد له في مجال التفسير:

7 - «عمدة التفسير». تهذيبًا لتفسير ابن كثير، وقد أتم منه خمسة أجزاء.

8 - تفسير الطبري

وفي مجال الفقه وأصوله.

9 - «الأحكام» لابن حزم.

10 _ وجزأين من «المحلى» لابن حزم.

11 - «العمدة في الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي.

وإنتاجه في هذا المجال لا يحيط به مقال، أما عن أهم ما ألفه رحمه الله فهو كتاب:

12 _ «نظام الطلاق في الإسلام» دل فيه على اجتهاده وعدم تعصبه لمذهب من المذاهب، وله فيه آراء أثارت ضجة عظيمة بين العلماء، لكنه لم يتراجع ودافع عن رأيه

بالحجة والبرهان، كما طبعت له أخيرًا مكتبة السنة رسالتين هما

13 _ «الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين».

14 _ «كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر».

15 -تحقيق تفسير الإمام معين الدين.

۞ موقفه من المبتدعة:

قال: وعلىٰ النهج القويم سار عليه أئمتها من أهل الحديث سِرت، فيما عرضت له من مسائل الخلاف: لا حجة إلا فيما قال الله أو قال رسوله، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

لا نقلّد ديننا الرجْال، ولا نفرّق بين ما جمعه رسول الله، ولا نجمع ما فرّق بينه، ولا نقول: ما فرّق بين كذا وكذا؟ لأن قول: (ما فرّق بين كذا وكذا؟) فيما فرّق بينه رسول الله - لا يعدو أن يكون جهلًا ممّن قاله، أو ارتيابًا شرًّا من الجهل، وليس فيه إلا طاعة الله باتّباعه.

فقد أمرنا الله باتباع نبيه، وجعل طاعته والرضا بحكمه شرطًا في صحة الإيمان به، فما جاء من سنّته فيما فيه نصّ كتاب، فهو بيان للكتاب؛ بيان لعامّه وخاصّه، وناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك؛ وما سنّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنّه. وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: 52، 53] وقد سنّ رسول الله مع كتاب الله، وسنّ فيما ليس فيه بعينه نصّ كتاب. وكل ما سنّ فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العُنود عن اتباعها معصيتَه التي لم يَعذِر بها خلقًا، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجًا، لما وصفت، وما قال رسول الله. أخبرنا سفيان عن سالم أبو النضر مولىٰ عمر بن عبيد الله سمع عبيد الله بن أبي رافع يحدّث عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا أُلفينّ أحدَكم متّكئًا علىٰ أريكته يأتيه

الأمر من أمري، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه».

وقال الشافعي أيضًا: (فيما وصفتُ من فرض الله علىٰ الناس اتّباع أمر رسول الله دليل علىٰ أن سنة رسول الله إنما قُبلت عن الله، فمن اتّبعها فبكتاب الله تبعها، ولا نجد خبرًا ألزمه الله خلقه نصًّا بيّنًا إلا كتابه ثم سنة نبيه، فإذا كانت السنة كما وصفتُ، لا شبه لها من قول خلقٍ من خلق الله، لم يجز أن ينسخها إلا مثلُها، ولا مثل لها غير سنة رسول الله، لأن الله لم يجعل لآدميّ بعده ما جعل له، بل فرض علىٰ خلقه اتباعه، فألزمهم أمره، فالخلق كلهم له تَبَع، ولا يكون للتابع أن يخالف ما فُرض عليه اتّباعُه، ومن وجب عليه اتباع سنة رسول الله لم يكن له خلافُها، ولم يقم مقام أن ينسخ شيئًا منها).

فلا عذر لأحد يعلم حديثًا صحيحًا أن يُخالفه، لا تقليدًا ولا اجتهادًا، ولا استحسانًا ولا استنباطًا، كما قال الشافعيّ -وهو ناصر الحديث حقًّا-: (لا يجوز لأحد علمه من المسلمين -عندي- أن يتركه إلا ناسيًا أو ساهيًا). وكما قال أيضًا: (وأما أن نخالف حديثًا عن رسول الله ثابتًا عنه، فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله. وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قولٌ يخالفها، لا أنه عَمَد خلافَها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل»[1].

قال: ولقد عُنيتُ بهذا الأمر كما عُني -يعني بعلوم الحديث-، ورأيتُ أن أجلّ خدمة لهذا الكتاب التوسعُ في تحقيق دقائق التعليل، تقريبًا لها في أذهان القارئين، وإرشادًا للمستفيدين، وتسهيلًا للباحثين، وليكون ذلك حافزًا لطلّاب الحديث علىٰ أن يغوصوا في أعماق فنونه، ويستخرجوا منها الدرر الغالية، التي بها يفقهون كتاب الله حقّ فقهه، ويؤدّون أمانة الله حقّ أدائها، حتىٰ يَسْمُوا بذلك إلىٰ الذّروة العليا في العلم والعمل، في الدين والدنيا، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفّقه الله للقول والعمل بما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونوّرت في قلبه

(1) شرح سنن الترمذي (1/ 67 - 70).

الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

وليعلم من يريد أن يعلم: من رجل أسلس للعصبية المذهبية قياده، حتىٰ ملكت عليه رأيه، وغلبته علىٰ أمره، فحادت به عن طريق الهدىٰ؛ أو من رجل قرأ شيئًا من العلم فداخله الغرور، إذ أعجبته نفسه، فتجاوز بها حدّها، وظنّ أن عقله هو العقل الكامل، وأنه (الحكم التي تُرضىٰ حكومته) فذهب يلعب بأحاديث النبيّ، يصحح منها ما وافق هواه وإن كان مكذوبًا موضوعًا، ويُكذّب ما لم يعجبه وإن كان الثابت الصحيح؛ أو من رجل استولىٰ المبشّرون علىٰ عقله وقلبه، فلا يرىٰ إلا بأعينهم، ولا يسمع إلا بآذانهم، ولا يهتدي إلا بهديهم، ولا ينظر إلا علىٰ ضوء نارهم يحسبها نورًا، ثم هو قد سمّاه أبواه باسم إسلاميّ، وقد عُدّ من المسلمين -أو عليهم- في دفاتر المواليد وفي سجلاّت الإحصاء، فيأبىٰ إلا أن يدافع عن هذا الإسلام الذي أُلبسه جنسيّةٌ ولم يعتقده دينًا، فتراه يتأوّل القرآن ليخضعه لما تعلّم من أساتذته، ولا يرضىٰ من الأحاديث حديثًا يخالف آراءهم وقواعدهم، يخشىٰ أن تكون حجتُهم علىٰ الإسلام قائمة!! إذ هو لا يفقه منه شيئًا؛ أو من رجل مثل سابقه، إلا أنه أراح نفسه، فاعتنق ما نفثوه في روحه من دين وعقيدة، ثم هو يأبىٰ أن يعرف الإسلام دينًا أو يعترف به، إلا في بعض شأنه، في التسمي بأسماء المسلمين، وفي شيء من الأنكحة والمواريث ودفن الموتىٰ؛ أو من رجل مسلم علِّم في مدارس منسوبة للمسلمين، فعرف من أنواع العلوم كثيرًا، ولكنه لم يعرف من دينه إلا نزرًا أو قشورًا، ثم خدعته مدنية الإفرنج وعلومهم عن نفسه، فظنهم بلغوا في المدنية الكمال والفضل، وفي نظريات العلوم اليقين والبداهة، ثم استخفّه الغرور، فزعم لنفسه أنه أعرف بهذا الدين وأعلم من علمائه وحفظته وخلصائه، فذهب يضرب في الدين يمينًا وشمالًا، يرجو أن ينقذه من جمود رجال الدين!! وأن يُصفِّيه من أوهام رجال الدين!! أو من رجل كشف عن دخيلة نفسه، وأعلن إلحاده في هذا الدين وعداوته، ممن قال فيهم القائل: (كفروا بالله تقليدًا)؛ أو من رجل ممن ابتُليت بهم الأمة المصرية في هذا العصر، ممن يسمّيهم أخونا

النابغة الأديب الكبير كامل كيلاني (المجدّدينات)[1]. أو من رجل. أو من رجل.

ليعلموا هؤلاء كلهم، وليعلم من شاء من غيرهم: أن المحدِّثين كانوا محدَّثين ملهمين، تحقيقًا لمعجزة سيد المرسلين، حين استنبطوا هذه القواعد المحكمة لنقد رواية الحديث، ومعرفة الصحاح من الزّياف، وأنهم ما كانوا هازلين ولا مخدوعين، وأنهم كانوا جادّين علىٰ هدىٰ وعلىٰ صراط مستقيم، فكانت تلك القواعد التي ارتضوها للتوثّق من صحة الأخبار أحكم القواعد وأدقّها، ولو ذهب الباحث المتثبت يُطبّقها في كل مسألة لا إثبات لها إلا صحة النقل فقط: لآتته ثمرتها الناضجة، ووضعت يده علىٰ الخبر اليقين.

وعلىٰ ضوء هذه القواعد سار علماؤنا المتقدمون في إثبات مفردات اللغة وشواهدها، وفي تحقيق الوقائع التاريخية الخطيرة، ولن تجد من ذلك شيئًا ضعيفًا أو باطلًا إلا ما أبطلته قواعد المحدِّثين، وإلا فيما لم ينل العناية بتطبيقها عليه[1].

- قال في كتابه: «الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين»: «إن الله أرسل محمدًا هاديًا وبشيرًا ونذيرًا، وحاكمًا بين الناس بما أنزله عليه، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله، ودعا الناس إلىٰ طاعته في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، عباداتهم ومعاملتهم، وأنزل عليه شريعة كاملة، لم تَسْمُ إليها شريعة من الشرائع قبلها، ولن يأتي أحد من بعده بخير منها ولا بمثلها. ذلك بأن الله خلق الخلق وهو أعلم بهم، وذلك بأن محمدًا خاتم النبيين.

شرع الله هذه الشريعة الكاملة للناس كافة، وفي كل زمان ومكان، بعموم بعثة الرسول الأمين، وبختم النبوة والرسالة به، فكانت الباقية علىٰ الدهر، ونسخت جميع الشرائع، ولم تكن خاصة بأمة دون أمة، ولا بعصر دون عصر، ولذلك كانت العبادات مفصّلة بجزئيّاتها، لأن العبادة لا تتغير باختلاف الدهور والعصور، وكان ما سواها من شؤون

---

(1) قال بهامشه: هكذا والله سمّاهم هذا الاسم العجيب، وحين سأله سائل عن معنىٰ هذه التسمية، أجاب بجواب أعجب وأبدع: هذا جمع مخنث سالم!! فأقسم له سائله أن العربية في أشدّ الحاجة إلىٰ هذا الجمع في هذا الزمان!

(1) شرح سنن الترمذي (1/ 70 - 73).

الفرد والمجتمع، في المعاملات المدنية، والمسائل السياسية، ونظام الحكومات، والقواعد القضائية، والعقوبات، وما إلىٰ ذلك، قواعدَ كليّة سامية، لم يُنص علىٰ تفاصيل الفروع فيها، إلا علىٰ القليل النادر، في الأمر الخطير، مما لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان.

فقام سلفنا الصالح، المسلمون الأولون، بإبلاغ هذه الشريعة والعمل بها، في أنفسهم وفيما دخل من البلدان في سلطانهم، فنفّذوا أحكامها علىٰ الناس كافة، وفي جميع الأحوال، واجتهدوا في تطبيق قواعدها علىٰ الوقائع والحوادث، واستنبطوا منها الفروع الدقيقة، والقواعد الأصولية والفقهية، بما آتاهم الله من بسطة في العلم، وإخلاص في الدين، حتىٰ تركوا لنا ثروة تشريعية، لا نجد لها مثيلًا في شرائع الأمم، وحتىٰ كان من بعدهم عالة عليهم»[1].

وقال أيضًا: «أيها الناس! إننا جميعًا مسلمون، نحرص علىٰ ديننا، ونزعم أننا لا نبغي به بدلًا، ولكننا نخطئ فهم الدين، ونظن أنه لا يتجاوز ما يُقام فينا من شعائر العبادة، وما يهتف به الوعّاظ والخطباء من الدعوة إلىٰ الأخلاق الفاضلة، ويخيّل إلىٰ كثير منا أنه لا شأن للدين بالمعاملات المدنية، والحقوق الاجتماعية، والعقوبات والتعزير، ولا صلة له بشؤون الحرب، ولا بالسياسة الداخلية والخارجية. كلا، إن الإسلام ليس علىٰ ما يظنون. الإسلام دين وسياسة، وتشريع وحكم وسلطان، وهو لا يرضىٰ من مُتّبعيه إلا أن يأخذوه كله، ويخضعوا لجميع أحكامه، فمن أبىٰ من الرضا ببعض أحكامه فقد أباه كلّه.

اسمعوا كلام الله ثم اختاروا لأنفسكم ما تريدون.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36]، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص9 – 10).

يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: 47 – 51].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 59 – 65].

أيها السادة! هذه آيات الله وأوامره، قد سمعتموها كثيرًا، وقرأتموها كثيرًا. ولست الآن بصدد تفسيرها أو شرحها، فهي آيات محكمة صريحة بيّنة، فيها عبرة لكم وعظة لو تأملتموها، وفكرتم في حالكم من طاعتها أو عصيانها، وفيما يجب عليكم حيالها، وأنتم تحكمون بقوانين لا تمتّ إلىٰ الإسلام بصلة، بل هي تنافيه في كثير من أحكامها وتناقضه، بل لا أكون مغاليًا إذا صرّحت أنها إلىٰ النصرانية الحاضرة أقرب منها إلىٰ الإسلام، ذلك أنها ترجمت ونقلت كما هي عن قوانين وثنية، عُدّلت ثم وُضعت لأمم تنتسب إلىٰ المسيحية، فكانت، وإن لم توضع عندهم وضعًا دينيًّا، أقرب إلىٰ عقائدهم وعاداتهم وعرفهم، وأبعد عنّا في كل هذا. وقد ضُربت علينا هذه القوانين في عصر كان كله ظلمات، وكانت الأمة لا تملك لنفسها شيئًا، وكان علماؤها مستضعفين جامدين.

هذه القوانين كادت تصبغ النفوس كلها بصبغة غير إسلامية، وقد دخلت قواعدها

علىٰ النفوس فأُشربتها، حتىٰ كادت تفتنها عن دينها، وصارت القواعد الإسلامية في كثير من الأمور منكرة مستنكرة، وحتىٰ صار الداعي إلىٰ وضع التشريع علىٰ الأساس الإسلاميّ يجبن ويضعف، أو يخجل فينكمش، مما يُلاقي من هزء وسخرية!! ذلك أنه يدعوهم -في نظرهم- إلىٰ الرجوع القهقرىٰ ثلاثة عشر قرنًا، إلىٰ تشريع يزعمون أنه وُضع لأمة بادية جاهلة!!

لا تظنوا -أيها السادة- أني أذهب فيما أصف مذهب الغلوّ أو الإسراف في القول، فإني جعلتُ هذه الدعوة هِجِّيراي وديدني، وجادلت وحاججت، ورأيت وسمعت، ولو شئت أن أُسمّي لسمّيت لكم أسماء ممن نُجلّ ونحترم، ونعرف لهم فضلًا وذكاءً وعلمًا»[1].

وقال: «إني أرىٰ أن هذه القوانين الأجنبية إليها يرجع أكثر ما نشكو من علل في أخلاقنا، في معاملتنا، في ديننا، في ثقافتنا، في رجولتنا، إلىٰ غير ذلك. وسأقص عليكم بعض المثل من آثارها مما رأىٰ:

كان لها أثر بيّن بارز في التعليم، فقسمت المتعلمين المثقفين منا قسمين، أو جعلتهم معسكرين: فالذين علّموا تعليمًا مدنيًّا، وربّوا تربية أجنبية، يعظمون هذه القوانين وينتصرون لها ولما وضعت من نظم ومبادئ وقواعد، ويرون أنهم أهل العلم والمعرفة والتقدم. وكثير منهم يسرف في العصبية لها، والإنكار لما خالفها من شريعته الإسلامية، حتىٰ ما كان منصوصًا محكمًا قطعيًّا في القرآن، وحتىٰ بديهيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، ويزدري الفريق الآخر ويستضعفهم، واخترعوا له اسمًا اقتبسوه مما رأوا أو سمعوا في أوربة المسيحية، فسمّوهم (رجال الدين) وليس في الإسلام شيء يسمّىٰ (رجال الدين) بل كل مسلم يجب عليه أن يكون رجل الدين والدنيا، ثم عزلوهم عن كل أعمال الحياة وأعمال الدولة، واحتكروا لأنفسهم مناصبها، زعمًا منهم أن (رجال الدين) لا يصلحون لشيء من أعمال الدنيا، أيًّا كان مبلغهم من العلم والثقافة والمعرفة، وحصروا الألوف من العلماء المثقفين فيما سمّوه المناصب الدينية، حتىٰ لا مُتنفّس لهم،

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص13 - 17).

فإن ضجوا أو تذمروا حجّوهم بأنهم رجال الدين، زعموهم رهبانًا، ولا رهبانية في الإسلام[1]».

إلىٰ أن قال: «إن قَسْمَ المتعلمين في الأمة إلىٰ فريقين أو معسكرين مكّن لأقواهما من أن يستأثر بالتشريع والإفتاء، فيحدوَ بالأمة ويعدل بها عن سواء الصراط؛ ذلك أنهم أُفهموا وعُلّموا أن مسائل التشريع ليست من الدين، وظنوا أن الدين الإسلامي كغيره من الأديان، وأنّ تعرّض العلماء والفقهاء لهذه المسائل تعرّض لما لا يعنيهم، وعصبية للاحتفاظ بسلطانهم، شبّهوهم بالقسس في أوربة، وغلبت عليهم مبادئ الثورة الفرنسية في محاربة الكنيسة، فاندفعوا في عصبيتهم ضدّ شريعتهم ودينهم، وأبوا أن يسمعوا قولًا لقائل، أو نصحًا لناصح، وذهبوا يضعون القوانين للمسلمين، علىٰ غرار القوانين التي وضعت لغيرهم، بأنها توافق مبادئ التشريع الحديث!!

وابتُلي فريق منا بهذا التشريع الحديث، فذهبوا يلعبون بدينهم، فيما عرفوا وما لم يعرفوا، فأحلّوا وحرّموا، وأنكروا وأقرّوا، واضطربوا وترددوا، وكثير منهم يؤمن بالإسلام، ويحرص علىٰ التمسك به، ولكنه أخطأ الطريق، بما أُشرب في قلبه من مبادئ التشريع الحديث، واندفع العامة والدهماء وراءهم، يقلدون سادتهم وكبراءهم، ويتّبعون خطواتهم، ومرج أمر الناس واضطربوا، حتىٰ إنهم ليحاولون علاج أمراضهم النفسية والاجتماعية بمبادئ التشريع الحديث، وبين أيديهم كتاب الله ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: 57]، ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ﴾ [فصلت: 44]، ولكن قومنا اكتفوا من القرآن بالتغني به في المآتم والمواسم، وتركوا تدبّر معانيه واتباع هديه، واتخذوا هذا القرآن مهجورًا!!»[2].

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص17 – 18).

(2) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص21 – 23).

۞ موقفه من المشركين:

- التحذير من المستشرقين:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إشادته بطبعات المستشرقين للكتب وأنهم اهتموا بوصف الأصول واختلاف النسخ: «وعن ذلك كانت طبعات المستشرقين نفائسَ تُقتنىٰ وأعلاقًا تُدّخر، وتغالىٰ الناس وتغالينا في اقتنائها، علىٰ علوّ ثمنها، وتعسّر وجود كثير منها علىٰ راغبيه.

ثم غلا قومُنا غلوًّا غير مُستساغ في تمجيد المستشرقين، والإشادة بذكرهم، والاستخذاء لهم، والاحتجاج بكل ما يصدر عنهم من رأي - خطإ أو صواب -، يتقلدونه ويدافعون عنه، ويجعلون قولهم فوق كلّ قول، وكلمتهم عالية علىٰ كلّ كلمة، إذ رأوهم أتقنوا صناعة من الصناعات؛ صناعةَ تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام والعربية الغاية، وأنهم اهتدوا إلىٰ ما لم يهتد إليه أحد من أساطين الإسلام وباحثيه، حتىٰ في الدين: التفسير والحديث والفقه.

وجهلوا أو نسوا، أو علموا وتناسوا أن المستشرقين طلائع المبشّرين، وأن جلّ أبحاثهم في الإسلام وما إليه إنما تصدر عن هوًىٰ وقصد دفين، وأنهم كسابقيهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وإنما يفضلونهم بأنهم يحافظون علىٰ النصوص، ثم هم يحرفونها بالتأويل والاستنباط.

نعم: إن منهم رجالًا أحرار الفكر، لا يقصدون إلىٰ التعصب، ولا يميلون مع الهوىٰ، ولكنهم أخذوا العلم عن غير أهله، وأخذوه من الكتب، وهم يبحثون في لغة غير لغتهم، وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، وعلىٰ أسس غير ثابتة وضعها متقدموهم، ثم لا يزال ما نشؤوا عليه واعتقدوا يغلبهم، ثم ينحرف بهم عن الجادّة، فإذا هم قد ساروا في طريق آخر، غير ما يؤدي إليه حرية الفكر والنظر السليم.

ومعاذ الله أن أبخس أحدًا حقّه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا الخالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني رجل أريد أن أضع الأمور مواضعها، وأن أقرّ الحق في نصابه، وأريد أن أعرف الفضل لصحابه، في حدود ما أسدىٰ إلينا من

فضل، ثم لا أجاوز به حدّه، ولا أعلو به عن مستواه. ولكني رجل أتعصب لديني ولغتي أشدّ العصبية، وأعرف معنىٰ العصبية، وحدّها، وأن ليس معناها العدوان، وأن ليس في الخروج عنها إلا الذلّ والاستسلام، وإنما معناها الاحتفاظ بمآثرنا ومفاخرنا، وحوطها والذود عنها، وإنما معناها أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعرف أنه (ما غُزي قومٌ قطّ في عقر دارهم إلا ذلّوا) وقد -والله- غُزينا في عقر دارنا، وفي نفوسنا، وفي عقائدنا، وفي كل ما يقدّسه الإسلام ويفخر به المسلمون.

وكان قومنا ضعافًا، والضعيف مُغرًىٰ أبدًا بتقليد القوي وتمجيده، فرأوا من أعمال الأجانب ما بهر أبصارهم، فقلدوهم في كل شيء، وعظّموهم في كل شيء، وكادت أن تعصفَ بهم العواصف، لولا فضل الله ورحمته»[1].

قال في رسالته «الشرع واللغة»[2] التي خصّها للرّدّ علىٰ عبد العزيز فهمي باشا وعدائه للعربية -بعد نقله لكلام هذا المفتون-: «وقد بدأ معالي الباشا استدلاله -يعني نقضه ردّ الشيخ محبّ الدين الخطيب عليه- بكلمة منكرة (أن الدين لله، وأما سياسة الإنسان فللإنسان) وما هذه الكلمة إلا تحريف أو تحوير لكلمة ليست إسلامية، وليست عربية، كلمة فيها خنوع وخور واستسلام لاستبداد القياصرة، لا يرضاها مسلم، ولا يرضاها عربيّ.

نعم: إن الدين كله لله، وإن الأمر كله لله. ولكن هذا الرجل والذين يظاهرونه يريدون أن يفهموا الدين علىٰ غير ما يعرف المسلمون، وعلىٰ غير ما أنزل الله في القرآن وعلىٰ لسان الرسول. يريدون أن ينفثوا في روع الأغرار والجاهلين أن الدين هو العقائد والعبادات فقط، وأن ما سواهما من التشريع ليس من أمر الدين، عدوًا منهم وبغيًا، واستكبارًا وعتوًا علىٰ المسلمين، بل جهلًا وعجزًا، ثم استكانة وذلًّا، للسادة الأوربيين (ذوي العقول الجبارة). ثم لا يستحيي أحدهم أن يدعي أنه يفهم الدين، وأن يزعم أنه

(1) شرح سنن الترمذي (1/ 19 - 20).

(2) طبعت مع محاضرته الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدرًا للقوانين.

مكتفٍ بما يسّر الله له من دينه، وأنه موقن بأن لا مزيد عليه عند كائن من كان من المسلمين!!

والأدلة في القرآن وبديهيات الإسلام علىٰ وجوب اتباع ما أنزل الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله، في العقائد والعبادات، وأحكام المعاملات والعقوبات وغيرها، متوافرة متواترة، لا ينكرها مسلم ولا يستطيع، وأظن أن معالي الباشا سمع مرة أو مرات قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: 44]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[المائدة: 49] أيجرؤ معاليه أن يتأول هذه الآيات ونحوها علىٰ أنها في العقائد والعبادات؟ وإن جرؤ علىٰ ذلك، فماذا هو قائل في قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: 47 – 51] أفيجرؤ أن يتأولها أيضًا علىٰ العقائد والعبادة؟ أم هو يلعب بالألفاظ والألباب؟!»[1].

وقال: «ولطالما سمعنا اعتذار المسرفين علىٰ أنفسهم، من يأبون العود بالأمة إلىٰ تشريعها الإسلاميّ، ولطالما جادلناهم، فما رأينا أحدًا منهم أجرأ علىٰ الله وعلىٰ الدين من هذا الباحث العلامة!

ما زعم لنا واحد منهم قطّ (أن الدين لله، وأما سياسة الإنسان فللإنسان) وأن (الحاكم

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص88 – 90).

في الإسلام عليه أن يسوس الناس علىٰ ما يحقق مصالحهم، مؤسسًا عمله علىٰ الحق والعدل، علىٰ أن لا يمسّ العقائد وفرائض العبادات)، لأن معنىٰ هذا الكلام الخروج بالإسلام عن حقيقته، وجعله دين عبادة فقط، وإنكار ما في القرآن والسنة الصحيحة من الأحكام في كل شؤون الإنسان.

والقرآن مملوء بأحكام وقواعد جليلة، في المسائل المدنية والتجارية، وأحكام الحرب والسلم، وأحكام القتال والغنائم والأسرىٰ، وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص.

فمن زعم أنه دين عبادة فقط فقد أنكر كل هذا، وأعظم علىٰ الله الفرية، وظن أن لشخص كائنًا من كان، أو لهيئة كائنة من كانت، أن تنسخ ما أوجب الله من طاعته والعمل بأحكامه، وما قال هذا مسلم قط ولا يقوله، ومن قاله فقد خرج عن الإسلام جملة، ورفضه كلّه، وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم.

إنهم كانوا يدورون حول هذا المعنىٰ ويجمجمون ولا يصرّحون، حتىٰ كشف هذا الرجل عن ذات نفسه، وأخشىٰ أن يكون قد كشف عما كانوا يضمرون.

ولكني لا أحب أن أجزم في شأنهم، فلسنا نأخذ الناس بالظنة، وحسابهم بين يدي الله يوم القيامة[1].

قال - بعد ذكره نماذج لما في القوانين الإفرنجية والنظم الأوربية مما يخالف عقائد المسلمين، وتعطيل لكثير من فروض الدين-: «ولسنا نعىٰ علىٰ هذه القوانين كلّ جزئية فيها، بالضرورة، ففيها فروع في مسائل مفصلة، تدخل تحت القواعد العامة في الكتاب والسنة، ولكنا ننكر المصدر الذي أخذت منه، وهو مصدر لا يجوز لمسلم أن يجعله إمامه في التشريع، وقد أُمر أن يتحاكم إلىٰ الله ورسوله، فالكتاب والسنة وحدهما هما الإمام، نستنبط منهما وفي حدودهما ما يوافق كلّ عصر وكلّ مكان، مسترشدين بالعقل وقواعد العدل، ولكنا نسخط علىٰ الروح الذي يملي هذه القوانين ويوحي بها، روح

---

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص93 - 94).

الإلحاد والتمرد على الإسلام، في كثير من المسائل الخطيرة، والقواعد الأساسية، فلا يبالي واضعوها أن يخرجوا على القرآن، وعلى البديهيّ من قواعد الإسلام، وأن يصبغوها صبغة أوربية، مسيحية أو وثنية، إذا ما أرضوا عنهم أعداءهم، ونالوا ثناءهم، ولم يخرجوا على مبادئ التشريع الحديث!!

وهم – في نظر الشرع– مخطئون إذا ما أصابوا، مجرمون إذا ما أخطأوا. أصابوا عن غير طرق الصواب، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم، بل أعرضوا عنهما ابتغاء مرضاة غير الله، جهلوهما جهلًا عجيبًا، وأخطؤوا عامدين أن يخالفوا ما أمرهم به ربّهم، ساخطين إذا ما دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، والحجة عليهم قول كبيرهم: (إن جهات التشريع عندنا تشتغل في دائرة غير دائرة الدين)!! وإصراره على أنه لو كان قويًا في صحته فلن يجيب إلى الرجوع لسلفنا الصالح في أمر القوانين» [1].

۞ موقفه من الجهمية:

كان هذا الرجل متشبعًا بالعقيدة السلفية زيادة على تضلعه في علم الحديث ويظهر ذلك من تعاليقه وتحريراته، وله مقال جيد نأخذه على سبيل المثال للدلالة على دفاعه عن العقيدة السلفية: جاء في دائرة المعارف الإسلامية في التعليق على مادة: «تأويل»: قال: أصل مادة (تأويل) من المعنى اللغوي: آل يؤول أَوْلًا، «أي: رجع إلى أصله، ثم استعمل في كلام العرب وفي القرآن خاصة بمعنى التفسير أو بشيء قريب من معناه. فالتفسير والتأويل: كشف المراد عن الشيء المشكل، وفرق بعض العلماء بينهما، فكثر استعمال التفسير فيما يتعلق بشرح المفردات والألفاظ، والتأويل: فيما يتعلق بالمعاني والجمل.

واصطلح الفقهاء وغيرهم على معنى آخر للتأويل هو: تفسير الآية أو الحديث بمعنى غير ما يفهم من ظاهر اللفظ. ولذلك يقول العلماء كثيرًا في عباراتهم مثلًا: إن هذا الحديث أو هذه الآية من الصريح الذي لا يحتمل التأويل، أي: لا يحتمل معنى آخر

(1) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين (ص97 – 98).

يخرجه عن المراد الظاهر من لفظه، فالمعنىٰ الظاهر لا يخرج عن المفسر والمؤول إلا بدليل أو قرينة، لأنه يكون شبيهًا بالمعنىٰ المجازي. وقد ورد لفظ التأويل في آيات من القرآن علىٰ المعنىٰ اللغوي الأصلي، ولكن بعض العلماء والمفسرين ظنها مما يدخل في التأويل الاصطلاحي، فنشأ عن ذلك اختلاف واضطراب في آرائهم، والحق أن ذلك علىٰ المعنىٰ اللغوي الواضح. ففي لسان العرب: «وأما قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: 53] فقال أبو إسحاق: معناه، هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث. قال: وهذا التأويل هو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 7] أي: لا يعلم متىٰ يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به؛ أي: آمنا بالبعث. والله أعلم، قال ابن منظور: وهذا حسن[1].

وأقول: بل هو الصواب الذي لا يفهم من القرآن غيره، ثم دخل علىٰ المسلمين ناس اتبعوا المتشابه في مثل هذا، وأكثروا من القول في القرآن بغير علم، حتىٰ ادعوا أن له ظاهرا وباطنا، وأن الباطن لا يعلمه هؤلاء إلا بشيء يزعمونه نحو:

«الإلهام» وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن، ولم يعرفوا شيئًا من السنة، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم من حب الإغراب أو من آراء تنافي الإسلام، فأرادوا أن يلصقوها به، وعن ذلك نشأت تأويلات الصوفية وغيرهم ممن أشار إليهم كاتب المادة. وهذه التأويلات لا تمت إلىٰ الإسلام بصلة وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية ويذكرون في تاريخ الإسلام، وتذكر أقوالهم وآراؤهم مع آراء علماء الإسلام. والإسلام دين واضح سهل لا رموز فيه ولا ألغاز، ورسول الله ﷺ قد ترك المسلمين علىٰ المحجة الواضحة ليلها كنهارها، فكل من حاد عن هذه السبيل فإنما أعرض عن الصراط المستقيم وتفرقت به السبل، حتىٰ خرج بعضهم عن كل طريق من طرق الإسلام، أو من الطرق التي تشبه أن تتصل بالإسلام، ممن وصفهم كاتب المادة بقوله: بل صارت أحكام

(1) لسان العرب (13/ 25).

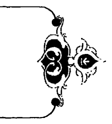
القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الاتباع. ومن ذهب هذا المذهب أو قريبًا منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ولا أن ينسب قوله إلىٰ أقوال أهل الإسلام[1].

۞ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في السادسة بعد فجر يوم السبت الموافق 26 من ذي القعدة سنة 1377هـ، الموافق 14 من يونيه سنة 1958م.

۞۞۞

(1) دائرة المعارف الإسلامية (9/ 162 - 163).

الشيخ العلامة
محمد حامد الفقي (1378 هـ)[1]

هو الشيخ العلامة إمام التوحيد - كما لقبه بذلك العلامة عبدالرحمن الوكيل - محمد حامد الفقي الأزهري، وقد ولد الشيخ بقرية نكلا العنب في سنة 1310هـ الموافق 1892م بمركز شَبَراخيت مديرية البحيرة. نشأ في كنف والدين كريمين فوالده الشيخ أحمد عبده الفقي تلقىٰ تعليمه بالأزهر، ولكنه لم يكمله لظروف اضطرته لذلك. أما والدته فقد كانت تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابة، وبين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرن وسنّه وقتذاك اثني عشر عامًا. ولقد كان والده أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معاني الكلمات الغريبة ويعلمه مبادئ الفقه حتىٰ إذا أتَّم حفظ القرآن كان ملمًا إلمامًا خفيفًا بعلومه ومهيأً في الوقت ذاته لتلقي العلوم بالأزهر علىٰ الطريقة التي كانت متبعة وقتذاك.

❁ طلبه العلم:

كان والده قد قسم أولاده الكبار علىٰ المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهبًا، فجعل الابن الأكبر مالكيًا، وجعل الثاني حنفيًا، وجعل الثالث شافعيًا، وجعل الرابع وهو الشيخ محمد حامد الفقي حنبليًا.

ودرس كل من الأبناء الثلاثة ما قد حُدد من قبل الوالد ما عدا الابن الرابع فلم يوفق لدراسة ما حدده أبوه فقُبل بالأزهر حنفيًا.

---

(1) مجلة التوحيد (العدد الثالث ربيع الأول 1416هـ). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. موقع الجماعة علىٰ الشبكة العنكبوتية. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية 9/ 389 -407.

بدأ محمد حامد الفقي دراسته بالأزهر في عام 1322هـ - 1904م، وكان الطلبة الصغار وقتذاك يبدؤون دراستهم في الأزهر بعلمين هما: علم الفقه، وعلم النحو، وكانت الدراسة المقررة كتابًا لا سنوات، فيبدأ الطالب الحنفي في الفقه بدراسة مراقي الفلاح. ويبدأ في النحو بكتاب الكفراوي وهذان الكتابان هما السنة الأولىٰ الدراسية، ولا ينتقل منها الطالب حتىٰ يتقن فهم الكتابين.

كان آخر كتاب في النحو هو الأشموني، أما الفقه، فحسب المذاهب، ففي الحنابلة الدليل، وعند الشافعية التحرير، وعند الحنفية الهداية وعند المالكية الخرشي، أما بقية العلوم الأخرىٰ كالمنطق وعلم الكلام والبلاغة وأصول الفقه، فكان الطالب لا يبدأ في شيء منها إلا بعد ثلاث سنوات.

بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته في النحو بكتاب الكفراوي وفي الفقه بكتاب مراقي الفلاح وفي سنته الثانية درس كتابي الشيخ خالد في النحو، وكتاب منلا مسكين في الفقه، ثم بدأ في العلوم الإضافية بالسنة الثالثة، فدرس علم المنطق وفي الرابعة درس علم التوحيد ثم درس في الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف، وفي السادسة درس علوم البلاغة، وفي هذه السنة وهي سنة 1910م بدأ دراسة الحديث والتفسير، وكانت سنه وقتذاك ثمانية عشر عامًا فتفتح بصره وبصيرته بهدي رسول الله ﷺ وتمسك بسنته لفظًا وروحًا.

❀ بدايات دعوة الشيخ لنشر السنة الصحيحة:

لما أمعن الشيخ في دراسة الحديث علىٰ الوجه الصحيح، ومطالعة كتب السلف الصالح والأئمة الكبار أمثال ابن تيمية وابن القيم. وابن حجر والإمام أحمد بن حنبل والشاطبي وغيرهم، فدعا إلىٰ التمسك بسنة الرسول الصحيحة والبعد عن البدع ومحدثات الأمور، وأن ما حدث لأمة الإسلام بسبب بعدها عن السنة الصحيحة وانتشار البدع والخرافات والمخالفات.

فالتفَّ حوله نفر من إخوانه وزملائه وأحبابه واتخذوه شيخًا لهم، وكان سنه عندها

ثمانية عشرة عامًا سنة 1910م بعد أن أمضىٰ ست سنوات من دراسته بالأزهر، وهذا دلالة علىٰ نبوغ الشيخ المبكر.

وظل يدعو بحماسة من عام 1910م حتىٰ أنه قبل أن يتخرج في الأزهر الشريف عام 1917م دعا زملائه أن يشاركوه ويساعدوه في نشر الدعوة للسنة الصحيحة والتحذير من البدع.

ولكنهم أجابوه: بأن الأمر صعب وأن الناس سوف يرفضون ذلك فأجابهم: إنها دعوة السنة والحق والله ناصرها لا محالة، فلم يجيبوه بشيء. فأخذ علىٰ عاتقه نشر الدعوة وحده، والله معه فتخرج عام 1917، بعد أن نال الشهادة العالمية من الأزهر وهو مستمر في الدعوة وكان عمره عندها 25 سنة.

ثم انقطع منذ تخرجه إلىٰ خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وحدثت ثورة 1919م وكان له موقف فيها بأن خروج الاحتلال لا يكون بالمظاهرات التي تخرج فيها النساء متبرجات والرجال، ولا تحرر فيها عقيدة الولاء والبراء لله ولرسوله، ولكنه بالرجوع لسنة الرسول ﷺ وترك ونبذ البدع وإنكاره لمبادئ الثورة: الدين لله والوطن للجميع، وأن خلع حجاب المرأة من التخلف وانتهت الثورة وظل علىٰ موقفه هذا.

❁ تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية:

وظل بعد ذلك يدعو عدة أعوام حتىٰ تهيئت الظروف وكانت ثمرة هذا المجهود هو إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي ثمرة سنوات الدعوة من 1910م إلىٰ 1926م عام اشهارها تقريبًا، واتخذ لها دارًا بعابدين، ولقد حاول كبار موظفي قصر عابدين بكل السبل صد الناس عن مقابلته والاستماع إليه، حتىٰ سخَّرُوا له من شرع في قتله ولكن صرخة الحق أصمَّت آذانهم، وكلمة الله فلَّت جموعهم، وانتصر الإيمان الحق علىٰ البدع والأباطيل.

۞ تأسيس مجلة الهدي النبوي:

بعد أن أسس الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جماعة أنصار السنة المحمدية وبعد أن يسر الله له قراءة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم واستوعب ما فيها ووجد فيها ضالته، وفي 1356هـ - مارس 1936م صدر العدد الأول من مجلة الهدي لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها، وقد تولىٰ رئاسة تحريرها فكان من كتاب المجلة علىٰ سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، (إمام الحرم المكي)، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ صادق عرنوس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، كما كان من كتابها الشيخ محمود شلتوت.

۞ أغراض المجلة:

وقد حدد الشيخ أغراض المجلة فقال في أول عدد صدر فيها:

«وإن من أول أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشئون الدينية والأخلاقية، أخذت علىٰ نفسها موثقًا من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحرىٰ الحق، وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالىٰ وحديث رسوله ﷺ».اهـ.

۞ جهاده:

يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «لقد ظل إمام التوحيد في العالم الإسلامي والدنا الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من أربعين عامًا مجاهدًا في سبيل الله، ظل يجالد قوىٰ الشر الباغية في صبر، مارس الغلب علىٰ الخطوب، واعتاد النصر علىٰ الأحداث، وإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به، إذ كان الخوف من الله آخذًا بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدهن في

القول ولا يُداجي ولا يبالي ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمي المجاملة نفاقًا ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق ذلًّا وجبنًا».

عاش رَحِمَهُ اللَّهُ للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبورًا جلدًا علىٰ الأحداث، نكب في اثنين من أبنائه الثلاث فما رأىٰ الناس معه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم لله قلبه كله.

ويقول الشيخ أبو الوفاء درويش: «كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ويستخرج منها درر المعاني، ويشبعها بحثًا وفهمًا واستنباطًا، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة.

ولا يترك كلمة لقائل بعده. بعد أن يحيط القارئ أو السامع علمًا بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم والعلم أكمل وأشمل».

قلت: لقد كانت آخر آية فسرها قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: 11].

وقد فسرها رَحِمَهُ اللَّهُ في عدد 6 و7 لسنة 1378هـ في حوالي 22 صفحة.

۞ إنتاجه العلمي:

إن المكتبة العربية لتعتز بما زودها به من كتب قيمة مما أَلَّف ومما نشر ومما صحَّح ومما راجع ومما علق وشرح من كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وكما كان الشيخ محبًّا لابن تيمية وابن القيم فقد جمعت تلك المحبة لهذين الإمامين الجليلين بينه وبين الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، وكذلك جمعت بينه وبينه الشيخ شلتوت الذي جاهر بمثل ما جاهر به الشيخ حامد.

ومن جهوده كذلك قيامه بتحقيق العديد من الكتب القيمة نذكر منها ما يأتي:

1 ـ «اقتضاء الصراط المستقيم».

2 ـ مجموعة رسائل.

3 ـ القواعد النورانية الفقهية.

4 ـ المسائل الماردينية.

5 ـ المنتقىٰ من أخبار المصطفىٰ.

6 ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول حققه بالاشتراك مع محمد محيي الدين عبد الحميد.

7 ـ نفائس تشمل أربع رسائل منها الرسالة التدمرية.

8 ـ والحموية الكبرىٰ.

وهذه الكتب جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن كتب الشيخ ابن القيم التي قام بتحقيقها نذكر:

9 ـ إغاثة اللهفان.

10 ـ المنار المنيف.

11 ـ مدارج السالكين.

12 ـ رسالة في أحكام الغناء.

13 ـ التفسير القيم.

14 ـ رسالة في أمراض القلوب.

15 ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

كما حقق كتب أخرىٰ لمؤلفين آخرين من هذه الكتب:

16 ـ فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل شيخ.

17 ـ بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني.

18 ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول . لابن الأثير.

19ـ الاختيارات الفقهية من فتاوىٰ ابن تيمية لعلي بن محمد بن عباس الدمشقي.

20ـ الأموال لأبن سلام الهروي.

21ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف علىٰ مذهب الإمام المبجل أحمد بن

حنبل لعلاء الدين بن الحسن المرادي.

22- جواهر العقود ومعين القضاة.

23- والموقعين والشهود للسيوطي.

24- رد الإمام عثمان بن سعيد علىٰ بشر المريسي العنيد.

25- شرح الكوكب المنير.

26- اختصار ابن النجار.

27- الشريعة للآجري.

28- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي.

29- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية لابن اللحام.

30- مختصر سنن أبي داود للمنذري حققه بالاشتراك مع أحمد شاكر.

31- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لحسن بن مهدي.

32- تيسير الوصول إلىٰ جامع الأصول لابن الربيع الشيباني.

33- العقود؛ (لشيخ الإسلام) تحقيق بمشاركة: الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ مصير هذا التراث:

هذا قليل من كثير مما قام به الشيخ محمد حامد الفقي في مجال التحقيق وخدمة التراث الإسلامي وهذا التراث الذي تركه الشيخ إذ أن جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت قد جمعت كل هذا التراث.

وقد جاء في نشرتها (أخبار التراث الإسلامي) العدد الرابع عشر 1408هـ 1988م أنها اشترت خزانة الشيخ محمد حامد الفقي كاملةً مخطوطتها ومصورتها وكتبها وكتيباتها وقد أحصيت تلك المحتويات علىٰ النحو التالي:

1 - 2000 كتاب.

2 – 70 مخطوطة أصلية.

3 – مائة مخطوطة مصورة علىٰ ورق.

۞ عقيدته:

يقول حماد الأنصاري: أما عن حياة حامد الفقي: فعندما اجتمعتُ معه عام 1367هـ جئتُهُ وهو يُدرِّسُ «تفسير ابن كثير». عند: (باب علي بالمسجد الحرام)، وعندما سَمِعْتُهُ، قلت: هذا هو ضالّتي، فكان يأخذ آيات التوحيد ويسلّط عليها الأضواء، وسمعتُهُ من بعيد، فجلست في حلقَتِهِ، وكانت أولُ حلقة أجلسُ فيها بالحرم وأنا شاب صغير، وكان عُمري لا يتعدّىٰ الثانية والعشرين، وسمعت الدرس، وكان الدرسُ في تفسير آيات التوحيد، وبعدما انتهي الدرس وصلينا العشاء جاءنا شخصٌ سوري لا أتذكّر اسمَهُ الآن وقال للشيخ: أنا أرىٰ أن تشربوا القهوة عندي. فقال لهُ الشيخ: ومن معي؟ قال لهُ الرجل: أحضر من شئت. وكانت هذه أول مرة أرىٰ فيها الشيخ، علىٰ الرغم أنني سمعت عنه كثيرًا، لأن شيخي وهو الشيخ محمد عبد الله المدني التنبكتي كان تلميذًا للشيخ حامد الفقي، وذهبنا إلىٰ بيت الأخ السوري، وعندما وصلنا إلىٰ البيت وجلسنا قال لنا: أنا أريد أن أسلم لكم سيوفًا من الخشب، وسلم الأخ السوري كل واحدٍ سيوفًا من الخشب، وقال لنا: تعالوا نتسايف أولًا، وبعد ذلك نشرب القهوة حتىٰ نطبق النونين اللتين تركز عليهما الإسلام، وأخذ كلُّ واحدٍ منَّا سيفَهُ، وأَخَذَ مع صاحبه يتجاولان، حتىٰ انتهينا من المجاولة جلسنا وشربنا القهوة.

وقلت للشيخ حامد الفقي: يا شيخ أنا عندي سؤال؟ فقال: ما هو سؤالك يا ولدي؟

فقلتُ لهُ: كيفَ صرتَ موحدًا وأنت درست في الأزهر؟ (وأنا أريدُ أن استفيد والناس يسمعون) فقال الشيخ: والله إن سؤالك وجيه. قال: أنا درست في جامعة الأزهر، ودرست عقيدة المتكلمين التي يدرِّسونَها، وأخذت شهادة الليسانس وذهبت إلىٰ بلدي لكي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررتُ علىٰ فلَّاح يفلح الأرض، ولما وصلت عندَه قال: يا ولدي اجلس علىٰ الدكّة – وكان عندهُ دكة إذا انتهي من العمل يجلس عليها –

وجلستُ علىٰ الدكة وهو يشتغل، ووجدت بجانبي علىٰ طرفِ الدكة كتاب، فأخذت الكتاب ونظرت إليه فإذا هو كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم؛ فأخذت الكتاب أتسلىٰ به، ولما رآني أخذت الكتاب وبدأت أقرأ فيه تأخر عني حتىٰ قدّر من الوقت الذي آخذ فيه فكرة عن الكتاب، وبعد فترة من الوقت وهو يعمل في حقلِهِ وأنا أقرأ في الكتاب جاء الفلَّاح وقال: السلام عليكم يا ولدي، كيف حالك؟ ومن أين جئت؟ فأجبتهُ عن سؤالِهِ.

فقال لي: والله أنت شاطر، لأنك تدرجت في طلبِ العلم حتىٰ توصلت إلىٰ هذه المرحلة؛ ولكن يا ولدي أنا عندي وصية. فقلتُ: ما هي؟

قال الفلَّاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا في أوروبا في أمريكا، في أيِّ مكان. ولكنها ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولًا! قلتُ: ما هو؟!

قال: ما علمتك التوحيد!

قُلتُ لهُ: التوحيد!!

قال الفلَّاح: توحيد السلف.

قلتُ لهُ: وما هو توحيد السلف؟!!

قال: انظر كيف عرف الفلَّاح الذي أمامَك توحيد السلف. هذه هي الكتب: كتاب «السنة» للإمام أحمد الكبير، وكتاب «السنة» للإمام أحمد الصغير، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، وكتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري، وكتاب «اعتقاد أهل السنة» للحافظ اللالكائي، وعدَّ لي كثيرًا من كتب التوحيد. وذكر الفلَّاح كتب التوحيد للمتأخرين. وبعد ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيِّم.

وقال لي: أنا أدلك علىٰ هذه الكتب إذا وصلت إلىٰ قريتك ورأوك وفرحوا بنجاحك، لا تتأخر ارجع رأسًا إلىٰ القاهرة فإذا وصلت القاهرة أدخل دار الكتب المصرية ستجد كل هذه الكتب التي ذكرتُها كلها فيها ولكنها مكدّسٌ عليها الغبار وأنا أريدك تنفض ما عليها من الغبار وتنشرها.

وكانت تلك الكلمات من الفلَّاح البسيط الفقيه قد أخذت طريقَها إلىٰ قلبِ الشيخ حامد الفقي لأنها جاءت من مُخْلِص.

استوقفت الشيخ وسألتُهُ: كيف عرف الفلَّاح كل ذلك؟!

قال الشيخ حامد: لقد عرفَهُ من أُستاذِهِ (الرمَّال)، هل تسمعون بـالرمال؟

قلتُ لهُ: أنا لا أعرف الرمَّال هذا، ما هي قصتُهُ؟

قال: الرمَّال كان يفتش عن كتب سلفه، ولما وجد ما وجد منها بدأ بجمع العمال والكنّاسين، وقام يُدرّس لهم، وكان لا يُسمح لهُ أن يُدرسَ علانيـة، وكان من جُملَتِهم هذا الفلَّاح، وهذا الفلَّاح يصلح أن يكون إمامًا من الأئمة، ولكنهُ هناك في الفلاحة فمن الذي يصلح أن يتعلم؟! ولكن ما زال الخيرُ موجودًا في كُلّ بلدٍ حتىٰ تقوم الساعة.

ولما رجعتُ إلىٰ قريتي في مصر، وذهبتُ إلىٰ القاهرة، ووقفت علىٰ الكتب التي ذكرها لي الفلَّاح كلها ما عـدا كتاب واحد ما وقفت عليه إلاّ بعد فترة كبيرة.

وبعد ذلك انتهينا من الجلسةِ وذهب الشيخ حامد الفقي. وكان يأتي إلىٰ السعودية ونستقبلهُ ضمن البعثة المصرية أيّام الملك فاروق كل عام، وكانت هذه القصة هي إجابة للسؤال الذي سألتُهُ للشيخ حامد في مجلس الرجل السوري.

۞ موقفه من حزب الإخوان المسلمين وأوجه الاختلاف بينه وبينها:

كان الشيخ منذ بدايته يعلم أن حزب الإخوان المسلمين ليس حزبًا يدعو للحق ولا ينير طريق، فلا علم يتصفون به، فضلًا عن أن يكونوا مؤهلين له، ولا عقيدة يتبنونها ويتقنونها فضلًا عن أن يعتقدوها، بل كانت حزبًا سياسيًّا له مطامع بالسلطة والنفوذ والمال، ويفعلون من أجل تحقيق مطامعهم والوصول إليها أي شيء فكثرت في البلاد اغتيالاتهم، وكان يطلق عليهم «الخُوَّان المسلمين»، [كما شهد بذلك محدث العصر الإمام المجدد محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالىٰ، عندما قابله في حج عام 1367 قبل اغتيال حسن البنا بسنة واحدة، علىٰ الرغم من أنه أنكر عليه شدته في القول، ولم ينكر عليه مخالفته لهم والتي استمر عليها الشيخان حتىٰ لقيا ربهما].

أما جماعة الشيخ - جماعة أنصار السنة المحمدية - فقد كانت تدعو للحق وتُعلِّم الناس دينهم، وتنور طريقهم، بعملٍ دؤوب لا يشوبه بحث عن مصالح دنيوية أو مكاسب سلطوية، ولا جرائم ولا اغتيالات ولم يتعرضوا لحاكم البلاد ولم يشقوا عصا الطاعة ولم يفرقوا جماعة المسلمين.

فنستطيع أن نشبه حزب الإخوان المسلمين بأنها حزب سياسي يريد الوصول للحكم ويتخذ من الدين سلمًا يتسلّق عليه.

ونستطيع أن نشبه جماعة أنصار السنة المحمدية بأنها مدرسة أو جامعة مهمتها التعليم والدعوة والنصح.

❁ موقفه من المبتدعة:

كان هذا الإمام شوكة في حلق المبتدعة في زمنه. ونفع الله به نفعًا عظيمًا. وأخرج كثيرًا من كتب السلف وزينها بتعاليقه الجيدة، وهي وإن كانت مختصرة، لكنها مفيدة.

منها ما جاء في هامش «اقتضاء الصراط المستقيم»:

قال: «وكذلك المقلدون علىٰ عمىٰ، قد أطاعوا من قلدوهم في أخطائهم، وردوا بها صريح نصوص الكتاب والسنة، زاعمين أنها لم يأخذ بها معظمهم»[1].

وقال: «**الجاهلية**: هي الحالة الناشئة عن الجهل والإعراض عن أسباب العلم التي أقامها الله في آياته الكونية في الأنفس والآفاق وفي النعم المتتالية؛ فهذه الحالة الجاهلية ملازمة للإعراض عن الفهم والتفقه لما أنزل الله في كتبه وأرسل به رسله، وللإعراض عن التدبر والتأمل لسنن الله الكونية، وآياته العلمية. وهذه حال يعمد الشيطان إلىٰ إركاس الناس فيها بصرفهم عن الحق والهدي الذي جاءهم به رسل الله. وقد أركس الشيطان الناس اليوم فيها بالتقليد الأعمىٰ وتعطيل عقولهم وأفهامهم، وحرمانهم من تدبر سنن الله وآياته، ومن الفقه في كتاب الله وسنة رسوله، فغلب عليهم العقائد الزائغة، والأخلاق الفاسدة، وانعكست بهم الأحوال، فغلبت النساء بسفههن الرجال، ونفقت سوق الشرك

---

(1) هامش اقتضاء الصراط المستقيم (9).

والبدع والخرافات، والفسوق والعصيان، وتحاكموا إلىٰ الطواغيت، وتقطعت الصلات، وتباغضت القلوب، وتعاونوا علىٰ الإثم والعدوان، وأصبحوا شيعًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، وضل سعيهم في كل شئون الحياة الدنيا. وعلىٰ الجملة: أصبحوا في حياة لا ينبغي أن تنسب إلا إلىٰ الجهل والسفه والغي، والإسلام دين الحكمة والرشد والفطرة السليمة، ودين العزة والقوة: بريئ منها كل البراءة»[1].

وقال: «لا يمكن أن تكون بدعة إلا ولها سلف وقدوة خبيثة من دين الكافرين وخبث أعمالهم التي أوحاها إليهم شياطين الإنس والجن»[2].

وقال: «والذي أعتقده -والله الموفق- هو أن شرع الإسلام بعقائده وعباداته وشرائعه شرع تام بما أتمه الله غير محتاج إلىٰ غيره ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: 3] بل جعله الله مهيمنًا علىٰ غيره. بحيث يجب علىٰ المؤمن أن لا يرجع إلىٰ غيره، ولو أنه عرض له في حياته أمر؛ أي أمر، فيجب أن يرده إلىٰ الله ورسوله، فهو الشريعة التي حفظ الله أصولها ونصوصها، بحيث لا يتطرق شك ولا ريبة إلىٰ أي أصل من أصولها، ولا نص من نصوصها، وهي الشريعة التي ارتضاها الله ربنا سبحانه -وهو العليم الحكيم الرحيم- لعباده من كل بني آدم من وقت نزولها إلىٰ آخر الدهر، واختزن ربنا في طوايا نصوصها ما فيه الهدىٰ والرحمة، والرشد والحكمة، والشفاء لما في صدور جميع الناس، من كل داء ومرض من أمراض الشبهات والشهوات في الفرد والأسرة والحكومة والمجتمع»[3].

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عقب كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء: «وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارىٰ في ميلاد عيسىٰ عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له، والله قد يثيبهم علىٰ هذه المحبة والاجتهاد لا علىٰ البدع: من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا».

---

(1) هامش اقتضاء الصراط (79).

(2) هامش اقتضاء الصراط (116).

(3) هامش اقتضاء الصراط (170).

قلت: «كيف يكون لهم ثواب علىٰ هذا وهم مخالفون لهدي رسول الله ﷺ ولهدي أصحابه؟! فإن قيل: لأنهم اجتهدوا فأخطأوا، فنقول: أي اجتهاد في هذا؟ وهل تركت نصوص العبادات مجالًا للاجتهاد؟! والأمر فيه واضح كل الوضوح، وما هو إلا غلبة الجاهلية وتحكم الأهواء، حملت الناس علىٰ الإعراض عن هدي رسول الله ﷺ إلىٰ دين اليهود والنصارىٰ والوثنيين، فعليهم ما يستحقونه من لعنة الله وغضبه.

وهل تكون محبة وتعظيم رسول الله ﷺ بالإعراض عن هديه وكرهه وكراهية ما جاء به من الحق لصلاح الناس من عند ربه، والمسارعة إلىٰ الوثنية واليهودية والنصرانية؟ ومن هم أولئك الذين أحيوا تلك الأعياد الوثنية؟ هل هم مالك أو الشافعي أو أحمد أو أبو حنيفة أو السفيانان أو غيرهم من أئمة الهدىٰ ﷺ؟ حتىٰ يعتذر لهم ولأخطائهم، كلا، بل ما أحدث هذه الأعياد الشركية إلا العبيديون الذين أجمعت الأمة علىٰ زندقتهم، وأنهم كانوا أكفر من اليهود والنصارىٰ، وأنهم كانوا وبالًا علىٰ المسلمين، وعلىٰ أيديهم وبدسائسهم وما نفثوا في الأمة من سموم الصوفية الخبيثة انحرف المسلمون عن الصراط المستقيم، حتىٰ كانوا مع المغضوب عليهم والضالين؟ وكلام شيخ الإسلام نفسه يدل علىٰ خلاف ما يقول من إثابتهم، لأن حب الرسول وتعظيمه الواجب علىٰ كل مسلم: إنما هو باتباع ما جاء به من عند الله. كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 60 -65]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: 47 – 52]»اهـ[1].

❁ وله كلام جيد على بدعة قراءة القرآن على الموتى:

جاء في «اقتضاء الصراط المستقيم»: «والوقوف التي وقفها الناس علىٰ القراءة عند قبورهم فيها من الفائدة: أنها تعين علىٰ حفظ القرآن، وأنها رزق لحفاظ القرآن، وباعثة لهم علىٰ حفظه ودرسه وملازمته، وإن قدر أن القارئ لا يثاب علىٰ قراءته، فهو مما يحفظ به الدين، كما يحفظ بقراءة الكافر وجهاد الفاجر. وقد قال ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2] .

قال حامد الفقي عقب هذا القول: «لقد كان هذا من أقوىٰ أسباب إماتة القرآن فقهًا وعلمًا وعملًا وإن حفظوه حروفًا وألفاظًا، لأنهم يحترفون قراءته للموتىٰ، علىٰ مثال كهنة قدماء المصريين الوثنيين، وبذلك هان القرآن ونزل من نفوس القادة والرؤساء، بل والعامة، حتىٰ أصبح أقل منزلة في نفوسهم من قول الشيوخ وآرائهم، وعادات الآباء وتقاليدهم، وحتىٰ أصبح في زمننا هذا أقل من قوانين الفرنجة وضلالهم، ولم يبق له في العقائد والعبادات والأخلاق والأدب والأحكام والدولة والأسرة أي أثر ولا قيمة، كل ذلك من آثار امتهانه للموتىٰ والمقابر وللحجب والتمائم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهل كان السلف يستعينون علىٰ حفظ القرآن بهذا؟ أو هل أثر عن أحد من الخلفاء

(1) هامش اقتضاء الصراط (294 – 295 دار الكتب العلمية).

(2) أخرجه أحمد (2/ 309) والبخاري (6/ 220 – 221/ 3062) ومسلم (1/ 105 – 106/ 111).

الراشدين قراءة القرآن على المقابر؟ ولكن هي السنن، حين تتحكم الأهواء، فيلتمس الناس لجعلها دينًا أي دليل، ولو كان أوهي من بيت العنكبوت[1].

❁ موقفه من المشركين:

ففي هامشه على «فتح المجيد»:

قال رَحِمَهُ اللهُ عقب قول الشارح: «فإنهم أحبوهم مع الله، وإن كانوا يحبون الله تعالىٰ»: «هم في الواقع ما أحبوا الله حقيقة، لأن حب الله لا يكون إلا عن معرفة بالله، بأسمائه وصفاته، ومن أحب الله على الحقيقة لا يمكن أن يتخذ من دونه نِدًّا. وليس معنىٰ (كحب الله) أي كحبهم لله. ولكن معناها والله أعلم: يحبونهم حُبًّا من جنس الحب الذي لا يكون إلا لله. وهو حب العبادة: غاية الحب في غاية الذل والتعظيم. فهذا هو الحب الذي ينشأ عنه الدعاء واللجأ والضراعة وطلب تفريج الكروب ونحوها مما يجرده المؤمنون لله وحده وهم أشد حُبًّا لله. والمشركون يجردونه لأوليائهم أو يشركونهم مع الله، ولا يرجون لله وقارًا»[2].

وقال: «الظاهر أن المعنىٰ: أنهم يحبون أندادهم من جنس حب الله الذي هو حب التعظيم والذل والخضوع. لأنه ليس كل حب يكون عبادة حتىٰ يكون فيه تعظيم وخضوع. ولذلك قال: «كحب الله» ولم يقل: كحبهم لله. فهم في الوقت الذي يحبونهم أعظم الحب، يخافونهم أشد الخوف، معتقدين أنهم يخلفون عليهم خيرًا مما ينذرونه لهم، ويذبحونه لهم من طيب مالهم، ويرجون منهم المساعدة والمعونة على كشف الضر ودفع البأساء، ويحذرون انتقامهم بحرق زرعهم وإهلاك أولادهم وأنفسهم، ويروون عن سدنتهم روايات مكذوبة في تأييد دعاويهم تهويلًا عليهم وتمكينًا للضلال والشرك من أنفسهم. فهم لا يرجون لله وقارًا كما يرجون لهم، ولا يخشون الله كما يخشونهم، فتجود أنفسهم بسخاء في سبيل التقرب إلىٰ أولئك الموتىٰ من أوليائهم بما لا تجود بعشره في

(1) هامش اقتضاء الصراط (380 – 381 دار الكتب العلمية).

(2) فتح المجيد (ص123).

سبيل الله برًّا للوالدين، أو صلةً للأرحام، أو إطعامًا لجارٍ بائس، أو مسكينٍ من أهل قريته؛ هذا شأن عباد القبور والموتىٰ اليوم، دقق في أحوالهم وطبقها علىٰ آيات المشركين في القرآن تجدهم زادوا علىٰ مشركي الجاهلية الأولىٰ، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن من تحقق محبة مشركي زماننا لآلهتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقينًا أنهم يحبونها أكثر من محبتهم لله، ويتصدقون لوجوهها بما لا يقدرون أن يتصدقوا بعشره لوجه الله»[1].

وقال: في التِّوَلَة: «وإن زعم الذين يصنعونها للنساء أنهم مسلمون ومتدينون، وأن ما يكتبونه من القرآن وأسماء الله، فإنهم يفعلون ذلك تضليلًا بالقرآن وإلحادًا فيه، لأنهم يكتبونه علىٰ طريقة اليهود حروفًا مُقطعة وبِمِدادٍ خاص، ويمزجونه بأدعية جاهلية وبخطوط يزعمونها علىٰ صورة خاتم سليمان الذي كان فيه سر ملكه، كما يزعم اليهود الذين يعتقدون كفر سليمان، وأنه كان يسخر الجن بالسحر لا بمعجزة من الله، وعلىٰ هذه العقيدة اليهودية الدجالون الذين يكتبون التمائم والتولات، ويزعمون أن للحروف والأسماء خُدَّامًا يقومون بما يُطلب منهم من الأعمال السحرية، ويتخذون أنواعًا من البخور والأدوات المخصوصة التي يوحي بها شياطينهم، وكل ذلك من الكفر العظيم»[2].

وقال: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [النجم: 23]: «الظن هنا: ظن المشركين بأوليائهم أنها تسمع الدعاء وتجيب، فإنهم ليس لهم علم بذلك لا من طريق حواسهم، ولا من خبر صادق، وإنما هو مما يشيعه السدنة ترويجًا لتجارتهم الخاسرة. ويزيد الجاهلين تعلقًا بأوليائهم من دون الله ما تهوىٰ أنفسهم من قضاء حاجاتهم بغير الأسباب الكونية، فهم يعظمون أولئك الموتىٰ لهوىٰ أنفسهم، وقضاء وطرهم، لا حبًّا في

---

(1) فتح المجيد (ص137).

(2) فتح المجيد (ص154).

الإيمان والمؤمنين، ولذلك تراهم يتنقلون من ميت إلىٰ آخر إذا لم يجدوا مسألتهم قضيت عند الأول، وهكذا ترىٰ السدنة إذا انتقلوا من وظيفة عند هذا الولي الذي كان في نظرهم كبيرًا أصبح الولي الذي انتقلوا عند قبره أعظم بركة وأكثر كرامات، والله يقول: إن هؤلاء جميعًا لا يتبعون إلا هوىٰ أنفسهم، وهم كاذبون أعظم الكذب في دعواهم حب الأولياء والصالحين»[1].

۞ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ فجر الجمعة 7 رجب 1378هـ الموافق 16 يناير 1959م علىٰ إثر عملية جراحية أجراها بمستشفىٰ العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد، وعندما اقترب أجله طلب ماءً للوضوء، ثم صلىٰ ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها، وبعد ذلك طلب من إخوانه أن ينقل إلىٰ دار الجماعة حيث توفي بها، وقد نعاه رؤساء وعلماء من الدول الإسلامية والعربية، وحضر جنازته واشترك في تشيعها من أصحاب الفضيلة وزير الأوقاف والشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمد الحسن والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد مُحيي الدين عبد الحميد، والشيخ أحمد حسين، وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها، وقضاة المحاكم.

۞ أبناؤه:

الطاهر محمد الفقي، وسيد أحمد الفقي، ومحمد الطيب الفقي وهو الوحيد الذي عاش بعد وفاة والده.

فرحمه الله عز وجل رحمة واسعة.



(2) فتح المجيد (ص162 – 163).



الشيخ أبو الوفاء محمد درويش (1382هـ)[1]
«مؤسس أنصار السنة بسوهاج»



• والده محمد درويش أبو طالب.

• ولد بمدينة سوهاج «مديرية جرجا آنذاك». وكان مولده في 18 يونيو 1893م.

• مات بمدينة سوهاج في يوم الاثنين 26/ 12/ 1382هـ الموافق 20/ 5/ 1963م عن عمر يناهز السبعين عامًا.

• حفظ القرآن الكريم وهو في سن التاسعة من عمره.

• حصل علىٰ شهادة «كفاءة التعليم الأولىٰ»، وكان ترتيبه الأول.

• حصل علىٰ كفاءة التعليم الثانوي، وكان ترتيبه الثاني علىٰ السلطنة المصرية، ثم حصل علىٰ البكالوريا، وكذلك حصل علىٰ ليسانس الحقوق سنة 1928م، وحصل أيضًا علىٰ دبلوم في الدراسة الفرنسية «التي كان يجيدها قراءة وكتابة وترجمة».

• حصل علىٰ دبلوم في الصحافة. وعند تخرجه من مدرسة المعلمين عين بها مدرسًا، وذلك أنه ناقش المفتش العام للتعليم في ذلك الوقت «حفني ناصف» في عدة مسائل، وأعجب به فأمر بتعيينه فور تخرجه مدرسًا بالمدرسة.

• عمل مدرسًا بمدرسة البنات الثانوية بسوهاج، وقد سمي الشارع الذي تقع به المدرسة باسمه.

• بعد بلوغه سن الإحالة للمعاش اشتغل بالمحاماة.

• أسس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج، واجتمع مجلس إدارتها أول اجتماع له في يوم الخميس 24 جمادىٰ الآخرة 1358هـ، ويصف الشيخ درويش الصعاب التي

(1) موقع جماعة أنصار السنة علىٰ الشبكة العنكبوتية .

لاقاها في تأسيس هذه الجماعة بسوهاج، وذلك في مقدمة كتابه «صيحة الحق». ذلك الكتاب الذي عن طريقه انضم خلق كثير في مصر والسودان والصومال وإرتريا إلىٰ جماعة أنصار السنة.

۞ جهوده العلمية:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ من أوائل من كتبوا في مجلة «الهدي النبوي». منذ أول صدورها، كما كان يتولىٰ باب الفتاوىٰ علىٰ مدىٰ عشرين عامًا تقريبًا، وله فتاوىٰ في بعض الموضوعات لا يزال يذكرها أعضاء أنصار السنة المحمدية القدامىٰ، وكانت له علىٰ صفحات تلك المجلة حوارات في بعض الموضوعات منها: مسألة تلبس الجن، والتصوير الضوئي، وتيمم المسافر، ومسألة مسحورية الرسول ﷺ والربا، وغيرها، -وقد جمعتها كلها لمن يطلبها-.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عنيدًا إلىٰ أبعد حدود العناد في الرأي يراه أو يقتنع به، وما كان أحد يستطيع أن يرده عنه، أو يقنعه بمجافاته للحق، ولكن كان عف اللسان.

قالت عنه مجلة «الهدي النبوي». عند وفاته: «وهكذا تطوىٰ صفحة علم من أعلام السنة في هذا القرن الرابع عشر الهجري، فقد ظل يكافح ويناضل في ميدان الجهاد في الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ كتابه وسنة رسوله ﷺ حتىٰ سقط شهيدًا علىٰ طريق سلفنا الصالح: من دعاة التوحيد، لقد كان علمًا عاليًا وطودًا شامخًا، وستظل كتبه ورسائله سلاحًا وذخيرة لدعاة التوحيد، حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها».

قلت[1]: لقد عاصرناه في سوهاج يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، يلبس ملابس الشيوخ ويعتلي المنابر، ويوضح للمسلمين عقيدة التوحيد الخالص، وكان في أسلوبه لطيفًا بليغًا، فتبعه خلق من المثقفين في بندر سوهاج وأريافها، وعرض بذلك نفسه إلىٰ نقمة أولئك الجهلة من حملة العمائم والمتنفعين بالدين، وحدث أن استعدىٰ عليه المتعالمون الجاهلون أحد المديرين فأمره بالانقطاع عن دروس التفسير وهدده بمحاربته في وظيفته،

(1) فتحي أمين عثمان.

فظل في بيته مركز إشعاع للتوحيد والسنة، حتىٰ جاء آخر وعرف من قدر الشيخ وعلمه فأمره بالعودة إلىٰ دروسه، ولقد أجاد الشيخ الإنكليزية والفرنسية وخاطب أهلها ببيان فضائل الإسلام، وقد ترجم عن الفرنسية ثلاث كتب، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ موسوعي الاطلاع موسوعي التآليف.

ولقد كان للشيخ أبي الوفاء درويش مكانته الخاصة عند الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، حتىٰ أنه كتب عنه في حياته يقول: «لأخينا العلامة المحقق الشيخ أبي الوفاء درويش قلب عامر بالعلم النبوي النقي الصافي، عبه عبًا من مورده الصافي النمير من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وله لسان أقطع من السيف لرقاب حزب الشيطان وأعداء التوحيد».

ويقول عنه الشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيس الجماعة الأسبق: «والشيخ أبو الوفاء درويش صاحب «صيحة الحق» التي دوت في قوة، واستعلنت في عزة وكرامة، وصاحب الكتب التي هدىٰ الله بها الكثيرين، وصاحب الصيال القوي، والجلاد الذي زلزل هياكل الأصنام، ودكها علىٰ رءوس سدنتها، أبو الوفاء الذي نعرف منه الوضوح والصراحة والجرأة في قول الحق وفي الجهر بما يؤمن».

لقد كانت للشيخ درويش مكانته عند إخوانه حتىٰ أن أحدهم يقول عن كل كتاب يصدره الشيخ قصيدة يقرظ بها الكتاب، ومن أمثال ذلك ما كتبه الشيخ صادق عرنوس يوم صدر كتاب «صيحة الحق». فأنشد يقول:

سمع المكابر صيحة الحق ... فهو صريعًا فاقد النطق

ما زال يهذي غير محتشم ... يلقىٰ من البهتان ما يلقي

نفثات صل هاج هائجة ... يصمىٰ ضحاياه ولا يرقي

إلىٰ أن قال:

لاقيت ما لاقىٰ ابن راشد ... من طيش الهوىٰ ورعونة الحمق

فكلاكمـــا في صـــبره مثـــل ... للقـــائمين بنـــصرة الحـــق

فلتطلعـــا شمـــسين في أفـــق ... هـــو لا يغيـــب وأنـــت في أفـــق

وكذلك يقول عن كتاب «من خصائص الإسلام»:

هـات يـا منهـل النفـوس الظـوامي ... طرفًـا مـن خـصائص الإسـلام

صـيحة الحـق لا تـزال نـذيرًا ... بـضحايا الآراء والأوهـام

يـا بـن درويـش لا حرمنـا مقامًـا ... كنتـه أنـت في فـسيح المرامـي

يـا بـن درويـش لا حرمنـا مقامًـا ... لـك فيـه صـبرت صـبر الكـرام

ولذا فلا غرو أن نجد أن الشيخ درويش يكتب عند وفاة الشيخ عرنوس قائلًا: «كل نفس ذائقة الموت، لقد مات عرنوس فمات بموته ملأ من الموهوبين».

ولما مات الشيخ درويش كتب عنه الأستاذ نجاتي عبدالرحمن شاعر أنصار السنة وقتذاك يقول:

فقيـد العلـم – قـد وجـب الرثـاء ... وحـق علـىٰ بنـي الـوطن البكـاء

فمـــا للمـــوت طـــب أو دواء ... فـإن حـم القـضا انقطـع الرجـاء

بكـــاك العلـــم والـــدين الحنيـــف ... ويبكـي بالـدم الرجـل الـشريف

هـوىٰ حـصن مـن التقـوىٰ منيـف ... وركـن العلـم هدمـه القـضاء

نقـــي كنـــت للفتيـــا أمينًـــا ... مُجيبًـــا ناصـــحًا دنيـــا ودينـــا

❁ من رفاقه في الدعوة:

الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، والشيخ عبدالرحمن الوكيل، والشيخ محمد علي عبدالرحيم والشيخ صادق عرنوس، والشيخ خليل هراس، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ عبداللطيف حسين.

❁ إنتاجه العلمي:

مقالات وأبحاث في مجلة «الهدي النبوي». وكذا فتاوىٰ لا تحصىٰ علىٰ مدىٰ عشرين

عامًا، وقد تم جمع مقالاته عن الأسماء الحسنىٰ وطبعت الآن في صورة كتاب.

أما باقي كتبه فهي كالآتي:

«صيحة الحق»، «صدىٰ صيحة الحق»، «خواطر في الدين والاجتماع»، «ومن خصائص الإسلام»، «معارف إسلامية»، «من رسائل إلىٰ صديق»، «من أمثال القرآن»، «مُصرع خرافة»، «عتاب بين أحباب»، «تيسير مصطلح الحديث»، «دفاع عن الوحي»، «القبلة»، «الشفاعة» و«الوسيلة»، «القضاء والقدر».

وطبع بالسعودية: «الإسلام والروحية»، «قواعد فقهية»، «الطهارة»، «تفسير جزء عم».

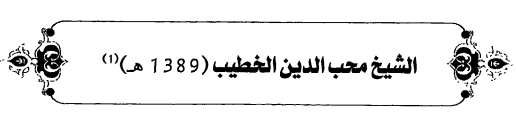
وترجم كتاب «خاتم النبيين في نظر المستشرقين»، و«الاختيار»، و«جرازيلا». وكلها عن الفرنسية.

حقق كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية.

۞ أبناؤه:

أنجب الشيخ خمس أبناء مات منهم اثنان، كما أنجب ثلاث بنات كلهن أحياء، ويعتبر الشيخ درويش حبر الصعيد، علىٰ أنه لم يكن له معلم إلا ذكاؤه، فقد حصل علىٰ معظم شهاداته دون حضور الدراسة.

۞۞۞



الشيخ محب الدين الخطيب (1389 هـ)[1]

هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني، ولد بدمشق عام 1886م وكان والده عالمًا دينيًا، ويدرس في أحد المساجد، كما كان يعمل أمينًا لدار الكتب الظاهرية، فنشأ في بيئة محافظة، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله، ثم التحق بمدرسة ابتدائية، ثم بعدها بمدرسة ثانوية تدرس العلوم باللغة التركية، ثم التحق بكلية الحقوق والآداب معًا، وقد مدّ له يد العون في تحصيله العلمي، شيخه الكبير العلامة طاهر الجزائري، الذي عهد إليه بنسخ كثير من المخطوطات، وكان للشيخ طاهر الجزائري حلقة علمية بدار الكتب بدمشق، يؤمها الشيوخ والشباب ومنهم محب الدين الخطيب، الذي كان حريصًا علىٰ قراءة الصحف والمجلات الصادرة بمصر وتركيا، وقد تأثر بكتاب «طبائع الاستبداد» لمؤلفه عبد الرحمن الكواكبي، وبكتاب «الإسلام والنصرانية» لمؤلفه الشيخ محمد عبده.

۞ رحلته إلى اليمن ومصر:

سافر إلىٰ اليمن للعمل كمترجم في القنصلية التركية بمدينة «الحديدة»، وقد سعىٰ فترة بقائه هناك إلىٰ إنشاء مدرسة كانت هي المدرسة الوحيدة، وكان يتولىٰ تدريس معظم العلوم فيها، بالإضافة لعمله كمترجم، حيث عمل في جريدة «المؤيد»، فذاع صيته وانتشرت مقالاته وترجماته، وبخاصة ما يتعلق بالمبشرين البروتستانت، وخططهم الخبيثة لتنصير المسلمين، والتي كان ينشرها الكاتب الفرنسي المبشر مسيو لوشاتليه في الدوائر الكنسية، فكشفها محب الدين الخطيب وهتك أستارها، ونبه المسلمين إلىٰ

---

(1) الأعلام (5/ 282) والمستدرك علىٰ معجم المؤلفين (576 - 577).

خطورتها، ثم جمعها في كتاب وأصدره بعنوان «الغارة علىٰ العالم الإسلامي».

كما عمل مترجمًا ومحررًا بجريدة «الأهرام» المصرية فترة لأنه لم يرتح لسياسة القائمين عليها، الذين يداهنون الاستعمار وأعوانه ولا يهتمون بقضايا المسلمين، وما يحيط بهم من مؤامرات ومكائد.

ثم أسس المكتبة السلفية الكبرىٰ ومطبعتها، وجعلها كبرىٰ وسائله في جهاده الطويل المدىٰ وكفاحه الطويل النفس، وجعل ينشر فيها من كنوز التراث الإسلامي عشرات الكتب، ويطبع فيها رسائل من تأليفه وتأليف كبار العلماء والمفكرين من إخوانه، ثم أصدر منها مجلته الأولىٰ (الزهراء) والتي استمرت عدة سنوات، ثم أصدر مجلته الأسبوعية (الفتح) التي تعتبر إلىٰ يومنا هذا من أقوىٰ المجلات الإسلامية التي ظهرت في العالم العربي، لقد استمرت مجلة الفتح تصدر خمسة وعشرين عامًا في مرحلة من أصعب المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث، وقد تبنت الفتح في تلك المرحلة العصيبة قضايا العالم الإسلامي واستقطبت حولها كتاب العالم الإسلامي كله، وتصدت للدفاع عن حقائق الإسلام وحقوق المسلمين.

وقد بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ الفكرة الدَّاعية إلىٰ إصدار الفتح في إحدىٰ افتتاحياتها فقال: «إن الفتح أنشئت لمماشاة الحركة الإسلامية وتسجيل أطوارها ولسد الحاجة إلىٰ حاد يترنم بحقائق الإسلام مُستهدفًا تثقيف النشء الإسلامي وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلىٰ هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته» (العدد الأول من عام 1353).

ومن هذه الكلمة الجامعة يبدو أن الفتح كانت مدرسة كبرىٰ تعنىٰ بتثقيف الجيل المسلم وتربيته ومعالجة قضايا واقعه علىٰ اختلاف أنواعها، وفي مدة ربع قرن من الزمان والفتح تفتح آفاقًا جديدة أمام المسلمين من الوعي الإسلامي الصحيح والفكر السياسي النير والمعالجة السليمة لقضايا العالم الإسلامي علىٰ ضوء هذا الدين الحنيف، وبعد هذا الجهاد المرير مع مختلف أعداء الإسلام في الحاضر والماضي علىٰ صفحات الفتح

اضطر محب الدين رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ إيقافها وحينما سئل عن سبب ذلك قال: «أوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مُجرمًا يفتش ويعاقب».

۞ مشاركته بإنشاء الشبان المسلمين:

ولم يكتف بذلك بل سعىٰ مع ثُلة من المفكرين والعلماء والدعاة والمصلحين والغيورين علىٰ الدين لإنشاء «جمعية الشبان المسلمين» بالقاهرة التي شارك في تأسيسها محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور، وعبد العزيز جاويش، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد الوهاب النجار، وحسن البنا، وصالح حرب. وغيرهم، وقد أسندت رئاستها للدكتور عبد الحميد سعيد، فكانت هذه الجمعية في أول تأسيسها منارة إصلاح ورسالة توجيه وإرشاد.

وعن غايته من تأسيس هذه الجمعية يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت أنا وأحمد تيمور باشا والسيد محمد الخضر حسين حريصين علىٰ أن تكون هذه المؤسسة الأولىٰ للإسلام في مصر قائمة علىٰ تقوىٰ من الله وإخلاص، وكنا حريصين علىٰ أن يتولىٰ إدارتها رجال يعرفون كيف يصمدون لتيار الإلحاد الجارف بعد أن استولىٰ المتابعون للاستعمار علىٰ أدوات الثقافة والنشر في العالم الإسلامي وفي مصر علىٰ الخصوص»، ويقول أيضًا: «وكانت الجمعية حدثًا كبيرًا من أحداث الحركة الإسلامية لأن دعاة الإلحاد والتحلل كان قد استفحل أمرهم وظنوا أن قيادة الأمة قد أفلتت من أيدي ممثلي الإسلام وانتظمت إلىٰ أيديهم».

وقد قامت مجلة «الفتح» بنشر أكثر ما يقال في منتديات جمعية الشبان المسلمين من محاضرات ودروس وندوات واحتفالات، وامتدت المجلة بموضوعاتها إلىٰ تحليل معضلات العالم الإسلامي الرازح تحت وطأة الاستعمار.

كما أصدر محب الدين الخطيب مجلة «الزهراء» التي تُعنىٰ بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة والمقولات الباطلة التي يرددها الببغاوات من تلامذة الغرب وفروخ الاستعمار وأدعياء الثقافة والأدب ورموز التغريب السائرين في ركاب

المستشرقين والمستعمرين الصليبيين.

قالوا عنه:

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»: «... إن محب الدين الخطيب كان أُمة في وحده، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية، عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه، جعلته لا يطمح إلىٰ منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقًّا، وأنت حين تعرض أسماء: شكري القوتلي، وصالح حرب، ولطفي الحفار، ورفيق العظم، ومحمد كرد علي، وحسن البنا، وعبد الرحمن عزام، وعزيز المصري، وغيرهم، تجد ارتباطًا قويًّا بينهم وبين محب الدين الخطيب في كثير من المواقف الحاسمة علىٰ مدىٰ نصف قرن متطاول، لأن محب الدين الخطيب انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق، وبيروت، وتركيا، والقاهرة، واليمن، ومكة انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف» انتهي.

❁ نشاطه:

حقًّا لقد كان الأستاذ محب الدين الخطيب متعاونًا مع كل العاملين للإسلام من الدعاة والمصلحين والزعماء المخلصين أمثال: محمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وحسن البنا، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم، وكان كخلية النحل في نشاطه وتحركه وصولاته، حيث كان واسع الاتصال بالشخصيات الإسلامية في أنحاء العالم.

وقد أصدر بالتعاون مع حسن البنا وطنطاوي جوهري مجلة «الإخوان المسلمون». الأسبوعية سنة 1933م.

❁ توليه مجلة الأزهر:

ولم يتوقف الأستاذ محب الدين الخطيب عن الكتابة والنشر، بل استمر من خلال المكتبة السلفية، والمطبعة السلفية يُصدر الكتب والنشرات، ويحقق كتب التراث الإسلامي، ثم سعدنا به رئيسًا لتحرير مجلة «الأزهر» بناء علىٰ ترشيح شيخ الأزهر

العلامة الإمام محمد الخضر حسين، ولقد كانت افتتاحيات محب الدين الخطيب، زادًا لنا نحن الطلبة الأزهريين، تشحذ هممنا، وتُقويّ عزائمنا، وتستثير نخوتنا الإسلامية للذود عن الإسلام وحرماته، والتصدي لأعدائه في الداخل والخرج ممن ينالون من الإسلام، أو نبي الإسلام، أو صحابة رسول الله ﷺ.

وعلىٰ أثر سوء تفاهم مع القائمين علىٰ الأزهر استقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وكان ذلك آخر عمل رسمي له، ثم انزوىٰ في مكتبته ومطبعته وقطع تقريبًا كل صلة له بذلك المجتمع وانكب علىٰ التأليف والتحقيق، وحتىٰ الأعمال التجارية الصرفة كانت شبه مقطوعة مع المكتبات المصرية وكان جل تعامله في آخر أمره مع المؤسسات والمكتبات السعودية، واليوم الوحيد الذي كان يخرج فيه إلىٰ المجتمع من جزيرته الهادئة القصية هو يوم الجمعة بعد العصر حيث يذهب إلىٰ سوق الكتب المقامة علىٰ سور حديقة الأزبكية في القاهرة ويشتري من الكتب المختلفة القديمة والحديثة وكان يحملها بيديه الكليلتين وعلىٰ كأهله أعباء الثمانين ويتمايل في مشيته ويتعثر حتىٰ يجد سيارة تقله إلىٰ بيته وقد ثابر علىٰ هذه العادة الكريمة إلىٰ ما قُبيل وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد جمع من ذلك مكتبة ضخمة خاصة به فاقت علىٰ ما أعتقد كل مكتبة خاصة في مصر ماعدا مكتبة العقاد، حيث بلغ تعداد كتبه الخاصة ما يزيد علىٰ عشرين ألف كتاب وكانت فهارسها تبلغ خمسة وستين مُصنفًا، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد جعلها قبل وفاته وقفًا علىٰ أهل العلم من ذريته وقد بنىٰ ولده قصي دارًا جديدة في محلة الدقىٰ في القاهرة وخصص الطابق الأول منها لتلك المكتبة، كما قال ذلك هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولقد أسهم محب الدين الخطيب بعلمه الغزير وقلمه السيال، في فضح دسائس الباطنية، وغُلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد المجوسية، ولن أنسىٰ له توجيهاته لنا نحن الطلبة، وتحذيراته لنا من مؤامرات أعداء الإسلام، حيث كان يكرر في أحاديثه لنا بأن كل أنواع الهدم والتخريب والفساد والتدمير والكذب والتزوير الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث سواء علىٰ مستوىٰ اغتيال الخلفاء أو

الإسرائيليات في التفسير والحديث، أو الطعن في الصحابة والتابعين، أو الدس في السيرة والتاريخ، إنما هو من صنع اليهود والمجوس، لأنهم هم وراء كل ذلك، وهم الذين انشئوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية، ولا زال هذا شأنهم وديدنهم إلىٰ اليوم، حيث يستظلون وراء أسماء براقة، ورايات متعددة، ومسميات مختلفة، وكلها تصب في مجرىً واحد يستهدف تقويض الإسلام، وإفساد أبنائه، وحرب دعاته، وسلب خيراته، وتحطيم مجتمعاته، وتدمير أسره وأفراده، حيث يملكون وسائل الإعلام والمال، وعصابات الربا والدعارة والمخدرات، ودور الفن والملاهي والقمار والخمر، وغيرها من وسائل الإفساد والهدم والتضليل والغواية التي تدمر الشباب، وتهدم مقومات المجتمع، وتذيب هوية الأفراد، وتربط الأمة بذيل الغرب الاستعماري، مستعينين بتلامذتهم الذين رضعوا حضارة الغرب بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يحمد منها وما يعاب، فكانوا كالببغاوات التي تردد ما يملىٰ عليها دون وعي أو إدراك.

۞ مؤلفاته وآثاره:

لقد ترك رَحِمَهُ اللَّهُ ثروة فكرية كبيرة تتمثل في مجموعة الكتب والرسائل والتعليقات، والتحقيقات التي كتبها في مراحل عمره المختلفة، وجميع كتاباته تتميز بالأسلوب الأدبي الرفيع والبيان البديع والحرارة الصادقة في العاطفة والفكرة العلمية المحققة، ومن أهم الآثار الفكرية التي خلفها رَحِمَهُ اللَّهُ هي ما يلي:

1- كتاب توضيح الصحيح، وهو شرح لصحيح البخاري بقلمه، يقول الأستاذ أنور الجندي في كتابه: «مفكرون وأدباء» بأنه في ثمانية أجزاء كبار.

2-كتاب الحديقة، وهو مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور وفي مختلف الموضوعات وهو في أربعة أجزاء.

3- كتاب مع الرعيل الأول.

4- كتاب اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.

5- كتاب البهائية.

6- رسالة الجيل المثالي.

7- حملة رسالة الإسلام الأولون.

8- الغارة علىٰ العالم الإسلامي - ترجمة -.

9- تاريخ مدينه الزهراء.

10- الأزهر ماضيه وحاضره.

11- الخطوط العريضة للديانة الاثني عشرية الإمامية.

❁ وله تعليقات قيمة على كتب عديدة منها:

1- تعليقاته الرائعة علىٰ كتاب العواصم من القواصم لابن العربي المالكي، وهي أكبر وأهم من الكتاب.

2- وكذلك تعليقات علىٰ كتاب المنتقىٰ من منهاج الاعتدال للذهبي.

3- وتعليقاته علىٰ مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي.

4- وتعليقاته المفيدة علىٰ كتاب الإكليل للهمداني.

وقد طبع كتاب الأدب المفرد للبخاري مع تخريج أحاديثه، وكذلك طبع فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر مع الإشارة إلىٰ الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقي، وما نشر كتابًا إلا وكتب مقدمة علمية عن المؤلف وعن الكتاب، ثم هناك مئات من المقالات التي كتبها في موضوعات شتىٰ خلال عمره المديد في الزهراء والفتح والأزهر وغيرها من الصحف والمجلات.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية.

❁ من أقواله:

قال الأستاذ الخطيب في افتتاحية مجلة «الأزهر» عدد شهر جُمادىٰ الأولىٰ 1374هـ - 1954م: «العلم عالمي لا تختص به أُمة دون أُمة، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه، إنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه، وكالبحار التي تحيط باليابسة، لأنه مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره

وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة في القدم وسيبقىٰ حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل وطن، ولولا ما كان معروفًا قبل المسلمين من علم الحساب ما توصلوا إلىٰ إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة، ولولا علم الجبر والمقابلة الذي توصل علماؤنا إليه من مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة علوم الرياضيات التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلىٰ غايتها، ولا غضاضة علىٰ أُمة تطلب العلم بها من حيث تجده.

وكذلك الطب وعلوم الطبيعة، لأن العلم واحد في كل أُمة، وهو سبيل القوة في الحرب والسلام ولا بد من توصيله».

ومن أقواله أيضًا: «علينا أن نأخذ من كل مكان ما نحن في حاجة إليه من أسباب العزة والقوة، وأن نحتفظ بكل ما في كياننا الوطني والديني مما لا يعد من عوامل الذل وبواعث الوهن، وكل ما كان نستعيره من الأمم الأخرىٰ محدودًا لا يتجاوز منفعته المؤكدة، فإن ذلك أحرىٰ ألا نذوب في غيرنا ونخرج من أنفسنا، فنحن نطلب من التجديد ما ننظم به حياتنا، وما نستغني به مصنوعات الأمم الأخرىٰ بما ننتجه بأيدينا نحن».

ويبين أهمية تصحيح التاريخ فيقول: «أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة الإسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة في تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها في الماضي ولن تستوفي هذه الرسالة مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلىٰ نظام الفطرة الطاهرة وذلك متوقف علىٰ شيء واحد هو أن يعرف العرب والسلمون من هم وممن هم وما هي رسالتهم في الحياة، ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج تعليمهم وأسس ثقافتهم ومعالم أدبهم علىٰ هذه المعرفة والإيمان بلوازمها وتعميم طريقهم نحو أهدافها، ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والإسلام وتجريده مما دُسّ فيه».

لقد كان مُحب الدين رَحِمَهُ اللَّهُ فخورًا جدًّا بأمجاد الإسلام ومفاخر المسلمين وكان يحزن كثيرًا لبقاء تلك الأمجاد والمفاخر بعيدة عن أذهان الشباب المسلم خاصةً

والمسلمين عامةً.

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ ديوان مجد الإسلام: «وستتمتع به نفوس محبي الأدب الرفيع والنظم البليغ أزمانًا وأزمانًا إلىٰ أن يوجد الشاعر الذي يكتشف سر الله في اختياره العربية لغة لتنزيله، والعروبة بيئة لأكمل رسله، وأهلها أصحابًا وأعوانًا علىٰ حمل رسالته إلىٰ آفاق آسيا وأفريقية ثم إلىٰ أوروبا».

وفي حديثه عن شيخه طاهر الجزائري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي وإسلامي، منه عرفت أن المعدن الصديء الآن الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصول العروبة ثم تخيرها ظئرًا للإسلام إنما هو معدن كريم لم يبرأ الله أمة في الأرض تدانيه في أصالته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق».

وإلىٰ هذا كان يدعو رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الأخذ بأسباب القوة وبكل نافع من نتاج الحضارة الحديثة مع المحافظة علىٰ المثل والقيم والأخلاق القديمة لأن الخير كله قديم.

وكان يُركز علىٰ إصلاح المدارس ومناهج التعليم ووسائل الإعلام.

❁ موقفه من المبتدعة:

كانت له أيادي بيضاء في نشر العقيدة السلفية والدفاع عنها، يظهر ذلك في تعاليقه الجيدة علىٰ المنتقىٰ من منهاج الاعتدال للذهبي.

قال في مقدمته علىٰ «العواصم» لابن العربي: والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم علىٰ قدرها، وأن يتقىٰ الله في ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها.

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، وكل من ادعىٰ العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فهو كاذب، فالإنسان إنسان، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان، فيكون منه الحق والخير، ويكون منه الباطل والشر، وقد يكون الحق والخير في إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير، ولا يمنع هذا من أن تكون له هفوات، وقد

يكون الباطل والشر في إنسان آخر بنطاق واسع، فيعد من أهل الباطل والشر، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات في بعض الأوقات.

يجب علىٰ من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات، أن لا ينسىٰ ما غلب عليهم من الحق والخير، فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات، ويجب علىٰ من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات، أن لا يوهم الناس أنها من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات»[1].

قال في مقدمته علىٰ كتاب «مختصر التحفة الاثني عشرية»: «والمسلمون الأولون الذين تولىٰ الهادي الأعظم ﷺ تربيتهم وتوجيههم وإعدادهم للاضطلاع بمهمة الإسلام العظمىٰ، كانوا المثل الكامل للعمل بالإسلام في إيمانهم، وطاعتهم لله، وأخلاقهم الكريمة، وسياستهم الحكيمة، وفتوحهم الرحيمة، وتكوينهم المجتمع الإسلامي الصالح، والدولة الإنسانية المثالية، وقد كافأهم الله علىٰ ذلك بانتشار رسالته علىٰ أيديهم، وذيوع دعوته بين الأمم اقتداء بهم، واتباعًا لهم، ولما تخطت رسالة الإسلام حدود الجزيرة العربية المباركة؛ فدخلت العراق وإيران شرقًا، والشام شمالًا، ومصر وإفريقية غربًا كان ذلك سعادة للأخيار من أهل البلاد المفتوحة، وغذاء لعقولهم، وبهجة وحبورًا تطمئن بهما قلوبهم، وشجىٰ للأشرار منهم، وغصة في حلوقهم، ومبعث إحنة وغل تسممت بهما دماؤهم وأرواحهم، إن الأخيار من طبقات سالم مولىٰ أبي حذيفة، وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، فالحسن البصري، وعبد الله بن المبارك، فمحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي حاتم الرازي، وابنه عبد الرحمن، وأندادهم وتلاميذهم، استقبلوا هداية الإسلام السليمة الأصيلة بأرواحهم وعقولهم، وفتحوا لها أبوابهم وصدورهم، وأحلوا لغتها محل لغاتهم، وعملوا بسننها بدلًا من سننهم، ونسخوا بإيمانها كل ما كانوا -أو كان آباؤهم- عليه من قبل، فساهموا في حفظ كتاب الله وسنة رسوله الأعظم، وحرصوا علىٰ فهمهما كما كان يفهمهما أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة

---

(1) مقدمة العواصم (46 - 47).

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ومن ائتم بهم وسار علىٰ منهاجهم، حتىٰ صاروا بنعمة الله إخوانًا للمسلمين كصالحي المسلمين، وأئمة للمسلمين كسائر أئمة المسلمين»[1].

وقال في مقدمة تحقيقه علىٰ كتاب «المنتقىٰ من منهاج الاعتدال» للذهبي رحمهما الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)﴾ [المائدة: 8].

إن ظهور هذا الدين الإسلامي -علىٰ فترة من تاريخ الإنسانية- كان حادثًا من أعظم أحداثها، بل هو أعظم أحداثها، فقد جاء لإقامة الحق: ما كان منه وما سيكون، فكل حق يواجهه البشر في ائتلافهم واختلافهم، وفي معاملاتهم وأقضيتهم وأحكامهم، وفي تفكيرهم وبحوثهم ودراساتهم وأنظمتهم، وفي تعاونهم علىٰ ما فيه خيرهم ومصالحهم، فهو من الإسلام. وحسب الإسلام مكانة في تاريخ التشريع أن يسميه الله «دين الحق». ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: 33]، وكل ما وافق العدل والقسط فالإسلام يدعو أهله إلىٰ أن يقوموا به، وأن يشهد كل واحد منهم بما يعلمه منه، وأن يعملوا جميعًا علىٰ بسط سلطان العدل ونشر لوائه في دار الإسلام، وفي سائر آفاق الأرض كاملًا وافيًا بأقصىٰ ما يستطيعونه، ولو علىٰ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم، فالحق والعدل وإقامتهما والشهادة بهما عنصر الإسلام الأول، وخلقه المقدم، والسمة التي يجب أن يتميز بها أهله في طيبة قلب وصفاء فطرة وطهارة نفس وإيثار لما فيه مرضاة الخالق وطمأنينة الخلق، والعدل في نظام الإسلام من التقوىٰ، والتقوىٰ ميزان التفاضل بين المسلمين، والله خبير بأهلها وبمن ينحرف عنها، لا تخفىٰ عليه منهم خافية.

وهذه الصورة المشرقة لهذا الإسلام الجميل هي التي تولىٰ خاتم رسل الله تربية أصحابه عليها، وإعدادهم ليخلفوه في دعوة الإنسانية إليها، ولم يودع ﷺ هذه الدنيا

(1) مقدمة مختصر التحفة الاثني عشرية.

ويغمض بصره وراء سجف بيت عائشة أم المؤمنين المطل علىٰ مسجده الشريف ليلتحق بالرفيق الأعلىٰ؛ إلا بعد أن أقر الله عينيه الكريمتين باجتماع الصفوة المختارة منهم صفوفًا كالبنيان المرصوص، مسلمين أنفسهم وقلوبهم لله عز وجل في عبادته وطاعته، خلف خليفته فيهم أبي بكر الصديق ﷺ، الذي قال فيه وفي صنوه عمر بن الخطاب أخوهما علي بن أبي طالب وهو يخطب علىٰ منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وفي مثل لمح البصر -بعد فاجعة الإسلام والمسلمين بفراق أكرم خلق الله علىٰ الله- لم هؤلاء البررة الأخيار شعثهم في جزيرتهم المباركة، ووحدوا صفوفهم العامة للجهاد، كما وحدوا في أيام احتضار الرسول ﷺ صفوفهم للصلاة، فسارت رايات أبي بكر متوجهة إلىٰ العراق والشام حاملة أمانات الرسالة المحمدية إلىٰ أمم الأرض أدناها فأدناها، وسرعان ما كافأهم الله علىٰ جهادهم الصادق بالنصر الموعود، فترددت أصداء دعوة «حي علىٰ الفلاح» في الآفاق التي خفقت فيها رايات قواد الخليفة الأول: أبي عبيدة، وخالد، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وكان هؤلاء للشعوب التي اتصلوا بها معلمين ودعاة وأصحاب رسالة من الله ورسوله إلىٰ البلاد التي عرفت أقدارهم؛ وفتحت أبوابها وقلوب أهلها لتعليمهم وتوجيههم. وبعد أن قرت عينا أبي بكر بنصر الله في بلاد الرافدين وربوع الشام اختاره الله لمجاورة الرسول ﷺ في الأخرىٰ، كما اختاره لصحبته في الدنيا، فأخذ دفة القيادة في سفينة الإسلام خليفته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر بشهادة أخيهما أبي الحسن ﷺ جميعًا.

ومضت قافلة الإسلام في طريقها ترعاها عين الله التي لا تنام، فواصلت كتائب الدعوة المحمدية سيرها إلىٰ وادي النيل، ومنها إلىٰ شمال إفريقية، كما توغلت أخواتها في مملكة كسرىٰ إلىٰ أقصىٰ آفاقها، حتىٰ إذا تآمرت علىٰ الدم العمري الشريف مكايد اليهودية والمجوسية، واختار الله إليه مثال العدالة في الأرض: يسر له مجاورة صاحبيه، فارتضىٰ المسلمون للخلافة المحمدية عليهم أطيبهم نفسًا وأرحمهم قلبًا وأنداهم يدًا وأحفظهم للقرآن وأصبرهم علىٰ بلاء الزمان: صهر نبيهم علىٰ كريمتيه، ولو كان له ﷺ ابنة ثالثة

لآثره بها، فكان عثمان لهؤلاء الصفوة البررة من أصحاب رسول الله ﷺ أخًا مُخلصًا، ولأبنائهم أبًا مُشفقًا، وكانت الأمة مدة خلافته في أرخىٰ عيش وأسعد مجتمع، كما شهد بذلك عالمان من كبار التابعين: الحسن البصري وصنوه ابن سيرين، بينما كانت رايات ذي النورين بأيدي المجاهدين الأبطال من رجاله تخفق في آفاق قفقاسيا وما وراء الباب مما كان قواد الأكاسرة وأبطالهم لا يطمعون في الوصول إليه. وهكذا عرفت أمم المشرق وأمم المغرب هذا الإسلام من سيرة الصحابة وعدلهم، ورفقهم وحزمهم واستقامتهم علىٰ طريق الحق الذي قامت به السماوات والأرض، وبذلك تحقق فيهم قول صاحب الرسالة العظمىٰ ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوة رسول الله ﷺ؛ لأن الإسلام لم ير زمان سعادة وعزة واستقامة علىٰ الحق والخير كالذي رآه في زمان الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وتحديد ذلك إلىٰ نهاية الدولة الأموية، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بني العباس الذين تربوا في البيئة الأموية. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج7 ص4): اتفقوا -أي اتفق أئمة الإسلام- أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلىٰ حدود سنة 220هـ، ثم ظهرت البدع، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا.

هذه المدة التي تنبأ عنها خاتم رسل الله ﷺ ونعتها بأنها «خير القرون». وكان ذلك من أعلام نبوته، هي عصور الإسلام الذهبية التي لم ير الإسلام أعظم منها بركة، ولا أعز منها لأهله رفعة وسلطانًا، ولا أصدق من جهاد قادتها جهادًا، ولا أوسع من دعوتها إلىٰ الله في أوسع الآفاق من أرض الله، وفيها انتشر حفظة القرآن في أنحاء المعمورة ورحل شباب التابعين إلىٰ كل بقعة فيها صحابي يحفظ عن رسول الله ﷺ شيئًا من سنته السنية ليتلقوها عنه قبل أن تموت بموته، ثم رحل تابعوهم إلىٰ كل بقعة فيها أحد من كبار التابعين يحفظ

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في الحلية (4/ 172) عن عمر بن الخطاب واستغربه. وقد صح الحديث بلفظ: «خير الناس قرني ..». من حديث ابن مسعود أخرجه: أحمد (1/ 334) والبخاري (5/ 324/ 2652) ومسلم (4/ 1963/ 2533 [212]) والترمذي (5/ 652/ 3859) والنسائي في الكبرىٰ (3/ 494 - 495/ 6031) وابن ماجه (2/ 791/ 2362).

شيئًا عن الصحابة ليحملوا عنه ما حمله عن شيوخه من الصحابة، وهكذا وصلت أمانة السنة إلىٰ رجال التدوين -من أمثال مالك وأحمد وشيوخهم ومعاصريهم وتلاميذهم- غضة يفوح منها عبق النبوة، هدية من الأمناء الحافظين إلىٰ الأمناء الحافظين، فكان من ذلك أثمن تراث للمسلمين بعد كتاب الله عز وجل، فبهمة هؤلاء حفظ الله لنا هذه الكنوز، وبسيوفهم فتح الله للإسلام هذه الممالك، وبدعوتهم المباركة نشر الله دعوة الإسلام، فكان لنا اليوم هذا العالم الإسلامي بأوطانه وشعوبه وما فيه من علوم وعلماء كانوا في عصور الإسلام الأولىٰ ملح الأرض وزينة الدنيا، وبصلاحهم وعودتهم إلىٰ الله في أيامنا والأيام الآتية سيعود إن شاء الله لهذا الإسلام مجده وسلطانه، وستحيا بنهضتهم أنظمته وسننه، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

وكما أن أبناء السُّراة وأهل السعة يرثون عن آبائهم أملاكهم وأموالهم فتكون لهم بذلك العزة والمكانة في الدنيا، إلا أن يخدعهم عنها قرناء السوء فيوهموهم أن سعادتهم ومتعتهم في تبديدها والتفريط بها. كذلك هذا المجد الإسلامي الذي ورثناه عن الصحابة والتابعين لا نعلم لأمة من أمم الأرض مجدًا يضارعه في مواريث الإنسانية، وأثمن هذا الميراث وأعظمه قدسية وبركة اهتمام أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ بجمع القرآن، وتوحيد تلاوته، وحفظه في المصاحف، ولو أن كل مسلم علىٰ وجه الأرض دعا لهم بالرحمة والرضا وعظيم المثوبة آناء الليل وأطراف النهار علىٰ ما أحسنوا به إلىٰ المسلمين من هذا العمل العظيم لما وفيناهم ما في أعناقنا من منة لهم، سيتولىٰ الله عنا حسن مكافأتهم عليها، ثم من أعظم كنوز هذا الميراث العظيم عناية كل صحابي بصيانة ما حفظه عن رسول الله ﷺ من أحاديثه وخطبه وسيرته وتصرفاته وتشريعه في أمره ونهيه وإقراره، فأدوا رحمهم الله ورضي عنهم هذه الأمانة إلىٰ إخوانهم وأبنائهم والتابعين لهم بإحسان بما لم يعهد مثله عن أصحاب نبي غيره من الأنبياء السابقين، فكان ذلك من أعظم مواريث الإنسانية كلها في الأخلاق والتشريع وتكوين الأمم الاجتماعي والتقريب بين البشر في طبقاتهم وأجناسهم وأوطانهم وألوانهم، ولا يغمط جيل الصحابة فيما قاموا

به للإنسانية من ذلك إلا ظالم يغالط في الحق إن كان غير مسلم، أو زنديق يبطن للإسلام غير الذي يظهره لأهله إن كان من المتنسبين إليه. وميراثنا الثالث من المواريث التي صارت إلينا عن الصحابة حسن عرضهم هذا الإسلام على الأمم ممثلًا بأخلاقهم الإسلامية السليمة وأعمالهم الجليلة الرحيمة، فحببوه بذلك إلى الناس، وعرفوهم به من طريق القدوة والأسوة، فكان ذلك سبب دخول الأمم في الإسلام إلى أقصى آفاق المعمورة المعروفة في أزمنتهم.

وهذه الفضيلة قد شارك عمال الخلفاء الراشدين فيها من جاء بعدهم من الصحابة والتابعين تحت رايات الخلفاء من قريش الذين كان من أعلام نبوة النبي ﷺ أيضًا التنويه بهم في حديث جابر بن سمرة في الصحيحين[1]، ورؤيا النبي ﷺ في قباء عن جهاد معاوية ﵁ في البحر، ورؤياه الثانية يومئذ عن حملة ابنه في حصار القسطنطينية[2]، وهؤلاء الخلفاء من قريش الذين ورد النص عنهم في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة هم الذين جاهدوا وجاهد رجالهم تحت كل كوكب، وطووا آفاق الأرض يحملون هذه الدعوة إلى أقاصي المعمور من بلاد آسيا وإفريقية وأوربا، ومهما تنبض قلوبنا بشكرهم والوفاء لهم والثناء على ما نشروا في الدنيا من ألوية جهادهم لن نوفيهم عشر معشار ما كان ينبغي لنا أن نفعله، وإلا فأين هي الدراسات العلمية الصحيحة التي قمنا بها لتدوين

---

(1) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة» . ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قاله؟ فقال: «كلهم من قريش» . أخرجه: أحمد (5/ 86، 87، 88، 90) والبخاري (13/ 261/ 7222، 7223) ومسلم (3/ 1452 - 1453/ 1821 [7]) واللفظ له. وأبو داود (4/ 471 - 472/ 4279، 4280) والترمذي (4/ 434/ 2223) من طرق عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكره.

(2) البخاري (6/ 127/ 2924) عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا» . قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا في البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر. وقد حدث أنس بن مالك عن أم حرام هذا الحديث أتم من هذا السياق .

أمجادهم العظمىٰ وبطولتهم الكبرىٰ، وأين هي المؤلفات العصرية التي كان ينبغي أن تكون في أيدي الشباب في جميع أقطار الإسلام، والتي تجعل القارئ منا كأنه معاصر لتلك الأحداث، مرافق لكتائبها وأعلامها، مشارك بمشاعره ومداركه وخفقات قلبه في كل نصر أحرزه الإسلام في الدنيا علىٰ أيدي الصحابة والتابعين وأتباعهم[1].

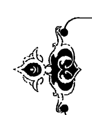
❁ وفاته:

وقد انتقل إلىٰ رحمة الله عام 1389هـ - 1969م، ودفن بمصر.

رحم الله أستاذنا العلامة محب الدين الخطيب، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين، خير ما يجزي عباده الصالحين، ونفع الله بذريته قصي محب الدين الخطيب وإخوانه.

❁❁❁

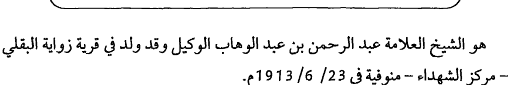
(1) مقدمة المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (3 - 8).



الشيخ العلامة



عبد الرحمن الوكيل (1390 هـ)[1]



هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل وقد ولد في قرية زواية البقلي - مركز الشهداء - منوفية في 23/ 6/ 1913م.

❁ نشأته وتعليمه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فقد كان أهل القرىٰ في ذاك الزمان مهتمين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فحفظ القرآن في كُتَّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا؛ فدرس فيه تسع سنوات حتىٰ حصل علىٰ الثانوية الأزهرية.

كان والده رَحِمَهُ اللَّهُ من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن «الموطأ» بجانب القرآن، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحمدي التابع للأزهر بطنطا.

تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر حاصلًا علىٰ الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل علىٰ إجازة التدريس.

❁ وظائفه:

عين مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف والتربية والتعليم.

تعرَّف علىٰ فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رائد الدعوة السلفية في مصر سنة

---

(1) مجلة التوحيد (العدد الخامس جمادىٰ الأولىٰ 1416هـ/ ص34 - 37). موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية 9/ 509.

1936م، وكان السبب في مجيئه - بعد إرادة الله - سيدة فاضلة من نصيرات السنة هي (نعمت صدقي) حرم الدكتور محمد رضا ووالدة الدكتور أمين رضا وكيل كلية طب الإسكندرية، ولقد كانت له مكانته الخاصة لدى الشيخ حامد الفقي حتى إنه عندما حقق رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «نقض المنطق» 1370هـ- 1951م كتب في مقدمته يقول: «ثم وكّلت إلى الأخ الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحمن الوكيل وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة وله بصر نافذ فيها وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ».

وقد أقام المركز العام حفلة شاي توديعًا له في مساء الاثنين 22/ 2/ 1372، وقد خطب كثير من الإخوان ذاكرين سجاياه وفضله وعلمه، وكتبت مجلة الهدي تقول: «وأنصار السنة المحمدية إذ يودعون الأستاذ الوكيل - هادم الطواغيت- يسألون الله أن يوفقه ويسدد خطاه وأن ينفع به حيثما حل».

اختير رَحِمَهُ اللَّهُ رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة، كما عمل وكيلًا أول للجماعة، وعند اختيار الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيسًا للجماعة تم انتخابه نائبًا للرئيس في 22 صفر 1379 - 27/ 8/ 1959م، ثم انتخب رئيسًا للجماعة بعد الشيخ عبد الرزاق إلى السعودية، وكان ذلك في اجتماع الجمعية العمومية المنعقدة في 15 محرم 1380هـ يوليو 1960م ليكون ثاني رئيس للجماعة بعد مؤسسها وانتخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس.

عندما أدمجت الجماعة بغيرها وتوقفت مجلة الهدي النبوي التي كان يشغل رئيس تحريرها ويكتب التفسير بها انتدب أستاذًا بكلية الشريعة بمكة وظل في هذه الوظيفة وهو أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا وفي جوار البلد الأمين غالبه المرض وقضى نحبه ولحق بجوار ربه في 22 جمادى الأول 1390هـ الموافق 1971م ودفن بالحجون.

❁ رأي العلماء فيه:

يقول الشيخ محمد عبد الرحيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتاب «دعوة الحق»:

«لقد كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة ووضوح المعنىٰ، وسعة الاطلاع وشرف الغاية، كما جمع علمًا مصفىٰ من شوائب البدع والخرافات الصوفية، وكان حسن اللغة قليل اللحن فصيح العبارة له اجتهاداته الواعية وكان في ذلك نمطًا فريدًا في جماعته لا يشاركه في ذلك إلا حبر سوهاج وعلامتها أبو الوفاء درويش».

ويقول عنه الدكتور سيد رزق الطويل:

«لقد كان في أخلاقه نسيج وحده، سموٌّ في الخلق وعفة في اللسان، طلق المحيا منبسط الأسارير واسع الثقافة متنوع المعرفة أديبًا، شاعرًا جزل الشعر قوي العبارة»(مقدمة دعوة الحق).

ويقول عنه الشيخ أبو الوفاء درويش في مجلة الهدي النبوي:

«لو كنت أريد أن أوفيه حقه من التمجيد - وهذا كلام أبي الوفاء - وأن أشرح آثار قلمه الفياض في نفوس القراء وأن أنوه بما خصه الله من شجاعة في الحق نادرة، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة وأن أومئ إلىٰ ما لازم قلمه الجريء من التوفيق في جولاته الموفقة في كل ميادين المعرفة وما امتاز به أسلوبه الجزل من روعة تُسيطر علىٰ النفوس، وجلال علل القلوب لما استطعت أن أوفيه حقه».

ويقول عنه الشيخ محمد صادق عرنوس:

«إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائيًّا في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليمرض ويشفىٰ».

قال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقًا رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال:

«وللشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقًا كتاب صغير الحجم

عظيم الفائدة اقتنيته قبل سنوات ولما قرأته كتبت عليه هذه العبارة وإني لأعدها من صالح عملي وهذه هي العبارة: رحمك الله يا عبد الرحمن لقد سجلت حقًّا في هذا الكتاب وكشفت الستر المفتعل علىٰ تلك الأصنام الجوفاء التي كانت ومازالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد وتضفي هالة من القداسة علىٰ قائليه الضُّلال معتقدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد حتىٰ بين الله أمرهم علىٰ يديك. اهـ.

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول من قال من علماء جماعة أنصار السنة المحمدية: «بأن التصوف كله شر»، وكان له رحمة الله عليه أثر كبير في ظهور الكتابة العلمية عن التصوف في مجلة الهدي النبوي، وقد ظل يكتب بها قرابة ربع قرن ولقد كتب رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر ما كتب تحت عنوان «نظرات في التصوف» من ذلك اعتبارًا من عام 1379هـ - 1386هـ مقالات بلغت (45) مقالًا جمعتُها كلها ووجدت أنه قد اختط لنفسه منهجًا في الكتابة عن التصوف، يقول هو عنه: «إننا سنعرض هذه القضية عرضًا عادلًا منصفًا فيه إسراف في العدل والإنصاف، وحسب القارئ إنصافًا في العرض وإيثارًا للعدل الكريم أننا سنبسط أن آراء التصوف نفسه كما بثها كبار شيوخه، وكما دافعوا عنها تاركين للقارئ الحكم، وحسبه أن يقارن بين أصول الإسلام التي يعيها كل مسلم وبين آراء التصوف علىٰ أننا سنُعين القارئ أحيانًا بتذكيره بأدلة هذه الأصول من آيات القرآن وأحاديث السنة الصحيحة». ومن أراد أن يعرف صلته رَحِمَهُ اللَّهُ بالتصوف فليقرأ مقدمة كتابه رسالة مفتوحة إلىٰ شيخ مشايخ الطرق الصوفية والتي سماها «صوفيات».

۞ إنتاجه:

يتميز إنتاجه بالأسلوب الرصين، مع التحقيق الدقيق والدقة المتناهية في نقل النصوص، وتعتبر كتبه مرجعًا لكل من أراد أن يكتب عن التصوف، بل لا أكون مغاليًا إن قلت: إن معظم من كتب عن التصوف بعده هم عيال عليه.

❁ وأهم مؤلفاته:

1- صوفيات.

2- دعوة الحق.

3- هذه هي الصوفية.

4- البهائية.

5- الصفات الإلهية.

6- القاديانية.

7- ورسالة صغيرة طبعت تحت عنوان «زندقة الجيلي».

❁ تحقيقاته:

8- حقق كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية.

9- مصرع التصوف للإمام البُقاعي.

10- الروض الأنف للسهيلي الأندلسي.

وعن كتاب «مصرع التصوف». يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

«هذا الكتاب: هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري، هو برهان الدين البقاعي، سمىٰ أولهما «تنبيه الغبي، إلىٰ تكفير ابن عربي». وسمىٰ الآخر «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد» نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة.

ومنهاج البقاعي في النقد يقوم علىٰ أصلين.

أولًا: نقل نصوص كثيرة عن «فصوص الحكم» لابن عربي، وعن «التائية الكبرىٰ» لابن الفارض، وقليلًا ما يعلق البقاعي علىٰ هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآني معتمدًا علىٰ فطنة القارئ ومعرفته بدينه، فهما كفيلان بإدراك ما في هذه النصوص من كفر ومجوسية، يدركهما القارئ حتىٰ باللمحة الفكرية الهافية.

الآخر: ذكر فتاوىٰ كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوىٰ النزر اليسير جدًّا بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة علىٰ معتقدهم، إذ ما يستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون -مفترين- بالنسبة إلىٰ الشيخ الإمام ابن تيمية»اهـ.

۞ إله الغزالي:

وتحت هذا العنوان كتب الشيخ مقالة – في كتابه الفذ «هذه هي الصوفية» تبرز سلفيته ومدىٰ محاربته للتصوف، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولعل ما يقلق دهشتك، ويثير ثائرتك أن يقرن بأولئك هذا الذي افترىٰ له الصوفية أضخم لقب في التاريخ، وهو «حجة الإسلام». ليفتكون بهذا اللقب الخادع بما بقي من وَمَضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين. فاسمع إلىٰ كاهن الصوفية – لا حجة الإسلام – يتحدث عن التوحيد ومراتبه «للتوحيد أربع مراتب. والثانية: أن يصدق بمعنىٰ اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام!! (تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد!!). والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرىٰ أشياء كثيرة، ولكن يراها علىٰ كثرتها صادرة عن الواحد القهار(في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل، بدليل ما سيقرره بعد، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلًا واحدًا، فيلزمه نسبة فعل المجرم إلىٰ ذلك الفاعل الواحد)، والرابعة: ألا يرىٰ في الوجود إلا واحدًا (قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره، أما في هذه، فيقرر وحدة الموجود أي وحدة الوجود، يقرر أن الذوات علىٰ كثرتها هي في الحقيقة ذات واحدة) وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية: الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرىٰ إلا واحدًا، فلا يرىٰ نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه؛ لكونه مستغرقًا بالتوحيد، كان فانيًا عن نفسه في توحيده، بمعنىٰ أنه فنىٰ عن رؤية نفسه والخلق».

ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة، فيصف صاحب المرتبة

الرابعة من التوحيد بقوله: «والرابع موحد بمعنىٰ أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرىٰ الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوىٰ في التوحيد، فإن قلت: كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدًا، يكون الكثير واحدًا؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات (يكل المعرفة بأسمىٰ مراتب التوحيد إلىٰ علوم المكاشفات، فما تلك العلوم؟ إنها قطعًا شيء آخر غير الكتاب والسنة، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من «أذواقهم ومواجيدهم»، ثم سجلوها في كتبهم، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلىٰ قدس الحق من التوحيد الخالص، فتدبر تجد الغزالي يهدف إلىٰ صرف المسلمين عن هدي ربهم إلىٰ خرافات الصوفية وضلالاتهم)، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب (اقرأ بعد هذا قول الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. وأهم شيء هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف!!) فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر (هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية، غير أنهم يضنون بها علىٰ الكتب، وأن المسلمين جميعًا لا يعرفون حقيقة التوحيد!! ومعناه مرة أخرىٰ: أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد) ثم يضرب لنا مثلًا عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله: «كما أن الإنسان كثير إن التفت إلىٰ روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرىٰ واحد. فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد، وباعتبار آخر سواه كثير ومثاله الإنسان، وإن كان لا يطابق الغرض، ولكنه ينبه في الجملة علىٰ كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدًا، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه، وتؤمن إيمان تصديق (بهذا الهراء يستدل الغزالي علىٰ الوحدة بين الخلق والخالق، ويحتم علينا الإيمان به!! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله، أو أثارة من فكر صحيح وبرهان عقلي، بيد أنه لجأ إلىٰ الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده

بالوحدة بين الإنسان وأعضائه!!)، وإلىٰ هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج (صلب سنة 309هـ لثبوت زندقته) حيث رأىٰ الخواص يدور في الأسفار فقال: في ماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار؛ لأصحح حالتي في التوكل، فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟! فكأن الخواص (هو إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحق الخواص مات 291هـ) كان في تصحيح المقام الثالث، فطالبه بالمقام الرابع (كل النصوص التي ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالي جـ4 من ص 212 وما بعدها ط دار الكتب العربية. وعجيب أن يمجد الغزالي الحلاج، وهو يعلم أنه قائل هذه الأبيات:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتُهُ ... سِرَّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ

ثُمَّ بَدَا فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا ... فِي صُورَةِ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ

حَتَّىٰ لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ ... كَلَحْظَةِ الْحَاجِبِ لِلْحَاجِبِ

مُزِجَتْ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا ... تُمْزَجُ الْخَمْرَةُ بالماء الزلال

فإذا مسَّك شيء مسَّني ... فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالْ[1]

عجيب أن يمجد الغزالي صوفيًا يزعم أن الله آكل شارب، يحب الحياة ويخاف الموت، ويمحقه العدم ويقتله الحزن، وتزل به الشهوات، لأنه عين خلقه!! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في بلوغ أسمىٰ مراتب التوحيد؟ ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر، فينصرف عنهما إلىٰ تمجيد زندقة الحلاج؟!).

أرأيت علىٰ من صنمته الصوفية باللقب الفخم الضخم؛ لتفتن به المسلمين عن هدي الله؟! أرأيت إلىٰ الغزالي يدين بوحدة الوجود، أو الشهود؟! سمها بما شئت، فعند الكفر تلتقي الأسطورتان، لا تقل: إن وحدة الوجود أنشودة من البداية، ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية، فكلتاهما بدعة صوفية بيد أنها غايرت بين الاسمين، وخالفت بين اللونين،

(1) الطواسين للحلاج ص 130، 142.

ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي به السم الناقع!!

كلتاهما زعاف الرقطاء، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج، والأخرىٰ في كأس من ذهب!!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج، وهذا وحده كاف في إدانة الغزالي بالحلاجية، ولقد علمت ما هي!!

۞ رأيه في الغزالي:

ولقد فطن إلىٰ حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون، وإلىٰ أنه النافث لجرثومة الصوفية، فقال: «إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخوانًا في ذلك الدين الحر بكل ما لكلمة الحر من معنىٰ - ص 104 «في التصوف الإسلامي». ترجمة الدكتور عفيفي - ولقد كنا نحب أن يفطن إلىٰ ذلك بعض من يمجدون الغزالي، كما فطن إليه المستشرق المسيحي (سبقه إلىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، فكشف كشفًا صريحًا مؤيدًا بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام)!!

ويقول جولد زيهر: «وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلىٰ تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحا فيه منحىٰ التأويل إخضاعًا تامًّا لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي (ص 259 مذاهب التفسير لجولد زيهر)!». ويقول: «خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية، وجعل منها عنصرًا مألوفًا في الحياة الدينية، وفي الإسلام، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم بالتصوف، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة - كذا!! - قوة روحية (ص 159 العقيدة والشريعة لجولد زيهر) ويقول: «إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام (ص 161 نفس المصدر) وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية، وبعد أن كان المسلمون علىٰ حذر من سمها، وفي انفصال تام عنها حملهم

بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها، ويقول كارل بكر: «ولقد سادت روح «الغنوص» فرق صدر الإسلام كلها، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خاليًا من السم معترفًا به من أهل السنة (ص 10 التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي) هذا هو خطر الغزالي!! صور التصوف للمسلمين رحيقًا خاليًا من السم، فترشفوه، ففتك بهم.اهـ.

وقد ترك الشيخ عبد الرحمن الوكيل مكتبة كبيرة سواء من إنتاجه أو من اقتنائه للكتب حوت كتب نادرة في معارف متنوعة، ويكفي أن يقوم أي باحث بزيارة مكتبته في «مسجد بابل» بالدقي ليعرف قيمة الرجل ومدى إلمامه بشتى العلوم.

❁ موقفه من المبتدعة:

قال في كتابه «الصفات الإلهية»: «أمة القرآن: ولقد آتى هذا الإيمان العظيم أكله، فجعل من أصحابه خير أمة أخرجت للناس، وأعظم جماعة تسامت بكرامة الإنسانية وبدد بنوره الذي أشرق في قلوب هؤلاء، وأشرقوا به على الناس، بغي الصليبية، وكيد الصهيونية ودنس المجوسية، ومكن لهم بنصر الله في الأرض، فأشرق في أرجائها جلال التوحيد، وروحانية الإيمان، وصفاء الخير، ونقاء الحب، ووداعة السلام، وتلاقت الأرحام على أقدس أخوة عرفها تاريخ بني الإنسان.

فأروني الأمة التي أخرجها علم الكلام، ودعاته ألوف ألوف، وقد خيم على العقول القرون الطوال؟ إننا لا نجد أمته إلا أمة ضلالة ذأهلة وحيرة شاردة، وإن التاريخ لم يسجل لأمة غير هذا الذي نقول، وسجل له أنه كان من الظلمات التي حاولت أن تغتال النور في قلوب هذه الأمة وتاريخها المجيد.

كيد دنيء: هكذا فعل الإيمان العظيم الذي تحدثنا عنه بهذه الأمة، ولكن أبى المسعرون بالأحقاد أن تظل هذه القوة العظيمة المنتصرة تبطش بالجور والسفه والضلالة والكفر، وتشيد في كل لحظة مجدًا لقوة الحق، وجلالة الإيمان، وإيثار الأخوة السمحاء، وللوحدة القوية التي تجعل من البشرية أسرة واحدة.

كما أبوا أن يستكينوا إلىٰ ذل الهزيمة، فأوغلوا في الكيد وظلوا بالمسلمين يمارسون - في دهاء- فتنتهم، حتىٰ استطاعوا الظفر بمن يهجر القرآن، ويتنكر للسنة، ويمجد البدعة، ويسجد للخرافة» وإذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل -كما يقول ابن تيمية- انتقم الله ممن خالف الرسل، فإنه لما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام، وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله علىٰ الكفار، وقول الإمام ابن تيمية حق هدىٰ إليه القرآن، وامتلأ بآياته التاريخ»[1].

۞ موقفه من الصوفية:

له من الآثار السلفية:

1 - صوفيات أو «هذه هي الصوفية». وهو مطبوع ومتداول.

ومما قال فيه رَحِمَهُ اللهُ: «للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مددًا من الحق الكريم، وأن للكفر الدنس روحًا من الإيمان الطهور. والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص، يقول التلمساني -وهو من كُهان الصوفية-: «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم -وهو دين زندقة- وقال له: «أخرج به إلىٰ الناس ينتفعون به- ويقول: فحققت الأمنية كما حده لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان»، ثم يقول:

فمـــــــن الله، فاســـــــمعوا وإلـــــــىٰ الله فـــــــارجعوا

علىٰ حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلىٰ كل نحلة مارقة، وتنتهب منها أخبث ما تدين به، ثم تفتريه لنفسها، مؤمنة به، وتحمل علىٰ الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود، وخرافة وحدة الأديان؟ فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه، عينهم في الذات والصفات والأسماء

---

(1) الصفات الإلهية (10 - 12).

والأفعال، تزعم أن واهب الحياة، وخالق الوجود عين الصخر الأصم، والرمة العفنة، ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن، وصالحة الناسك، وتزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر، وأن إيمان موسىٰ عين كفر فرعون، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد، فكل رب الدين ورسوله، كل تعين للذات الإلهية، غير أنها سميت في تعين بمحمد، وفي آخر بأبي جهل، وهي هي في مظهريها، أو اسميها، تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي، وروح إيمانه، بل زادت الخطيئة فجورًا، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي، وأسمىٰ مقامًا.

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية، وتدبر ما قصه الله عن الجاهلية وشركها، تجدهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته توحيدًا حرمت حتىٰ من مثله قلوب الصوفية، إن كانت لهم قلوب، يقول تعالىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: 84 – 89].

هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعنًا كبيرًا بشركهم، لأنهم أشركوا بالله في إلهيته، فتضرعوا إلىٰ غيره بالدعاء.

أما الصوفية فتدين بالقتلة والمجرمين، وأوغاد الفاحشة أقطابًا يتصرفون في الوجود، ويسيطرون بقهرهم علىٰ سنن الله الكونية ونواميس الوجود التي فطرها الله وحده، وهو الذي يصرفها وحده، ويتحكمون في أقدار الله، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون، فأي الشركين أطغىٰ بغيًا، وأخبث رجسًا؟ لقد وحدت الجاهلية الله في ربوبيته، وأشركت به في ألوهيته،

---

(1) هذه هي الصوفية (ص19 – 20).

أما الصوفية فنفتهما عنه، وأثبتتهما للمفاليك الصعاليك، بل انحدرت حتىٰ نفت وجود الله الحق، ونعتته بالعدم الصرف، أفيمكن أن يقاس إلحاد الصوفية، بشرك الجاهلية؟ أم ترىٰ هذا ليلًا غاسقًا، وترىٰ الإلحاد الصوفي دياجير تطغىٰ، وتتراكم، وتطول، حتىٰ لا يعرف الأبد فيها بدايته، أو منتهاه؟ أجيبوا يا كهنة الصوفية ولكن، لا: فحسبي أن الجواب مسفر الصبح، وضيء البيان، قوي الدلائل»[1].

وله تقديم وتعليق علىٰ كتاب «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» وكتاب «تحذير العباد ببدعة الاتحاد» وكلاهما للبقاعي، تحت عنوان «مصرع التصوف».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الكتاب: «إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ورسوله. إنه قناع المجوسي يتراءىٰ بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي العداوة للدين الحق، فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديصانية، تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد فيه يهودية، ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدىٰ الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفرًا جديدًا مكحول الإثم متبرج الغواية، متقتل الفتون، ثم سماه للمسلمين: تصوفًا وزعم لهم -وأيده في زعمه القدامىٰ والمحدثون من الأحبار والرهبان- أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام، أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله سأظل أقولها، لعلي أعين الفريسة التعسة علىٰ أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف، ولكن سلوا الصوفية سودًا وبيضًا، خضرًا وحمرًا، سلوهم: ما ردكم علىٰ هذا الصوت الهادر من أعماق الحق؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد: إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتىٰ وأعتابها»[2].

---

(1) هذه هي الصوفية (ص135).

(2) مصرع التصوف (ص10).

وقال رَحِمَهُ اللهُ متعقبًا ابن خلدون في تقسيمه طريق المتصوفة إلىٰ طريقة السنة وطريقة هي مشوبة بالبدع: «ما كان من الصحابة ولا من التابعين صوفي، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب، ولكنه خدع كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة، إذ يقول في مقدمته عن التصوف: «هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة»، ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به علىٰ الله فيستجيب، ويستشفىٰ به فيهفو الشفاء، وأن الصوفية هم غياث الخلق؟ كما زعم القشيري في رسالته، وهو من سلف الصوفية المتقدمين، وأقلهم شناعة في إفك المتصوف.

أجاء في السنة أن العزوبية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته، ونسب فريته المانوية إلىٰ الرسول ﷺ؟ أفيها أن الدين شريعة وحقيقة، وأن هذه أفضل من تلك؟ أفيها أن المريد لابد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟ أفيها أن قلب المريد بيد شيخه يصرفه بهواه؟ أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله؟ أفيها أن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟ أفيها أن الولي أفضل من النبي؟ أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسىٰ؟ أفيها أن الذريات تسبح بحمد الأولياء، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها؛ كما زعم الغزالي؟

تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين، بهتوا بها الحق والهدىٰ منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة وبعده، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون -وغيره- أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة، أفتنسم

علىٰ روحك مما نقلته عنهم نسمات حق، أو عبير هدىً؟ كلا بل إنه يحموم كفر ومجوسية، ألا فلنقل الحق: ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخبير بحال الصوفية - سلفهم وخلفهم - والمتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت، وهي حرب دنيئة - خفية أو مستعلنة - علىٰ الإسلام، هذا القشيري الصوفي القديم (ولد سنة 376هـ وتوفي سنة 465هـ) هذا هو يقول في رسالته عنهم: ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلىٰ اتباع الشهوات. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية. (ص 2 - 3) الرسالة للقشيري، هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلىٰ للصوفية العملية المعتدلة، وإنها لتدل علىٰ أن الصوفية من قديم تواصوا بالكيد للإسلام، وإنا لا تخدعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي، إذ هم السم الناقع يتراءىٰ شهدًا مُذابًا، فالقائلون بما هلل له البقاعي هم عين القائلين بما يخنقك منه يحموم الزندقة، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة: (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم علىٰ الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه) يفضل الصوفية علىٰ السابقين من المهاجرين والأنصار، ثم يقول: (جعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق) وماذا بقي لله إذا كان هؤلاء غياثًا للخلق؟ وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك؟ ثم يقول: (ورقاهم إلىٰ محال المشاهدات بما تجلىٰ لهم من حقائق الأحدية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية) إذًا فهم عند القشيري أعظم مقامًا من خليل الله إبراهيم، ومن

---

(1) هامش (ص150 - 151) من الكتاب نفسه.

محمد عليه الصلاة والسلام!! فتأمل في الأستاذ القشيري، وفي قوله، وفيما خلفه في رسالته، ثم اسمع إليه ينقل في رسالته: (لا تصلح المحبة بين اثنين حتىٰ يقول الواحد للآخر: يا أنا، المحبة سكرٌ لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه) (انظر مقدمة الرسالة، وص 164 منها) وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود»[1].

۞ موقفه من الجهمية:

قال رَحِمَهُ اللهُ: ولقد رأيت من البر بالحقيقة، ومن الإحسان في الدعوة إلىٰ الله أن أنشر هذه النصوص الوفيرة لأئمة الأشاعرة، بل لأعظم أئمتها، وهم: أبو الحسن الأشعري، إمام الأشاعرة الأول، والباقلاني، والجُوَيْني، وابن فُورك، والرازي، والغزالي؛ وسيرىٰ أولئك الذين أضَلتهم فتنةُ الخلفية أن أئمة الأشاعرة قد اعترفوا اعترافًا صريحًا كاملًا بأن طريقة السلف هي الأسلم، وبأنها هي الأعلم، وبأنها هي الأحكم، وبأن طريقة الخلف حيرة وشك وضلالة أوهام.

وإني لأرجو أن يحمل هذا بعضَ الذين يحسنون الظن بالخلفية، علىٰ الرجوع إلىٰ الإيمان الصحيح، وعلىٰ أن يكسروا من حدة غلوائهم في اتهامنا بالتمثيل، وبالتجسيم، وعلىٰ أن يؤمنوا أن خلف الأشاعرة لا تصلهم رحمٌ ما بسلف الأشاعرة، فقد عاش أبو الحسن -بعد توبته- يؤكد في كل كتاب له: أنه علىٰ عقيدة سلف هذه الأمة. أما متأخرو الأشاعرة، فقد لُقِّبوا بأنهم «مخانيث الجهمية والمعتزلة». لأنهم أَوْغَلوا في التأويل إيغالًا أدىٰ بهم إلىٰ التعطيل.

فليتدبر الذين يزعمون أنهم أشاعرة أو خلف، فلعل إشراقة من نور الحق تبدد ما غام علىٰ نفوسهم من غَيِّ الخلفية وفتنتها.

نصيحة من القلب: وليتدبر أولئك الإخوان الذين نشهد لكثير منهم بحسن القصد والسعي في سبيل الخير والحق، فَثَمَّت فيهم من يدين بالخلفية الجهمية، ويفتي بها غير مقتصد، ولا مُسْتَدِل بكتاب، أو سنة.

(1) هامش (ص232).

وينكر أن الله استوىٰ علىٰ عرشه، وأن له يدين، وأن له وجهًا، ويقترف تفسيرًا كله زيغ وضلالة وإفك قديم لكل آية أخبر الله فيها عن استوائه ويديه ووجهه سبحانه.

فهل هذه الخلفية هي السُّنَّة التي يزعم هؤلاء المفتون أنهم يؤمنون بها، ويعملون بها، ويجاهدون في سبيل أن يجعلها المسلمون لهم منهاجًا وسبيلًا إلىٰ الله؟

لا أظن أنهم يجرءون علىٰ اقتراف هذا الزعم، فما نجمت الخلفية إلا بعد قرون، ولا أظن أنهم يجرؤون علىٰ اتهام الصحابة والتابعين بأنهم لم يكونوا علىٰ بينة من دينهم، وبأن الرازي وأضرابه، كانوا أبر بكتاب الله من أبي بكر وعمر؛ أو كانوا أسلم وأحكم وأعلم، وأعظم فهمًا للكتاب من صفوة هذه الأمة؟

إن من يؤكد للناس أنه «عامل بالكتاب والسنة» يجب عليه أن يكون هو القدوة الحسنة في ذلك، فيعتقد في الله سبحانه ما كان يعتقده خير العاملين بالكتاب والسنة، رسول الكتاب والسنة، أما أن يعتقد فيه ما كان يعتقده الرازي، مثلًا، فهو بهذا يناقض ما يدعيه، ويثبت أنه عامل بالرازي، لا بالكتاب والسنة.

ترىٰ هل ظلت الأمة كلها أربعة قرون جاهلة بمراد الله، ضالة عن معرفته حتىٰ ظهر أمثال الرازي، فدل هذه الأمة علىٰ دينها؟»[1].

وقال بعد ذكره النصوص الواضحات من كتب أبي الحسن الأشعري التي تدل علىٰ اعتناقه مذهب السلف: كل هذا، بل بعضه يدمغ بالجور أولئك الأشاعرة الذين يمقتون أن يُنْسب إلىٰ الأشعري أنه كان يمجد عقيدة السلف. وذلك حين يتراءون بالارتياب في صحة نسب كتاب «الإبانة» إلىٰ الأشعري، أو حين يزعمون أنه رجع عما فيه، فألف الكتب التي تنقض ما أثبته فيه، والإبانة في الحقيقة هو آخر كتاب ألفه.

ولا أظن في أشعري مسلم، أنه يرتضي أن يُتهم إمامُه بالردة عن دين الحق، أو بأنه كان نَهْبَ الحيرة والاضطراب في عقيدته، أو بأنه كان ذا وجهين، وجه ينافق به المعتزلة والمعطلة، فيكتب في تأويل الصفات أو نفيها، ووجه آخر ينافق به السلفيين، فيكتب في

(1) الصفات الإلهية (ص32 – 34).

إثبات الصفات.

ولا أظن في إنسان يحترم الحقيقة أنه يجنح إلىٰ الريبة في صحة نسب الكتاب إلىٰ الأشعري من غير دليل إلا إن كنا نعتبر نزغ الهوىٰ دليلًا، كما لا أظن أنه يرتاب في أن الأشعري ظل يؤمن بكل كلمة قالها فيه، ولم يؤلف كتابًا آخر ينقض به ما أثبته في الإبانة.

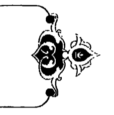
والذين يجلُّون الأشعري، ويفخرون بالانتساب إليه، لا أظن أيضًا أنهم يجرؤون علىٰ إنكار هذه الحقيقة التي أذكرهم بها مرة أخرىٰ: تلك هي أن ما انتهي إليه مذهب الأشعري علىٰ يد بعض أتباعه يخالف ما كان عليه الأشعري نفسه، ويناهضه وأن ما كتبه الرازي، أو الجويني وغيرهما من تأويلات يناقض عقيدة الأشعري كل المناقضة، وينتسب برحمٍ ماسَّةٍ إلىٰ المعتزلة والجهمية الذين كفَّرهم أبو الحسن الأشعري، فهل بعد هذا أستطيع أن أُقْدِم علىٰ الظن بأن أشاعرة اليوم لن يُقْدِموا علىٰ تحطيم إمامهم الكبير؛ ليبنوا علىٰ أنقاضه بعض الذين أبوا إلا أن يجحدوا بدين إمامهم الكبير، وإلا أن يعينوا عليه عدوَّه من الجهمية والمعتزلة، وإلا أن يَسُبُّوا كبار أئمتهم كالأشعري، ليسبوا -بَغْيًا- أنصار السنة؟»[1].

❁ وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد فترة مع المرض وقضىٰ أجله ولحق بجوار ربه في 22 جمادىٰ الأول 1390هـ الموافق 1971م ودفن بالحجون.

❁❁❁

(1) الصفات الإلهية (ص52 – 53).



الشيخ العلامة
محمد عبد الرزاق حمزة (1392هـ)



هو العلامة المتفنن المحدث السيد الشريف محمد عبدالرزاق حمزة الأزهري، ولد في قرية كفر عامر التابعة لمركز بنها بمصر وينتهي نسبه إلىٰ الرسول ﷺ، أي أنه من سلالة آل الرسول ﷺ، وكان من خلقه وطبعه عدم ذكر شيء عن نسبه؛ لأن مبدأه وعقيدته التي عاشها طوال حياته أن الأنساب لا ترفع أحدًا وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وشجرة نسبه تحتفظ بها أسرته.

وقد تربىٰ في وسط ريفي بين أبوين كريمين، تغلب عليهما السماحة والوداعة، والبعد عن التعقيد، والصراحة في القول والعمل، وكذلك كان الشيخ محمد عبد الرزاق- رحمه الله تعالىٰ- في حياته وظل كذلك بعد أن انتقل إلىٰ الحاضرة، وعاش في القاهرة بين صخب المدينة وزخرفة الحضر، ومعاصرة أصحاب الترف في الطبقات (المترفة) - مع هذا كله لم تتغير خصال الشيخ وانطباعاته، ولم يحد عن خلقه في السماحة والمسالمة والصراحة والتمسك بمكارم الأخلاق وصفات أهل الورع والتقوىٰ.

۞ دراسته وتحصيله:

لقد تلقىٰ المبادئ الأولىٰ من القراءة والكتابة والقرآن الكريم في كُتَّاب القرية، وكانت تلك المبادئ إعدادًا لما بعدها من مراحل العلم وحقول المعرفة والتوسع في جوانب الدراسة الدينية والعربية والرياضية.

ومتىٰ بلغ الولد سن القبول في الأزهر، وتوفرت فيه الشروط المطلوبة في طلبته، كحفظ القرآن، ألحقه أبوه بالأزهر، ، وكان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة جادًّا في طلبه ومتقدمًا علىٰ أقرانه، دؤوبًا علىٰ التحصيل والغوص في المسائل العلمية وحلها بتحقيقه

والإفادة منها.

❁ علاقته بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر:

كانت للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ أوثق الصلات بجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ممثلة في رئيسها ومؤسسها فضيلة الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ وكانت بينهما صلات قوية تنبئ عن عمق العلاقة الأخوية والدعوية للشيخين الجليلين رحمهما، كما أن المكاتبات والمراسلات العلمية بينهما تنبئ أيضًا عن عمق هذه العلاقة ومتانتها، كما كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ إسهامات علمية مباركة في مجلة الهدي النبوي تبرهن على قوة صلة الشيخ بجماعة أنصار السنة المحمدية التي تؤدي دورًا فاعلًا في الساحة الإسلامية داخليًّا وخارجيًّا.

❁ انتقاله إلى الحجاز:

وفي عام 1344 قصد الشيخان؛ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ عبد الظاهر أبو السمح مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وكان الملك عبد العزيز آل سعود (ملك الحجاز وسلطان نجد كما كان لقبه يومئذ) حاجًّا فاتصلا به مع العلماء القادمين من العالم الإسلامي، وتكررت اللقاءات معه فعرف الكثير عن نشاطهما وقيامهما بالدعوة السلفية في مصر، وعرض عليهما الانتقال إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية لإمامة الحرمين الشريفين والقيام بخطابة الجُمع والتدريس فيهما.

وبناءً على الرغبة الملكية السامية انتقل الشيخان بأهلهما وأولادهما إلى مكة المكرمة سنة 1347هـ (1929م) وأصدر الملك عبد العزيز أمره الكريم بتعيين الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في المسجد الحرام، وتعيين الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي بالمدينة.

❁ نشاطه في المدينة:

كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في خطب الجمع والتدريس في الحرم النبوي جولات واسعة في الإصلاح الديني، والتوجيه الهادف، ومعالجة الأدواء الاجتماعية، كما

فتح دروسًا صباحية ومسائية في المسجد النبوي في الحديث والتفسير والتوحيد، وكان لكل ذلك الأثر الطيب في نفوس الشباب المثقف وغيرهم.

❁ انتقاله إلى مكة المكرمة:

لم تطل إقامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في المدينة فنقل إلىٰ مكة المكرمة في غضون 1348هـ (1929م) مدرسًا في الحرم المكي، ومساعدًا للشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح في إمامة الحرم والخطابة.

❁ في المعهد العلمي السعودي:

كما عهد إليه في التدريس في المعهد العلمي السعودي ودروسه في المعهد لم تكن مقتصرة علىٰ المواد الدينية، بل قام بتدريس المواد الرياضية كالحساب والهندسة والجبر ومبادئ المثلثات.

❁ دروسه في الحرم المكي:

استأنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشاطه العلمي الإرشادي في مكة، بفتح دروس للغامة بين العشاءين، وبعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، في التفسير والحديث بطريقة غير مألوفة للناس، وذلك بعدم التقيد بكتاب معين فكان يقرأ الآية غيبًا ثم يبدأ في تفسيرها بما وهبه الله من سعة الاطلاع وسرعة استحضار أقوال السلف مكتفيًا في ذلك بالصحيح الثابت المأثور من الأقوال والروايات، وبهذه الطريقة أكمل مرارًا تفسير القرآن الكريم، وفي الحديث أكمل قراءة الصحيحين وشرحهما علىٰ طريق تفسير القرآن، وكانت حلقات دروسه ملتقىٰ أجناس شتىٰ من أهل مكة والوافدين إليها، ونفر كثير من أهل جدة كانوا يحرصون علىٰ دروسه كلما جاءوا إلىٰ الحرم، ولم تكن دروسه تخلو من طرف علمية أو نوادر أدبية دفعًا للسأم، وترويحًا لنفوس المستمعين علىٰ عادة العلماء الأقدمين الأذكياء.

وإذا تعرض لآراء الفرق المنحرفة من القدماء أو العصريين شرح للمستمعين انحرافاتهم، ثم يبدأ في نقض آرائهم بطريقة علمية منطقية سهلة، يرتاح إليها الحاضرون،

ويصغون إليه وكأن علىٰ رؤوسهم الطير.

❁ دروسه الخاصة:

وكان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الدروس لأفراد من راغبي العلم في حجرته بباب علي في المسجد الحرام وكانت تعرف بقبة الساعات، وهذه الدروس كانت تشمل اللغة العربية، (النحو والصرف والبلاغة)، وأصول التفسير، وأصول الحديث، والرياضيات كالجبر والهندسة والفلك، ولم تكن دراسته لعلم الفلك علىٰ الطريقة القديمة (الربع المُجَيِّب) بل كانت علىٰ الطريقة الحديثة وقد ساعدته معرفته بمبادئ اللغة الإنجليزية للاستفادة بالتقويم الفلكي السنوي، الذي تصدره (البحرية الملكية البريطانية بلندن).

❁ فكرة تأسيس مرصد فلكي في مكة:

وولعه بهذا الفن دفعه إلىٰ فكرة تأسيس مرصد فلكي صغير، علىٰ رأس جبل أبي قبيس بمكة المكرمة، للاستعانة بآلاته علىٰ إثبات رؤية الهلال لشهر رمضان، ورؤية هلال ذي الحجة لتحديد وقفة عرفات وعيد الأضحىٰ، وعرض الفكرة علىٰ الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ فواق، وأصدر أمره إلىٰ (وزارة المالية) ببناء غرفة خاصة للمرصد علىٰ قمة جبل أبي قبيس كما ساعده في جلب بعض آلات الرصد في مقدمتها (تلسكوب)، ولكن- مع الأسف- لم يكتب للفكرة الظهور إلىٰ الوجود نظرًا لغرابتها.

❁ تأسيسه لمدرسة دار الحديث بمكة:

كان الاهتمام بالحديث وكتبه ودراسته فنونه في مقدمة ما كان يحرص عليه الشيخان الجليلان الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة وبناءً عليه قام الاثنان بتأسيس (دار الحديث بمكة) سنة 1350هـ (1931م) بعد الاستئذان من الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وقد رحب بالفكرة، ووعدهما بالمساعدة في كل ما يحتاج إليه هذا المشروع.

وتم افتتاح هذه الدار تحت إدارة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، وعُهِدَ إلىٰ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بأن يكون مدرسًا أولًا بها، واختير لها كذلك نخبة من العلماء المشتغلين بالحديث وعلومه للتدريس بها.

وبذل الشيخ محمد عبد الرزاق مجهودًا كبيرًا في رفع مستوىٰ طلاب الدار في علوم الحديث، وكان معظم طلابها يومئذ من المجاورين، وبعد سنوات تخرج فيها عدد لا بأس به، فرجعوا إلىٰ بلادهم بأفريقيا وآسيا دعاةً إلىٰ الله، وهداة إلىٰ سنة رسوله كما تولىٰ كثير منهم المناصب الدينية الرفيعة في بلادهم.

۞ انتداب الشيخ للتدريس في أول معهد علمي أقيم بالرياض:

وفي سنة 1372هـ (1952م) تأسس في الرياض أول معهد علمي تحت إشراف سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وانتدب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة للتدريس به في مادة التفسير والحديث وفروعهما، وقد وجد طلاب المعهد في شيخهم المنتدب كنوزًا من المعرفة، تجمع بين القديم والجديد، وكثيرًا ما كانت دروس الشيخ تتحول بالأسئلة والمناقشة إلىٰ علم الجغرافية والهندسة والفلك وآراء المذاهب القديمة والجديدة في هذه العلوم.

واستمر انتدابه سنة واحدة تقريبًا ثم عاد إلىٰ مكة المكرمة.

۞ إحالته إلى التقاعد:

وبعد جهاد علمي متواصل، وخدمة للعلم في مختلف مجالاته، ونشر للمعرفة بكل الوسائل وبعد الأثر البارز الملحوظ الذي تركه رَحِمَهُ اللَّهُ في كل من الحرمين الشريفين، بلغ الشيخ السن القانونية التي يحال فيه الموظف إلىٰ التقاعد، وهي الأربع والستون من العمر، صدرت الإرادة الملكية إلىٰ سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بإحالته إلىٰ التقاعد بكامل راتبه.

لقد أحيل الشيخ محمد عبد الرزاق إلىٰ المعاش، بيد أن أحدًا لم يدرك ذلك غير

أقاربه، أما الطلاب الذين كانوا يدرسون عنده، والذين يجتمعون في حلقات درسه الصباحية والمسائية فلم يشعروا بأي فرق في مجالس دروسه في الحرم الشريف وفي حجرته، بل زاد نشاطه في ذلك، وزاد عدد الطلاب عنده، كما شاهد المتصلون به زيادة اهتمام منه في التأليف والتعليقات على الكتب وكتابة المقالات في المجلات.

❁ مرضه ووفاته:

وفي الأيام الأخيرة أي منذ سنة 1385هـ (1965م) أصيب رحمه الله بعدة أمراض، وفي مقدمتها الروماتزم، وكان بقوة توكله على الله يتجلد ويقاوم تلك الأمراض، مع المحافظة على قراءة الكتب، ثم تفرغ لتلاوة القرآن والصحف أحيانًا، جالسًا أو مضطجعًا في البيت أو في غير بيته. وقد دخل مستشفيات مكة والطائف للاستشفاء، ثم سافر إلى بيروت وتعالج في مستشفى الجامعة الأمريكية أيامًا، وأخيرًا سافر مع ابنه الأستاذ عبد الله حمزة إلى تركيا ودخل مستشفى من مستشفياتها المشهورة أيامًا، ثم عاد إلى مكة واشتدت عليه وطأة الأمراض، فأصبح من سنة 1390هـ (1970م) ملازمًا للفراش، وأخيرًا وافاه الأجل المحتوم في الساعة الثامنة بالتوقيت الغروبي من يوم الخميس 22/ 2/ 1392هـ (1972م)، وصُلِّيَ عليه في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب، ودفن بالمعلا رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى.

❁ تلاميذه:

ومن أبرز تلاميذه: العلامة عبدالله خياط، والشيخ علي الهندي، والشيخ سليمان الصنيع، والأستاذ المحقق أحمد عبدالغفور عطار، والعلامة المؤرخ حمد الجاسر، والشيخ محمد الصومالي، والشيخ إسماعيل الأنصاري، والشيخ محمد بن عمر الشايقي السوداني، والشيخ يحيي بن عثمان المدرس عظيم آبادي، والشيخ محمد الفاداني، والشيخ محمد نور الدين حسين جِمَاوي الحبشي، والشيخ المحقق أبو تراب الظاهري، والدكتور محمد بن سعد الشويعر، والشيخ عبدالله بن سعدي العبدلي – وغيرهم رحم

الله حيهم وميتهم.

❁ مؤلفاته وآثاره العلمية:

1 - كتاب الصلاة ويعتبر كموسوعة مصغرة لموضوع الصلاة، فقد جمع فيه كل ما يتعلق بالصلاة وأنواعها (مطبعة الإمام بالقاهرة 1370هـ) 200 صفحة.

2 - كتاب الشواهد والنصوص في الرد على كتاب هذي هي الأغلال (مطبعة الإمام بالقاهرة 1367هـ) 200 صفحة.

3 - رسالة في الرد على بعض آراء الشيخ الكوثري (مطبعة الإمام بالقاهرة 1370هـ) 72 صفحة.

4 - كتاب ظلمات أبي رية (المطبعة السلفية بالقاهرة 1378هـ) 331 صفحة.

5 - الإمام الباقلاني وكتابه التمهيد في رسالة جمعت بحثه وبحث الشيخ بهجت البيطار والشيخ يحيى المعلمي - رحمهم الله - مطبعة الإمام بالقاهرة.

هذه هي مؤلفاته، وثم كتب نشرها بعد تصحيحها والتعليق عليها وهي:

1 - عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، طبعة مكة المكرمة (1349هـ).

2 - رسالة التوحيد للإمام جعفر الباقر، دار العباد بيروت (1376هـ - 1956م).

3 - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، المطبعة السلفية بالقاهرة (1351هـ).

4 - الباعث الحثيث إلى فن مصطلح الحديث، المطبعة الماجدية بمكة المكرمة (1353هـ).

5 - الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية بمكة المكرمة (1350هـ).

6 - رسالة الطلاق لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الطباعة المحمدية الأزهر بالقاهرة (1342هـ).

7 - الكبائر للذهبي، مطبعة الإمام بالقاهرة (1373هـ).

8 – الاختيارات الفقهية طبع علىٰ نسخة كتبها بقلمه ويده.

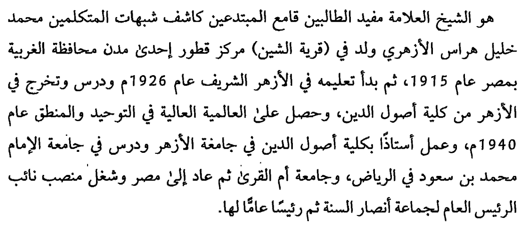
9 – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، اشترك في تحقيقه وتصحيحه مع فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية (1368هـ - 1949م).

10 – ومن الرسائل التي ألفها ولم تطبع رسالة «الله رب العالمين في الفطر والعقول والأديان».

❀❀❀



الشيخ العلامة
محمد خليل هراس (1395هـ)[1]



هو الشيخ العلامة مفيد الطالبين قامع المبتدعين كاشف شبهات المتكلمين محمد خليل هراس الأزهري ولد في (قرية الشين) مركز قطور إحدىٰ مدن محافظة الغربية بمصر عام 1915، ثم بدأ تعليمه في الأزهر الشريف عام 1926م ودرس وتخرج في الأزهر من كلية أصول الدين، وحصل علىٰ العالمية العالية في التوحيد والمنطق عام 1940م، وعمل أستاذًا بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر ودرس في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وجامعة أم القرىٰ ثم عاد إلىٰ مصر وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة ثم رئيسًا عامًّا لها.

وفي عام (1973م) - أي قبل وفاته بسنتين- اشترك مع الدكتور عبد الفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية وكان أول رئيس لها.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ سلفي المعتقد شديدًا في الحق قوي الحجة والبيان، أفنىٰ حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، شديد التمسك بها وناصرًا لها كما كان رَحِمَهُ اللَّهُ شوكة في حلوق المبتدعة، قال عنه فضيلة الشيخ محمد رشاد الشافعي: «كان يلاقي رَحِمَهُ اللَّهُ من عَنت الجبارين وكيد المبتدعين وزندقة الملحدين ما لا يطيقه إلا الصابرون والمحتسبون» حيث ظل رَحِمَهُ اللَّهُ طوال حياته مدافعًا عن الحديث الشريف الصحيح من اعتداءات منكري السنة، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ أول من رد عليهم كيدهم فتعرض رَحِمَهُ اللَّهُ لمحاولات عديدة للقتل من متشددي الصوفية ومنكري السنة، ولكن الله أعلم بمكائدهم

---

(1) مقدمة كتابه 'شرح العقيدة الواسطية' بقلم علوي السقاف (ص41 - 42) ومجلة التوحيد (العدد الأول محرم 1417هـ/ ص57 - 59) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (10/ 48)

فنجاه الله حتىٰ يكون شوكة في حلوقهم، وقد ركز رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ كتابة كتب العقيدة مثل الصفات الإلهية عند ابن تيمية - شرح العقيدة الوسطية - ابن تيمية السلفي، وقد حصل الباحث موسىٰ واصل السلمي علىٰ درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة علىٰ درجة الماجستير في العقيدة وكان موضوعه: الشيخ خليل هراس وجهوده في تقرير عقيدة السلف، وكان اختياره للهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يقول الباحث «لاتصاف مؤلفات الشيخ بغزارة العلم، ووضوح الأسلوب والفهم الدقيق لما عليه المخالفون لعقيدة السلف - كما تقدم - مما يجعل القيام لإبراز هذه الجهود فيه خير عظيم ونفع عميم.

❁ مكانته العلمية:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة السلفية وملمًا إلمامًا دقيقًا بفكر الفرق الضالة المختلفة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ له القدرة علىٰ أن يتكلم في موضوعات تحسبها لأول وهلة أنها من أعقد قضايا الاعتقاد، ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له القدرة علىٰ أن يجلي غامض الأمور، وكان من معارفه وممن كانوا رفقاء له وكانوا يقدرونه حق قدره ويعرفون مكانته العلمية جماعة من كبار العلماء من أمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ألحَّ علىٰ طلب إعارته للتدريس بمكة المكرمة، وذلك بعد معارضة الأزهر لذلك غير أن الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلب وألح في طلبه وبقي في هذا المنصب حتىٰ توفاه الله، وكان من عارفيه أيضًا الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس قسم العقيدة الإسلامية بجامعة أم القرىٰ، وفضيلة الشيخ محمد حامد الفقي وغيرهم كثير.

❁ موقفه من المبتدعة:

- قال في شرحه علىٰ نونية ابن القيم:

«وهذه الهجرة إلىٰ رسول الله ﷺ لا يستطيع قطع مسافتها، وبلوغ غايتها إلا من جرد لها ركائب عزمه، وتوجه إليها بكل همه، ولم يلتفت إلىٰ شيء مما يعوقه في سيره من

تقليد لمذهب أو تعصب لرأي أو استحسان لبدعة، ولكن مسافتها تطول وتطول جدًّا علىٰ من خصهم الله بالحرمان والخذلان، فصرف قلوبهم عنها، وكره انبعاثهم إليها، فثبطهم وقال اقعدوا مع القاعدين، فهي هجرة لا ينالها أبدًا كسلان، ولا يقوىٰ عليها كل رعديد الفؤاد جبان، وهي هجرة لا تحتاج أن تعد لها زادًا وراحلة، وتضرب في بيداء الأرض وقفارها، بل قد يقوم بها العبد وهو نائم علىٰ فراشه، ويسبق في مضمارها الساعين إلىٰ منازل الرحمة والرضوان، الذين يغذون السير جاهدين، تخب بهم مطاياهم، وأما هو فيسير سيرًا لينًا رفيقًا، ولكنك تراه مع ذلك قد سبق الركب، وسار أمامهم كأنه الجبل العظيم، يراه من في القاع تحته، وإنما هيأ له السبق في المضمار أنه نشرت له أعلام النصوص، وفي رؤوسها أوقدت نيران، هي النور المبين لهداية السالك الحيران، ولكن لا يراها إلا من كانت له عينان بمراود الوحي مكتحلتان، لا بمراود أهل الفشر والهذيان، فلما رآها هرع نحوها وجرد السعي إليها، فلم يلتفت عنها يمينًا ولا شمالًا حتىٰ بلغها وأدرك عندها بغيته وحقق أمله»[1].

وقال: «وردت أحاديث كثيرة علىٰ ما أعد الله سبحانه من أجر عظيم للمتمسكين بسنة نبيه المختار ﷺ عند فساد الزمان وانحلال عرىٰ الدين. فروىٰ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه، وروىٰ أحمد بن حنبل الشيباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسنده أثرًا تضمن أن للعامل من هذه الأمة عند فساد الزمان أجر خمسين رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولفظ الحديث عند أبي داود، وعن أبي أمية الشعباني قال: «سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[المائدة: 105]؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوىً مُتبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك -يعني بنفسك- ودع عنك العوام، فإن مِن ورائكم أيام الصبر؛ فيها مثل قبض علىٰ الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»، وزاد في غيره، قالوا: يا رسول

(1) شرح النونية (2/ 282).

الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»، وله شاهد يقويه فيما رواه مسلم رَحِمَهُ اللهُ من أن العبادة في وقت الهرج -أي القتل والفتن- تعدل هجرة إلىٰ رسول الله ﷺ هذا ولأهل السنة هجرات كثيرة لا بالأماني والأحلام ولكن بالتحقيق والتثبيت، فلهم هجرة إلىٰ الله عز وجل بالإخلاص والتوحيد، ولهم هجرة إلىٰ رسول الله ﷺ بالاقتداء والاتباع، ولهم هجرة من البدع إلىٰ السنن، ومن المعاصي إلىٰ الطاعات، ومن الأقوال والآراء إلىٰ ما قاله الرسول ﷺ وما جاء في القرآن؛ وله شاهد أيضًا فيما رواه الترمذي من أن الذي يُحيي سنةً من سنن رسول الله ﷺ ماتت يكون رفيقه في الجنة»اهـ[1].

وقال في شرحه علىٰ العقيدة الواسطية: هذا بيان المنهج لأهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم علىٰ أصول ثلاثة:

أولها: كتاب الله عز وجل، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدمون علىٰ كلام الله كلام أحد من الناس.

وثانيها: سنة رسول الله ﷺ ، وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون علىٰ ذلك هدي أحد من الناس.

وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هيَ الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردوه؛ أيًا كان قائله. وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضل سالكه، ولا يشقىٰ من اتبعه، وسط بين من يتلاعب بالنصوص، فيتأول الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غث وسمين، وصحيح وسقيم»[2].

(1) شرح النونية (2/ 321).

(2) شرح الواسطية (256 – 257).

❁ موقفه من الخوارج:

- قال في شرحه على الواسطية: «قوله: (وفي باب أسماء الإيمان.) إلخ. كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين علي ومعاوية ﭬ في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع.

والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق. إلخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

فالخوارج الحرورية والمعتزلة. ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر، فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمى كافرًا أو لا؟

فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلون دمه وماله، ولهذا كفروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

واتفق الفريقان أيضًا على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها؛ فهو مخلد في النار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

1 - نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

2 - خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضًا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرًا.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي»[1].

---

(1) (ص190 - 191).

وفيه أيضًا: «والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: 255] فنفي الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن. قال تعالىٰ عن الملائكة: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: 26].فبين الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله وعمله. وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر: 48] ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: 123] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الشعراء: 100]. إلخ، فإن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة في أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارىٰ للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه»[1].

وفيه أيضًا: «وأما قوله: (وأما الشفاعة الثالثة؛ فيشفع فيمن استحق النار) إلخ. وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإن مذهبهم أن من استحق النار لابد أن يدخلها؛ ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها. والأحاديث المستفيضة المتواترة ترد علىٰ زعمهم وتبطله»[2].

۞ موقفه من المرجئة:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُمّوا بذلك نسبة إلىٰ الإرجاء، أي: التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنىٰ كفرٌ يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لا بد في الإيمان من قولٍ باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد منها لم يكن الرجل

---

(1) (ص215 - 216).

(2) (ص218).

مؤمنًا.

وأما الإرجاء الذي نُسب إلىٰ بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة علىٰ أن الله يعذب مَن يعذب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلىٰ أنه لا بد في الإيمان من نطق باللسان، وعلىٰ أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق تاركها الذمّ والعقاب؛ فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولًا باطلًا مبتدَعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان»[1].

وقال أيضًا: «أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمىٰ الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهرُه وباطنُه، أصولُه وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئًا.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمىٰ الإيمان؛ كان الإيمان قابلًا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

ومن الأدلة علىٰ زيادة الإيمان ونقصه: أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [فاطر: 32].

فالسابقون بالخيرات: هم الذين أدّوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون.

والمقتصدون: هم الذين اقتصروا علىٰ أداء الواجبات وترك المحرمات.

والظالمون لأنفسهم: هم الذين اجترؤوا علىٰ بعض المحرمات، وقصّروا ببعض

(1) شرح الواسطية (ص188 – 189).

الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير، فازداد به إيمانه، وتمّ يقينه، ومنهم من هو دون ذلك، حتىٰ يبلغ الحال ببعضهم أن لا يكون معه إلا إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلىٰ أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص؛ كما يُروىٰ عن أبي حنيفة وغيره؛ فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة، قال عليه السلام: «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق»اهـ[1].

❁ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شهر سبتمبر عام 1975م بعد حياة حافلة بالعطاء، حيث كان له نشاط ملحوظ في العام الذي توفي فيه، حيث ألقىٰ عدة محاضرات في طنطا والمحلة الكبرىٰ والمركز العام لأنصار السنة وكانت آخر خطبة له بعنوان التوحيد وأهمية العودة إليه.

وكانت حياة الشيخ كلها في التوحيد وقد أفنىٰ عمره كله في نصرة العقيدة السلفية والذب عنها، فرحمة الله عليه.



---

(1) شرح الواسطية (ص231 – 233).



أبو السمح
عبد المهيمن محمد نور الدين(1399هـ)[1]



ولادته:

ولد الشيخ أبو السمح عبد المهيمن في قرية التلين بمديرية الشرقية عام 1307هـ.

وصفه:

كان ذا لحية بيضاء أكسبته هيبة ووقارًا. طويل القامة، أبيض اللون، يلبس العباءة العربية، وسيم المطلع، أسود العينين، رياضي الجسم، أنيق الشكل والمظهر.

❁ **صفاته:**

ينتهز الفرصة فيتلقىٰ العلم عن العلماء، ويقول الذين عاشروه أنه كان متواضعًا دمث الأخلاق رقيقًا سهلًا، كان ملازمًا للمسجد ورعًا وزاهدًا في الدنيا، عُرف بالتقوىٰ والصلاح، تربىٰ علىٰ ثقافة دينية، كان مجتهدًا في طلب العلم، وكان مشهورًا برحابة الصدر ويشجع علىٰ الإفصاح عن الرأي وحرية المجادلة الحسنة لتتقرر الحقيقة، يجيب السائل برفق وبشاشة، كان لبقًا في حديثه، سديد الرأي في أدق الأمور، طلق السان، طيب القلب، سليم النية، يكره الملق والتكبر.

❁ **نشأته:**

نشأ الشيخ أبو السمح في بيت علم ودين، وعرفت عائلتهم بالزهد والتقوىٰ والورع فتربىٰ وتثقف ثقافة دينية. أتم حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ العاشرة من عمره. قرأ القرآن وجوّده بروايتي عاصم وحفص، وحفظ عددًا من المتون كالألفية لابن مالك والشاطبية

(1) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد (16) تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف 2/ 37 ط ابن حزم. رجال من مكة المكرمة ص41-45 .

للشاطبي وغيرهما من المتون، وجمع القراءات، ولما أنشأ السيد محمد رشيد رضا مدرسة: «الدعوة والإرشاد» انتظم فيها وتخرج فيها.

۞ تعليمه:

تلقىٰ علومه وثقافته الدينية في الجامع الأزهر الشريف علىٰ أيدي كبار علماء عصره، وتتلمذ علىٰ كثير منهم من أمثال الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ أعماله:

عمل الشيخ أبو السمح عبد المهيمن إمامًا للحرم المكي الشريف منذ عام 1369-1388هـ.

قضىٰ شبابه في الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ اتباع سنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام فشارك في تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، وكان من أبرز أعضائها الداعين إلىٰ إخلاص العبادة لله وحده وتجنب التبرك بالأضرحة والاستعانة بغير الله وغير ذلك من مظاهر الشرك الشائعة في ذلك الزمن.

التقىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ في المملكة العربية السعودية بالكثير من علمائها الأفذاذ الأفاضل الصلحاء أمثال الشيخ محمد بن إبراهيم المفتىٰ الأكبر رَحِمَهُ اللَّهُ، والمشايخ عبد الملك بن إبراهيم وعبد الله بن دهيش ومحمد علي الحركان، وغيرهم ممن أسهموا بجهدٍ معروف في نشر الدعوة الإسلامية، وشاركهم مجالس العلم وندواته، وقد رأىٰ فيه جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اهتمامًا بتوجيه النشء إلىٰ العقيدة الصحيحة، فأمر بتعيينه مديرًا للمعهد الثانوي بعنيزة في مدينة القصيم، حيث واصل عليه رحمة الله جهوده الرامية إلىٰ غرس المفاهيم والمبادئ الدينية الصحيحة في الشباب.

ولجهوده الملموسة استدعاه جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه لإمامة المسلمين في الحرم المكي الشريف عام 1369هـ.

واصل جهوده فقام بتدريس القرآن الكريم والتفسير والحديث الشريف في مدارس وزارة المعارف وفي دار الحديث في مدينة مكة المكرمة وكان لا يمل ولا يكل من أسئلة

طلاب العلم وغيرهم، وكان يطلب الطلاب منه الدعوات الصالحات فيرفع يديه ويدعو لهم بالهداية ثم يربت علىٰ أكتافهم ويقول لهم: «الله يصلح حالكم وينير طريقكم»، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي طلابه بقراءة صحيح البخاري، وكان يشرع في شرح الدرس إلىٰ أن ينتهي دون أن يتقيد بزمن إذا كان الزمن لا يكفي للشرح والتوسع في الموضوع بحثًا وتحليلًا وتمحيصًا فتظل عبارات شرحه عالقة بآذان الطلاب.

كان الشيخ إلىٰ جانب ذلك من أكثر الداعين تحمسًا لتضامن المسلمين وتوحيد كلمتهم للوقوف في وجه التيارات الإلحادية والتبشيرية السائدة في العصر الحديث، فكان من أشد المؤيدين لدعوة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلىٰ إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وبعد إنشاء الرابطة واظب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حضور اجتماعاتها وندواتها ولم يدخر جهدًا في سبيل نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله طوال حياته.

كما عمل مدرسًا في المدرسة المنصورية لسنوات عديدة.

له نشاط كبير ومشكور في مجال تقديم النصح وكتابة الملاحظات بأسلوب النقد العلمي القويم علىٰ بعض الكتاب والمفكرين ودون المساس بكرامتهم وفكرهم.

كما أن له إسهام كبير في تعليم القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا لأبناء المسلمين سواء في داره العامرة، أو في المسجد الحرام، أو في دار الحديث بمكة المكرمة، وربما درَّس وعلم أجيالًا أصبحوا رجالًا يعتمد عليهم في نشر الدعوة الإسلامية.

له مصحف مرتل مُسجل علىٰ أشرطة لعله محفوظ لدىٰ الورثة، والله أعلم.

امتازت الخطب التي كان يلقيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقوة والصراحة، وفيها الكثير من العظة للتاجر والصانع، ودروس في البيوع، وتحايل الناس، وغشهم، وحرصهم للحصول علىٰ المال من شتىٰ الطرق؛ مشروعة أو غير مشروعة، ما دام في ذلك إشباع لنهمهم، فكانت عباراته وكلماته في الخطب تظل عالقة بآذان الناس ترن رنينًا متتابعًا كأن كل حرف فيها يُضيء في روحانية عجيبة تحمل معنىٰ الإقرار لله سبحانه وتعالىٰ، ويلتمع في نورانية سامية، وكان دائم الدعوة للاقتناع بما قسم الله للإنسان من شظف العيش وعدم مد اليد

لمذلة السؤال، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يرشد العامة إلىٰ الكثير من السلوكيات الإسلامية الصحيحة في التعامل مع بعضهم البعض، ويقول عن الصلاة: «من تركها فقد هدم الدين»، وكان يدعو إلىٰ معالجة طيش الشباب بالأسلوب التربوي وعدم القسوة الكاملة في العلاج، كما أن أسلوب الخطب عنده امتاز بالعظة والإرشاد النصي القرآني أو من السنة الشريفة تطبيقًا وعملًا وقدرة، لا حفظًا وشقشقة في الألسن، كما أنه دائمًا يرشد الناس إلىٰ أمور دينهم ويحذرهم من الشر وينهاهم عن طرقه وأساليبه، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ متقشفًا؛ لهذا فهو دائم الدعوة إلىٰ الخشونة ويكرر القول: «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم». وكما أنه يدعو إلىٰ الاكتساب الحلال سواء كان بالتجارة أو الصناعة أو الوظيفة، ويحذر من الطمع والشح والتبذير، ويقول قول الرسول ﷺ: «إياكم والطمع فإنه الفقر»، كان رَحِمَهُ اللَّهُ آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المُنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، كان يكرر قول الرسول ﷺ: «من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي.

وأقام مدرسة لتعليم الأولاد سمَّاها: المدرسة المحمدية، في زقاق المحمص من حيّ الميدان في دمشق، وكان يعلّم فيها القرآن والقراءة والكتابة والفقه والمحاسبة ومسك الدفاتر التجارية والخطّ، وقد نجحت هذه المدرسة نجاحًا عظيمًا، وأقبل الناس عليها إقبالًا كبيرًا ثم نقلها إلىٰ حيّ الحقلة في الميدان وجعلها جزءًا من بيته.

فهو من المربين الذين عرفهم حيّ الميدان في دمشق.

ثم سافر بأهله إلىٰ جدّة وأقام فيها سنوات، وأقام مدرسة فيها، نجحت نجاحًا عظيمًا، وصار عليها إقبال كبير، وقد سُرَّ بالإقامة هناك وكان قريبًا من أخيه الشيخ عبد الظاهر، غير أن زوجته أصابها مرض، ولم تستطع العيش في الحجاز لحرّه ورطوبته وهي شامية ألفت جوّ دمشق، فعاد إلىٰ دمشق.

كان الشيخ فقيهًا متمكّنًا، وكان كاتبًا ذا أسلوب عال، ولكنه لم يكن ينشر شيئًا علىٰ

عادة كثير من المشايخ في تلك الأيام، وقد شهد الأستاذ علي الطنطاوي بامتلاكه أسلوبًا رائعًا عندما اطلع علىٰ رسالة منه إليه فيها انتقاد مهذَّب رفيع لموقف للطنطاوي؛ فلما قرأها أثنىٰ علىٰ أسلوب كاتبها واعترف له بالحقّ.

وكان سلفيًا يكره البدع ويحذِّر منها، من أجل ذلك كان بعض المشايخ يشيعون عنه أنه «وهّابي»، وكانت هذه التهمة كبيرة جدًّا عند العوامّ وقد يصاب المتَّهم بها بما يسوءه. فكان يقابل ذلك بالصبر والمضي علىٰ طريقه السويّ.

وكان خطّاطًا متقنًا، وقد كتب مصحفًا بخطّه الجميل الرائع، أودع في قسم المخطوطات في وزارة الأوقاف السورية، ويظهر أنه كان أثرًا فنيًّا رائعًا.

تولّىٰ الإمامة في مسجد الموصلي في الميدان ثم انتقل إلىٰ جامع عنَّابة في حيّ الحقلة، فكان يؤمُّ الناس ويخطب الجمعة، وكانت خطبه متميزة بإيجازها وبأسلوبها فقد كان يكتب الخطبة ببيانه الذي تحدثنا عنه آنفًا، ويعالج موضوعات تتصل بحياة الناس، وكان أداؤه للخطبة موفَّقًا جدًّا، فكان لا يلحن أبدًا، وكان يخصّ الخطبة الثانية بفائدة فقهية مما يحتاج إليه الناس.

وكان علىٰ صلة وثيقة بالشيخ محمد بهجت البيطار رَحِمَهُ اللهُ، وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ سعدي ياسين الذي كان إذا جاء من بيروت اتصل به وزاره، وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ محمّد ناصر الدين الألباني وكانت له صلة وثيقة بالعلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة الذي كان يزوره كثيرًا كلما جاء إلىٰ دمشق من مكة المكرمة في فصل الصيف.

وكذلك فقد كانت له صلة بالشيخ زين العابدين التونسي، وكان يصلي إمامًا معه في مسجد الخانكية أول الأمر، وكانت له صلة بالشيخ سعيد الحافظ، وعندما انتشرت المدارس الحكومية، اتجه الناس بأولادهم إليها فضعف شأن المدرسة، فافتتح مكتبة في الميدان مقابل مدرسة خالد بن الوليد، يبيع فيها الكتب والقرطاسية.

ثم أكرمه الله بأن فتحت ابنته مدرسة لتعليم البنات وتحفيظ القرآن الكريم فكان عليها

إقبال شديد أغناه الله بذلك وجزاها الله الخير.

وكان عفّ اللسان لا يذكر أحدًا بسوء ولا يغتاب أحدًا، ومجالسه كلها مجالس خير وعلم ودعوة، وكان يشجّع الحركات الإسلامية، ويحضّ علىٰ مطالعة الكتب الإسلامية.

❁ حياته العائلية:

رحل الشيخ إلىٰ دمشق سنة 1332هـ - 1914م ولما قامت الحرب العالمية الأولىٰ بقي في دمشق، واتخذ له فيها مسكنًا، وكان قد نزل في بادئ الأمر في دار الصعيدي ثم تزوج فاطمة بنت رفاعية وأنجب منها سبعة أولاد، أربعة ذكور وثلاث بنات.

هذا وقد كتب لوحة بخطه الجميل فيها بيتان من الشعر وكان يكررهما ويصدر عنها في حياته والبيتان هما:

يا لهفَ قَلبي علىٰ شَيئَينِ لو جُمِعا عِندي لكُنتُ إذن من أسعَدِ البَشَرِ

كَفافُ عَيشٍ يَقيني ذُلَّ مَسألةٍ وخِدمَةُ العِلمِ حتَّىٰ يَنقَضي عُمُري

❁ملاحظات متجول:

تحت هذا العنوان كتب الشيخ، فقال:

منذ ثلثي قرن من الزمن قدمت من أمريكا امرأة أمريكية لتقيم في مدينة كبيرة في بلد عربي إسلامي، وكان هدفها من الإقامة فيها لغرضين، أحدهما ظاهري والآخر باطني، فأما الأول فهو رعاية الأيتام الذين لا عائل لهم، وقد استطاعت أن تقنع أثرياء المدينة فأمدوها بالمال علاوة علىٰ المدد المادي الذي يصل إليها من أمريكا، فأنشأت ملجأ تؤوي إليه من لا عائل له من الأيتام وزادت المعونة الأمريكية والمساعدات المحلية من أثرياء البلدة فاتسع الملجأ وزاد عدد اللاجئين إليه ثم أخذت تدربهم علىٰ الصناعات المختلفة حسب هواية كل لاجئ، وأهمها السجاد والتطعيم بسن الفيل، وهذا هو الغرض الظاهري لمهمتها لتصل به إلىٰ مهمتها الحقيقية (التبشير) وهدفها الخاص ورسالتها المعينة التي ظهرت أخيرًا وهو تعليم اللاجئين مبادئ الدين المسيحي،

وتلقينهم دروسًا في التبشير ليكونوا دُعاة رسالتها في المجتمعات التي يعيشون فيها، وهكذا أظهرت في بادئ الأمر العطف والرحمة والإنسانية فاستدرت عطف الوطنيين حتىٰ تمكنت، ثم أظهرت غرضها الثاني، وكان غرضها الأول إنسانيًا بحتًا وكان ظاهرًا للعيان مما شجع الأثرياء وغير الأثرياء علىٰ مساعدتها للنهوض برسالتها علىٰ أنها إنسانية وأما الغرض الثاني (الحقيقي) التبشير بالدين المسيحي ونشر تعاليمه في الأوساط المختلفة فقد تحقق بعد إتمام الغرض الإنساني الظاهري، وبعد أن تم لها تحقيق الهدفين من هجرتها، كانت تقوم بتزويج أبنائها لبناتها الذين تربوا في رعايتها وتحت كنفها منذ ما يبلغ كل منهما سنًّا معينة ولا تتركهما بعد الزواج بل تيسر لهما عملًا يرزقان منه وتمدهما بالمساعدة المالية اللازمة علىٰ أن ترد هذه المساعدات علىٰ أقساط شهرية إلىٰ إدارة الملجأ، وإيمانًا من هؤلاء برسالة الملجأ، ووفاء لأمهم التي ربتهم وشملتهم بعنايتها يقومون بتسديد الأقساط الشهرية بمواعيدها وعن طيب خاطر، ومن تلقاء أنفسهم بل ومنهم من كان يتبرع للملجأ بعد السداد، وهكذا استطاعت هذه الأمريكية أن تنشأ لها دولة داخل الدولة تأتمر بأمرها وتنفذ تعاليمها وتنشر رسالتها بل وتنقلها من جهة إلىٰ أخرىٰ ومن جيل إلىٰ جيل، واستطاعت أن تنشر دينها بطريقة سلمية منظمة، ثم توفيت وتركت رسالتها أمانة في عنق أبنائها الروحانيين.

ولا زال الملجأ قائمًا يؤدي رسالتها التي رسمتها له هذه الأمريكية التي جاهدت في سبيل عقيدتها وهاجرت في سبيل نشر دينها وتكوين أجيال من المبشرين لدينها تبشيرًا عمليًّا عميق الجذور عريض الاتساع، هذه لمحة عن هذه الأمريكية التي جاءت من بلادها لتبشر بدين منسوخ في بلادٍ دينها الرسمي الإسلام، نهضت برسالتها ومكنت لها لإقناع أثرياء تلك المدينة الذين أمدوها بالمال والمساعدات فضلًا عن المساعدات الأمريكية.

هذه امرأة أمريكية آمنت بدينها ووهبت حياتها لتحقيق رسالتها التي تعتقد صحتها

وتؤمن بخيرها، وتركت بعدها ثروة بشرية جادة مجاهدة في نشر رسالتها التي ركزت لها كل إمكانياتها وجهودها ووقتها ومالها وشبابها وحسن تصرفها من وراء ذلك، ما أحوج الدين الحقيقي الذي نسخ ما قبله من الأديان إلىٰ مثل هذه المرأة المجاهدة، ما أحوج دين الله الحق إلىٰ رجال ونساء يخلصون إخلاص تلك المرأة _ تتوفر فيهم ما توفر فيها من الإخلاص والمثابرة والثبات لنشر تعاليم الدين السمح في أواسط إفريقية وآسيا وأوروبا وأمريكا، ما أحوج العالم إلىٰ معرفة أصول الدين الإسلامي.

لقد شاهدنا نماذج حية من المسلمين الذين جاءوا من مشارق الأرض ومغاربها ليحجوا إلىٰ بيت الله الحرام وزيارة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، شاهدنا هذه النماذج فأنبأتنا عن جهلها المطبق بأبسط قواعد الإسلام ودلت علىٰ أن هؤلاء المسلمين في حاجة ماسة وحاجة مُلحة جدًّا إلىٰ من يُفقههم في الدين ويُبصرهم بأمر دينهم ودنياهم، إنها عناصر طيبة وخامات مؤمنة وتهفوا نفوسهم إلىٰ الإسلام في أي مكان.

أيها الأخ القارئ لا أريد أن أطيل عليك، ولكن اقرأ إن شئت في الكتاب الأخضر ص82 قصة طريفة أذكر لك منها كلمات ذلك السنغالي التي ألقاها في أحد مساجد لبنان في يوم جمعة بين المسلمين ومما قال: «يا إخواننا العرب إننا نرجوكم أن تكونوا أنتم قادتنا لأنكم لو لم تكونوا أشرف أمة لما اختاركم الله لحمل رسالته ونشر دعوته، وإنه ليشرفنا أن تقبلونا جنودًا مخلصين نسير وراء قيادتكم مؤمنين ونتعلم لغتكم صادقين ونتلوا قرآنكم مصلين ونسجد لربنا وربكم طائعين وعابدين» أكتفي بهذه الكلمات من غير تعليق، والكتاب كله تجب قراءته.

فإذا تركناهم علىٰ ما هم فيه فسيتلقفهم المبشرون الذين أتقنوا هذه المهنة كما قرأت عن الأمريكية فيحولونهم من مسلمين إلىٰ الأديان الأخرىٰ ويتخذون منهم تكأة يتكئون عليها وقاعدة ينشرون منها، ويجعلونهم أعداًء لنا بعد أن كانوا إخوانًا لنا في الدين والعقيدة، ثم استطرد المتجول ليلقىٰ التبعة علىٰ علماء المسلمين في جميع الأقطار

فقال: إن علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها منعزلون انعزالًا تامًّا عن هذه البقاع ويعيشون في معزل عن العالم، وقد ارتضوا من حياتهم أن يصلوا في اليوم خمس أوقات، وأن يصوموا رمضان وأن يؤدوا باقي ما افترض الله وكفىٰ، ولكن دين الله يتطلب من هؤلاء العلماء أن يجاهروا في سبيل الدعوة - لا هذه الأمريكية - لإنقاذ العالم من بيداء الجهالة وضلال الكفر.

إن دين الله وتعاليم الشرع الشريف والقرآن الكريم، وإن رسالة محمد ﷺ لا يكفيها من العلماء شقشقة اللسان ولكنها تتطلب علماء عاملين بما يعلمون ومجاهدين بأموالهم وأنفسهم ومضحين بكل مرتخص وغال حتىٰ يضمنوا لأنفسهم حياة سعيدة في جنات عدن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية..

إن الدين في حاجة إلىٰ قول باللسان يصدقه القلب والوجدان، فيتفاعل القول مع العمل ويتبلور في رجل مؤمن ومسلم عامل، وهذا عند الله خير من جيش عرمرم من المسلمين بل من العلماء الذين يقولون ما لا يفعلون و﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ إن الجهل الذي يسود العالم والكفر الذي يعيش فيه أغلب دول العالم مرجعه إخلاد أهل الدين من المسلمين إلىٰ الدعة والاكتفاء بتسميتهم مسلمين وعلماء.

ما أحوج العلماء إلىٰ توزيع الوعاظ وخريجي الجامعات الإسلامية لكن علىٰ نمط تلك الأمريكية وهم كثيرون علىٰ دول العالم ليقضوا فيها بقية حياتهم، يجدون ويجاهدون بالطرق السهلة التي ضربت لنا فيها المثل الكبير هذه الأمريكية التي خلد التاريخ صنيعها والتي لا يزال أهل تلك البلدة يذكرونها ويشكرون لها جهودها، إني أدعو العلماء من جميع الأقطار إلىٰ تعليم دعاة يذهبون إلىٰ كل دولة بحيث يتعلمون لغة هذه الدول التي يبعثون إليها ليعيشوا فيها ويموتوا بها بعد الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وبعد أداء رسالتهم فيحييهم الله في الدار الآخرة مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

إذا فعل كل غيور علىٰ دينه من هؤلاء العلماء الدعاء علىٰ نحو الطريقة التي سلكتها المرأة الأمريكية وحذوا حذوها فسيكون أثرهم في هداية الخلق خلال ثلث قرن من الزمان أضعاف ما قامت به تلك الأمريكية، وخلال ثلثي قرن وذلك لسهولة تعاليم الإسلام السمح وقبول النفوس له (لأنه دين الفطرة)، وإقبال العقلاء عليه واطمئنانهم إليه ونتيجة لذلك سنطوي ثلاثة عشر قرنًا مضت ونصل حاضرنا ومستقبلنا السعيد بماضينا العتيق في صدر الإسلام في عهد الرسول الأعظم ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم ووفقنا للعمل بشريعة السماء ودين الله السمح الحنيف الذي نسخ ما قبله من الأديان وسنة خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ.

هيا يا رجال الدين الحنيف، هيا إلىٰ الجهاد في سبيل الله.هيا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، هيا فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ولا ترضوا بالتي هي أدنىٰ واسعوا إلىٰ ذكر الله بالقول والعمل، هيا فهاجروا في سبيل الله، فالحياة جهاد والجهاد سبيل المؤمنين وطريقتهم إلىٰ الجنة عرفها الله لهم.

إني لأرجو أن يُحييني الله حتىٰ أرىٰ تطوير برامج التعليم الديني بما يتفق ورسالة الدين الحنيف وما يتفق مع روح الجهاد التي أوصىٰ بها رسول الله ﷺ وضرب لنا فيها المثل الأعلىٰ في هجرته من مكة إلىٰ المدينة ثم عودته إليها مُنتصرًا وفاتحًا، وهو يردد قول الله تعالىٰ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

لقد فتحت هذه الأمريكية أمام المسلمين آفاقًا شتىٰ وضربت لنا المثل الرفيع في الجهاد والجلد والهجرة في سبيل العقيدة والدين فاللهم ارزقنا الإخلاص لدينك ووفقنا للعمل بسنة رسولك ﷺ، واهدنا صراطك المستقيم ووفق ولاة أمورنا للأخذ بناصر دينك الحنيف، ووفق بين حكامنا ورؤساء دولنا الإسلامية للإنفاق علىٰ ما فيه رفعة دينك وإنقاذ البشرية من وهدة الجهل وضلال الكفر والعصيان إنك علىٰ ما تشاء قدير وصلىٰ

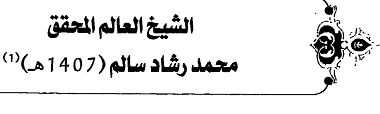
الله علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم[1].

❁ وفاته:

توفي الشيخ أبو السمح في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عام 1399هـ، في مدينة مكة المكرمة ودفن بها، بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل لله تعالىٰ، وذاع صيته بالعمل الحسن والسلوك القويم.

❁❁❁

(1) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 16.

الشيخ العالم المحقق
محمد رشاد سالم (1407هـ)[1]

هو العالم والمحقق السلفي – محقق تراث ابن تيمية – الدكتور محمد رشاد بن محمد رفيق سالم، ولد بالقاهرة عام 1374هـ تلقىٰ تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس القاهرة، ثم التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل علىٰ الماجستير من الكلية نفسها.

أقام في سوريا لمدة عام لدراسة مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، واستطاع أن يصور عددًا كبيرًا من مخطوطات شيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيمية.

حصل علىٰ الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا عام 1379هـ وكان عنوان الرسالة (موافقة العقل للشرع عند ابن تيمية).

درَس في جامعة عين شمس بالقاهرة، وفي عام 1391هـ أُعير للتدريس في جامعة الملك سعود بالرياض، وقام بتأسيس قسم الثقافة الإسلامية بها، وكان أول رئيس له.

حصل علىٰ الجنسية السعودية عام 1396هـ وانتقل للعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ حيث عيِّن أستاذًا بكلية أصول الدين، وقد أشرف علىٰ رسائل كثيرة للماجستير والدكتوراه، وألقىٰ محاضرات عديدة.

حصل علىٰ جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة الإسلامية من المجلس الأعلىٰ للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة في عام 1391هـ 1971م، وحصل علىٰ وسام العلوم والآداب والفنون في السنة نفسها.

---

(1) راجع كتاب من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر(1/ 165) وتكملة معجم المؤلفين ص 481، مجلة الفيصل العدد (94) ربيع الثاني 1405هـ تتمة الأعلام 2/ 152.

وقد حصل علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1405هـ.

❀ من مؤلفاته:

- المدخل إلىٰ الثقافة الإسلامية.
- المقارنة بين الغزالي وابن تيمية.

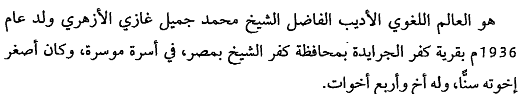
❀ وصد رله في مجال التحقيق:

- تحقيق كتاب (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية.
- تحقيق كتاب (الاستقامة) لابن تيمية.
- تحقيق المجموعة الأولىٰ من كتاب (جامع الرسائل لابن تيمية) وهي 16 رسالة.
- تحقيق الجزء الأول من كتاب (الصفدية) لابن تيمية.
- تحقيق كتاب (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية الذي نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تحقيق رسالة (مسألة فيما إذا كان في العبد محبة) لابن تيمية، وطبعت ضمن كتاب (دراسات عربية وإسلامية).

وقد توفي الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله يوم 9/ 4/ 1407هـ فرحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته.







الشيخ العالم الأديب
محمد جميل غازي (1409هـ)[1]

هو العالم اللغوي الأديب الفاضل الشيخ محمد جميل غازي الأزهري ولد عام 1936م بقرية كفر الجرايدة بمحافظة كفر الشيخ بمصر، في أسرة موسرة، وكان أصغر إخوته سنًّا، وله أخ وأربع أخوات.

بدأت رحلة الشيخ في العلم من كُتَّاب القرية، فأتم حفظ القرآن الكريم كاملًا في طفولته، ثم التحق بمعهد طنطا الأزهري، وفي الصف الثاني ظهرت موهبته الشعرية واهتماماته الأدبية؛ حيث ألقىٰ قصيدة شعرية في إحدىٰ المناسبات لاقت استحسان الحاضرين. .

وقد حصل علىٰ الشهادة الابتدائية بتفوق في عام 1954م من المعهد الأحمدي بطنطا.

ثم أكمل دراسته بنفس المعهد؛ حيث أكمل نشاطه العلمي والثقافي؛ محاضرًا وشاعرًا في العديد من الندوات التي أقيمت في جمعية أنصار السنة المحمدية، وجمعية الشبان المسلمين بطنطا.

ومنذ ذلك الوقت؛ عُرف اسم الطالب الأزهري المثقف الشاعر، والعالم الديني: محمد جميل غازي، في الأوساط الدينية والأدبية والثقافية.

وفي هذه المرحلة أخرج الشيخ باكورة إنتاجه العلمي؛ فأعد كتابًا أطلق عليه «جولة مع المفكرين»، جمع فيه العديد من الموضوعات لرجال الفكر والثقافة.

(1) علماء ومفكرون عرفتهم 3/ 177 -187، تتمة الأعلام 2/ 141، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (10/ 157).

كما أعد بحثًا علميًّا عن كارليل[1] وكتابه «البطولة والأبطال» ألقاه في محاضرة بجمعية الشبان المسلمين، نالت إعجاب الحاضرين.

وفي عام 1959 م انتقل إلىٰ القاهرة بعد نجاحه في الثانوية بتفوق، والتحق بكلية اللغة العربية، حيث ساعده انتشار الوعي الفكري والثقافي في القاهرة علىٰ العطاء والحركة بصورة أفضل؛ سواءٌ أكان ذلك في الجامعة أو المسجد أو المدرسة أو مراكز الثقافة أو المؤسسات الدينية الأخرىٰ.

وبعد حصوله علىٰ العالمية «ليسانس اللغة العربية»، في عام 1963 م، عمل الشيخ موظفًا بوزارة الثقافة بمحافظة المنصورة، ثم انتقل للعمل بالقاهرة، فاتسع نشاطه وذاع صيته.

حصل الشيخ علىٰ درجة الماجستير في الآداب، ثم الدكتوراه في عام 1972 م.

زار الشيخ العديد من دول العالم؛ داعيًا ومعلِّمًا، ترأَّس الشيخ مجلس إدارة المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسنة بعد أن أسسه.

قام الشيخ بتفسير القرآن الكريم في خطب الجمعة، حتىٰ وصل إلىٰ سورة القارعة، ثم تابع في دروسه شرح كتاب «صحيح البخاري».

وألّف الشيخ العديد من المؤلفات، والتي تُعدُّ فريدة من نوعها، ومن بينها:

1 - مفردات القرآن الكريم.

2 - أسماء القرآن الكريم.

3 - الطلاق شريعة محكمة، لا أهواء متحكمة.

4 - الصوفية؛ الوجه الآخر.

5 - محنة الأحمدين.

هذا؛ وقد وصل الشيخ إلىٰ درجة «كبير الباحثين». في المجلس الأعلىٰ للفنون والآداب، كما تم اختياره - قبل وفاته - عضوًا بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية.

(1) توماس كارليل أحد المُستشرقين.

موقفه من المبتدعة:

له تقدمة علىٰ كتاب «العواصم من القواصم» لابن العربي، قال فيها: «وينبغي لنا ويجمل بنا، أن نتوقف عند هذه النقطة من هذه المقدمة لنقول: إن ثراء الثقافة الإسلامية وإن باب الاجتهاد المفتوح علىٰ مصاريعه فيها، وإن ترحيبها المستمر بكل الأمم والشعوب، إن كل أولئك كان مدخلًا تسللت منه رواسب ثقافات، وبقايا اعتقادات ومزيج من الخرافات التي لا تتفق مع الإسلام في الشكل أو في الموضوع. أرأيت إلىٰ النهر العظيم، وهو يهدر في مجراه، وينساب قويًّا عظيمًا ليروي الظُّماء من البشر والحيوان والطير والقفار؟ أرأيت إلىٰ هذا المنهل العذب وعطائه العظيم؟ كذلك نهر الثقافة الإسلامية، ثم أرأيت إلىٰ ما يعلق بهذا النهر من غثاء، ونباتات طفيلية، وجنادل وصخور ناتئة من شطآنه، أو ملقاة في سبيل مده الهادر؟ كذلك نهر الثقافة الإسلامية، وإذا كان كل نهر في حاجة إلىٰ من يطهر مجراه، ويعمقه، ويزيل ما علق بمجراه، من كل ما يعوق تدفقه واندفاعه فكذلك الإسلام، وهذا هو دور المجددين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[1]، وكلمة (من) لا تعني مجددًا واحدًا. بل تعني عشرات، ومئات، وألوف المجددين علىٰ طول الزمان، وعرض المكان، والتجديد يكون لأمر الدين لا للدين نفسه، وأمر الدين كله يتسع ليشمل كل المعارف التي فجرها هذا الدين، سواء أكانت في أصول الدين، أم أصول الفقه، أم أصول الدنيا، إن الأمم الكثيرة والأملاء التي لا تكاد تنتهي حصرًا واستقصاء من الداخلين في هذا الدين قد جروا معهم عن قصد أو عن غير قصد، بحسن نية أو بسوء نية. مجموعة من الأفكار، والاتجاهات، والمأثورات الشعبية، والأساطير القومية والاتجاهات السياسية، والانتماءات الحزبية، وكل ذلك -وغيره كثير- شكَّل رُكامًا من الدخيل الذي ألصق بالثقافة الإسلامية إلصاقًا، ومثل من نسميه بالخرافات والبدع والأقاصيص، ولقد كان المجال التاريخي - ولا زال، وسيظل - مُعبرًا للتصورات

(1) أبو داود (4/ 480/ 4291) والحاكم (4/ 522).

الباهتة، والروايات الموضوعة، التي تؤيد حزبًا ضد حزب، وتعين فريقًا علىٰ فريق، إن الرواية التاريخية أصبحت علىٰ لسان المحاربين كالسيف الذي في أيديهم يقتلون بها، ويثيرون القلاقل في صفوف أعدائهم، وإذا كانت الحرب الباردة تعتمد علىٰ الإشاعة والأكاذيب فإن الإشاعة والأكاذيب تحولت إلىٰ روايات تاريخية، بل إلىٰ روايات حديثية، يضعها الوضَّاعون، ثم يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلىٰ الرسول ﷺ، أو يوقفونها بلا حياء ولا استخزاء عند صحابته رضوان الله عليهم، وإن الله الذي تعهد بحفظ ذكره ووحيه قيض لهذه الثقافة من ينفي عنها الخبث والعبث والضلال والتضليل والزيف والدخيل[1].

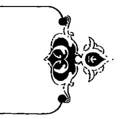
وقد تُوفي في الثاني عشر من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين، عن عمر يناهز 52 عامًا، ودفن بمقابر المركز بمدينة نصر بالقاهرة.

فرحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته.

❀❀❀

---

(1) العواصم من القواصم (8 – 9).



الشيخ العالم
رشاد الشافعي(1411هـ)[1]



هو العالم الفاضل الشيخ محمد عبدالمجيد الشافعي المعروف بـ«رشاد الشافعي». ولد سنة 1338هـ وهو المؤسس الثاني لجماعة أنصار السنة المحمدية وكان يشغل منصب الأمين العام للجماعة، والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، بجانب عمله مديرًا عامًا لمديرية التموين بمحافظة الجيزة، وبذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار جماعة أنصار السنة المحمدية مرة أخرى، وقد تمّ له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات في عام 1390هـ - 1972م.

وبعد ثلاث سنوات 1393هـ من إعادة الإشهار أصدر العدد الأول من مجلة التوحيد لتكون بديلًا عن مجلة الهدي النبوي، وتولى هو رئاسة تحريرها، ثم الشيخ عنتر حشاد، ومن بعده تولى الشيخ أحمد فهمي رئاسة تحريرها.

ومن ثم عاد نشاط جماعة أنصار السنة المحمدية إلى سابق عهده، وزاد عدد أتباعها وكثرت عدد الفروع المنتسبة إليها.

في عام 1975م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الأستاذ محمد رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيسًا للجماعة ومن ثم ترأس الشيخ رشاد الشافعي فرع الجماعة بمحافظة الجيزة حتى وفاته عام 1411هـ - 1990م.

❀❀❀

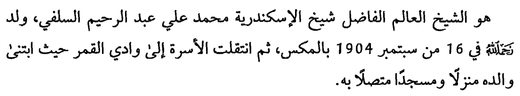
---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 1/ 86، موقع جماعة أنصار السنة على الشبكة العنكبوتية، موسوعة ويكيبيديا.





الشيخ العالم
محمد علي عبد الرحيم (1412هـ)[1]



هو الشيخ العالم الفاضل شيخ الإسكندرية محمد علي عبد الرحيم السلفي، ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في 16 من سبتمبر 1904 بالمكس، ثم انتقلت الأسرة إلىٰ وادي القمر حيث ابتنىٰ والده منزلًا ومسجدًا متصلًا به.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم التحق بمدرسة المعلمين بالإسكندرية حيث تخرج منها عام 1923.

عمل منذ تخرجه في حقل التعليم متنقلًا بين شتىٰ القرىٰ والمدن لسنوات عدة، وقد رُقِّيَ في الوظائف التعليمية حتىٰ صارت له رئاسة إحدىٰ المدارس عام 1931م ثم موجهًا بعد ذلك، وقد أسس جمعية إخوان الحج بالإسكندرية عام 1943م.

ثم تعرف علىٰ الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية عام 1948م في إحدىٰ رحلاته للحج.

كما كان من أعز أصدقائه فضيلة الشيخ محمد عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب «السنن والمبتدعات»، وكان لا يترك فرصة إلا زاره في بلدة الحوامدية، وكان من أصدقائه أيضًا حبر الصعيد الشيخ أبو الوفاء درويش صاحب كتاب «صيحة الحق» وغيره من الكتب، وقد كان الشيخ محمد علي عبد الرحيم كثير الثناء عليه كما كان يزوره في سوهاج كلما ذهب إليها.

ولقد جمعت الدعوة بينه وبين الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، فكان هذا الجمع

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 1/ 186، موقع جماعة أنصار السنة علىٰ الشبكة العنكبوتية، موسوعة ويكيبيديا.

الإلهي بينهما مصدر خير حيث انتشرت دعوة التوحيد بالإسكندرية علىٰ يديهما.

وقد وقع اختيار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي السعودية حينذاك علىٰ الشيخ محمد علي عبد الرحيم في شوال عام 1370هـ الموافق يونيو 1951م ليقوم بتأسيس وإنشاء مؤسسة دينية بالرياض يتخرج في كلياتها علماء يسدون حاجة المملكة من العلماء.

وتبدأ بالمعهد الديني وكليتي الشريعة واللغة العربية، وقد زامله في تلك الفترة كما يقول رَحِمَهُ اللهُ الشيخ عبد الرحمن الوكيل حتىٰ عاد الأخير إلىٰ مصر.

كما وكل إليه أمر تأسيس مدارس البنات بوضع المناهج الخاصة بتعليم البنات حيث شارك في وضع خطوطها الرئيسة ووضع المناهج ونظم التعليم والتوجيه بها.

كذلك اختاره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للتدريس بالمسجد الحرام، هو والشيخ عبد الرزاق عفيفي خاصة في شهر رمضان وأشهر الحج لسنوات طويلة، كما كان الشيخان رحمهما الله في مقدمة العلماء الذين كانوا يحضرون مجلس العلم الذي كان يعقده جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بقصره بالمربع وذلك يوم الاثنين من كل أسبوع.

وفي عام 1974 استقر الشيخ محمد علي عبد الرحيم بمصر بمدينة الإسكندرية وبرغم المرض الشديد الذي كان يعانيه لم يتخلف لحظة واحدة عن المشاركة في الدعوة، والانتقال بين الفروع، وفي عام 1975 اختير الشيخ رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بعد أن تنازل له الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فجمع الله به شمل الجماعة وجنبها شر الفرقة.

ويعتبر الشيخ محمد علي عبد الرحيم صاحب أطول مدة في رياسة الجماعة بعد مؤسسها الأول إذ تولىٰ رياستها عام 1975م حتىٰ توفي عام 1991م وبذلك تكون مدة رياسته خمسة عشر عامًا قام فيها بإدارة الجماعة بروح الأبوة الحانية لكل الدعاة، وقد لمست فيه رَحِمَهُ اللهُ ذلك بصفة شخصية في مواقف كثيرة، كما كان مضحيًا في سبيل الدعوة

بماله وبكل راحة له.

۞ جهوده العلمية:

رغم مكابدة الشيخ للمرض إلا أنه كان يسهر الليل مع المقالات محررًا ومفتيًا لما يوجه لمجلة التوحيد من أسئلة سواء علىٰ صفحاتها أو يرد عليهم بصفة شخصية.

وقد كانت إسهاماته في الكتابة بمجلة التوحيد سببًا في أن عرفت طريقها إلىٰ أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، كما تضاعف عدد المطبوع منها من 5 آلاف إلىٰ 36 ألفًا.

۞ مكانته العلمية:

كان رحمة الله عليه لا يضارع في علم تقويم البلدان (الجغرافيا) حتىٰ أنه بذّ في هذا العلم المتخصصين، وقد حضره عاهل السعودية الملك عبد العزيز آل سعود وهو يدرس مادة الجغرافيا لطلبة السنة النهائية في معهد الرياض العلمي، فشُد إليه وأعجب بمادته وطريقته ومكث يستمع إليه وقتًا طويلًا.

ولعلنا نذكر أن محطة القرآن الكريم قد سجلت معه حديثًا في أحد أشهر رمضان، وكان عن اختلاف المطالع تكلم فيه عن علوم الجغرافيا كأحد أستاذتها الأفذاذ.

۞ رفاقه في الدعوة في مصر:

نذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر؛ الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، والشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، والشيخ أبو الوفاء درويش، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ عمر بن عبد السلام، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ رشاد سليمان، والشيخ عكاشة عبده.

۞ رفاقه في السعودية:

كانت فترة الثلاثة والعشرين عامًا التي قضاها بالسعودية فترة لقاء مع علماء أجلاء منهم: الشيخ عبد الله المحمود من الشارقة، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز، وكان من معارفه أيضًا الشيخ عبد الظاهر

أبو السمح إمام الحرم المكي، أما صلته بالشيخ عبد الرزاق فقد سبق القول عنها.

في عام 1984 انتقل رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ غرب الإسكندرية (الدخيلة) وابتنىٰ بها مسجد التوحيد واتخذ لنفسه سكنًا أعلىٰ المسجد، وقد وقفه بعد موته ليكون مُقررًا لفرع الدخيلة.

❀ تصانيفه العلمية والفقهية:

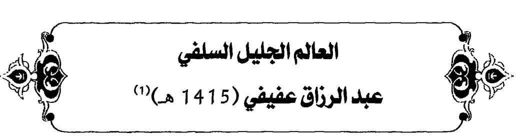
نظرًا لانشغال الشيخ بالتدريس، ثم بالكتابة في مجلة التوحيد كان قليل التأليف، وله كتاب يسمىٰ «الأخلاق المحمدية» (جزءان)، وله رسالة طيبة تسمىٰ «الوصية الشرعية» ويكفي الشيخ فضلًا أن ما تركه من أثر في نفوس إخوانه وأحبابه وتلاميذه لا يمحوه شيء ولا يعفىٰ عليه الزمن.

فجزاه الله خير الجزاء.

❀ وفاته:

في صباح السبت الثامن والعشرين من صفر الخير سنة 1412هـ الموافق الثامن من سبتمبر 1991م فاضت روحه إلىٰ بارئها بعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة في سبيل الله بغير كلل ولا ملل.





العالم الجليل السلفي
عبد الرزاق عفيفي (1415 هـ)[1]

۞ اسمه ونسبه:

هو العالم الجليل والسلفي النبيل عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي ولد في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وعلىٰ وجه التحديد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة 1323 هـ الموافق 16 ديسمبر سنة 1905 م، في قرية شنشور مركز أشمون التابع لمحافظة المنوفية، وهي إحدىٰ محافظات مصر.

۞ نشأته وبيئته:

نشأ الشيخ عبد الرزاق في بيئة معطرة بأنفاس القرآن الكريم وسط أسرة محافظة، وفي مجتمع ريفي بعيد عن فتن الحواضر ومفاسدها.

ففي قرية شنشور، تلك القرية الهادئة المتواضعة التي تترابط أسرها وتمتزج في كيان واحد وتتنسم عبير الإخاء والود، في هذه القرية نشأ الفتىٰ عبد الرزاق عفيفي، نشأة صالحة، تغمرها العاطفة الدينية الجياشة وتوثق عراها سلامة الفطرة وحسن الخلق والبعد عن الخرافات والخزعبلات وكان لهذه النشأة الطيبة أثرها البالغ في حياة المترجم

---

(1) علماء نجد خلال ثمانية قرون3/ 275، ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص 118، 1/ 286 تتمة الأعلام، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله السديس، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد 58 – من رجب إلىٰ شوال سنة 1420هـ الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة تأليف: محمد بن أحمد سيد أحمد ط المكتب الاسلامي. مجلة التوحيد (العدد الخامس جمادىٰ الأولىٰ 1415هـ/ ص24 – 46) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية 10/ 255 .

له حيث بدأ حياته العلمية بحفظه لكتاب الله تعالىٰ حفظًا متقنًا مع تجويده علىٰ يد عدد من مشايخه آنذاك ومنهم الشيخ محمد بن حسن عافية والشيخ محمد بن عبود عافية هذا فضلًا عن والده الذي قام علىٰ تربيته وتنشئته أحسن ما ينشأ الفتيان الذين في مثل سنه.

۞ أصوله وفروعه:

ينتمي الشيخ عبد الرازق عفيفي إلىٰ أسرة كريمة، طيبة الأخلاق محمودة السيرة حسنة السمعة متمسكة بالأخلاق الإسلامية وأخلاق أهل القرية والريف التي لم تتلون بمظاهر الحضارة الكاذبة.

فوالده هو الشيخ عفيفي بن عطية النوبي، من مشاهير قرية شنشور وصالحيها، كان حافظًا لكتاب الله تعالىٰ، وكان الشيخ عبد الرازق كثيرًا ما يتحدث عن والده للخاصة من طلابه وقد ذكر لي فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام – حفظه الله – أنه رأىٰ والد الشيخ عبد الرازق عند أول قدوم له إلىٰ المملكة سنة (1368هـ) وهي نفس السنة التي قدم فيها الشيخ عبد الرازق إلىٰ أرض الحرمين الشريفين وكان والد الشيخ عبد الرازق يرتدي العمامة البيضاء المستديرة فوق رأسه وهي لباس أهل مصر آنذاك.

۞ فروع الشيخ عبد الرزاق عفيفي:

إن من أعظم النعم وأكبر المنن أن يوفق الإنسان بعد تقوىٰ الله عز وجل إلىٰ زوجة صالحة تعينه علىٰ أمر دينه ودنياه، تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله، تتقن عملها وتعتني بنفسها وبيتها وزوجها، فهي زوجة صالحة، وأم شفيقة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، ولا أدل علىٰ ذلك من قوله ﷺ: «المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة». وقوله ﷺ: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح والمركب الصالح».

ولقد كان من نعم الله وحسن بلائه علىٰ فضيلة الشيخ عبد الرزاق أن وفقه لزوجة صالحة وسيدة فاضلة من أسرة كريمة وعائلة فاضلة هي عائلة سالم بالإسكندرية،

وأصلها من إسنا بصعيد مصر وقد رزقه الله منها عددًا من البنين والبنات.

۞ أما الأبناء فهم:

1- المهندس الزراعي أحمد عاصم بن عبد الرزاق عفيفي ولد سنة 1364هـ - 1944م، وتوفي في حرب العاشر من رمضان سنة 1393هـ - 1973م بمصر

2- الأستاذ محمد نبيل بن عبد الرزاق عفيفي - حفظه الله - ويعمل مراقبًا ماليًّا بالخطوط السعودية بجدة، وهو من أبر أبناء الشيخ وأرعاهم لحقوقه في حياته وبعد وفاته جزاه الله خيرًا وهو من مواليد سنة 1366هـ - 1946 م

3- الأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي - حفظه الله - عمل مدرسًا بالرياض ثم ترك التدريس وتفرغ لخدمة والده في السنوات الأخيرة من حياته رَحِمَهُ اللهُ، فجزاه الله خيرًا وجعل أعماله الصالحة في موازين حسناته، وهو من مواليد سنة 1369 هـ - 1949م.

4- الأستاذ عبد الله بن عبد الرزاق عفيفي توفي في حياة والده سنة 1412هـ - 1992م رحمه الله.

5- الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرزاق عفيفي توفي في حياة والده إثر حادث وقع عليه سنة 1408 - 1988 وكان من طلبه العلم المبرزين ومن أكثر أبناء الشيخ اتصافًا به وكان يعمل بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض رَحِمَهُ اللهُ.

وأما البنات فثلاث وقد أكرمه الله بأصهار صالحين بررة ولا نزكي على الله أحدًا نحسبهم كذلك وكان الشيخ عبد الرزاق يرحمه الله يهتم بتربية أولاده بل وحتى أحفاده وينشئهم تنشئة صالحة، فكانوا مثالًا في الاستقامة والبر ورعاية وأداء الأمانات.

۞۞ أوصافه الخلقية وصفاته الخلقية:

أ- أوصافه الخلقية:

كان رَحِمَهُ اللهُ قوي البنية جَسيمًا مَهيبًا، طويل القامة، عظيم الهامة، مستدير الوجه، قمحي اللون له عينان سوداوان يعلوهما حاجبان غزيران، ومن دون ذلك فم واسع ولحية كثة غلب البياض فيها على السواد، وكان عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم

الكفين والقدمين ينم مظهره عن القوة في غير شدة.

۞ هيئته ولباسه:

كان الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ حسن الهيئة، جميل المظهر في غير تكلف، له سمت خاص في لباسه، يرتدي ثوبًا فضفاضًا أشبه ما يكون بلباس أهل مصر، إلا أنه محاك على السنة، وكان يعجبه اللباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات وهو سلفي المظهر والشارة.

ومجمل القول: أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان رجلًا متميزًا في هيئته ولباسه يرتدي ما يراه متفقًا مع مكانة العلم والعلماء، وظل متمسكًا بهذه الهيئة المتميزة من اللباس إلى آخر حياته المليئة بالجد والكفاح والمثابرة.

۞ هيبته:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رجلًا مهيبًا، من رآه بداهةً هابه، فيه عزة العلماء، لا يتزلف إلى أصحاب المناصب زائرًا أو مزورًا، يقول أحد تلاميذه: إن الشيخ كان يفرض احترامه على طُلابه، وكان الطلاب يهابونه حياءً، ويقدرونه في أنفسهم، وما سمعت منه كلمة مؤذية قط.

لقد كان الشيخ مهيبًا حقًّا ومع هذه الهيبة، كان آية في التواضع وحسن المعاشرة وعلو الهمة، بعيدًا عن الصلف والتكلف المذموم، أبيًّا عزيز النفس.

۞ فصاحته:

اللغة العربية لغة جميلة فهي لغة القرآن والسنة، أسلوبًا ومنهجًا ومقصدًا ومغزًى، فهي الطريق إلى فهمها، والعمدة في إدراك أسرارهما، فهي بحق من مستلزمات الإسلام وضروراته.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ يُعد وبجدارة من أرباب الفصاحة وأساطين اللغة في علم النحو خاصة وعلوم العربية كافة.

كان آية في التحدث بلغة الضاد - اللغة العربية الفصحى - كتابةً ومحادثةً، وكان لهذا

بيان مشرق متدفق، وأداء جميل، ونبرات مؤثرة في غير تكلف، وكان إذا تكلم أسمع وعُقِل عنه.

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون شاملة وهو إلىٰ جانب ذلك سهل العبارة، عذب الأسلوب، تتسم عباراته بالإيجاز والإحكام والبيان والجزالة، وكان بعيدًا عن التكلف والتمتمة والفأفأة والتنطع والتشدق.

۞ فراسته:

الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا أُزكي علىٰ الله أحدًا، كان صاحب بصيرة نافذة وفراسة حادة يعرف ذلك عنه من خالطه وأخذ العلم علىٰ يديه، ومما يدلل ويؤكد علىٰ فراسة الشيخ أنه كان يتأمل وجوه تلاميذه ويتفرس فيهم فيعرف المجد من الخامل والنَّابه من الجاهل، فيخص هؤلاء بعلم قد لا يخص به أولئك، وثم دليل آخر علىٰ فراسة الشيخ أنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات ويتأمل وجوه أصحابها فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، وقلما ينطلي عليه مكر أو احتيال، ومما يدل كذلك علىٰ صدق فراسة الشيخ ومعرفته بالرجال ما ذكره فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد عبد المنعم، قائلًا: حدثني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلس الفتوىٰ في (منًىٰ) فقال: إذا سأل البدوي عن مسألة وكان الجواب موافقًا لما يهوَىٰ فإنه يسأل سؤالًا آخر قريبًا من الأول أو بعيدًا أما إذا كان الجواب بخلاف ما يهوىٰ، فإنه يسأل سؤالًا آخر قريبًا من الأول أو بعيدًا، أما إذا كان الجواب بخلاف ما يهوىٰ فإنه يسكت وينصرف.

وهكذا أكسبه طول التعامل مع المستفتين معرفة لنفسياتهم فكانت إجاباته بإيضَاح الحكم فيما يسأل عنه من التوسع أو من الإيجاز، ملحوظًا فيها ما ينقدح في ذهنه من مقصد السائل عند إلقاء السؤال من رغبة في معرفة الحكم الشرعي في المسألة أو في خلاف ذلك.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوي الحافظة، سريع البديهة، مستحضر الفهم، شديد الذكاء وافر العلم غزير المادة، صاحب ألمعية نادرة ونجابة ظاهرة.

إن نعمة الحفظ وقوة الذاكرة من أقوىٰ الأسباب – بعد توفيق الله عز وجل – علىٰ طلب العلم، ولقد كان لهذه الحافظة القوية والذاكرة الجبارة أثرها البالغ في تحصيل ثروته العلمية، والتي بنيت علىٰ محفوظاته التي علقت بذاكرته في مرحلة التعلم والتعليم، وقد رزقه الله من الذكاء وقوة الحفظ ما مكّنه من إدراك محفوظاته العلمية عن فهم وبصيرة، فكان الشيخ يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات، فيكشف ما وراءها من الدوافع بتوفيق الله ثم بذكائه الحاد وبصيرته النافذة، ولم يكن ينطلي عليه خداع أو احتيال.

ومما يؤكد ويبرهن علىٰ قوة حافظة الشيخ وسيلان ذهنه، أن أحد الموظفين بإدارات البحوث العلمية والإفتاء سأل الشيخ عن مرجع لمسألة يريد أن يرجع إليها فدلّه الشيخ علىٰ كتاب المُغني لابن قدامه وذكر له الجزء والصفحة والمكان وهذا إنْ دلَّ فإنما يدل علىٰ شدة ملاحظته وتوقد ذهنه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وثم دليل آخر يؤكد علىٰ قوة ذاكرة الشيخ وهو أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقص قصصًا ويذكر أحداثًا ووقائع من أعماق التاريخ ترجع إلىٰ أكثر من ثلاثة أرباع القرن، يذكرها وكأنها ماثلة أمام عينه.

وثم دليل ثالث علىٰ عمق حافظة الشيخ وحضور بديهته، ما ذكره أحد تلامذته من أن الشيخ أملىٰ عليهم من حفظه في مادة التفسير أكثر من مائة صفحة.

ويؤكد هذا كله فضيلة الشيخ محمد بن سعد السعيد قائلًا: لقد حباه الله قوة الحافظة والدقة في الفهم وسرعة البديهة وحصافة الرأي مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع.

❁ وفور عقله وبعد نظره:

كان مثالًا للداعية المسلم الحق الذي يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة وإلىٰ جانب تعقل الشيخ وبعد نظره فقد تميز رَحِمَهُ اللَّهُ بسعة علمه ومقدرته علىٰ الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستبصر.

إن كل من رأىٰ الشيخ وجلس إليه يشهد له بحنكة باهرة وحكمة ظاهرة واطلاع واسع

وعدم خوض فيما لا يعنيه وإعراض عن التحدث في الموضوعات ذات الحساسية، وهو مع ذلك فقيه بواقع أمته ومُطَّلع علىٰ ظروف عصره، يعيش آمال الأمة وآلامها ساعة بساعة ولحظة بلحظة.

ولقد أكسبته هذه الخصال الحميدة والسجايا الحسنة احترام الناس له وتقديرهم لعلمه وفضله، حتىٰ أصبح موضع تقدير الجميع علماء وعامة.

يقول فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان: كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كثير الصمت يفرض احترامه علىٰ جالسيه، كثير التأمل شديد الملاحظة، وافر العقل، نافذ الفراسة.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي: ما رأيت رجلًا من المصريين أعقل من الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ، جمع بين العلم والعقل، فيا سعادة من جمع العلم والعقل إذ لا يستغني أحدهما عن الآخر.

لقد كان الشيخ يرحمه الله صافي الذهن، بعيد النظر، ينظر إلىٰ عواقب الأمور ويوازن بين المصالح والمفاسد ويبين لجالسيه وطلابه أن التعجل والتهور وعدم النظر في العواقب، يجلب علىٰ الأمة ويلات كثيرة فلله دُره من عالم فحل وعاقل متأدب وداعية محنك، لم يهزه طيش ولم يستفزه خرق.

۞ مواهبه وسجاياه:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق يرحمه الله يتمتع بمواهب وسجايا وخِصال قلَّ أن تجتمع في غيره فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتحلىٰ بسعة العلم والأَناة والحلم والهدوء في المحاورة والمناقشة والقدرة علىٰ الإقناع وتقريب الأمور إلىٰ الأذهان.

يقول أحد طلابه: لقد حَبَاه الله قوة الحافظة ودقة الملاحظة وسرعة الفهم وسيلان الذهن، وحصافة الرأي مع اتسامه بالورع والزهد والتواضع ولين الجانب، وكان كثير الصمت قليل الكلام إلا فيما ترجحت فائدته ومصلحته.اهـ.

وبالجملة فقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يتمتع بصفات حسنة، وسجايا كريمة، لقد كان مثالًا يحتذىٰ في أدبه وعلمه وأخلاقه، وقدوة في تصرفاته، لقد كان موهوبًا.

❁❁ صفاته الخلقية:

إن من عاصر الشيخ عبد الرازق رَحِمَهُ اللَّهُ وخالطه وعاشره يتفق معي أنه كان رجلًا قوي الشخصية متميز التفكير مستقل الرأي نافذ البصيرة، سليم المعتقد حسن الاتباع، جم الفضائل، كثير المحاسن، مثال العلماء العاملين والدعاة المصلحين فيه عزة العلماء وإباء الأتقياء، غاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع حكمة ولطف وبُعد نظر، لا يجابه أحدًا بما يكره ولا ينتصر لنفسه.

كان زاهدًا عابدًا أمينًا صادقًا كثير التضرع إلىٰ الله، قريب الدمعة زكي الفؤاد، سخي اليد، طيب المعشر، صاحب سنة وعبادة، كثير الصمت، شديد الملاحظة، نافذ الفراسة، دقيق الفهم راجح العقل، شديد التواضع، عف اللسان.

❁ زهده وعفته:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ رمزًا ومثالًا يُحتذىٰ وقدوة تُؤتسىٰ في الزهد والورع وإنكار الذات.

كان زاهدًا في الدنيا، متقللًا منها مُعرضًا عنها، مُتحليًا بالطاعة، مُستشعر العفاف والكفاف، مُقتصرًا من نفقته وملبسه علىٰ ما تدعو إليه الحاجة والضرورة.

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ متواضعًا في مسكنه ومأكله ومشربه وسائر أموره، وما عرفت الدنيا طريقًا إلىٰ قلبه، ولم يكن يهتم بها، ومع أن غيره ممن هو دونه كان ينقلب في النعيم وينام علىٰ الوثير من الفراش يؤثر خشونة العيش وعدم التوسع في الملذات علىٰ الرغم من أنه مُد بأسبابها.

والبرهان علىٰ أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما سلك سبيلًا لازدياد كسب مادي وما أكثر سبل الكسب المادي لو أرادها، ومما يؤكد ذلك ويدعمه أنه كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُحبًّا للتستر بعيدًا عن المظاهر والتصدر، يكره الشهرة ويأبىٰ أن تُسلَّط عليه الأضواء ويبتعد عن وسائل الإعلام بُعدًا لا هوادة فيه.

يقول أحد طلابه: لقد جاء الشيخ إلىٰ السعودية علىٰ علمه وسجيته لم يجتذبه طمع في

مال أو جاه أو منصب، وقد علم الله صلاح نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي وهو لم يطلبها فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق.

قلت: ومما لا يُنكَر من أخلاقه الظاهرة وزهده وورعه، كراهيته الشديدة للمدح والثناء عليه، وتقبيل رأسه ويديه، فما كان يرضىٰ من أحد أن يثنئ عليه أو يبالغ في مدحه.

وأما عفة الشيخ وتعففه، فهو بحر لا ساحل له، وقد تكفي الإشارة إن لم تسعف العبارة، وصفوة القول أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان شديد التعفف، غاية في الزهد، نموذجًا للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة.

كما كان رَحِمَهُ اللَّهُ عفّ اللسان عفيف النفس طاهر الذيل، بعيدًا عن المحارم، مجانبًا للمآثم.

❁ تواضعه:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي لين الجانب، سهل الخلق، شديد الزهد في أعراض الدنيا، يلبس الخشن من الثياب ويرتاح لذلك ويعلله بأنه يناسب بدنه صحيًّا ولم يكن له ترتيب خاص به في حياته كما هي عادة الأثرياء والوجهاء، كما أنه ليس له ترتيب خاص به في مجلسه وطعامه ولقائه بالعلماء والعامة وطلبة العلم، وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس وكان كثير التأمل، شديد الملاحظة، يؤثر الصمت ولا يتكلم إلا عند الحاجة، ولا يزيد عن المطلوب منه وكان لا يتشدق في الكلام ولا يتكلف ما ليس عنده، ولا يزهو علىٰ أحد بعلمه، ولا يترفع علىٰ جلسائه بل يباسطهم ويمتزج بهم، ومع هذا فهو بتواضعه متميز بخفض جناحه لطلابه وجلسائه، متعزز قد زاده التواضُع رفعةً، وخفضُ الجناح شرفًا.

يقول الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي: كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ محل القدوة والأسوة، شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه، إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر الأحداث والمواقف ونزل معه علىٰ قدره صغيرًا كان أو كبيرًا.

وقال الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: كان الشيخ عبد الرزاق متواضعًا يكرم الصبيان

والفتيان ولا يدعوهم إلا بألقاب التكريم، وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكة أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأيته في قمة التواضع إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنه أحق منهم بهذا التقديم.

❁ صدقه وأمانته:

إن من أعظم مكارم الأخلاق التي أمر الله بها وأمر بها رسوله ﷺ الصدق، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة: 119] وقال ﷺ «إن الصدق يهدي إلىٰ البر وإن البر يهدي إلىٰ الجنة».

لقد بلغ الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله من الصدق والأمانة مبلغًا وغاية جعلته موضع التقدير والاحترام والتوقير من طلابه ومحبيه، كان لا يتكلم إلا بما يعتقد أنه الحق، وكان يؤثر الصمت في بعض الأوقات، ولكنه إذا تكلم في أمر من الأمور أقنع محدثه لقوة حجته وصدق لهجته وبعده عن الكلام المبتذل والتلون في الحديث، وهذه الصفات الحسنة والخلال الحميدة جعلت الشيخ يحتل مكان الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية والمؤسسات الدعوية بالمملكة.

ويؤكد هذا أحد طلابه قائلًا: عرفت الشيخ عبد الرزاق أستاذًا ماهرًا وبحرًا زاخرًا بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها، من جوانب العلوم الشرعية واللغة العربية، وعرفته كذلك محدثًا واعظًا ومرشدًا أمينًا جم المعرفة غزير العلم متواضعًا كثير الزهد والتقشف، مقبلًا علىٰ الله في جميع أقواله وأعماله.

قلت: ومن قرأ فتاوىٰ الشيخ واستمع إلىٰ ردوده علىٰ المستفتين يدرك أنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صادقًا في قوله، أمينًا في نقله لكلام أهل العلم ومذاهبهم، وأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يلتمس الحق من وجهته، ويتبعه من مظانه.

❁ حلمه وسعة صدره:

لقد منَّ الله تعالىٰ علىٰ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي فجمع له بين أكرم خصلتين

وأعظم خلتين: هما العلم والحلم والعالم العظيم حقًّا كلما حلَّق في آفاق الكمال اتسع صدره وامتد حلمه وعذر الناس من أنفسهم والتمس الأعذار لأغلاطهم.

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: من الصفات التي تميز بها الشيخ عبد الرزاق سعة صدره، وبعد نظره وزهده في الدنيا ومتاعها.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ من سعة صدره يتحمل مسايرة جميع أصناف البشر علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم، وعوائدهم وأخلاقهم، وتباين آرائهم، لا يمل حديثهم، ولا يسأم من سماع مشكلاتهم ولا يغضب من كثرة أسئلتهم وفتاواهم ويؤكد هذا فضيلة الشيخ يوسف المطلق فيقول: كان الشيخ عبد الرزاق يشجع علىٰ العلم والدعوة وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصيًّا أو تحريريًّا، وما كان يسأم من السائلين، بل كان يبذل جهده حتىٰ يفهم سائله.

وبالجملة فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك، حليمًا رفيقًا لا يواجه أحدً بما يكرهه وذلك لسعة صدره وغزارة علمه وحيائه رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ كرمه ومروءته:

الكرم في اصطلاح العلماء، هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل وإكرام السائل مع بذل النائل.

والشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ كان كريمًا كرمًا أصيلًا، لا يتكلف لأحد وكان يكره المباهاة والمفاخرة، يقدم ما تيسر من الطعام ومما كان يعده لنفسه، وكان بذلك قادرًا علىٰ أن يقيم في كل يوم وليمة، وكان إذا علم بمجيء عالم أو صديق يعرفه دعاه إلىٰ الطعام، وكان طعامه طيب النكهة شهي المذاق، كان يفد إلىٰ بيته طلبة العلم والعلماء والدعاة والذين يبغون الشفاعة في أمر من أمورهم، فكان بيته ملتقىٰ الضيوف وذوي الحاجات ومنتدىٰ العلماء وطلبة العلم كان جوادًا بالخير جالسًا علىٰ محجة بارزة للضيوف.

وهذه الصورة المُشرقة عن كرم الشيخ ومروءته تعتبر بمثابة دعوة مفتوحة إلىٰ التنافس في الخير والتسابق في ميادين الفضيلة، والبعد عن الشح والحرص، ذلك أن

الإسلام دين يقوم علىٰ التعاون والبذل، والإنفاق، ويحذر من الأنانية والإمساك، ولذلك رغب ﷺ في أن تكون النفوس بالعطاء سخية، والأكف بالخير ندية، ووصّىٰ أمته بالمسارعة إلىٰ دواعي الإحسان ووجوه البر وبذل المعروف، وإلىٰ كل خلق نبيل.

وأما مروءته فهي بحر زخار، ونهر غمر، ولا شك أن المروءة من شواهد الفضل ودلائل الكرم وهي حلية النفوس وزينة الهمم.

إن المروءة كلمة يراد بها الشهامة والرجولة ونصرة المظلوم، وكف يد الظالم، وبذل الإحسان، وقري الضيف، وكل هذه المعاني الحسنة والخلال الطيبة كانت من أبرز سمات الشيخ عبد الرزاق بل كانت أُسّ حياته ومفتاح شخصيته.

۞ احترامه لنفسه وحسن معاشرته لغيره:

إن الخُلق الحسن والأدب الجمّ هما المعيار لسلامة النفس من الآفات الظاهرة والباطنة، ولقد جمع الشيخ عبد الرزاق ولا أزكىٰ علىٰ الله أحدًا أخلاقًا عالية وآدابًا سامية، إلىٰ جانب كرمه وعفته وزهده ومروءته، لا يعرف ذلك عنه إلا من خالطه عن قرب ونهل من علمه واستفاد من تجاربه، وفضلًا عن ذلك فإن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ذا هيبة ووقار بريئًا من الكذب بعيدًا عن التصنع، مستقل الرأي لا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبرًا ولا ذليلًا، وكان يعرف لنفسه قدرها ولم يكن من شأنه التلاعب بالأقوال والقضايا الجدلية المؤدية إلىٰ العبث بالحقائق، بل كان جادًّا يكره أن يحوط نفسه بمظاهر العظمة الكاذبة.

ولا شك أن هذه الصفات الحسنة والخلال الكريمة جعلت الشيخ موضع تقدير واحترام وإكبار من أقرانه من العلماء ومن طلابه ومحبيه وعارفي فضله، والفضل يعرفه ذووه.

وفضلًا عن ذلك كله فإن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان غاية في حسن المعاشرة وقدوة في روعة المؤانسة، لا يحسد ولا يحقد، مجلسه مجلس خير وعلم، ومحله محل حياء وحلم، يجيب دعوة من دعاه، ويعود المرضىٰ ويتجاوز عمن أساء إليه، ويدفع بالتي هي أحسن،

ويدعو أصدقاءه وطلابه بكناهم وأحب أسمائهم إليهم، ويميل إلىٰ محادثتهم والتلطف معهم، وهو مع ذلك عزيز النفس موفر الكرامة قوي الإرادة زاهدًا فيما عند الناس.

۞ ثباته على مبدئه:

إن السابر لأغوار الشيخ عبد الرزاق، والواقف علىٰ سيرته، والمتتبع لمراحل حياته يدرك تمام الإدراك أن الشيخ تميز بصفة الثبات علىٰ المبدأ، فما عرف منه التذبذب في الرأي والتعددية في القول، وما عرفت المداهنة والمجاملة طريقًا إليه، بل كان يقول الحق ويقصده ويتحرىٰ الصدق ويؤثره، وأدل دليل علىٰ ذلك أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لا يذكرها إلا للخاصة من أصحابه، ولا يسوئه أن يكون هناك من يخالف فيها، وإذا ذكرت أمامه الآراء التي تخالفه لا ينفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه بل يقول: لكلٍّ رأيه وكثيرًا ما كنت أسمعه، يقول لمن يستفتونه ويسألونه في أمور دينهم بعد أن يبين لهم الحكم الشرعي فيما سألوه فيه: «ما أعرفه قلته اسألوا غيري» وهذا إنْ دل فإنما يدل علىٰ ثقته بنفسه واعتزازه بدينه وخوفه من ربه، لا يخشي في ذات الله لومة لائم، وفضلًا عن ذلك فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ قويًّا صلبًا لينًا سهلًا في الرجوع إلىٰ الصواب وإلىٰ ما يظهر له أنه خلاف الحق الذي ثبت بالأدلة الصحيحة الصريحة.

۞ ابتلاؤه وصبره:

لقد ابتُلي الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ بابتلاءات عظيمة في هذه الدنيا، ونزلت به كوارث شديدة، فلم تضعفه هذه الابتلاءات وتلك الكوارث بل كان صابرًا محتسبًا؛ ومن هذه الابتلاءات التي ابتُلىٰ بها الشيخ في حياته أنه أصيب بشلل نصفي وعافاه الله منه، وأصيب بعدد من الأمراض فكان نِعم العبد الصابر، وقتل ولده الأكبر أحمد عاصم فتلقىٰ الخبر صابرًا محتسبًا، ثم توفي أصغر أبنائه عبد الرحمن، فكان كذلك غاية في الصبر والرضي بقضاء الله وقدره، ثم توفي ابنه عبد الله فجأة، فكان أيضًا مثالًا في الصبر والاحتساب.

ومما يدل علىٰ صبر الشيخ وتجلده أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد، وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه اليومي، بل جاء إلىٰ طلابه

وألقىٰ المحاضرة عليهم دون تأثر أو تلعثم.

۞ نظرته إلى المجتمع ونظرة المجتمع إليه:

أما نظرته إلىٰ المجتمع الإسلامي، فقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعيش عصره ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين، يعرفها تمام المعرفة ويدرك واقع الأمة الإسلامية تمام الإدراك، ويعي قضاياها ويعيش أحداثها ساعة بساعة ولحظة بلحظة، وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام وغيرهم معرفة دقيقة، وكان حكمه عليهم حكمًا سديدًا، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدىٰ تأثرهم بذلك كله.

كان قوي العزم في معالي الأمور، لا يعتريه فتور ولا خور في نصر العقيدة الصافية والمبادئ الإسلامية، ولا يقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من ذي سلطان، لأن القلب الذي أُشرِب حلاوته الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونورًا ربانيًّا؛ فلا يجد أحد لإغوائه سبيلًا.

أما نظرة المجتمع إليه فقد كانت نظرة تقدير واحترام وإكبار، ذلك أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان محبوبًا من المجتمع، ومن كل من عرفه وخالطه وتتلمذ علىٰ يديه، كما كان محل التقدير والإجلال من كل الناس علىٰ اختلاف درجاتهم وطبقاتهم.

كان يتميز رَحِمَهُ اللَّهُ بطيب المعشر والزهد في الدنيا والبُعد عن مباهجها، وكان يصدق قوله وفعله، وكان غاية في التواضع؛ يقدر الناس ويكرمهم مهما كانت منازلهم، وقد حببه ذلك لكل من عرفه أو جالسه أو درس علىٰ يديه ونهل من منأهل علمه الغزير.

لقد كان العلماء والعامة وطلبة العلم يقبلون علىٰ مجلس الشيخ ويستمعون إلىٰ نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة وآرائه النيرة مع توقيرهم لشخصه وتقديرهم لعلمه، مع محبة صادقة خالصة يرجىٰ بها وجه الله لعالم بذل علمه ووقته وماله دفاعًا عن دينه وذبًّا عن عقيدته وغيرة علىٰ مجتمعه وأمته.

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا علىٰ صيانة المجتمع الإسلامي من الانحرافات العقدية

وصيانته من الاعتقادات الشركية، كان مجاهدًا في سبيل الله، ونشر دعوة التوحيد بقلمه ولسانه.

ومما يؤكد هذا ويدعمه ما كتبه فضيلة الدكتور صالح بن سعود آل علىٰ قائلًا: لقد خبرت فضيلة الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ عن قرب، ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم، والفقه في الدين، والتحلي بمبادئ هذا الدين؛ من تواضع وتُقىٰ وزهد وورع وصبر وحب لهذه الأمة، وحرص علىٰ أن تظل كما هو مؤمل منها، منارة هُدًىٰ ومصدر إشعاع، ومَوْئِل عز للإسلام والمسلمين.

۞ بداية تلقيه للعلم:

تعتبر البداية الحقيقية لطلب الشيخ للعلم عندما وجهه والده إلىٰ كتاب القرية لحفظ كتاب الله تعالىٰ، ذلك أن الناشئ من العلماء ينشأ مرتبطًا بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد أكبَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ حفظ كتاب الله، فأحسن تلاوته وحفظ كثيرًا منه وقد أوتي سرعة في الحفظ وقوة في الفهم وجودة في الخط كثيرًا منه، وكل هذا وغيره مكنه من حفظ كتاب الله تعالىٰ والإقبال عليه بكليته علىٰ الرغم من صغر سنه، وحق للقرآن أن تفنىٰ فيه الأعمار وأن تعمر به الأزمان لقد كان حفظ الشيخ لكتاب الله في سن مبكرة هي الخطوة الأولىٰ للدخول في طلب العلم الشرعي بصورة جادة ومنتظمة، ثم واصل الشيخ بعد ذلك دراسته في همة لا تعرف الكلل ونفس طَلِعة لا تعرف الملل.

وقد أكد هذا الكلام فضيلة الشيخ عبد الحميد بن عبد المطلب الهلالي من أعيان قرية (شنشور) في كلمته التي تناول فيها نشأة الشيخ ووضح فيها بداية تلقيه للعلم، قائلًا: لقد نشأ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي نشأة طيبة وسط أسرة طيبة الأعراق حسنة السمعة، درس القرآن الكريم منذ نعومة أظافره علىٰ يد كل من والده الشيخ عفيفي عطية النوبي ثم في كُتَّاب القرية حيث كان نابغًا في حفظ كتاب الله تعالىٰ، وقد أُعفي من الجُندية (الخدمة العسكرية) حسب النظام المعمول به وقتئذ لحفظه القرآن الكريم كاملًا.

نبوغه المبكر وتقدمه على أقرانه:

لقد عرف الشيخ عبد الرزاق عفيفي منذ صغره بالألمعية النادرة والنجابة الظاهرة والذكاء المفرط والنبوغ المبكر حتىٰ بزَّ أقرانه وفاق أترابه وعلىٰ الرغم من حداثة سنه فقد كان صاحب همّة عالية ونفس أبية جعلته موضع تقدير ومحل تبجيل من كل من عرف الشيخ وخالطه وزامله.

❁ شيوخه ومؤهلاته:

من العلماء الذين تتلمذ الشيخ لهم ونهل من علمهم واستفاد من دروسهم.

الشيخ محمد بن حسن عافية والشيخ محمد بن عبود عافية، وهما من علماء قريته (شنشور)، وأما أشهر شيوخه وأكثرهم تأثيرًا فيه فمنهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية، والشيخ دسوقي العربي، والشيخ عبد المعطي الشربيني، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد العتريس، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ مصطفىٰ المراغي وغيرهم.

وأما أقران الشيخ ومعاصروه فهم أمم لا يحصون ومنهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، والشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر آنذاك، والعلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ العلامة محمد الخضر حسين، والشيخ الإمام حسن مأمون مفتي مصر في زمنه، والشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام للمجلس الأعلىٰ للأزهر سابقًا، والشيخ الإمام جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر سابقًا رحمهم الله جميعًا.

ومن أقرانه أيضًا: فضيلة الدكتور محمد حسن فايد رَحِمَهُ اللَّهُ والدكتور عبد المنعم النمر، والدكتور محمد الطيب النجار، وكذلك فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا، وفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح مدير دار الحديث

ومؤسسها بمكة المكرمة وإمام وخطيب المسجد الحرام، وفضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ محمد عبد الوهاب بحيري، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد الله بن يابس، والشيخ عبد العزيز بن راشد، وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمهم الله جميعًا.

❁ ومن أبرز أقرانه وأشهر معاصريه:

- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق للمملكة العربية السعودية ورئيس الكليات والمعاهد العلمية رَحِمَهُ اللهُ.
- وسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.
- وسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ سعدي ياسين رَحِمَهُ اللهُ.
- ومنهم فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ.

وأمم يصعب حصرهم واستقصاؤهم.

❁ مؤهلاته العلمية:

وأما مؤهلات الشيخ العلمية فهي على النحو التالي:

لقد تحصل الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللهُ على عدد وافر من الشهادات والإجازات العلمية، وأعلى هذه الشهادات والمؤهلات التي نالها الشيخ حفظه المتقن والمجود

لكتاب الله والذي أتاح له فرصة الالتحاق بالأزهر في عصره الذهبي حيث التقىٰ الشيخ في ساحته وبين أروقته وباحته بجبال العلم وشيوخ المعرفة وأفذاذ الطلبة وجهابذة المحدثين.

وقد تخرج الشيخ في الأزهر من أعلىٰ مستوياته فقد تحصل علىٰ الشهادتين الابتدائية والثانوية ثم تحصل علىٰ شهادة العالمية في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة 1351 هـ الموافق السادس عشر من شهر أغسطس سنة 1923 م.

وفي الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة 1355 هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة 1936م منح شهادة التخصص في الفقه وأصوله وهي التي تعرف اليوم بشهادة (الدكتوراه).

ثم واصل الشيخ تحصيله العلمي حتىٰ أضحىٰ من العلماء الفحول والحفظة العدول.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الشيخ عبد الرزاق يرحمه الله لم يكن يعبأ بهذه الشهادات ولم يفاخر بها وما سُمع قط يتحدث عنها ذاكرًا أو آثرًا.

ويؤكد هذا فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر قائلًا: كان الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ ممن يزهد في الشهادات الدراسية والتشدق بذكرها، وإنما يراها وسيلة لحمل العلم وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدىٰ، ولم نسمعه يومًا يتحدث عن المؤهل الذي تحصل عليه.

فرحم الله هذا العالم المحقق والحافظ المدقق والمحدث الجهبذ والعالم الجليل والفقيه النبيل.

۞ تلاميذه:

من الصعب جدًّا حصر الطلاب الذين تلقوا العلم علىٰ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ وقعدوا منه مقعد الدرس والتحصيل ولكنْ ما لا يدرك كله لا يترك جله.

لقد تخرج به أعداد كبيرة من العلماء والدعاة والمحصلين تسلموا مناصب علمية وعملية مرموقة في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها زمن هؤلاء العلماء الذين تخرجوا به رَحِمَهُ اللَّهُ وأصبحوا أنجمًا متألقة في سماء العلم والمعرفة من هؤلاء:

- صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن محمد الحيدان.
- صاحب الفضيلة الشيخ: ناصر بن حمد الراشد.
- صاحب الفضيلة الدكتور: عبد الله عبد المحسن التركي، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد سابقًا.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن البسام.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي المملكة.
- صاحب الفضيلة الشيخ: ناصر بن عبد العزيز بن محمد الشثري.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان.
- صاحب الفضيلة الشيخ: صالح الفوزان آل فوزان.
- صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله السبيل.
- صاحب الفضيلة الشيخ: محمدبن خليل القطان.
- صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله العجلان.
- صاحب الفضيلة الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن سليمان بن منيع.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين.
- صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن حسن بن قعود.
- صاحب الفضيلة الدكتور: عبد العزيز كامل وزير الأوقاف المصري سابقًا.
- صاحب الفضيلة الشيخ: راشد بن خنين.
- صاحب الفضيلة الدكتور: صالح الأطرم.

❁ مؤلفاته ورأيه في التأليف:

كان الشيخ عبد الرزاق يرحمه الله لا يرىٰ التأليف ولا يرغب فيه مع غزارة علمه وسعة إدراكه ووفرة مادته، وكان يعلل ذلك بأن الناس عامة وطلبة العلم خاصة بحاجة ماسة إلىٰ القراءة والاطلاع أكثر من حاجتهم للتأليف والتصنيف.

ولعل السبب الحقيقي الذي حمل الشيخ علىٰ ترك التأليف مع التمكن من أدواته، زهده في الشهرة والسمعة والمناصب، وتفرغه لتربية الأجيال وبناء النفوس وإعداد العلماء وتهيئتهم بالعلم والعمل وحمل أمانة التبليغ.

وبينما يرىٰ الشيخ أنه لا حاجة للناس في التأليف وأن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها وأنه يُكتفىٰ بما كتبه وجمعه العلماء السابقون، حيث أنهم تطرقوا إلىٰ كل فن وأوضحوا ما يحتاج إلىٰ توضيح وأن من جاء بعدهم عيال عليهم.

۞ جهوده الدعوية في مصر:

قضىٰ الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ حياته في خدمة العلم والدين، مجاهدًا في سبيل الدعوة إلىٰ الله وطلب العلم وتعليمه.

لقد أمضىٰ الشطر الأول من حياته في الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان داعية من أبرز دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والإسكندرية ومن المؤسسين لها.

كان داعية متميزًا في علمه ودعوته وكان لسعة اطلاعه وقوة حجته وثباته علىٰ الحق أبلغ الأثر في نجاح دعوته.

يتحدث عنه أحد زملائه بالأزهر وأحد رفقاء دربه وهو الشيخ يوسف الضبع فيقول: «وفي الإسكندرية وضواحيها المترامية بسط نطاق دراسته الدينية ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور:36].

فكان الشيخ يُلقي فيها عِظات ودروسًا دينية حِسبةً لله وابتغاء وجهه، وكانت هذه العِظات وتلك الدروس إلىٰ جانب جدوله الدراسي في المعهد الديني بالإسكندرية وقد تتلمذ له وآوىٰ إلىٰ حلقاته كثير من شيوخ الإسكندرية وشبابها، وأشهد أنه بلغ من الورع والتقوىٰ والكرم والشجاعة وأصالة الرأي ورسوخ القدم ما جعله أشبه بعلماء السلف الصالح، لقد كانت دروسه اليومية في الإسكندرية وضواحيها بمثابة مدرسة كبرىٰ يجتمع فيها الجم الغفير من الناس علىٰ اختلاف مستوياتهم للاستماع، النقاش والجزار وغيرهما

مع عالم مبرز وفقيه ثقة، إذا جادل أقنع، ولم تقتصر دروسه ومواعظه علىٰ مكان بعينه في الإسكندرية، بل كان يغشىٰ معظم مساجد هذه المدينة الكبيرة وغيرها من المدن، من وقت لآخر لإلقاء دروس في التوحيد والعقيدة الإسلامية التي كان حريصًا أشد الحرص علىٰ تنقيتها وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والخرافات والخزعبلات وما أكثرها في مجتمعه».

لقد عرف الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال دروسه بسعة علمه وعمق فهمه وصحة معتقده، فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعًا أمينًا لهم.

وفي رحلته العلمية وجهوده الدعوية، كانت له عناية خاصة بتربية تلاميذه علىٰ العقيدة السلفية ونبذ البدع والضلالات، والأخذ بأيديهم إلىٰ هدي الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة، فاحتضن نخبة متميزة من هؤلاء التلاميذ وتعهدها منذ الطفولة واصطحبها معه حتىٰ نمت وشبت عن الطوق ونهجت نهجه، وغدا هو وهم يجوبون القرىٰ والنجوع، ويتجولون في الضواحي والأحياء المتعددة، لأداء رسالة هي من أعظم الرسالات، ألا وهي رسالة الدعوة إلىٰ الله وهداية الناس.

وحيث كانت معظم المساجد لا تخلو من البدع، ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة، فقد ركز – غفر الله له – علىٰ الجوانب العقدية والعودة إلىٰ منابع أصولها الصافية، والتمسك بالسنة الصحيحة وما كان عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لهم فيها بالخير، وكان إذا تعذر عليه تغيير المنكر سعىٰ في إقامة مسجد خاص يقوم عليه من هداهم الله لدعوته ويتخذون منه منطلقًا للدعوة.

ويتحدث فضيلة الشيخ مناع بن خليل قطان منوّهًا بجهود الشيخ الدعوية في محافظة شبين الكوم بمصر قائلًا:

1- عين شيخنا مدرسًا بالمعهد الديني بشبين الكوم التابع للأزهر سنة 1355 هـ - 1973 م.

2- استأجر بيتًا لسكناه (وهو عزب) فأسكن معه طلاب (شنشور - منوفية).

3- ثم تزوج وسكن في بيت مستقل، ولكنه كان يدعو طلابه بالجامعة ويرعاهم كما يرعىٰ الأب أبناءه.

4- قام بتدريس مادة الحديث المقررة في المرحلة الثانوية «صفوة صحيح البخاري». فكان أستاذًا متميزًا بترتيب الموضوع وجودة العرض وحسن التعليق ورجاحة العقل ويسجل النابهون من طلابه إضافاته العلمية علىٰ هامش الكتاب المقرر.

5- يهاب الطلاب شخصيته وينصتون لسماع درسه ويحرصون علىٰ الاستفادة منه.

6- اتفقت معه الجمعية الشرعية بشبين الكوم برئاسة الشيخ أحمد الزيات علىٰ أن يلقي درسًا أسبوعيًّا منتظمًا في مسجدها، فكان هذا الدرس مدرسة يجتمع فيه الجم الغفير للاستماع والنقاش والحوار.

7- كان يغشي المساجد الأخرىٰ من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها.

8- كان منهجه السلفي سمة بارزة فيه بأسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة ولا يمس أحدًا بتجريح مما جعل استجابة الناس عن حب وقناعة.

9- توثقت علاقته بمدير المعهد آنذاك (الشيخ عبد الجليل عيسىٰ) فكان موضع شوراه.

10-كان يزن طلابه بميزان دقيق في الجوانب المتعددة، ولا يخفي حبه لمن يتوسمْ فيهم الخير فيعاملهم – وهم بمنزلة أبنائه – معاملة الأخ الأكبر لأخوته الصغار.

11- عرف بسعة علمه وعمق فهمه فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعًا لهم.

12- أضفىٰ عليه تواضعه حلة من زيادة التقدير والاحترام لدىٰ كل من عرفه.

وفضلًا عن ذلك كله، فقد كان له القدح المعلىٰ في تخليص قريته (شنشور) من العادات الجاهلية التي هدمها الإسلام كالنياحة وإقامة السرادقات... إلخ.

لقد كانت جهوده في هذا الميدان لها أبلغ الأثر في نفوس العامة فضلًا عن المتعلمين لما يعلمونه عن الشيخ من علم واسع ورفق في الدعوة وحرص علىٰ هداية الناس، وقد تحقق ما أراد بإذن الله وتوفيقه، فهدىٰ الله علىٰ يده آلافًا من الناس وذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء.

إن حياة الشيخ عبد الرزاق وجهوده الدعوية المباركة جديرة بالتأمل، فقد أوقف حياته علىٰ نشر العلم والدعوة إلىٰ هذا الدين وإظهار محاسنه والدفاع عن ساحته وترسيخ مبادئه وتعميق التوعية بمعانيه.

والواقع الذي لا يماري فيه أحد من دعاة هذا الدين وإظهار محاسنه وحملته في مصر وغيرها هو إجماعهم علىٰ أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق قد بلغ من العلم والفضل والفقه في الدين منزلة عظيمة لا يجحدها إلا حاسد أو حاقد.

۞ جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية:

وأما جهوده الدعوية في المملكة العربية السعودية فهي بحر لا ساحل له وهي جديرة بأن يفرد لها دراسات ومؤلفات خاصة به.

قدم العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – غفر الله له ورحمه – إلىٰ المملكة العربية السعودية – بلاد الحرمين الشريفين – سنة 1368 هـ بعد أن قضىٰ شطر عمره في ميادين العلم والدعوة والتربية في مصر.

لقد جاء إلىٰ المملكة العربية السعودية علىٰ سجيته، لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب، لم يأت إلىٰ المملكة ليكون سلفيًّا بل كان سلفيًّا قبل مجيئه إليها وأدل دليل علىٰ هذا أن نشر الكتب السلفية التي تُعنىٰ بأمر المعتقد كان شاغله الشاغل وعمله الدؤوب ومن أوائل هذه الكتب التي قام علىٰ تحقيقها ونشرها في مصر: كتاب «العلو» للذهبي.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي يعتبر من أوائل من جاؤوا للتدريس في هذه المملكة المباركة قبلة العلماء العاملين وملاذ الأئمة المصلحين والدعاة المخلصين، جاء الشيخ إلىٰ البلاد استجابة لرغبة كريمة من مؤسس هذه الدولة الغراء الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله فقد وجه أمره الكريم إلىٰ صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، معتمد المعارف السعودية آنذاك وأحد أبرز رجال التعليم في المملكة العربية السعودية بأن يذهب إلىٰ مصر لترشيح واختيار نخبة ممتازة من العلماء الذين عرفوا

بصحة المعتقد وسلامة المنهج، وهدفه من ذلك تنفيذ سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذوره بعد أن خيم ردهًا من الزمن علىٰ أجزاء من هذه الجزيرة، وفي مصر وقع الاختيار علىٰ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليكون في طليعة من يذهبون إلىٰ المملكة العربية السعودية للمشاركة في النهضة العلمية بها وإزاء تلك الثقة الغالية من الملك عبد العزيز يرحمه الله والأمراء من أبنائه آثر الشيخ عبد الرزاق الاستقالة من الأزهر وقدم إلىٰ هذه البلاد مع كوكبة من علماء الأزهر منهم فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم وفضيلة الشيخ محمد خليل هراس وفضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب بحيري وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف وفضيلة الشيخ محمد حسين الذهبي وفضيلة الشيخ عبد المنعم النمر وفضيلة الشيخ يوسف الضبع والشيخ أحمد القط والشيخ محمد عبد الدائم وغيرهم، وقد امتاز رَحِمَهُ اللهُ عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية بشدة متابعته لكتاب الله وسنة رسوله.

ويشيد معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد سابقًا بجهود فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ فيقول:

لقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد العلمية بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – عليه رحمة الله –، ثم في مجال الإفتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وقد أفنىٰ عمره في نشر العلم والدعوة إلىٰ الله والدفاع عن دينه.

لقد أدىٰ الشيخ عبد الرزاق عفيفي – غفر الله له ورحمه – علىٰ مدار تسعة وأربعين عامًا دورًا مهمًا وفعالًا في الحياة العلمية والاجتماعية يمكن إجماله فيما يلي:

1)- جهوده التعليمية والتربوية والدعوية في دار التوحيد بالطائف (1368 – 1370 هـ).

2)- محاضراته القيمة ودروسه العلمية في معهدي عنيزة العلمي والرياض(1370 – 1371 هـ).

3)- تأسيسه وتدريسه في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض.

4)- معاصرته لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ نواتها الأولىٰ واستمرار عطائه لها إلىٰ أن توفاه الله.

5)- جهوده المخلصة وعمله الدؤوب إبان إدارته للمعهد العالي للقضاء (1385 – 1390) وتخريج أفواج من طلبة العلم والدعاة علىٰ يديه.

6)- مشاركته في اللجان العلمية التي كان من ثمرتها إنشاء الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة.

7)- عضويته الفاعلة وجهوده المتواصلة في وضع مناهج ومقررات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

8)- تحريره وصياغته لآلاف الفتاوي والبحوث التي تتسم بالعمق والأصال والدقة وذلك خلال عمله نائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

9)- دروسه العلمية ومحاضراته وندواته المفيدة في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وفي منزله وفي بعض المعاهد التربوية ودور العلم.

يقول أحد تلامذته: كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذا باع طويل في علوم الشريعة وقلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد، أما في علم أصول الفقه فإليه فيه المنتهي، وقد شرفت بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة ثم في المعهد العالي للقضاء وخبرته عن قرب ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم والفقه في الدين والتحلي بمبادئ هذا الدين من تواضع وتقىٰ وزهد وورع وصبر وحب لهذه الأمة وحرص علىٰ أن تظل كما هو مؤمل منها منارة هدىٰ ومصدر إشعاع وموئل عز للإسلام والمسلمين.

ويقول آخر: كان الشيخ عبد الرزاق يرحمه الله مسار إعجاب طلبة العلم وكان الطلاب ينقلون أخباره لأهاليهم وذويهم، موضحين مواقفه وجهوده في التعليم والتربية، وتفوقه في علم الشريعة، ودقة فهمه لأحكامها، وحسن تنزيله للأحكام علىٰ الوقائع في التدريس والفتوىٰ، وقوة شخصيته، وسداد توجيهه، وحسن تربيته، وعرفته الساحة في

المملكة في كل مجال من مجالاتها في التعليم والتربية والتوجيه والوعظ والإرشاد، وفي الفتوىٰ والمجالس العلمية، ذا علم غزير ورأي متميز وأدب جم، جمع الله له بين العلم النافع والعمل الصالح والقبول عند الناس والاحترام في المجتمع.

10)- إشرافه علىٰ عشرات الرسائل العلمية (دكتوراه وماجيستير) ومناقشته للمئات منها فضلًا عن مئات البحوث والدراسات المتخصصة التي قومها وأبدىٰ رأيه الصائب فيها ومن هذه الرسائلُ العلمية التي أشرف عليها:

• رسالة الدكتوراه للشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندي وموضوعها (ابن قدامة وتخريج أحاديث كتاب الكافي).

•رسالة الدكتوراه للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان وموضوعها (تحقيق ودراسة كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل لابن خزيمة).

• رسالة الدكتوراه للشيخ صالح الفوزان وموضوعها (الأطعمة ما يحل منها وما يحرم).

•رسالة الدكتوراه للشيخ سعود بن عبد الله الفنسيان وموضوعها (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره).

• رسالة الدكتوراه للشيخ محمد بن سعيد القحطاني وموضوعها (اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتنًا).

وأما رسائل الماجستير والبحوث الشرعية الأخرىٰ فهي لا تحصىٰ كثرة.

11)- تقويمه للأعمال العلمية والأبحاث التي تتسم بالأصالة والابتكار لكثير من الأساتذة طلبًا للترقية إلىٰ الدرجة العلمية التي يستحقونها.

12)- إلقاؤه للعديد من المحاضرات والندوات والكلمات وعقد مئات المجالس العلمية في المساجد وفي بيته.

۞ دروسه العلمية:

لقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له من أعلا العلماء علمًا وتُقَىٰ وزهدًا

وفصاحة، مواعظة تصل إلىٰ القلوب وألفاظه ترسخ في الأذهان، كان منظره وفق مخبره وعلانيته وزن سريرته، يجمع مجلسه ضروب الناس وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التفسير، وآخر يتعلم منه اللغة وهو في كل هذا كالبحر العجاج تدفقًا وكالسراج تألقًا.

كان في دروسه عف اللسان، لا يعترض لأحد بأذىٰ ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا في مجلسه، وسواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة وفي حلقة الدرس يقرر العلم ويحقق المسائل ويوضح الغامض ويحل المشاكل ويقدم البراهين والأدلة علىٰ صحة قوله، ولا ينتصر لرأيه، وكان ذا هيبة ووقار يفرض احترامه علىٰ جالسيه، كان كثير من طلبة العلم ومحبي المعرفة يحرصون أشد الحرص علىٰ مجالسته وحضور دروسه.

وكان في مجلسه صاحب روح خفيفة، قلما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة تنشط السامع وتسره وتؤدي في نفس الوقت غرضًا توجيهيًّا وكان بعيد النظر، عميق الفكر، له جولات نقدية موجزة، يدركها الماعي من جلسائه، كما كان بعيدًا عن التكلف والتشدق فتم له إحكام الضبط وإتقان الأداء فجاء لفظه مشبعًا ولسانه دربًا ومنطقه عذبًا.

يقول أحد تلامذته: كان الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ في أخلاقه محل القدوة والأسوة، شديد التواضع، تغلب عليه البساطة في مجلسه ودروسه. صحبته ما يزيد علىٰ اثنين وثلاثين عامًا وما تركت مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحدنا مسافرًا ولقد تعلمت في هذه الصحبة أمورًا كثيرة؛ منها ما يتعلق بالناحية السلوكية، ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية، ولقد أكرمه الله بالعقل المسدد والعلم الواسع والرأي الحكيم.

وكانت له دروس منتظمة في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «دخنه» بالرياض، وكان يحرص علىٰ حضور هذه الدروس أكابر طلبة العلم والعلماء وعندما انتقل الشيخ إلىٰ (حي الوشام) كانت له عدة دروس بين المغرب والعشاء بالمسجد المجاور لداره وكان يعرف بمسجد العفيفي، هذا فضلًا عن إمامته للمصلين في هذا المسجد مدة خمسة عشر عامًا.

كما كان له رَحِمَهُ اللَّهُ درس أيام الملك العالم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود – تغمده الله بواسع رحمته – كل يوم أربعاء وكان الملك يحضره معجبًا بعلم الشيخ يعقد دروسًا مكثفة في بيته يخصص بعضها لطلبة العلم المتميزين في فهمهم وإدراكهم، ومن الكتب التي قام بشرحها وتدريسها كتاب إيضاح المبهم من معاني متن السلم. تأليف أحمد الدمنهوري وهو في المنطق.

وكتاب «روضة الناظر» و«العقيدة الحموية» و«الواسطية» و«الرسالة التدمرية» لابن تيمية و«إحكام الأحكام» للآمدي وغيرها.

وقد كان في موسم الحج مقصد الناس من كل مكان، يجيب علىٰ أسئلتهم ويحل مشكلاتهم. وصفوة القول أن الشيخ – رَحِمَهُ اللَّهُ – جمع علمًا وفضلًا وانتفع بعلمه أمم لا يحصون كثرة واجتمع في دروسه ما لم يحدث عند غيره.

ويصف ولد الشيخ عبد الرزاق – وهو الأستاذ محمود – مجلس أبيه فيقول:

كان مجلس الشيخ مهيبًا، لا مجال فيه للهو الحديث، ولا الخوض في الأعراض وانتهاك الحرمات وكثرة القيل والقال وانتقاص الناس.

مجلس يغلب فيه التوجيه والإرشاد والنصيحة وحسن المشورة والبحث العلمي، فيما يعرض من مسائل والإجابة عما يقدم من استفتاءات، فإذا ما أخذوا في الحديث عن الدنيا كان الحديث بريئا كالحديث عن الأمطار والزروع والثمار، وأمثال هذه الأمور من الكونيات التي يثير البحث فيها العبرة ويعرف الإنسان نعم ربه عليه.

وقد طبع الشيخ علىٰ الخِلال الحميدة والأخلاق والصفات الكريمة فكان رَحِمَهُ اللَّهُ صادق اللهجة عف اللسان حليمًا واسع الصدر كثير الصمت أمينًا علىٰ السر، متمهلًا في حديثه، متأنيًا في البحث وإبداء الرأي مع بعد نظر، يحب أن يسمع أكثر مما يقول، يرىٰ أن ما يفوت بالتأني أخف خطرًا وأقل ضررًا مما ينجم في الغالب من سوء عاقبة العجلة ووخيم مغبتها.

يسعىٰ في الخير للفرد والجماعة، ويجتهد في تحصيل ما يراه محققًا للمنفعة دون أن

يعلن عن عمله أو يتحدث عن نفسه حديث فخر وإعجاب بما له من محامد ومآثر.

❁ موقفه من المبتدعة:

بعد أن تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن أعداء الإسلام والأساليب التي يستعملونها لبث أفكارهم وشبههم -وذكر بعضها-.

قال: وغيرها من الشبه التي زانوها واستولوا بها علىٰ عقول البسطاء، وأحيانًا ينتحلون أحاديث ينسبونها زورًا إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويلقونها علىٰ مسامع الأغرار وأهل الغفلة والجهل بفن الحديث من الذين لا يستطيعون التميز بين صحيحه ومكذوبه، بل يصغون لكل ما نسب إليه ﷺ؛ لحسن ظنهم بالرواة، وظنهم أنه لا يجرؤ أحد علىٰ الكذب علىٰ المُشرِّع، ولكن يأبىٰ الله تعالىٰ إلا أن ينصر دينه وينجز وعده، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: 9]، ويأبىٰ الحق إلا أن يصرع الباطل علىٰ يد النقاد من رجال الحديث وعلماء الرواية؛ بكلاءة هذا الفن وحفظه بتدوينه وتمييز الأصيل من الدخيل، والكشف عن أحوال الرجال جرحًا وتعديلًا يقظة وغفلة؛ إلا أن بعض رجال العلم من بعد أهملوا هذا الميراث الثمين، ولم يسلكوا سبل سلفهم في رد الفروع إلىٰ الأصول، ولم يسيروا علىٰ ضوء مباحث الأولين في رد الشبه والأحاديث المفتراة؛ فغمرهم ظلام الإفك، وطغىٰ عليهم التلبيس فتخبطوا في كثير من مباحثهم، وأكثروا من الاحتمالات التي لا داعي لها ولا حاجة إليها، فضعفت كلمتهم أمام المحرفين والمشبهين الملحدين. وإن ما ترزح تحته الأمم الإسلامية اليوم؛ من تفرق في الكلمة، وانحراف في الرأي، وضعف في الدفاع، وتأخر إلىٰ الوراء حين يتقدم غيرهم؛ ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلتهم عن تراث السلف الصالح وسلوكهم لغير خطتهم علمًا وعملًا.

ولقد راجت شبه الملحدين من جديد زواجًا مخيفًا جمد إزاءه المسلمون، ولو أنهم رجعوا إلىٰ أقوال سلفهم الصالح وسلكوا طريقهم، لردوا كيد الكائدين إلىٰ نحورهم؛ فإنه ما من شبهة تذاع اليوم إلا وقد سبق إليها شياطين الملحدين السابقين في العصور

الأولىٰ، ووقفها وردها وأبطلها أجلة علماء السلف ببراعة فائقة؛ فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هدي أقوم مما كانوا عليه؛ فالخير كل الخير في العودة إلىٰ كتاب الله تعالىٰ تلاوةً له وتفقهًا فيه، وإلىٰ أحاديث المصطفىٰ صاحب جوامع الكلم ﷺ دراية ورواية، والفتيا بهذين الأصلين وعرض أعمال الناس عليهما؛ فهذا هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد[1].

❁ ومن مقالاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

من أسباب الانحراف والصدود عن الحق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد: فللصدود عن الحق أسباب عديدة وموانع كثيرة؛ منها: الغرور الفكري والتقليد عن غير بينة وبصيرة، وتحكم العادات السيئة في النفوس، والأنفة والاستكبار، والحسد الممقوت، وطاغوت الافتتان بالمركز والجاه وكثرة المال، وما إلىٰ ذلك، وكلها أمراض أخلاقية وبيلة، وأدواء مستعصية فتاكة، والحديث عنها يطول؛ فليكن حديثي في هذه الحلقة عن الغرور الفكري. الغرور الفكري هو إعجاب الإنسان بعقله، وافتتانه برأيه، وإنزاله فوق منزلته، وإعطاؤه من القداسة ما ليس بأهل له حتىٰ يتدخل فيما لا يعنيه، وما ليس في وسعه وحدود طاقته؛ فيعارض العبد ربه في خلقه وتشريعه، فضلًا عن معارضته لنظرائه ومن هو أوسع منه فكرًا وأكثر تجربة من العلماء، لقد وجد الشيطان منفذا لوسوسته في اغترار قوم بعقولهم وعلومهم؛ فاستهواهم، وزين لهم أن يخوضوا فيما ليس من شأنهم، وأن يهجموا علىٰ بحث ما ليس في وسعهم بحثه[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكم فيمن رد السنة جملة -أي كلها- فهو كافر، فمن لم يقبل منها إلا ما كان في القرآن فهو كافر، لأنه معارض للقرآن، مناقض لآيات القرآن، والله تعالىٰ يقول:

---

(1) إتحاف النبلاء (2/ 198 - 199).

(2) إتحاف النبلاء (2/ 187 - 188).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] ويقول تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾ [المائدة: 92]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: 59] ويقول تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، فقوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ هذا عام، فحد المفعول طريق من طرق إفادة العموم، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وما من صيغ العموم، وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أي: تنازع الرعية، وأولو الأمر من العلماء والحكام ﴿فِي شَيْءٍ﴾ فردوه إلىٰ الله والرسول، فلم يجعله إلىٰ الله وحده، بل جعله إلىٰ الله وإلىٰ الرسول، ورده إلىٰ الله رده إلىٰ كتاب الله، ورده إلىٰ الرسول بعد وفاته رده إلىٰ سنته عليه الصلاة والسلام، فدعواه أنه يعمل بالقرآن عقيدة وعملًا ويرد السنة جملة -هذه الطائفة التي تسمي نفسها (القرآنية) - دعوة باطلة، وهو مناقض لنفسه لأنه كذب آيات القرآن التي فيها الأمر باتباع الرسول ﷺ، وأخذ ما جاء به، وطاعته فيما جاء به من عند الله عمومًا دون أن يخص آيات القرآن، ثم هو في الوقت نفسه كيف يصلي؟ وكيف يحدد أوقات الصلوات؟ وكيف يصوم؟ وعن أي شيء يصوم؟ وتفاصيل الصيام كيف يعرفها؟ وكيف يحج بيت الله الحرام؟ فليس هناك إلا أركان محدودة من الحج في سورة البقرة، وكذلك أين أنصبة الزكاة؟ وكيف يزكي؟ كل هذه التفاصيل موجودة في السنة وليست في القرآن، فمن يدَّعي أنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة فإنه مغالط ومناقض لنفسه، ومناقض للقرآن، لأنه رد آياته الكثيرة التي ورد فيها الأمر بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام والأخذ بما جاء به، ومناقض لإجماع المسلمين ولإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم جميعًا لم يشذ واحد منهم عن الأخذ بالسنة، فإذا هو كافر بالقرآن، وإن ادعىٰ أنه مؤمن به، والكافر بآية منه كالكافر بكل آياته، كافر بالإجماع منكر له، أي إجماع الصحابة رضوان الله عليهم، فما فيهم واحد شذ عن السنة وأنكرها

جملة، وإذا أنكر أحدهم شيئًا فإنما ينكر حديثًا من جهة الراوي لا من جهة أنه كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، أي: السنة.

وهذا أيضًا لا يقوىٰ علىٰ أن يقوم بالصلوات الخمس علىٰ وجهها المعلوم من الدين بالضرورة، فصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة الصبح ركعتان لا يجد هذا في كتاب الله فمن أين جاء هذا؟ ما جاء إلا من تعليم جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام، وتعليم الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه، فمن أين يأتي بهذا؟ فهذا مجمل الرد عليه، وإثبات أنه كافر بالقرآن، كافر بالإجماع اليقيني، كافر بالمعلوم من الدين بالضرورة، من مثل أن ركعات الظهر أربع، والعصر أربع، والعشاء أربع، والمغرب ثلاث، والصبح ركعتان، وكافر أيضًا بتفاصيل الصيام لأنها ليست في القرآن، وهي معلومة من الدين بالضرورة، فلذلك كان كافرًا[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في جماعة التبليغ: الواقع أنهم مبتدعة ومحرفون وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلىٰ الكتاب والسنة، ولكن يدعون إلىٰ إلياس شيخهم في بنجلادش، أما الخروج بقصد الدعوة إلىٰ الإسلام فهو جهاد في سبيل الله، وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف جماعة التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا. هم في مصر، وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية، كلهم مرتبطون بشيخهم إلياس[2].

۞ موقفه من المشركين:

- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وتطرف البراهمة، فأحالوا أن يصطفي الله نبيًّا ويبعث من عباده رسولًا، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتمادًا علىٰ العقل في التمييز بين المصالح والمفاسد، واكتفاء بما يدركه مما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد، وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلىٰ أعمالهم، خيرًا كانت أو شرًّا، إذ هو سبحانه لا

(1) فتاوىٰ ورسائل (303 - 305).

(2) فتاوىٰ ورسائل (372 - 373).

ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر بمعصيتهم.

وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد، وحاجة العالم إلىٰ رسالة تحقيقًا لمصالحهم، مع غنىٰ الله عن الخلق وأعمالهم، فليس إرسالهم عبثًا، بل هو مقتضىٰ الحكمة والعدالة[1].

۞ موقفه من الرافضة:

- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يرىٰ أهل السنة أن حب الصحابة دين وإيمان وإحسان لكونه امتثالًا للنصوص الواردة في فضلهم، وأن بغضهم نفاق وضلال لكونه معارضًا لذلك، ومع ذلك فهم لا يتجاوزون الحد في حبهم أو في حب أحد منهم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: 77] ولا يخطئون أحدًا منهم، ولا يتبرؤون منه، ولهذا ورد عن جماعة من السلف كأبي سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي، أنهم قالوا: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، ومعنىٰ ذلك أن الشهادة علىٰ مسلم معين أنه كافر أو من أهل النار، بدون دليل يرشد إلىٰ الحكم عليه بذلك بدعة، وأن البراءة من بعض الصحابة بدعة[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد بالشيعة هنا: كل من شايع علي بن أبي طالب خاصة، وقال بالنص علىٰ إمامته، وقصر الإمامة علىٰ آل البيت. وقال بعصمة الأئمة من الكبائر، والصغائر، والخطأ، وقال: لا ولاء لعلي إلا بالبراء من غيره من الخلفاء الذين في عصره قولًا وفعلًا، وعقيدة، إلا في حال التقية. وقد يثبت بعض الزيدية الولاء دون البراء.

فهذه أصول الشيعة التي يشترك فيها جميع فرقهم، وإن اختلفت كل فرقة عن الأخرىٰ في بعض المسائل، فمن قال ممن ينتسب إلىٰ الإسلام بهذه الأصول فهو شيعي، وإن خالفهم فيما سواها ومن قال بشيء منها، ففيه من التشيع بحسبه[3].

---

(1) فتاوىٰ ورسائل (180).

(2) فتاوىٰ ورسائل عبد الرزاق عفيفي (321 - 322).

(3) فتاوىٰ ورسائل عبد الرزاق عفيفي (337).

موقفه من الجهمية:

- قال رَحِمَهُ اللهُ: إرسال الله للرسل مما يدخل في عموم قدرته، وتقتضيه حكمته فضلًا من الله ورحمة، والله عليم حكيم، وهذا هو القول الوسط والمذهب الحق.

وقد أفرط المعتزلة فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة علىٰ الله إبانة للحق، وإقامة للعدل ورعاية للأصلح، وهذا مبني علىٰ ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقبيح العقليين وبناء الأحكام عليهما -ولو لم يرد شرع- وهو أصل فاسد[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: ولا يغترن إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير، وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلًا، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعًا، فما وافق منهما عقله قبله واتخذه دينًا، وما خالفه منهما لوىٰ به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوله علىٰ غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا رده ما وجد في ظنه إلىٰ ذلك سبيلًا -ثقة بعقله- واطمئنانًا إلىٰ القواعد التي أصلها بتفكيره، واتهامًا لرسول الله ﷺ، أو تحديدًا لمهمة رسالته وتضييقًا لدائرة ما يجب اتباعه فيه، واتهامًا لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولًا وعملًا.

فإن في ذلك قلبًا للحقائق، وإهدارًا للإنصاف مع كونه ذريعة إلىٰ تقويض دعائم الشريعة والقضاء علىٰ أصولها إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفقون علىٰ شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيَّات أو الضروريات، فأي عقل يجعل أصلًا يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل علىٰ مقتضاه فهمًا وتأويلًا.

أعقل الخوارج في الخروج علىٰ الولاة، وإشاعة الفوضىٰ وإباحة الدماء؟ أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الاستواء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القبول بالجبر؟

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء

---

(1) فتاوىٰ ورسائل (ص180).

والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؟

أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة علىٰ الأعمال؟

أم عقل من قالوا بوحدة الوجود. إلخ[1].

۞ موقفه من الخوارج:

- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: خرج جماعة من المسلمين علىٰ الخليفة الثالث عثمان بن عفان لأمور نقموها منه، وأحداث أنكروها عليه، ومازال بهم اللجاج في الخصومة معه حتىٰ قتلوه. ولما انتهت الخلافة إلىٰ علي بن أبي طالب كان ممن اختلف عليه وقاتله طلحة بن عبيد الله القرشي، والزبير بن العوام، فأما الزبير فقتله ابن جرموز، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم فقتله، وكانت معهما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ جمل لها، ولكنها رجعت سالمة مكرمة لم يعترض عليها أحد، وتسمىٰ هذه الموقعة بـ «موقعة الجمل». واختلف علىٰ علي - أيضًا- معاوية ومن تبعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ودارت الحرب بين الفريقين حتىٰ كان التحكيم الذي زاد الفتنة اشتعالًا ودب الخلاف في جيش علي، وخرج عليه ممن كان من أنصاره فرقة تعرف بالحرورية وبالشراة. واشتهرت باسم الخوارج.

وحديث العلماء في الفرق الإسلامية عن الخوارج إنما هو عن هؤلاء الذين خرجوا علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجل التحكيم. أما طلحة والزبير، ومعاوية، ومن تبعهم، فلم يعرفوا عند علماء المسلمين بهذا الاسم.

ثم صارت كلمة الخوارج تطلق علىٰ كل من خرج علىٰ إمام من أئمة المسلمين اتفقت الجماعة علىٰ إمامته في أي عصر من العصور دون أن يأتي ذلك الإمام بكفر ظاهر ليس له عليه حجة وإذن، فأول من أحدث هذه البدعة في هذه الأمة الجماعة التي خرجت علىٰ علي بن أبي طالب سنة 39هـ وأشدهم في التمرد، والخروج عليه، الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، والذي دعاهم إلىٰ ذلك

(1) فتاوىٰ ورسائل (ص313).

مسألة التحكيم المشهورة في التاريخ، ورضا الملومة به مع أنهم الذين أمروه به، واضطروه إليه، ثم أنكروه عليه فقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله.

ورؤوسهم ستة: الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية، والثعالبة، وعنها تتفرع فرقهم.

ومن أصولهم التي اشتركت فيها فرقهم، البراءة من علي، وعثمان وطلحة والزبير، وعائشة، وابن عباس ﷺ وتكفيرهم.

والقول بأن الخلافة ليست في بني هاشم فقط، كما تقول الشيعة، ولا في قريش فقط، كما يقول أهل السنة، بل في الأمة عربها وعجمها، فمن كان أهلًا لها علمًا واستقامة في نفسه، وعدالة في الأمة جاز أن يختار إمامًا للمسلمين.

ومن أصولهم: الخروج علىٰ أئمة الجور، وكل من ارتكب منهم كبيرة. ولذلك سموا بالخوارج، والإيمان عندهم: عقيدة، وقول، وعمل.

وقد وافقوا في هذا أهل السنة في الجملة، وخالفوا غيرهم من الطوائف. ومن أصولهم أيضًا: التكفير بالكبائر، فمن ارتكب كبيرة فهو كافر، وتخليد من ارتكب كبيرة في النار إلا النجدات في الأخيرين، ولذا سموا وعيدية.

ومن أصولهم أيضًا: القول بخلق القرآن وإنكار أن يكون الله قادرًا علىٰ أن يظلم. وتوقف التشريع والتكليف علىٰ إرسال الرسل، وتقديم السمع علىٰ العقل علىٰ تقدير التعارض، فمن وافقهم في هذه الأصول فهو منهم وإن خالفهم في غيرها، ومن وافقهم في بعضها، ففيه منهم بقدر ذلك. وقد اجتمعوا بحروراء برئاسة عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن حدير، ويزيد بن عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية، وكانوا في اثني عشر ألف رجل، فقاتلهم علي يوم النهروان، فما نجا منهم إلا أقل من عشرة، فر منهم اثنان إلىٰ عمان، واثنان إلىٰ كرمان، واثنان إلىٰ سجستان، واثنان إلىٰ الجزيرة، وواحد إلىٰ موزان، فظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع.

وأول من بويع منهم بالخلافة عبد الله بن وهب الراسبي، فتبرأ من الحكمين، وممن رضي بهما، وكفَّر هو ومن بايعه عليًّا لتحكيمه الرجال ورضاه بذلك[1].

❁ موقفه من المرجئة:

سئل الشيخ: الإيمان الركن هل يزيد وينقص كالإيمان الواجب والمستحب؟

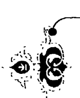
فقال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم بدليل عموم قوله تعالىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: 124]، وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: 4] وهذا يعم جميع أقسام الإيمان[2].

توفي رحمه الله تعالىٰ في (25 ربيع الأول 1415 الموافق 1 أغسطس 1994م).



(1) فتاوىٰ ورسائل (331 - 333).

(2) فتاوىٰ ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص371).



فضيلة الشيخ
محمد صفوت الشوادفي (1421 هـ)[1]



محمد صفوت أحمد يوسف الشوادفي، ولد في قرية الشغانبة من ضواحي مدينة بلبيس سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، تربىٰ في أحضان أسرة أصيلة متأصلة علىٰ مبادئ الشريعة الغراء تخرج في كلية الاقتصاد وحصل علىٰ بكالوريوس في العلوم السياسية والاقتصادية سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وسبعين وتسعمائة وألف ميلادي، وكان أحد قادة الصحوة الإسلامية، حيث قاد الدعوة بكلية الاقتصاد أيام أن كان طالبًا فيها، وألف مجموعة كانت تدعو العلماء إلىٰ الكلية لإلقاء المحاضرات الدينية، ولما تخرج من الجامعة لم يلبث في الوظيفة إلا قليلًا، ثم سافر إلىٰ السعودية حيث سمع من شيوخ أمثال فضيلة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، وكانت له علاقات طيبة معهم، وقد كان لهذا السماع أثره في تكوين عناصر فكره الديني، فقد أفاد كثيرًا في تأصيل المسائل الفقهية، فجمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين ترتيب الفكر وتنظيمه، وبين تأصيل المنهج وتقويمه.

ولم يكتف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بما قرأ أو سمع في السعودية، بل التحق بكلية أصول الدين بالزقازيق، رغبة في الحصول علىٰ الإجازة العالية.

سكن مدينة بلبيس ورأس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية ببلبيس، وقد كان له جهد مشكور في بناء مجمع التوحيد ببلبيس، بل كانت له بصمات واضحة في الدعوة

---

(1) «صفوت الشوادفي في ركب العلماء» لأحمد سليمان ومجلة الفرقان (العدد 125/ ص45) ومجلة التوحيد السنة التاسعة والعشرون العدد السادس جمادىٰ الآخرة إحدىٰ وعشرين وأربعمائة وألف موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (10/ 490).

وأعمال البر، ولما انتقل إلىٰ مدينة العاشر من رمضان أنشأ فرعًا للجماعة.

اختير عضوًا في مجلس إدارة المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية عام إحدىٰ عشر وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لإحدىٰ وتسعين وتسعمائة وألف ميلادي، وعهد إليه تنظيم إدارة الدعوة.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا علىٰ اتصال الجماعة بمشيخة الأزهر في عهد شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعده، فأعاد بذلك مسيرة الشيخ حامد الفقي وعبد الرحمن الوكيل وخليل هراس، حيث كانت لهم علاقات طيبة بشيوخ الأزهر وعلمائه.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مساء ليلة الجمعة سبعة عشر جمادىٰ الأولىٰ لسنة تسعة عشر وأربعمائة وألف، إثر حادث أليم.

❁ موقفه من المبتدعة:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئيس تحرير مجلة التوحيد، ومن خلال هذه المجلة كان يطلع القراء علىٰ بديع مقالاته التي يلمس منها غيرة علىٰ هذا الدين، وشفقة علىٰ المؤمنين العازفين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، فكانت له مواقف مشرفة منها:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإننا ننبه إلىٰ قضيتين:

الأولىٰ: أن دعوة التمسك بالكتاب والسنة يدعيها كل الفرق والطوائف والطرق الصوفية والجماعات والجمعيات، وفي هؤلاء من هو صادق ومن هو كاذب. وعلامة الصدق: مطابقة القول والفعل بمعنىٰ اتباع السنة قولًا وعملًا لا قولًا فقط.

الثانية: كل من دعا إلىٰ سنة أو حارب بدعة أو حذر من ضلالة يرميه خصومه بأنه يفرق الأمة؟!! فإذا لم تكن الدعوة إلىٰ الله قائمة علىٰ الدعوة إلىٰ السنة والتحذير من البدعة وتصحيح المفاهيم وتوضيح العقيدة الصحيحة فعلىٰ أي شيء تقوم الدعوة؟!!»[1].

❁ موقفه من المشركين:

خصص رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلة التوحيد حلقات متواليات يبين فيها كيد اليهود ابتداءً من

(1) نقلًا عن رسالة: صفوت الشوادفي في ركب العلماء (ص20).

نشأتهم إلىٰ يومنا هذا، ومحذرًا من خطرهم وسياستهم الدفينة البغض للإسلام والمسلمين.

كما فضح رَحِمَهُ اللَّهُ العلمانية وبين خطرها علىٰ الأمة المحمدية، فقال: العلمانية لا صلة لها بالعلم من قريب أو بعيد!! بل هي ضد العلم وضد الدين، وقد جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها: (حركة اجتماعية تهدف إلىٰ صرف الناس، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلىٰ الاهتمام بهذه الدنيا وحدها)! وهي وبهذا التعريف الواضح لا تهدف فقط إلىٰ فصل الدين عن الدولة، وإنما تهدف إلىٰ فصل الدين عن الحياة كلها، أو بمعنىٰ أكثر وضوحًا تهدف إلىٰ القضاء علىٰ الدين، وبهذا يكون تعريفها الصحيح هو (العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلىٰ القضاء علىٰ الدين، وإقامة المجتمع اللاديني).

وقد تسللت العلمانية إلىٰ كثير من بلاد المسلمين خاصة في مصر! وتهدف العلمانية في مصر إلىٰ القضاء علىٰ الإسلام بصورة متدرجة! تحت شعار محاربة التطرف! وكل من وقف في طريقهم أو اعترض علىٰ أقوالهم فهو متطرف، ولو كان شيخ الأزهر!!

ويتبع العلمانيون نفس الخطة التي وضعها ستالين للقضاء علىٰ الدين في الاتحاد السوفيتي سابقًا، وباءت بالفشل!!

وتنقسم خطة ستالين إلىٰ ثلاث مراحل:

المرحلة الأولىٰ: مهادنة الدين، وإيهام أصحابه أنهم أحرار في عقائدهم، وقد انتهت هذه المرحلة التي كانت أقلام العلمانية فيها تظهر احترام الإسلام، وتوقير علماء الأزهر، وتكتفي فقط بالكتابة عن الحب، والإثارة الجنسية، والتماثيل، والفنون، والأفلام، والأغاني. إلخ.

المرحلة الثانية: محاولة تنقيح الدين، وتطويره! ومعنىٰ ذلك تفسيره تفسيرًا ماركسيًّا، مستغلين النقاط التي تلتقي فيها الماركسية مع الدين، وفي هذه المرحلة أيضًا يتم إظهار الاهتمام بالدين ورجاله، وهي نفس الخطة التي اتبعتها الأقلام العلمانية لإقناع الرأي العام بأن الديمقراطية من الإسلام! وأن الإسلام والاشتراكية وجهان لعملة واحدة!!

والإسلام بريء من الديمقراطية، فإنها ضلال وفساد، وأما الإسلام فيرتكز نظامه السياسي على الشورى، وهي تختلف تمامًا عن الديمقراطية من جميع الوجوه، ونظامه الاقتصادي متميز، فهو ليس اشتراكيًّا، ولا رأسماليًّا!!.

المرحلة الثالثة: ادعاء وإظهار معايب الدين، وبعده عن الحقائق العلمية، ومهاجمته، وادعاء أنه لا يفي بحاجات البشر، ومتطلبات العصر! وكذلك الاستهزاء برجال الدين، والسخرية من العلماء!

وهذه المرحلة هي التي نعيشها اليوم، ونسأل الله السلامة.

ويمكن لكل مسلم أن يتابع هذا التدرج ويدرك خطورته. إلى أن قال: وهم الآن يرفعون شعارين يحاربون بهما الإسلام.

الأول منهما: الدعوة إلى حرية الرأي في الدين. وحقيقة الأمر أنهم يهدفون إلى الطعن في الدين، والصد عن سبيله بأقلامهم وألسنتهم، ولأنهم لا يستطيعون الإعلان عن ذلك حتى لا ينكشف أمرهم، ولا يفتضح مكنون صدورهم، فهم يبالغون في الدعوة إلى حرية الرأي في الدين!

وقد كتبوا في الآونة الأخيرة كلامًا هو الكفر بعينه ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118].

وأما الثاني: فدعوة خبيثة إلى عدم احترام العلماء، وإسقاط هيبتهم من نفوس المسلمين. والهدف هو القضاء على الدين من خلال علمائه بالتقليل من شأنهم، والحط من قدرهم.

والعلماء هم قادة الأمة، وسراجها المنير ولكن هؤلاء لا يعلمون![1].

❁ موقفه من الرافضة:

قال رَحِمَهُ اللهُ: فإنه من المعلوم أن الشيعة أكثر فرق الأمة الضالة ضلالًا وكفرًا، وعقيدتهم تشهد عليهم بذلك؛ حيث يكتشف من يقف عليها أن الكذب والبهتان ركن من أركان

(1) مجلة التوحيد (السنة الثالثة والعشرون العدد الخامس 1415هـ/ ص7 – 12).

الإيمان عندهم!!

ومع ذلك فمازال في المسلمين من هو مخدوع بهم، بل قد يتصور -خطأ- أن بالإمكان حدوث تقارب بينهم وبين أهل السنة!! والحق أن السنة والشيعة ضدان لا يجتمعان ونقيضان لا يلتقيان! وإذا أردت شاهدًا علىٰ ذلك فإليك البيان[1].

ثم ذكر اعتقادهم في القرآن والسنة والصحابة وغير ذلك.

۞ موقفه من الصوفية:

- **قال:** وأما الصوفية فقد حكم عليها العلماء قديمًا وحديثًا بالبدعة والضلال، وحاصل كلامهم أن الصوفية قد أدخلت علىٰ الدين ما ليس منه، وابتدعت فيه بدعًا كثيرة تزداد بمرور العصور وتعاقب السنين[2].

وقال: فإن الطرق الصوفية قد جمعت في صفوفها من يعبد الشيطان، ويسمع له ويطيع! وإليك البيان:

بالقرب من ميدان السيدة زينب رضي الله عنها يوجد مقر لطريقة صوفية سرية باطنية، شيخها يسمىٰ (عمر أمين حسنين)، مات منذ ست سنوات، ويسمون أنفسهم الطريقة البيومية العمرية نسبة إلىٰ شيخ الطريقة، ومقر الطريقة شقة فاخرة بأغلىٰ وأحلىٰ أنواع الأثاث عامرة، وتقدم فيها للمريدين أطعمة شهية فاخرة لم ترها عين الفقراء في مصر، ولا سمعت بها آذانهم، ولا خطرت علىٰ قلوبهم! وهذا الطعام والشراب والأثاث الذي يزيد في مستواه علىٰ فنادق السبعة نجوم دليل قاطع علىٰ الزهد الذي تتغنىٰ به الصوفية في الماضي والحاضر! وهذه الطريقة يجتمع فيها الشرك مع الموسيقىٰ، والغناء مع الاختلاط، والخرافات مع الضلالات، والبدع مع الأطعمة الشهية، التي تجعل لعاب المريدين يسيل أنهارًا، حتىٰ يفنىٰ الأكل في البطن حسب نظرية الفناء الصوفي!! ونحن نسوق هنا بعض الوقائع التي تقع في مقر الطريقة يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع،

---

(1) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد السادس 1415هـ/ ص6 - 9).

(2) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد التاسع 1414هـ/ ص7).

فإن الدعوىٰ لا تقبل إلا ببينة[1].

– كما أنه رَحِمَهُ اللَّهُ تحدىٰ صوفية مصر بعشرين سؤالًا أن يجيبوا عنها، يتبين بها خلطهم وتناقضهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر هذه الأسئلة العشرين: وإن مما يلفت النظر ويثير الانتباه أن قراء (عقيدتي) قد لاحظوا بوضوح وجلاء أن الصوفية قد فشلت فشلًا ذريعًا في الرد علىٰ الأسئلة العشرين، وعن كشف الغموض والطلاسم، وعلامات الاستفهام الكثيرة التي تحيط بالطرق الصوفية، وقد خرجت جميع الأقلام الصوفية عن الموضوع، وانحرفت بعيدًا عنه ثلاثة اتجاهات:

الأول: اتجاه السب والشتم واتهام النيات، وهذا قد تخصص فيه الأخ محمد المهنا من العشيرة المحمدية، وقلده في بعض ذلك تلميذ الطريقة العزمية غفر الله لهما.

الثاني: اتجاه ترديد محاسن التصوف وفضله علىٰ الإسلام، ومحاولة تفهيم القراء أن الله حفظ دينه بالصوفية وأن الأمة المسلمة لا حياة لها إلا به!! وهذا الاتجاه تتبناه كل الطرق.

الثالث: فهو الدعوة إلىٰ الحوار والجلوس علىٰ مائدة البحث والمناظرة، وقد تبناه شيخ الطريقة العزمية، ونحن نرحب بهذا الحوار؛ بل ننتظره منذ فترة وقد قمنا علىٰ الفور بالاتصال ببعض علماء الأزهر الكبار ليتولىٰ ترتيب هذا اللقاء وتنسيقه علىٰ الوجه الأكمل. تحت رعاية جريدة عقيدتي[2].

❁ موقفه من الجهمية:

قال: عقيدتنا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الإيمان بكل ما نطق به القرآن، أو جاءت به السنة الصحيحة. ونعتقد أن الله له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل؛ وأنه سبحانه استوىٰ علىٰ العرش، أي: علا

(1) مجلة التوحيد (السنة الخامسة والعشرون العدد الحادي عشر 1417هـ/ ص6 – 7).

(2) صفوت الشوادفي في ركب العلماء (ص17 – 18).

وارتفع، كما فسره السلف بكيفية لا نعلمها.

وأنه سبحانه ينزل إلىٰ السماء الدنيا كما أخبرت بذلك السنة الصحيحة بكيفية لا نعلمها، والله في السماء، وعلمه في كل مكان! كما نؤمن أنه -سبحانه- خلق آدم بيده، وأن يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، كما نثبت له سبحانه وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا، وغير ذلك من صفاته، علىٰ الوجه الذي يليق به، فإنه -جل شأنه-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: 11].

ونحن نثبت لله كل صفة أثبتها لنفسه، كما ننفي عنه سبحانه كل صفة نفاها عن نفسه، ونسكت عما سكتت عنه النصوص، فإذا قيل: هل لله جسم؟ نقول: هذا مسكوت عنه فلا نثبته، ولا ننفيه، بل نسكت عنه طاعة لله[1].



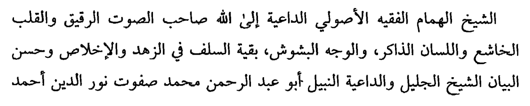
(1) مجلة التوحيد (السنة الثالثة والعشرون العدد السادس 1418هـ/ ص6 – 7).



فضيلة الشيخ



محمد صفوت نور الدين (1423 هـ)[1]



الشيخ الهمام الفقيه الأصولي الداعية إلىٰ الله صاحب الصوت الرقيق والقلب الخاشع واللسان الذاكر، والوجه البشوش، بقية السلف في الزهد والإخلاص وحسن البيان الشيخ الجليل والداعية النبيل أبو عبد الرحمن محمد صفوت نور الدين أحمد مرسي.

ولد رَحِمَهُ اللهُ عام 1943م في شهر يونيو بقرية «الملايقة»، إحدىٰ القري التابعة لمركز بيلبيس بمحافظة الشرقية بمصر، ومعروف عن أسرته عراقتها في محبة السنة والدعوة إليها، فأبوه هو الشيخ نور الدين أحد دعائم السنة والغيورين عليها، وكان يترأس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بمدينة بلبيس، وكان يعمل مدرسًا حازمًا يهابه الجميع، وكان أبوه يمثل المصدر الأول للعلم والمعرفة والسلوك.

التحق الشيخ بكلية التربية وتخصص في مادة الكيمياء، وكان يدرِّس مادة العلوم بالمدارس الثانوية المصرية ونفعه تخصصه العلمي في رسالته الدعوية إذ أن فهم القوانين الحاكمة للمواد الكيمائية له علاقة قوية بالقوانين الحاكمة لحركة الإنسان والكون، وكان المصدر الثاني لمعارفه الإسلامية هو عمّه الشيخ عبد الله أحمد المرسي وهو أول من أعلن الدعوة إلىٰ التوحيد في قرية «الملايقة». التي ولد بها الشيخ ومنها انتقلت الدعوة إلىٰ بقية المناطق المحيطة بها.

---

(1) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية 10/ 535، كتابنا«شموع لا تنطفئ»ص75

سافر الشيخ محمد صفوت نور الدين إلىٰ ليبيا لمدة أربع سنوات مُعارًا كمدرس، ولما أحس أن الدعوة بمصر بحاجة إليه قرر الرجوع وبدأ يعيد ترتيب أوضاع شؤون الدعوة بجماعة أنصار السنة ويحل مشاكل فروعها، واستطاع في ذلك الوقت أن يتصدىٰ بقوة لبدعة رد الأحاديث النبوية وتكذيبها استنادًا إلىٰ العقل وألقىٰ عشر محاضرات بددت هذه البدعة.

ترقىٰ لمنصب مدير مدرسة ثانوية ثم مديرًا عامًا للتعليم الثانوي لكن هذا لم يمنعه من عمله الدعوي الدؤوب.

تعرض لعملية جراحية رأىٰ فيها الموت فلمَّا نجاه الله منها نذر نفسه للدعوة بعد ذلك، وكان يقول لإخوانه: إن كلمة الرئيس العام ليست منصبًا علميًّا وإنما هي ترتيب إداري لينتظم العمل بين أفراد الجماعة.

۞ شيوخه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ في فترة الستينيات من القرن العشرين طالبًا بالجامعة، ولم تشغله دروسه العلمية عن أن يستمع إلىٰ شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية في بلدته بلبيس، وفي المركز العام للجماعة، من أمثال الشيخ: عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، رحمهما الله.

ولقد عوّض ما فاته من التلقي علىٰ يد الشيوخ الأوائل - أمثال الشيخ محمد حامد الفقي والشيخ أبو الوفاء درويش - بحرصه علىٰ معرفة إنتاجهم العلمي في كتبهم وفي مجلة «الهدي النبوي» التي كانت تصدر عن أنصار السنة المحمدية، وكان علىٰ صلة وثيقة بكافة الرموز الدعوية المؤثرة والفاعلة في مصر والعالم الإسلامي.

كلف في جماعة أنصار السنة المحمدية عضوًا بمجلس إدارتها منذ ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وسبعين وتسعمائة وألف ميلادي، وكان أمينًا للدعوة بها منذ عام ثمان وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لثمان وثمانين وتسعمائة وألف ميلادي حتىٰ وفاة الشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمه الله تعالىٰ حيث توفي عام اثني

عشرة وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لاثنتين وتسعين وتسعمائة وألف ميلادي، فكلف برئاسة الجماعة.

❁ مساهماته في خارج البلاد:

لم يكتف رَحِمَهُ اللَّهُ بما كان يقوم به من إلقاء الخطب والدروس اليومية في فروع ومساجد الجماعة، بل امتد نشاطه إلىٰ خارج البلاد محاضرًا في بلاد الغرب، كما شهد عددًا كبيرًا من المؤتمرات العلمية التي كانت تعقد لمناقشة هموم الدعوة والمسلمين.

وكان آخر مؤتمر برياسته هو المؤتمر الذي عقد بالمركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة بمسجد العزيز بالله، وقد انتهت أعماله قبل سفر فضيلته إلىٰ السعودية بيومين تقريبًا، وكان شعار المؤتمر «القدس».

❁ مساهماته في الصحافة الدينية:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحسن استقبال الصحفيين ويدلي لهم بآرائه، وكان مرتب الفكر والمنهج بارعًا في الرد علىٰ ما يثيره الصحفي من علامات استفهام حول بعض المسائل الخلافية، وكان يتكلم عن منهج الجماعة ورجالها ومسيرتها ولا يتكلم عن نفسه، وقد تم ذلك بأسلوب واضح وعبارات تدل علىٰ أن الرجل عالم فطن غزير العلم واضح المنهج.

ومن أبرز حواراته ما كان علىٰ صفحات اللواء الإسلامي مع فضيلة شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي يوم أن كان مفتيًا للجمهورية، ود. أحمد عمر هاشم من جهة، والشيخ صفوت نور الدين، وصفوت الشوادفي من جهة أخرىٰ.

❁ السبق العلمي:

كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سبق شهد له به الذين عرفوه عن قرب في استنباطاته من النصوص الشرعية، عن علم وبصيرة نافذة، وعن ذلك يقول الشيخ محمد عاطف التاجوري:

«منذ ما يقرب من عشرين عامًا، عندما كنت مع الشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله تعالىٰ في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وقد سأله سائل عن الشيخ محمد صفوت نور الدين رحمه الله تعالىٰ وعن علاقته به، فقال له هذه الكلمة التي ما زلت

أتذكرها في العديد من المواقف: «سبقنا علمًا وفهمًا» هكذا كانت كلمة الشيخ صفوت الشوادفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المعروف بكلماته القصيرة المعبرة عن شيخه الشيخ محمد صفوت نور الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عز وجل، وهي تعبر عن السبق العلمي والفقهي الذي كان عليه شيخنا الشيخ محمد صفوت نور الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وهذا ما كان يلمسه منه ويعرفه عنه كل المحيطين به، وكل تلاميذه، من استنباطاته الواسعة من النصوص الشرعية، وبالرغم من سماعنا للنص القرآني أو النبوي العديد من المرات وقراءتنا عنه في العديد من الكتب، إلا أننا كنا نسمع من شيخنا الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عز وجل شروحًا جديدة واستنباطات لم نسمعها أو نقرأ عنها من قبل. لم يكن شيخنا الفاضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الوحيد الذي حاز هذه الفضيلة، ولكنه كغيره من علماء الإسلام في جميع العصور، كانوا علىٰ هذه الفضيلة، وكم كنا نقرأ ونعجب من استنباطات شيوخ أهل السنة والوجوه التي يخرجون بها من تدبرهم للنصوص الشرعية؛ حتىٰ إن النص القصير من النصوص الشرعية ـ سواء كانت قرآنية أم نبوية ـ يستخرجون منه الفوائد التي تزيد أحيانًا علىٰ مئة فائدة. هذا هو السبق العلمي المطلوب في أيامنا، وقبل ذلك وبعد ذلك، وقد تكون هذه الكلمة غير مستعملة إلا في العلوم المادية فقط، أو هكذا اعتدنا، ولكنها في العلوم الشرعية والأمور الدينية أكثر طلبًا، وأكثر إلحاحًا، ففي العلوم الشرعية حياة القلوب».

۞ تراث الشيخ:

كان الشيخ صفوت نور الدين لا يكاد يستريح، ولا يغلق بابه أو هاتفه دون أحد يلتمس منه النصح أو السؤال في مسألة، وربما تأتيه الفتاوىٰ وهو علىٰ الطعام فيتركه من أجل قضاء حاجة السائل.

ولم يتحفنا الشيخ بمصنفات في فروع العلم؛ وذلك لأسباب، من أهمها: أن الشيخ كان متواضعًا ويرىٰ أنه ليس أهلًا لذلك!! لكنه بالرغم من تواضعه الشديد وعزوفه عن وضع أي مصنف فقد ترك لنا تراثًا ضخمًا من مقالاته وأبحاثه في مجلة التوحيد من خلال الافتتاحيات وباب السنة، مع كم هائل من خطبه ومحاضراته التي طاف بها شتىٰ بقاع

الأرض.

وللشيخ عدة أبحاث قليلة المبنىٰ عظيمة المعنىٰ، كرسالة «موقف أهل الإيمان من صفات عباد الرحمن»، وأخرىٰ بعنوان: «التربية بين الأصالة والتجديد»، وأيضًا «المسجد الأقصىٰ ودعوة الرسل»، وغير ذلك.

۞ وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الجمعة بمكة المكرمة بعد أدائه العمرة وقبل موته شعر بإجهاد حاد فشهق وتشهد وأسرع فاستقبل القبلة ونام علىٰ شقه الأيمن وشرب جرعة ماء ثم فاضت روحه إلىٰ بارئها، ويسر الله رفقاء من أهل العلم والصلاح فقاموا بغسله وتجهيزه والصلاة عليه في الحرم في جمع كبير مأمومين بشيخ الحرم المكي الشيخ صالح بن حميد.

مات الشيخ وله من الأولاد تسعة: ثلاثة ذكور، وست من الإناث من زوجته التي هي ابنة عمه وأستاذه الشيخ عبد الله بن أحمد مرسي.

۞ شهادات معاصريه:

قال عنه الدكتور جمال المراكبي: «لقد كان شيخنا صاحب سنة ووفقه الله سبحانه فحمل لواء السنة وجعله رئيسًا لأنصار السنة ومن مات علىٰ الإسلام والسنة فقد حاز النعمة العظمىٰ».

وقال عنه الشيخ مصطفي العدوىٰ: «كم حمل هذا العالم الجليل الراحل جميل الخصال ومحاسن الفعال والخلق الكريم».

وقال عنه الشيخ محمد حسان: «والله لقد كانت همتي تعلو كلما جالست الشيخ وتتبعت أحواله، وكل طلاب الشيخ ومحبيه يعلمون يقينًا أنه كان لا يعرف الكلل والملل فمن مسجد إلىٰ مسجد ومن بيت إلىٰ بيت ليحل مشكلة أو يصلح بين متخاصمين».

وقال عنه الدكتور علي السالوس: «كان لي شرف الاشتراك مع الفقيد في لقاءات ومؤتمرات داخل مصر وخارجها في أمريكا، فكان نِعم المحاضر، ونعم المناقش ونعم المجادل بالحق وبالتي هي أحسن. في سمت العلماء وتواضعهم وهدوئهم يتحدث

ويناقش ويجادل، لم أره مرة يجترئ علىٰ الفتيا بغير علم، بل دائمًا يسند أقواله بالأدلة المعتبرة مستمسكًا بالكتاب والسنة ومارأيته مرة يغضب لنفسه».

وقال عنه الشيخ صالح السدلان: «الشيخ صفوت نور الدين سابع رئيس لأنصار السنة المحمدية بمصر ودامت رئاسته لها ما يزيد علىٰ عشرة أعوام شهدت الجماعة خلالها ازدهارًا غير مسبوق من التنظيم والعمل المؤسس الناجح فساهم مساهمة فعالة في نشر دعوة التوحيد في مصر والعالم الإسلامي، وأرسىٰ قواعد الجماعة علىٰ المنهج السلفي الصحيح منهج أهل السنة والجماعة في إطار ضوابط لم تتعارض مع الحكومات مما كتب لدعوته الاستمرار والنجاح».

كلمةُ رثاءٍ

بقلم: أبي إسحاق الحويني.

«إن الحمد لله تعالىٰ نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالىٰ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسوله.

أما بعدُ.

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وأحسن الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ. وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار. فهذه نفثاتُ مصدور، وأنفاس مقرور، وزفراتُ مهموم، وأنَّاتُ مكلومٍ، وحيرةُ مكروبٍ، ولوعةُ محروبٍ، وبكاءُ باكٍ لا ترقأ دموعُهُ، ولا تسكن ضلوعُهُ، ولا يهدأ هجوعُهُ، مع رُزءٍ جليل أصابنا، وخطبٍ عظيم أناخ ببابنا بموت حبيبنا وصاحبنا في الله تعالىٰ سماحة الشيخ محمد صفوت نور الدين ـ رحمه الله تعالىٰ وطيب ثراه ، وأجزل له المثوبة بأحسن مما كان يعمل ـ جاءه الأجلُ فشق إليه الطريق، وأماط عنه حياطة الشفيق، ونضا عنه طبَّ كلِّ طبيب، فقبض ملك الموتَ وديعته في الأرض، ثم استودع مسامعنا من ذكره اسمًا باقيًا، ومحا عن الأبصار من شخصه رسمًا فانيًا. فاللَّهم تقبَّل عمله، وأغفر زلَّته، غيرَ خالٍ من

عفوك، ولا محروم من إكرامك. اللَّهمَّ أسبغ عليه الواسع من فضلك، والمأمول من إحسانك اللَّهمَّ أتمم عليه نعمتك بالرضىٰ، وآنس وحشته في قبره بالرحمة، واجعل جودك بلالًا له من ظمأ البلىٰ، ورضوانك نورًا له من ظلام الثرىٰ.

مات أبو عبد الرحمن والحاجة إلىٰ مثله ماسَّة، فقد كان والله عظيم الحلم، قديم السلم، محسنًا لإخوانه، متواضعًا، ما رأيتُ مثله في ذلك، حتىٰ كان يوقرنا أكثر من توقير أبنائنا لنا، مما أحلَّه في قلوبنا المحل الأسمىٰ الذي ينبغي أن يكون لمثله، فعلىٰ مثله فليبك الباكون، ويتفجع المتفجعون، والله المستعان.

إن عــشت تفجـع بالأحبَّــة كلهــم وفنــاءُ نفــسك لا أبالــك أفجــعُ

وقد اقتضت حكمةُ الله تعالىٰ أنه جعل كلَّ شيءٍ يولد صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة، فإنها تولد كبيرة كبرًا قد يهدُّ الجبال الراسيات، ثم تصغر صغرًا حتىٰ تضمحلَّ، ولولا ذلك لمات الناس من الكمد موتًا ذريعًا، فإن نجزع فبسبب جلال المصيبة، لا سيما وقد سبقه إلىٰ حيثُ يصير الناس شيخا الدنيا في زمانهما، وهما الإمامان الجليلان شيخنا عبد العزيز بن باز، وشيخنا ناصر الدين الألباني ومعهما أئمةٌ آخرون مثل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وحمود التويجري، وعطية سالم، وابن عثيمين في آخرين أناخوا بباب ربهم العظيم، فعلىٰ مثل مصابنا فليكن الجزع، لكننا كلما تذكرنا مصيبتنا بموت نبينا ﷺ هان علينا ما نجده، فإلىٰ الله المشتكىٰ مات أبو عبد الرحمن والحاجة إلىٰ مثله تتنامىٰ في زمن القحط والجدب والعقم، وكم من متوثب يتحفز، وماكرٍ يتوقر ليقفز من هذا النقب من أهل البدع والأهواء والضلالات، كان أبو عبد الرحمن ومن سبقوه ممن سميتُ شجًىٰ في خلوقهم، وقذًا في عيونهم ردحًا طويلًا من الزمان، وكأنىٰ بهؤلاء المبتدعة المارقين وقد تنادوا مصبحين وممسين، وقد اجتمعوا حول نيرانهم، وحول عجولهم مرَّةً أخرىٰ. يرقصون ويصرخون بفرحٍ مجنونٍ، ظنًّا منهم أنه بموت هؤلاء العلماء قد خلت لهم الأرض. وبئس ما ظنوا، فإن هؤلاء العلماء خلَّفوا وراءهم رجالًا يحملون مشاعل الهداية، يمدون المسلمين في طريقهم إلىٰ الله عزَّ وجلَّ؛ ففي الزوايا خبايا وفي الناس بقايا. فيا حبيبنا: إنني

أكتب هذه الكلمات وأمامي بعض ما خرج للناس مما كتبته يمينُك مما شفيت به العليل ورويت به الغليل، مما يزيلُ شبهةً، ويزيح ظلمةً، ويجلو غشاوةً إلا غشاوةً من دمعٍ تأبىٰ أن تفارق عيني. إذا ما دعوتُ الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعًا ولم يُجبِ الصبرُ فإن ينقطع منك الرجاءُ فإنه سيبقىٰ عليك الحزنُ ما بقىٰ الدهر وإنا لفراقك يا أبا عبد الرحمن لمحزونون، ولا نقول ما يُغضب ربَّنَا وإنا لله وإنا إليه راجعون».

يذكر أن جهات عديدة مصرية وعالمية أبرقت تواسي في رحيل الشيخ علىٰ رأسهم الرئيس المصري حسني مبارك والملك فهد بن عبد العزيز.

موقفه من المبتدعة:

له قلم سيّال يُرىٰ واضحًا من خلال مقالاته في مجلة التوحيد، قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيّنًا سبيل توحيد الأمة: والحديث عن وحدة المسلمين يعني ثلاثة أمور:

الأول: وحدة المسلمين اعتقادًا. وذلك يعني لزوم عقيدة أهل السنة والجماعة، ومخالفة الفرق الضالة الثنتين والسبعين وأصول هذه الفرق في الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة القدرية.

الثاني: وحدة المسلمين في تعبدهم. بمعنىٰ لزوم السنة وترك البدعة ولزوم الطاعة وترك المعصية.

الثالث: وحدة المسلمين صفًّا. بأن يكونوا (كلٌّ علىٰ من عاداهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم).

أما الأمر الأول: فقد اتفق علماء الصدر الأول عليه، ومن خالفهم فيه كانوا هم فرق الضلال فلا يجوز التسامح في أقوالهم، فإذا أردنا أن ندعو المسلمين إلىٰ الوحدة دعوناهم للالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة لأنه لا سبيل للوحدة سواه.

أما الأمر الثاني: فهو دعوة المسلمين لإقامة شرع الله وعبادته كما أمر من غير أهواء ولا بدع. فنأتي المأمور ونجتنب المحظور، وكلًّا من هذين الأمرين في الاعتقاد والتعبد يخاطب فيه أفراد الأمة وجماعاتها حكامًا ومحكومين، فإذا استقاموا علىٰ اعتقاد أهل

السنة والجماعة وعلىٰ نبذ الأهواء والبدعة، عندئذ تصبح الدعوة لوحدة صف المسلمين نافعة. وعندئذ ينزل الله عليهم نصره ويؤيدهم بجنده ويحيق بأعدائهم بأسه.

لكن إن ظنوا أنهم يمكن أن يتحد صفهم بغير وحدة اعتقادهم وصحة تعبدهم فذلك خيال وخبال؛ لذلك وجب علىٰ العلماء التعرف علىٰ العقيدة الصحيحة أي عقيدة أهل السنة والجماعة بغير خلط مع الفرق الضالة، فيعرفوا الفرق الناجية بعقيدتها وبأئمتها من الصحابة والتابعين ومن سار علىٰ نهجهم بعد ذلك ليعرفوا الحق فيعرفوا أهله. فإن الحق لا يعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله.

ولا يجوز أن ندعو إلىٰ غير أهل السنة والجماعة، أو أن نهون من أمرهم فندعو لموافقة فرق الضلال، ولا أن نقول قول الحائرين: لا ندري أين الحق.

لأن الدين كامل بإكمال الله له، لا يعوزه قول مجمع من مجامع العلماء اليوم فالرسول ﷺ يقول: «تركتكم علىٰ البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك»[(1)].

فالنجاة في طريق الفرقة الناجية المنصورة فرقة أهل السنة والجماعة وهي واضحة المعالم، بيّنة القسمات، متميّزة عمّا عداها، فهيّا يا دعاة الوحدة، وهيّا يا من تعالجون الفُرقة. هيّا إلىٰ الطريق الواضح الصحيح. والله ناصر من نصر دينه[(2)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاشفًا عن أضرار البدعة:

أضرار البدع:

1 – ادعاء حق التشريع للبشر واتخاذهم أربابًا من دون الله تعالىٰ: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: 116].

2 – اعتقاد أن التشريع جاء ناقصًا وأنه يكمله بالبدعة هذه، والله تعالىٰ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ

(1) أخرجه: أحمد (4/ 126) وابن ماجه (1/ 16/ 43) .

(2) مجلة التوحيد (السنة الثانية والعشرون العدد السابع رجب 1414هـ/ ص4 – 5).

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3].

ومن وصية عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطأة: «عليك بالسنة فإن السنة إنما سنَّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأِ والزلل والحمق، فارضَ لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم علىٰ علم وتقوىٰ» فإذا كان المبتدع يرىٰ أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس في دينهم فما أجدره بالحزن العميق علىٰ نفسه بموقفه من البدعة التي عرف الشارع ما فيها من خطإٍ وزلل وحمق.

3 - تلبيس الدين علىٰ الناس بحيث يعتقدون الدين فيما ليس دينًا كما هو قائم اليوم بشأن كثير من بدع المساجد والصلاة وغيرها من العبادة، حتىٰ إن ترك سنة من السنن لم يلمه أحد، وإن ترك البدعة هاجت لها أنوف، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران71].

وإذا جئت تذكرهم بأن هذا ليس في شرع الله ألقىٰ الشيطان علىٰ ألسنتهم ما يحتجون به لبدعتهم وأنهم بذلك إنما يحسنون صنعًا والله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: 103، 104].

4 - إن صاحب البدعة محروم من ثواب العمل «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» (متفقٌ عليه).

5 - أن يحرم يوم القيامة من الشرب من حوض النبي ﷺ ويدعو عليه النبي ﷺ في وقت هو أحوج ما يكون إلىٰ شفاعته لحديث النبي ﷺ: «ألا ليُذادنَّ رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضَّالّ، أناديهم: ألا هلمّ ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول فسحقًا فسحقًا فسحقًا»(الموطأ والبخاري ومسلم. واللفظ للموطأ)[1].

۞ موقفه من الرافضة:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن أشر البدع تلك التي تفرقت بسببها الأمة، وأشرها قاطبة بدع الشيعة الذين يزعمون حبّ آل البيت، مع أنهم أشدّ أعداء أهل البيت، حيث جعلوا ذلك ذريعة

(1) مجلة التوحيد (السنة الرابعة والعشرون العدد الثالث ربيع الأول 1416هـ/ ص3 - 4).

ومطية لارتكاب كل منكر وهجر كل شرع، وزعموا أن للقرآن باطنًا غير ما يظهر للناس، فمن هذه الأقوال تفرعت أقوال أهل الضلال، فزرعوا فرق التصوف بين أهل السنة، وشوهوا للناس جمال دينهم، وأضلوهم عن طريق ربهم[1].

وقال أيضًا: وإن هذه القضية هي أم القضايا عند الشيعة إذا انهارت انهار كلّ مذهبهم، فإذا ثبت أن أهل البيت يدخل فيهم آل عباس وآل عقيل وآل جعفر، بل وبقية آل عليّ، فضلًا عن دخول الزوجات انهار كل مذهب الشيعة وتهاوىٰ ولم يبقَ لهم من قول يعتمد بعد. وسائر القضايا التي يبني عليها الشيعة مذهبهم إنما يتبعون فيها الشبهات للزيغ الذي في قلوبهم ليضلوا الناس، ودين الشيعة مبني علىٰ عبادة القبور والشرك الصريح بالله ربّ العالمين، والمطالع لكتبهم في القديم والحديث يعلم أنهم عباد أوثان ينسبون لأئمتهم ما لا ينسب إلا لله ربّ العالمين، ويفضلون أئمتهم علىٰ الأنبياء والمرسلين، ولا يغرك دعواهم فهم صنيعة اليهود وتاريخهم في الكيد للمسلمين ملوث بالدماء، أقول هذا لأن دعاوىٰ التقريب تريد أن تجعلهم مذهبًا فقهيًّا خلافاته في الفرعيات وليست في الأصول.

فانظر كيف أن الهوىٰ يهوي بصاحبه ليبلغه المهالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله علىٰ الهداية، ونسأل الله أن يجنبنا الهوىٰ والغواية[2].

---

(1) مجلة التوحيد (السنة الثلاثون العدد الخامس 1422هـ/ ص4).

(2) مجلة التوحيد (السنة التاسعة والعشرون العدد الرابع 1421هـ/ ص5).

حوار مجلة البيان مع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

ضيفنا في سطور:

ضيفنا عالم وداعية سلفي جليل، تربىٰ في حلقات أنصار السنة المحمدية بمصر صغيرًا وشابًّا حتىٰ وصل إلىٰ مركز رئاسة الجماعة، وله جهود موفقة في الدعوة إلىٰ الله والتحذير من البدع والمنكرات مما ستتعرف عليه في هذا اللقاء الذي يسعد مجلة البيان أن تحظىٰ به. فإلىٰ الحوار مع فضيلته، وفقنا الله وإياه لخيري الدنيا والآخرة.

البيان: نستفتح هذا الحوار مع فضيلتكم بأن تعرِّفوا القراء الكرام بموجز يسير عن حياتكم والفترة الزمنية التي أمضيتموها مع أنصار السنة المحمدية:

* بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ. أما عن علاقتي مع أنصار السنة فبدأت منذ كنت طالبًا في المدرسة المتوسطة (الإعدادية)؛ حيث كانت الجماعة بدأت الدعوة في القرية التي أسكنها، وكان عمي رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي تعرف عليهم وجاء بدعاتهم وعلمائهم إلىٰ القرية؛ وبدأنا ونحن صغار نسمع الحوار، وتعلمون أن القرىٰ في مصر كانت مليئة بالبدع والخرافات والموالد، ولم يكن هناك من بيت إلا وينتمي إلىٰ طريقة من الطرق، فكانت الحوارات شديدة وكثيرة، فتفتحت أعيننا علىٰ هذه الحوارات والمناقشات في أمر البدع والشركيات فضلًا عن مسائل المعاصي، فالمعاصي واضحة، لكن البدع والشركيات هي التي كانت تخفىٰ علىٰ الناس؛ فلما انتقلت إلىٰ المرحلة الجامعية كانت فترة اتصال أكثر بالمركز العام لأنصار السنة، فكنت أقضي كثيرًا من الليالي هناك، وأحضر دروس شيوخ أنصار السنة، حتىٰ إذا تخرجت وبدأت العمل بدأنا ندعو مع الجماعة في مساجدها في بلدنا بلبيس، إلىٰ أن يسر الله – عز وجل – فتكونت فروع كثيرة منها فرع بلبيس، فطلب مني إخواني في المركز العام أن أسهم معهم في العمل الإداري، فاشتركت في الإدارة من سنة 1398هـ، ثم لما توفي

(1) عدد (162) صفر 1422هـ

الشيخ محمد علي عبد الرحيم رَحِمَهُ اللَّهُ تحملت الأمانة من بعده، في رئاسة أنصار السنة المحمدية.

البيان: أين كانت دراستكم النظامية؟

* تخرجت في كلية العلوم، وكنت مدرسًا للكيمياء في التعليم الثانوي، هذا من حيث الدراسة النظامية، أما الدراسة الشرعية فكانت كلها في أنصار السنة.

البيان: لعلنا نعود إلىٰ البدايات الأولىٰ في تأسيس جماعة أنصار السنة، ونأخذ طرفًا من تاريخ التأسيس.

* تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية سنة 1345هـ - 1926م. وكان المؤسس محمد حامد الفقي ومعه مجموعة من رفاقه من مشايخ الدعوة السلفية في مصر، مثل الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد محمد مخيمر. وكانت الدعوة السلفية ممثلة في أفراد في مناطق مختلفة من مصر مثل الشيخ عبد العزيز بن راشد، وعبد الله بن يابس وهما من طلبة العلم والدعاة من المنطقة الوسطىٰ بالسعودية حيث عمل الأول في البحيرة، والثاني في الإسكندرية وكانت لهما جولات هناك.

والشيخ درويش في سوهاج، وكان هناك الكثير من القائمين بهذه الدعوة السلفية لكنها كانت دعوة فردية، فلما قام الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله - بهذه الدعوة انضم إليه كل هؤلاء، وصارت الدعوة السلفية تحت اسم: (أنصار السنة) في أنحاء مصر، وتعاون معهم الشيخ عبد السلام الشقيري الذي كان مؤسس جماعة اسمها الجماعة السلفية في الحوامدية من أعمال محافظة الجيزة، هذه الدعوة لاقت الكثير؛ لأنها بدأت في تاريخ كانت البدع والخرافات هي المنتشرة والمسيطرة.

كان في الأزهر الشيخ عبد ربه سليمان والشيخ صالح الجعفري وغيرهم يقومون بالتدريس في الجامع الأزهر، وهم من متعصبة الصوفية، ولما خرج الشيخ حامد بهذه الدعوة أخذت العداوة تظهر، وكانت هذه العداوة التي ظهرت السبب في مجيء الكثير من الناس يسألون: مَن هو الشيخ حامد؟! لأن عبد ربه سليمان كان في تدريسه يقول

(الجاحد الشقي) يعني به الشيخ حامد الفقي، فيسمع تلامذته هذا الكلام فيأتون للشيخ حامد ويسمعون فيجدون أحاديثه هي: قال الله، وقال الرسول؛ يدعو بدعوة التوحيد؛ فالكثير منهم ممن جاء لأنصار السنة جاء بهذا السبيل؛ فقد عانىٰ رجال الدعوة حقيقةً معاناة كبيرة.

وكان منهم رجال مغموزون في مختلف المناطق في مصر، لا يعرفهم أحد، ولكن الله – سبحانه وتعالىٰ – يعرفهم، فتجاوبت هذه الدعوة مع دعوة أنصار السنة، وأخذ يتسع نطاقها حتىٰ يسر الله – عز وجل – فصارت الدعوة اليوم والحمد لله لها قبول في كل مكان؛ خاصةً لما حصل إدماج بين الجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة.

هذا الإدماج مع أنه كان إدماجًا بقرار حكومي لكن الله – عز وجل – جعله سبب خير في أن تغير الجمعية الشرعية من نهجها الذي يميل إلىٰ الصوفية ويدعو إليها إلىٰ نهج الدعوة السلفية؛ فضلًا عن أن كثيرًا من أبناء السنة انتشروا خارج مساجد أنصار السنة، وعملوا في مساجد ليست تحت مظلة أنصار السنة، فانتشرت الدعوة السلفية تحت شعار أنصار السنة، وغير هذا الاسم، والحمد لله رب العالمين.

البيان: بعد فترة التأسيس علىٰ يد الشيخ محمد حامد الفقي – رحمة الله عليه –، مرت دعوة أنصار السنة بأطوار؛ فما أبرز هذه الأطوار حتىٰ وقتنا هذا؟

* الشيخ حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حرص علىٰ نشر دعوة التوحيد في كل موقع يصل إليه، ويسر الله – عز وجل – له ذلك، فجعل هيئة كبار العلماء يسمعون له بسبب وشاية ذهبت ضدّ الشيخ حامد إلىٰ الأزهر طالبوا فيها بسحب العالمية منه ؛لأنه كما زعموا رجل وهابي رجل خامسي رجل فوقي يدعو بهذه الدعوة التي يسمونها دعوة المجسمة، فاجتمعت هيئة كبار العلماء للتحقيق مع الشيخ حامد، وطال هذا الأمر حتىٰ تعرف رجالٌ من هيئة كبار العلماء علىٰ دعوة الشيخ، وعرفوا أن الرجل عالم، وأنه صاحب دعوة صحيحة، فأيده الكثير من أهل العلم.

ولذلك لما خرجت مجلة الهدي النبوي بعد عشر سنوات من تسجيل جماعة أنصار

السنة خرجت قوية، وكان الكثير من كتّابها وأقلامها من كبار العلماء مثل محمد محيي الدين عبد الحميد، والشيخ محمد مخيمر، والشيخ أحمد شاكر، وغير هؤلاء من الشيوخ الذين ساندوا دعوة أنصار السنة المحمدية. ولما أصدر جمال عبد الناصر قرارًا بإدماج أنصار السنة في الجمعية الشرعية أحدث هذا الإدماج الخير الذي ذكرناه من تلاقي الأفكار وحدوث المناقشات وانتقال الجمعية الشرعية إلىٰ أن تدعو بدعوة سلفية.

البيان: ذكرتم في الحوار أن هناك عددًا من الدعاة الفضلاء المغمورين الذين كان لهم جهود مباركة في نشر الدعوة، ومن هؤلاء فيما نعلم الشيخ أحمد ليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فهل بالإمكان أن تحدثونا عن شيء من حياته؟

* الشيخ أحمد ليل كان في شبابه وصباه يعمل سائق عربة (كارُّو) [1].

ويُسمىٰ (عربجي)، كان أُميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، كان كسائر أصحاب مهنته من الضائعين الذين لا علاقة لهم بأمر شرع، ولا دين؛ ولكن الله – عز وجل – ساق إليه الخير؛ إذ كان علىٰ طريقه إلىٰ المسجد رجل فاضل وداعٍ من دعاة السلفية اسمه الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، كان كثيرًا ما يقول له: يا أحمد صلِّ، فيذهب معه مرة ولا يذهب أخرىٰ، فحضر معه درسًا في يوم فقال له الشيخ الرمالي: ما فهمتَ من الكلام الذي قلتُه؟ فأعاد عليه الدرس وكأنه جهاز تسجيل، فاندهش الشيخ من هذا الذي سمعه، وقال له: أنت لا تُترَك. وعهد به إلىٰ من علَّمه القراءة والكتابة، ثم بعد تعلُّمه القراءة والكتابة كان رجلًا نهمًا للقراءة، وكان من نهمه ذاك أنه يقف ليلًا إلىٰ جوار عمود النور، وكانت مصابيح أعمدة النور في الشوارع في ذلك الوقت من الجاز، ومعه الكتاب لا يكف عن القراءة إلا عند أذان الفجر، وكان يشتري كل ما يقابله من كتب حتىٰ تجمعت عنده مكتبة كانت في زمانه من أكبر المكتبات في مدينة دمياط، وكان الرجل لا يلقي خطبة جمعة، ولا يؤم الناس في المساجد؛ لكن كان له درس أسبوعي بعد صلاة الجمعة حتىٰ صلاة العصر وهو درس مشهور، وكان يحاور فيه المبتدعة ويتكلم فيه وكان بارعًا.

(1) هي عربة خشبية يقوم بجرها حِمار أو حصان.

قرأ في الطب، وقرأ في الجغرافيا، وقرأ في الهندسة، وقرأ في أشياء كثيرة، وكان واسع الاطلاع، وكانت له حوارات مع المبتدعة، فإذا جاءه أحد من المبتدعة كان يناقشه في أمر التوحيد ويسأله: ما مذهبك؟ فيقول: مذهبي كذا، فيقول: يا ولد هاتِ الكتاب الفلاني، الجزء كذا فقرة كذا، اقرأ..! ويقرأ كلامًا من مذهب شيوخه ردًّا عليه.

كان الرجل لا يكف عن دعوة التوحيد، وكان كثير من العوام يسألونه في مسائل الميراث، والطلاق وغير ذلك، لكنه وجد أن هيئة الزي ضرورية في إقناع العوام؛ لأن الرجل لما انتقل بعد ذلك ليعمل سروجيًّا حيث يصنع سروجًا للخيل والبغال، فصار يأتي الناس ليسألوه وهو يعمل في هذه المهنة، فلا تطيب أنفسهم بسماع الجواب منه ! فصار إذا جاءه أحد يسأله، قال: انتظر لأرسل لك الشيخ.

فيخرج ويلبس العمامة وينزل، فيقول: من الذي يريد أن يسأل؟ فيقول: أنا.

فيجيبه، ثم يذهب، وإنما كان يعمد إلىٰ ذلك؛ لأنه لا يريد أن يجعل من اللباس حاجزًا يمنع السائل من العلم والتصديق. وظل الرجل علىٰ دعوة التوحيد حتىٰ مات، ولذلك كان علىٰ فراش موته يقول: يا إخوان! التوحيدَ التوحيدَ؛ أنا أموت وعقلي صاحٍ. التوحيدَ. حافظوا علىٰ التوحيد. وظل ينادي بهذه الكلمات حتىٰ مات. رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

البيان: هل تحدثوننا عن الواقع الحالي لجماعة أنصار السنة من حيث انتشارها في المدن والقرىٰ والأحياء المختلفة في مصر.

* الحمد لله رب العالمين، إن دعوة التوحيد صار لها القبول في كل المساجد إلا مساجد أهل البدعة والمساجد التي فيها قبور، أو غالب المساجد التي فيها قبور؛ لأن كثيرًا من المساجد التي فيها قبور مغمورة يحاول أهلها إزالة القبور منها، لكن وجود الفتن وتعصب الناس لها يجعل هذا الأمر من الأمور العسيرة جدًّا، كان الصوفية قديمًا موجودين في كل بيت وفي كل مسجد، كان كل شخص لا بد أن يكون له طريقة، وكل مسجد لا بد أن تكون فيه حلقة ذكر من أذكار الصوفية والمبتدعة؛ فقد كانت الصوفية

يومئذٍ قوية في كل مكان، أما الآن فالصوفية قوية في معاقلها فقط حيث يسود الجهل.

الذي يريد أن يرىٰ التصوف يذهب إلىٰ قبر البدوي أو يذهب إلىٰ مسجد الحسين، أو يذهب إلىٰ الموالد التي تُقام. أما دعوة التوحيد التي حملها أنصار السنة فالواقع أنه لما حدث الإدماج سنة 1965م أصبحت كل فروع أنصار السنة فروعًا للجمعية الشرعية، فلما أعيدت بعد ذلك بثلاث أو أربع سنوات بدأت تتأسس من جديد، وبلغت الآن فروعها 150 فرعًا، وبلغت مساجدها ما يزيد عن 1700 مسجد، ولها معاهد إعداد دعاة، ولها مرافق أخرىٰ كالعيادات الطبية والمستشفيات وبعض المدارس، ودور تحفيظ القرآن، ولها أنشطة في كفالة الأيتام، وفي رعاية الأرامل، وفي مساعدة المرضىٰ، وفي إعانة الفقراء، وفي كفالة طلبة العلم.

هذه الأنشطة من فضل الله تغطي رقعة كبيرة، وظهرت فرص التعاون مع الجمعيات والجهات الأخرىٰ ولم تعد هناك حدة في الصراع كما كان الأمر في الماضي؛ لإقبال الناس علىٰ التوحيد، كان الخلاف بيننا وبين هؤلاء في أمر العقيدة، ولما أصبحوا لا يخالفوننا فيها أصبح التعاون قائمًا.

أما مجلة التوحيد فإنه يطبع منها شهريًا 65000 ألف نسخة، بينما كنت أراجع في مجلة الهدي النبوي في سنة 1371هـ قرأت ما قاله سكرتير التحرير:

إن المجلة نشطت وتحركت، فبعد أن كان يطبع منها 2000 نسخة أصبح يوزع أكثر من ضعف هذا العدد. هناك 2500 عن طريق شركة التوزيع، و2500 عن طريق الاشتراكات، يعني 5000، وعندما نقارن هذه الكمية بـ 65000 ألف نسخة تطبع الآن نجد أنها انتقالة – بفضل الله – واسعة.

البيان: التوجهات الصوفية التي تنتشر في أنحاء متفرقة من مصر، ما هي العوامل الرئيسة التي رسخت وجودها وساعدت علىٰ انتشارها؟

* الصوفية في مصر قديمة، ولعل من أشد حلقات تاريخها الدولة الفاطمية التي استمرت قرونًا في مصر، واتخذت مصر ركيزة لها بمجيء الدعوة الفاطمية مع جوهر

الصقلي الذي غزا مصر، ثم مجيء المعز لدين الله الفاطمي، وفي زمن العزيز بالله، ثم الحاكم بأمر الله. استمرت هذه الدولة قرونًا تدعو إلىٰ الضلالة حتىٰ إنها كانت تبعث بالدراويش ليجمعوا حولهم الأتباع مثل البدوي في طنطا، والدسوقي في دسوق، والمرسي أبي العباس في الإسكندرية، وهؤلاء في مناطق مختلفة اجتمع حولهم الناس يدعونهم إلىٰ الضلالة. ثم انكشف هؤلاء الدراويش وبان أنهم يتبعون لهذه الدولة ويروجون لها.

ومما ساعد في القرون الأخيرة علىٰ انتشارها أيضًا أن أبناء هذه الطرق الذين يأكلون من النذور التي تقدم إلىٰ القبور دفعوا بأبنائهم إلىٰ معاهد الأزهر، فصاروا يأكلون من السحت ويتعلمون في الأزهر، ولا ينقدون هذه الأساليب ولا يرون أنها مخالفة للشرع.

لما استمر هذا الأمر أصبحوا أساتذة في الأزهر، وخريجين منه، ومن حملة لوائه؛ حتىٰ إنك ترىٰ إلىٰ اليوم كثيرًا من رجال القراءات متصوفة، والكثير من شيوخ علوم الحديث متصوفة ومبتدعة، بل كثيرًا من شيوخ الفقه، فصَبْر المبتدعة بحمل أبنائهم ودفعهم إلىٰ معاهد الدعوة الشرعية جعل الصوفية تنتشر بيد هؤلاء، فيحضرون الموالد ويروجون لها ولا يستنكرونها، ويأتي تلامذتهم ليروا الشيوخ يفعلون هكذا، هذه المسألة مما روج للصوفية وللبدع ترويجًا خطيرًا.

البيان: هل نتعرف علىٰ مواقف أئمة الأزهر وشيوخه من هذه الدعوة السلفية علىٰ وجه التحديد؟

* موقف شيوخ الأزهر لم يكن واحدًا: من الشيوخ من كان لهم فهم سلفي صحيح مثل الشيخ عبد المجيد سليم، كان رجلًا سلفيًّا صاحب دعوة، بينما نجد غيره مثلًا الشيخ الظواهري كان رجلًا متصوفًا، حتىٰ إن بعض شيوخ الأزهر عندما يرىٰ جَوْرًا لشيخ الأزهر عليه فإنه يشكوه إلىٰ السيد البدوي، ولما جاء الشيخ شلتوت كان صاحب توجه صحيح، فانحسرت الصوفية في أيامه، لكن لما جاء الشيخ عبد الحليم محمود وهو مغرق في التصوف زاد التصوف وانتشر في أيامه.

فشيوخ الأزهر لم يكونوا علىٰ وتيرة واحدة في هذا الأمر؛ فمنهم المُغرق في التصوف يحضر حفلاته ويرىٰ ولاء هؤلاء الشيوخ، ويدافع عنهم بل ويكون هو منهم، وهناك من يخالف ذلك، فكتاب الفتاوىٰ الذي أصدره جاد الحق رَحِمَهُ اللَّهُ واشتمل علىٰ فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية من أيام الشيخ محمد عبده إلىٰ أيام الشيخ جاد الحق، تجد الفتاوىٰ فيه متباينة.

فكل فتوىٰ تبع للشيخ الذي أفتىٰ فيها؛ فمنهم من يفتي بالبدعة والترويج لها، ومنهم من يفتي بفتوىٰ تُوافق السنة وتُخالف البدعة.

البيان: الآن في ظل الصحوة الإسلامية التي بدأت تنتشر، هل ترون أن الدعوة السلفية المبنية علىٰ منهاج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - تنتشر في أوساط الشباب وفي مختلف طبقات المجتمع؟ أو أن العامة غلبت عليهم الصوفية وأصبحت هي المسيطرة عليهم؟

* الصوفية كانت هي الغالبة علىٰ العامة قبل 30 سنة؛ لكن الصوفية الآن تدافع عن نفسها في معاقلها، كانت قديمًا كل الطرق تتصارع فيما بينها، أما الآن فإن الطرق تتعاون لأنها ترىٰ نفسها تندحر، الذي يحارب الشاذليين هو الذي يحارب البيوميين؛ فكلهم يرون في أنفسهم حربًا في اتجاه واحد، ولذلك يحضرون موالد الجميع معًا. ويشهدون الحفلات التي تقام معًا.

فالحمد لله انتشرت الصحوة وزاد الانتباه بين الشباب وبين الشيوخ وبين الكثيرين؛ فعرفوا أن هذه ضلالات وبدع؛ لكن ليس معنىٰ هذا أن التصوف انتهي. التصوف قوي في معاقله، وله رجال وله منتفعون، هؤلاء المنتفعون لا تكفي القناعة عندهم حتىٰ تقوم عليهم الحُجة فينتهوا عن أمرهم؛ لأن تقليدهم الآباء والأجداد وتتلمذهم علىٰ شيوخ من المتصوفة وأكلهم النذور أسباب هامة في تثبيت هذه البدع والخرافات.

البيان: هناك من يزعم ممن ينتسبون إلىٰ العمل الإسلامي أن الصوفية وتقديس القبور والأضرحة خرافات تاريخية ولَّت وانتهت، وظهرت في هذا العصر ألوان من الانحرافات

المختلفة، ويزعمون أن أنصار السنة والمنتسبين إلىٰ العمل السلفي جملة لا زالوا يفكرون بالمنظار التاريخي القديم، وأنهم غفلوا عن الواقع الذي تعيشه الأمة !

* المؤسف أن أصحاب هذا الكلام هم الذين غفلوا عن الواقع الذي تعيشه الأمة بل العالم. إن رب العزة - سبحانه - أنزل آدم إلىٰ الأرض موحدًا، وكان الناس علىٰ التوحيد عشرة قرون من بعده، ثم حدث الشرك بسبب تعظيم القبور والصور، فبعث الله - عز وجل - نوحًا، فعلَّم الناس التوحيد وأهلك الله - عز وجل - المشركين؛ فإذا بهم في زمان هود وزمان صالح يقعون في الشرك، ثم أهلك الله - عز وجل - المشركين وأبقىٰ الموحدين؛ فإذا بهم في زمان إبراهيم يعبدون الأصنام؛ وعبادة الأصنام لا يزيلها التقدم العلمي؛ فالتقدم العلمي في القديم مذكور في قول الله - عز وجل -: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 7-9] هذا تقدم علمي، ومع ذلك كانوا جميعًا عباد أوثان، واليابان رأس التقدم العلمي عباد أوثان، والأمريكان والأوروبيون الذين يقفون أمام تمثال العذراء ويقولون: يا أم النور؛ فهؤلاء عُباد أوثان.

والذين يتجهون إلىٰ هذه القبور ويرفعونها عباد أوثان، وكل إنسان يتصور أن عبادة الأوثان انتهت أو تغيرت وأصبحت شرك قصور فقط لا شرك قبور فهذا تصور شيطاني يراد به إبعاد الناس عن محاربة الشرك الذي وقعت فيه مختلف الأمم.

الخوف الفِطري كالخوف من ثعبان أو من سلطان لا يكون شركًا، لكن الخوف من القبور خوف يجتمع فيه الخوف مع الحب، هذا هو الخوف الشركي، الخوف الشركي هو أن يخاف من الجن، فينبغي أن نحذر من هذا الاتجاه الذي يريد نزع دعوة التوحيد ليركز الحرب علىٰ النظم، وهذا الاتجاه يشبه دعوة الأحزاب العلمانية التي تريد أن تدعو الناس إلىٰ العدل بعيدًا عن عقيدة التوحيد.

والعدل لا يتحقق إلا بالتوحيد، ولا يمكن أبدًا لدعوة العدل وحدها أن تأتي بالتوحيد، لكن دعوة التوحيد تأتي بالعدل؛ فنحن لو جعلنا الناس يؤمنون أن الرزاق هو الله، وأن

المعطي المانع هو الله، وأن الخالق الرازق هو الله، فإنهم يعلمون أن المطَّلع يحيط بهم ويطلع عليهم فلا يفعلون إلا ما يرضيه.

فيصبح الحاكم عادلًا إذا وحَّد، إذا عرف أسماء الله وصفاته، إذا عُرِف بدعوة التوحيد، لكن لا يصبح الحاكم موحدًا إذا دعا إلىٰ العدل فقط.

فدعوة التوحيد هي دعوة التوحيد، والشيطان هو الشيطان كما هو؛ وإنما جاء للناس ليدعوا غير الله عز وجل، وليسألوا غير الله – عز وجل – والشرك إنما دخل علىٰ سائر الأمم من الصور والقبور؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب ﷺ لأبي الهيَّاج الأسدي: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه الرسول ﷺ؟ ألا ترىٰ قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها» هذا ينبغي ألا يحرفنا الشيطان عنه؛ فهذه هي دعوة التوحيد، أما الذين يقولون: أنتم تحاربون القبور، هذه دعوة قبوريين، أنتم تكلمون الأموات، هناك شرك القصور هؤلاء ينسيهم الشيطان أصل الدعوة الصحيحة حتىٰ ينحرفوا عنها ليبيض الشيطان ويُفرِّخ، وينقل الناس من التوحيد إلىٰ الشرك.

البيان: ننتقل إلىٰ محور آخر وهو النظر في العمل الإسلامي في مرحلته الحالية: هناك تيارات مختلفة، وفي دائرة أهل السنة علىٰ وجه التحديد يوجد هناك أطروحات مختلفة، ويوجد ما يوجد من التهارش والتقاطع والبغي بين أصحاب الدعوة الواحدة في كثير من الأحيان؟ فما هي أسباب هذا، وما توجيهكم للإخوة العاملين في الحقل الإسلامي؟

* أولًا أريد ألا نكبِّر الأمر الصغير ونصوِّره للناس علىٰ أن هذا الخلاف تهارش؛ فالإمام الشافعي تتلمذ علىٰ مالك، وتتلمذ علىٰ أصحاب أبي حنيفة، وتتلمذ عليه أحمد، وكل هؤلاء اختلفوا وما عاد عليهم الاختلاف بالتدابر، إنما جاء بعض الأتباع ليقول: أيجوز للحنفي أن يتزوج بشافعية؟ هذا لا شك لا نستطيع أن نقول له إن المخطئ هو الشافعي أو أبو حنيفة إنما المخطئ هو الذي أساء الفهم في ذلك وتخطىٰ الحدود، وعقد الولاء والبراء علىٰ هذه الأسماء؛ فالدعوات الشرعية والدعوة السلفية والدعوة الإسلامية لا بد أن تقوم بعقد الولاء والبراء علىٰ اسم الإسلام.

ومن الضروري أن يكون لكل دعوة اسمها. الاسم ضرورة فطرية وشرعية. لكن لا يجوز أن نعقد الولاء والبراء علىٰ الأسماء إنما يبقىٰ عقد الولاء والبراء علىٰ اسم الإسلام. فنحن أنصار السنة، ولنأخذ أي دعوة أخرىٰ تدعو إلىٰ الله - عز وجل -، فإذا رأيت أن أخي الذي يخالف الحق لأنه ينتسب إلىٰ جماعتي يكون عندي أفضل من شخص آخر من الجماعة الأخرىٰ مع أنه موافق للحق؛ فهذا عقد للولاء والبراء علىٰ غير اسم الإسلام.

فالمسألة علاجها ميسور جدًّا؛ لكن يأتي الصغار يأتي كثير من الناس الذين يريدون أن يرفعوا أنفسهم كما حدث من بعض عبيد الأنصار مع عبيد للمهاجرين، واقتتلوا علىٰ ماء، فقال أحدهم: ياللأنصار ! وقال آخر: ياللمهاجرين ! مع أن أحدهما من عبيد الأنصار، والآخر من عبيد المهاجرين. يعني يريد أن يرتفع بنفسه؛ فالرسول ﷺ قال: «دعوها فإنها منتنة».

لم يقل: دعوا اسم المهاجرين أو الأنصار، إنما قال: «دعوها». يعني العصبية الجاهلية: فنأتي إلىٰ هذه الطفيلية التي تظهر ولا بد من معالجتها، وبيان أن هذه الدعوات لا تعقد الولاء والبراء لا علىٰ أسماء أصحابها ولا علىٰ شيوخها، وهذه الولاءات لو أننا وجدنا جماعات الدعوة جماعة واحدة لوجدت هذه الولاءات في داخل الجماعة الواحدة. ونحن نرىٰ كثيرًا من الجماعات التي اتسعت رقعتها وكبر نطاقها أصبحت الولاءات في داخل الجماعة الواحدة، علىٰ غير اسم الإسلام مع أنها جماعة واحدة.

إذن العيب ليس في تعدد الجماعات لكن العيب في أنهم يعقدون الولاء والبراء علىٰ غير اسم الإسلام، ولذلك كل جماعة تعقد هذا الولاء تفقد مشروعيتها. فلا بد أن ترىٰ الجماعة وجودها في القرآن والسنة بفهم سلف الأمة. وألَّا تعقد ولاءً، ولا براءً إلَّا علىٰ الإسلام؛ أما الأسماء من حيث هي أسماء فإنها ضرورة، فأنا سموني فلانًا ولو لم يسمني أهلي لما استطعت أن أعيش، مثلًا يقولون: اسقوا فلانًا، أطعموا فلانًا. إذن من لم يملك الاسم يموت. الاسم ضرورة فطرية وشرعية، ووجوده ضرورة، لكن عقد الولاء والبراء

علىٰ هذا الاسم هو الخطأ الشرعي الذي يفقد هذا العمل مشروعيته.

لذلك فإن الذين يقولون: نوحِّد هذه الجماعات. أقول له: لا يا أخي هذه مدارس لا تعقد الولاء والبراء علىٰ أسمائها، إنما كل المدارس ترجع إلىٰ مرجعية أصلية وهي القرآن والسنة بمنهج سلف الأمة.

البيان: مع انتشار الخير الكثير في أوساط العاملين للإسلام إلا أن من الملاحظات التي تلاحظ في كثير من الأوساط نقص العلم الشرعي؛ وهذا أدىٰ إلىٰ ظهور كثير من الأخطاء في الفكر أو العمل؛ فما توجيه فضيلتكم للإخوة العاملين في الحقل الإسلامي؟

* نحن ندعو إخواننا العاملين في الحقل الإسلامي إلىٰ أن يعلموا أن التعاون علىٰ البر والتقوىٰ أمر من الله – عز وجل –، وأن رب العزة جعل خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد قال – سبحانه –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، فأهم شيء نتعاون عليه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو سبب خيرية هذه الأمة، وهذا العمل الذي نقوم به وندعو الناس إلىٰ التعاون فيه لا بد أن يكون أصله نابعًا من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، كما قال الرسول – عليه الصلاة والسلام – في وصيته: «إنه من يعش منكم من بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

والخلاف علىٰ قسمين: إما خلاف في التنوع، مثل: هل نوتر قبل النوم أم قبل الفجر؟ نقرأ قراءة ورش أم قراءة حفص؟ خلاف تنوع أو خلاف خطأ وصواب في الفروع العملية كالواقع بين المذاهب الفقهية. وإما خلاف في الهدىٰ والضلال كالواقع بين فرق الأمة: فرق الضلال الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة، أو الخطأ الكفري مثل الأخطاء المتعلقة بأخطاء الإيمان الستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. هذه الخلافات لا يجوز أن نقر عليها، فعلينا أن نعرف كل نوع من أنواع الخلافات لنعرف كيف نتعاون.

كذلك ونحن نقوم بأمر الدعوة إلىٰ الله - عز وجل -؛ فإذا وجدنا أناسًا برعوا في أمر من أمور الدعوة أو البر مثل كفالة اليتيم، وأنا جماعة ليس عندي كفالة اليتيم فلا أقول: هم أحسن مني في كفالة اليتيم؛ ولا بد أن أكفل، لا؛ بل عليَّ أن أتعاون معهم وأقول لهم: أنتم تكفلون الأيتام، وهذا مال أقدمه لكم لتكفلوا به الأيتام أي أتعاون معهم، وهذا لا يؤثر في عملي؛ لأن المطلوب منا أن نتعاون لا أن نتصارع، وأن يكون التنافس بيننا تنافس مَنِ الذي يستطيع أن يدعو الناس أكثر؟ وأن يهتديَ الناس علىٰ يد غيري أحبُّ إليَّ من أن يبقوا علىٰ الضلال، بل وأسعد لاهتدائهم علىٰ يد غيري كما أسعد باهتدائهم بدعوتي.

البيان: من أبرز الأصوات الإعلامية الموجودة عند أنصار السنة مجلة التوحيد، وهذه المجلة المباركة ولله الحمد لها حضور مبارك في الوسط الإسلامي في مصر، وكان فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي هو آخر رئيس تحرير لها حتىٰ وفاته، وكان له جهود مباركة في تطوير المجلة، ثم فوجئنا بفقده رَحِمَهُ اللَّهُ، ولعل من المناسب في هذا اللقاء أن نسمع شيئًا عن مجلة التوحيد وعن الشيخ صفوت رحمة الله عليه؟

* مجلة التوحيد هي لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية خلفًا لمجلة الهدي النبوي التي أسسها الشيخ حامد الفقي، ثم تتابع علىٰ رئاستها من بعده الشيخ عبد الرحمن الوكيل، ثم حدث الإدماج في أيام الشيخ عبد الرحمن الوكيل، فتوقفت المجلة عن الصدور بعد حوالي 31 سنة كانت تصدر فيها، ثم بعد أن أعيدت جماعة أنصار السنة للوجود مرة أخرىٰ أصدرت مجلة الهدي النبوي، وكان رئيس تحريرها الشيخ رشاد الشافعي أو اسمه محمد عبد الحميد الشافعي، ثم خلفه علىٰ رئاسة التحرير الشيخ عنتر حشاد الذي ظل أشهرًا ولم يكمل عامًا، ثم جاء من بعده الشيخ أحمد فهمي الذي استمر في رئاستها 17 سنة، وكان رئيس الجماعة الشيخ محمد علي عبد الرحيم.

ثم لما توفي الشيخ محمد عبد الرحيم أسندت رئاسة التحرير إلىٰ الشيخ صفوت الشوادفي رَحِمَهُ اللَّهُ فكانت له أيادٍ بيضاء، وكانت له اتجاهات طيبة، وانتقل بالمجلة نقلة واسعة؛ فالمجلة كانت تمثل جهدًا فرديًّا إذ يقوم فرد بتجميع مجموعة مقالات، ثم تنشر

علىٰ الناس في أول كل شهر عربي، وبعد ذلك أصبحت المجلة تتمثل في لجنة تضع خطة لها، وترسم سياسة للمجلة، وتنوع المقالات. هذا كان جهد الشيخ صفوت الشوادفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فضلًا عن تطوير الشكل في الغلاف الخارجي، إضافة إلىٰ التطوير الداخلي؛ فأخذت فهمًا جديدًا، ثم كان حادث السيارة الذي توفي فيه الشيخ صفوت رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بعد أن أصدر 105 أعداد من مجلة التوحيد بدءًا من عدد شهر شوال في سنة 1412هـ إلىٰ عدد جمادىٰ الآخرة 1421هـ الذي غُيِّر كله إلا مقال التحرير والفتاوىٰ ومقاله الأخير؛ لأنه متعلق بالمناسبة.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان نشيطًا في أمر الدعوة مخاضرًا وكاتبًا ومناظرًا بارعًا، وله في ذلك مناظرات بارعة مع الصوفية ومع العلمانيين والمبتدعة، وكانت له كتابات حول اليهود وكشف دسائسهم وكانت من أطول الكتابات التي كتبها، وكتب ردودًا علىٰ العلمانيين، وكتب دفاعًا عن الأزهر، وكانت له جهود تربوية سواء في بيته أو مع تلامذته، وكان علىٰ صغر سنه شيخًا معروفًا في أوساط الدعوة، وبين علماء الأزهر، وبين الدعاة في مختلف أنحاء مصر، بل زار كثيرًا من البلاد الإسلامية ومنها السعودية التي عمل فيها وقتًا طويلًا. وزار الإمارات وقطر والكويت، فكانت له دعوات وجولات في هذه البلاد فرحمه الله.

البيان: معنىٰ ذلك أن الشيخ كان مسؤولًا عن قطاع الدعوة في جماعة أنصار السنة؟

* نعم! لما توليت رئاسة الجماعة أخذ الشيخ إدارة الدعوة بما فيها المجلة التي استمر فيها 3 سنوات، ثم انفصلت إدارة الدعوة عن المجلة، فتولىٰ بعض إخواننا إدارة الدعوة، وتولىٰ هو مجلة التوحيد، وكان له في تلك الأيام أنشطة كثيرة منها إصدار الكتب والرسائل، واللوحات التعليمية مع الدعاة، والأسابيع الثقافية والدورات الشرعية، وغير ذلك من الأنشطة.

البيان: في ختام هذا اللقاء نسأل الله – سبحانه وتعالىٰ – أن يبارك في جهودكم جميعًا، وأن يكتب لكم الأجر، وأن يجعلنا وإياكم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، ونسأل الله أن يتغمد فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي في واسع رحمته، وأن يتقبله في الصالحين،

وصلىٰ الله وسلم علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ولعلنا قبل أن نختم لقاءنا نحظىٰ منكم بكلمة أخيرة للمجلة!

* نسأل الله عز وجل أن يكتب لمجلة البيان الانتشار، وتبليغ دعوة التوحيد، وتعريف المسلمين بدينهم، وجمع شملهم، وأن ييسر لهم الخير، وأن يجمعنا وإياكم علىٰ الخير والبركة.



الحركة الإسلامية
في العصر الحديث

مفهوم الحركة الإسلامية وسبب نشأتها

اختلف الباحثون حول أسباب ظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث، وقد اعتبرها كثيرون ظاهرة جديدة صاحبت انتقال العالم الإسلامي إلىٰ العصر الحديث، وأرجعوها إلىٰ ما اعتبروه حالة اغتراب تعرض لها الكثير من شباب المسلمين بسبب تسارع عجلة التحولات الاجتماعية والثقافية، تلك التحولات التي اقتبست علىٰ نطاق واسع من إشعاع الحضارة الغربية المعاصرة بدرجة اعتبرها البعض صدامًا مع عقيدة الإسلام التي هي جزء من الثقافة العربية.

كما اعتبر باحثون آخرون أن ظهور الحركة الإسلامية صاحب هزيمة العرب أمام إسرائيل في 5 يونيو 1967م كردّ فعل لفشل القومية العربية في مواجهة إسرائيل وكبديل لهذه القومية.

وهناك فريق ثالث من الباحثين رأىٰ أن ظهور الحركة الإسلامية هو رد فعل لسقوط نظام الخلافة الإسلامية والذي تمثل في إلغاء كمال الدين أتاتورك للخلافة العثمانية وإقامة جمهورية علمانية علىٰ أنقاضها في تركيا[1].

ولكننا نرىٰ أن كل هذه التفسيرات غير صحيحة، وذلك لأن الحركة الإسلامية في جوهرها ما هي إلا عمل سياسي واجتماعي إسلامي في الفضاء العام يهدف لإحداث تأثيرات إسلامية سياسية واجتماعية وثقافية ودينية في ذلك الفضاء العام عبر عمل عام له صور وأساليب شتىٰ، ومادام هذا هو جوهر الحركة الإسلامية المعاصرة، فلا شك أنها ليست أمرًا جديدًا بل هو قديم قدم الرسالة الإسلامية المحمدية نفسها.

فمنذ بدأ الرسول ﷺ في الدعوة للإسلام وهو يسعىٰ لإحداث تغيرات دينية وثقافية

(1) الحركة الإسلامية في مصر في العصر الحديث،د كمال حامد مغيث(ص13)، الحركات الإسلامية، د. رفعت سيد أحمد (ص95) ط سينا للنشر،المصحف والسيف. نبيل عبد الفتاح ص64 مكتبة مدبولي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي. د يوسف القرضاوي ص28 .

واجتماعية وسياسية في الفضاء العام الذي تحرك فيه وكلل ذلك كله بتأسيس دولة إسلامية وحدت شبه الجزيرة العربية لأول مرة في تاريخها في دولة واحدة وكانت السلطة السياسية والاجتماعية العليا فيها للنبي ﷺ، وسار خلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي علىٰ نفس المنوال، ثم جاء حكم معاوية بن أبي سفيان ليبدأ معه التغيير في هذا النمط الديني في الحكم، وعندئذ فقط بدأ ظهور الحركات الإسلامية التي تسعىٰ للتأثير في الواقع السياسي فظهر الخوارج. في نهايات عصر علي ونشط بعد معاوية «شيعة أهل البيت». وتحركوا ضد خليفته بما في ذلك الحركة الانقلابية المسلحة التي قادها الحسين بن علىٰ وانتهت بمقتله، كما ظهرت حركة «الزبيرين» بقيادة عبدالله بن الزبير والتي لم تنته بمقتله.

وكل هذه الحركات مجرد مثال لحركات إسلامية متعددة نشأت واستمرت عبر التاريخ الإسلامي الطويل وسعت لإحداث تغيير سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي أو كل ذلك معًا وبعضها أقام دولًا مثل الخوارج والشيعة والصفاريين وغيرهم، وقد شكل أكثرها في تغيير الوضع السياسي القائم.

* والشاهد من ذلك كله أن الحركات الإسلامية هي إفراز طبيعي لانفصال الدين عن السياسة بدرجة أو أخرىٰ عبر التاريخ الإسلامي والذي بدأ بالتدريج وببطء منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، خاصة في نهاية عهده عندما ورَّث الحكم لابنه يزيد، لقد نشأت الحركات الإسلامية من أجل مكافحة الانحراف عن نظام وأهداف ومقاصد ونمط الحكم الإسلامي الذي أرساه النبي ﷺ سواء وافق البعض علىٰ هذا النمط من الحكم أم لم يوافق فهذا هو دافع وهدف هذه الحركات التي نشأت منذئذ وحتىٰ الآن.

وبالتالي فالحركة الإسلامية ليست جديدة بل هي ترجع للقرن الأول الهجري كما أشرنا. وحتىٰ في العصر الحديث عندما نشأت جماعات منظمة خارج المؤسسات الدينية التقليدية فإنها انبثقت منها وكنتيجة لتكبيل هذه المؤسسات التقليدية من قبل الحكام، فمؤسس أول جماعة إسلامية منظمة في مصر «الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب

والسنة» وهو الشيخ محمود خطاب السبكي أحد علماء الأزهر الشريف هو من أشهر تلاميذ الشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالأزهر الشريف الذي قيل إن الإنجليز قد قتلوه في المستشفى عقب احتلالهم مصر بسبب مساندته للثورة العُرابية ومعارضته للاحتلال الإنجليزي، وكانت بداية تأسيس ونشاط «الجمعية الشرعية» في نهايات القرن الـ 19 الميلادي لكنها لم تسجل قانونيًا إلا بعد ذلك بنحو عشرين عامًا (في 1913م) عندما صدر قانون يُنظم تأسيس وإدارة الجمعيات.

ونحن نرى أن ظهور الجماعات الإسلامية في مصر جاء مرتبطًا، وكما يرى البعض، مع انحسار دور الأزهر- الذي كان بمثابة جماعة إسلامية كبيرة- وتزايد سيطرة الحاكم عليه وليس مرتبطًا بسقوط الخلافة الإسلامية ولا بهزيمة يونيو 1967م[1].

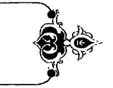
بالطبع يمكن القول بأن سقوط الخلافة أو هزيمة يونيو ألهب كل منهما حماس المزيد من الشباب ودفعهم لنشاط متزايد في إطار الحركات الإسلامية المختلفة، إلا أنه لا يمكن القول بأن الحركات الإسلامية لم تنشأ إلا بسبب هذه العوامل لسبب بسيط جدًّا هو أن ذلك لم يحدث.

❀❀❀

(1) الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي .د رضوان أحمد شمسان الشيباني ص30 ط مكتبة مدبولي.



الدعوة السلفية في مصر



❁ مرحلة النشأة :

تعود نشأة الدعوة السلفية في مصر إلىٰ جماعة أنصار السنة المحمدية التي قد انشقت عن الجمعية الشرعية لاختلافها في وسائل الاعتقاد، وذلك أوائل الخمسينات من القرن المنصرم، وكانت جماعة أنصار السنة المحمدية قد تبنت الرؤية السلفية في التعبد والاعتقاد.

ولقد برز التيار السلفي في محيط جامعة القاهرة في هيئة جماعة طلابية كانت تُسمىٰ بالجماعة الدينية تقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة، في محيط الطلاب، وكانت هذه الجمعيات قليلة العدد، ضعيفة الجهد، غير مؤثرة في النشاط العام للطلاب بشكل ملحوظ، وكان أساسها طالبًا أو طالبين متحمسين للإسلام، يقوم عليه أو عليهما العبء كله. وظهرت هذه الجمعيات الدينية في أوائل السبعينات. منها: الجمعية الدينية بكلية الهندسة – جامعة القاهرة التي كانت رائدة في هذا الاتجاه. وفي طب قصر العيني عقد أول معسكر إسلامي للطلاب في صيف العام الدراسي70/ 1971م. وفي العام التالي 71/ 1972م أقامت جامعة القاهرة أول معسكر إسلامي علىٰ مستوىٰ الجامعة. وفي تلك الفترة أيضًا أو بعدها بقليل بدأت الجامعات الأخرىٰ في تنظيم مثل هذه المعسكرات، ونشير هنا إلىٰ أن جامعة الإسكندرية كان لها دورها البارز في دعم وتقوية النشاط الإسلامي، وبلورة المفاهيم الصحيحة في عقول الطلاب.

والحقيقة أن التيار السلفي حتىٰ أوائل السبعينيات لم تكن قد تبلورت رؤيته بعد تجاه

الواقع والتيارات الإسلامية الأخرى ومن ثم لم يجد غضاضة في التعاون مع الإخوان المسلمين في محيط الجامعة والاشتراك في المعسكرات الشبابية التي كانوا يقيمونها ويحاضر فيها دعاتهم.

ولكن مع هذا كله، لا يمكننا أن نغفل الدور الرائد لحركة الإخوان المسلمين في صقل وتعميق مفاهيم الإسلام الصحيحة في نفوس قادة الجماعات الإسلامية وأفرادها، سواء عن طريق المحاضرات أو اللقاءات أو الكتب الإسلامية والسياسية التي ظهرت في النصف الثاني من السبعينيات وما تلاه. بل إننا نقرر، ونحن مطمئنون أنه لم تكن هناك اختلافات أو فروق تذكر بين فهم وسلوك الجماعات الإسلامية، وبين الإخوان المسلمين، اللهم إلا فارق الخبرة وفهم طبيعة المجتمع، وهو ما استطاعت الجماعات الإسلامية استيعابه بعد ذلك.

والقول بأن الجماعات الإسلامية نشأت مستقلة الفهم والفكر والتصور عن غيرها، هو الذي يحتاج إلى دليل.

لكن بعد مضي فترة قصيرة لا تتجاوز العامين وبالتحديد في عام 1976 بدأ التيار السلفي يختلف مع الإخوان ومع تيار الجهاد الذي برز في حادثة الفنية العسكرية في تلك الفترة وبدأ التيار السلفي يستقل في نشاطه ويصدر العديد من البيانات والكتب المعبرة عنه[1].

يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في مذكراته:

«حين أخذنا- أنا وبعض قادة الجماعة قرار الانضمام للإخوان – كنا نتوقع أن الصف الثاني من بعض قيادات الجماعة الإسلامية سوف يعارض ما تم الاتفاق عليه بيننا وبين الإخوان، وكانت المعارضة تتمثل فيمن غلبت عليهم الرؤية السلفية مثل الإخوة: أسامة عبد العظيم في القاهرة وأحمد فريد ومحمد إسماعيل في الإسكندرية، أو من غلبت عليه

---

(1) الحركات الإسلامية. د رفعت سيد أحمد (ص122) دار سينا للنشر، الجماعة الإسلامية في جامعات مصر. بدر محمد بدر ص22، الحركة الإسلامية في مصر – صالح الورداني ص149.

الروح الجهادية مثل الإخوة: كرم زهدي وناجح إبراهيم في الصعيد، ولذلك قررنا أن نؤخر إعلام هؤلاء الإخوة بما تم الاتفاق عليه مع الإخوة.

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد كان الأخ خالد داود – أحد قادة الجماعة الإسلامية البارزين في الإسكندرية– يجلس ذات مرة مع الأخ أسامة عبد العظيم وتطرق الحديث إلىٰ الجماعة والإخوان فزل لسانه وأخبره أن قيادات الجماعة الإسلامية قد أنهت القضية وبايعت قادة الإخوان! فوجئ أسامة بهذا الكلام، وخرج الأمر منه إلىٰ الآخرين، فاندلعت ثورة من التساؤلات والاستنكارات، خاصة من الجناح السلفي والجناح الجهادي.

أخذنا نفكر في كيفية الخروج من هذا المأزق فقررنا أن نصارحهم بما حدث فعلًا، وأننا بايعنا الإخوان وأصبحنا منهم بالفعل، وكانت رؤيتنا أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم.

جرىٰ هذا في الفترة ما بين عامي 1979، 1980، وعلىٰ إثر ذلك ظهرت مجموعة السلفيين أو تيار السلفية العلمية في الإسكندرية، ويمثله الإخوة محمد إسماعيل وأحمد فريد ومعهم أسامة عبد العظيم في القاهرة وعبد الله سعد الذي كان نشطًا جدًّا في جامعة الأزهر، كما ظهرت مجموعة الجهاديين الذين أسسوا تيار العنف في المنيا وأسيوط وعلىٰ رأسهم كرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام دربالة ...

أخذت الأمور تستقر تدريجيًّا وانحصر نقد الإخوة في التيار السلفي لنا كإخوان في دروس ومحاضرات تتهمنا بأننا أصحاب بدع وتحلل من الدين، أما مجموعة الصعيد فقد صرنا في نظرهم مُهادِنين متخاذلين آثرنا العافية بدلًا من مقارعة النظام، وكنّا في البداية نرد عليهم بأن اختيارنا هذا نوع من الإعداد والتمهل وعدم التسرع في الأخذ بالأسباب.

وتدريجيًّا بدأ التمايز بين هذه المجموعات الثلاث وفقدنا السيطرة علىٰ الطرفين الآخرين: السلفية والجهادية، وكان الأشد خطرًا مجموعة الجهاديين الذين بدأوا

يُمارسون العنف بشكل بارز، مثل بعض العمليات التي قاموا بها عام 1981 من تكسير بعض الكازينوهات، وضرب البنات المتبرجات علىٰ كورنيش النيل في المنيا، والهجوم علىٰ الطلاب الأقباط واحتجازهم في المدينة الجامعية في أسيوط.

واستمر الحال علىٰ هذا حتىٰ وقعت واقعة اغتيال السادات، فالتقينا ثانية ولكن في السجون تحت سياط التعذيب»!

وحول وقائع صدامهم مع الإخوان يقول الدكتور ياسر برهامي أحد أبرز دعاة السلفية في مصر:

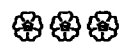
في السنة الرابعة كان الأخ عماد عبد الغفور اقترح أن نعمل عملًا سلفيًّا في الجامعة، فوافقت واتفقت أن نكون مشتركين معًا في هذا العمل، فبدأ العمل وبدأ الصدام مع الإخوان المسلمين الذين كانوا يعملون باسم الجماعة الإسلامية، كان هذا في سنة 1980، وهي السنة التي حدثت أحداث كلية الطب فيها، هذه الأحداث كنا نوزع أوراقًا ونعمل محاضرات في ساحة الكلية ونسميها ندوة، ونتكلم فيها عن قضية التوحيد وقضايا الإيمان باليوم الآخر ويتكلم فيها الإخوة، فخطط الإخوان لمنع هذا اللقاء، ومنع خروج الناس والمشاركة، وحصل صدام بين بعض الإخوة وبعضهم، وساعتها حدث نوع من التخبط في المواقف، لأنهم كانوا مرتبين أمورهم جيدًا ونحن فاجأنا مثل هذا الموقف، بعض الإخوة طالب بالانسحاب، وبعضهم طالب بالرد بعنف، وظهر ارتباك شديد جدًّا في صفوفنا أمام الناس.

وساعتها التقىٰ الإخوة مع بعضهم واتفقوا أنه لا بُدَّ أن يتم العمل بطريقة مرتبة بينهم وبين بعض، ما يشبه باتحاد الدعاة بين الإخوة الذين يعرفون الآن بشيوخ الدعوة السلفية أو رموزها، وتم الاتفاق علىٰ أن الشيخ أبو إدريس هو قيِّم المدرسة السلفية، وتواجد العمل في المساجد بالإضافة إلىٰ العمل في الجامعة، وحدثت احتكاكات أقل بعد ذلك لكن بقيت مستمرة.

ولقد تلاحقت الأحداث فدخل عدد من الإخوة السجن ضمن أحداث سبتمبر 1980

التي دخل فيها رموز من مختلف الحركات الإسلامية منهم الشيخ أحمد حطيبة من السلفيين، كما اعتقل الشيخ محمد إسماعيل بعد ذلك، كما اعتقل الشيخ أحمد فريد بسبب رفض حلق اللحية في الجيش، ولم يبق في الخارج إلا الشيخ سعيد عبد العظيم والشيخ أبو إدريس وأنا فتعاونا في أمر الدعوة بفضل الله عز وجل إلىٰ أن خرج الإخوة المحبوسين.

ظلت الدعوة السلفية وكذلك الإخوان متأثرين بهذه الأحداث حتىٰ منَّ الله علينا في عام 84 وبدأنا العمل حتىٰ قبل الإخوان، واستأنفنا النشاط في الجامعة وكونَّا أربع أُسر في كليات الزراعة والتربية والهندسة والطب، وكتبنا عددًا من الرسائل تم توزيعها من خلال هذه الأُسر جمعتها فيما بعد في كتاب «معًا علىٰ طريق الجنة»، وكان قد سبق خروج «معًا علىٰ طريق الجنة». كتاب «فضل الغني الحميد» الذي أعددته في أول الأمر كمذكرة تشمل اختصارًا لكتاب التوحيد لتدريسه للإخوة، وكان هذا في عام 1980 قبل الأحداث التي أشرت إليها.اهـ.





سلفيات. لا سلفية واحدة



المتأمل في شأن الحركة السلفية في العصر الحديث، يمكن أن يتبين له سلفيات كُثر لا سلفية واحدة كما كان العهد في القرن الماضي.

ويمكن تقسيم هذه السلفيات إلىٰ أربع سلفيات:

1- السلفية التقليدية.

2- السلفية العلمية.

3- السلفية الحركية.

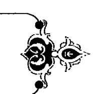
4- السلفية الحديثية (أهل الحديث).

وهذا بيان لتلك السلفيات، مع إبراز أهم ملامحها الفكرية، وأبرز من يمثلها من دعاة ومشايخ وطلبة علم.





أولا: السلفية التقليدية



هذا التيار برز بشكله الحالي في منتصف السبعينات من القرن الماضي، وأتباع هذا الفصيل يطلقون علىٰ أنفسهم السلفيين، وهم لا تجمعهم منظمة محددة لكنهم يلتفون حول عدد من المشايخ ويتتلمذون عليهم ويمثل الشيخ منفردًا هو ومجموعة تلاميذه كيانًا مُستقلًا عن بقية المشايخ وتلاميذهم، ويتفاوت عدد التلاميذ من شيخ لآخر حسب نجاح الشيخ وشهرته في مجال الدعوة فهناك شيخ عدد اتباعه يقدر بعشرات الآلاف وهناك شيخ عدد أتباعه يقدر بالعشرات فقط، وأشهر مشايخ هذا التيار وأكثرهم شعبية الدكتور أسامة عبدالعظيم أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر والذي يزعم البعض أن أتباعه أكثر من مائة وخمسين ألف منتشرين في معظم محافظات مصر، وهو رقم كبير إذا قارناه بحجم مجموع أعضاء العديد من الأحزاب السياسية في مصر فيما عدا الحزب الحاكم، وتزداد أهمية هذا العدد من الأتباع إذا علمنا أن كل هذا العدد هم من النشطاء وليسوا مجرد مستمعين لشيخ، ويعتبر الشيخ محمد مصطفىٰ الدبيسي بمثابة نائب للدكتور أسامة عبدالعظيم وهو أهم مساعديه منذ نشأة هذا الفصيل، رغم أن هذا الفصيل لم يعلن عن هيكل تنظيمي محدد المعالم حتىٰ الآن.

وهذا الفصيل عادة لا يشتغل بالسياسة ولا يتكلم فيها علنًا ولا يتخذ مواقف سياسية علنية لكنهم قد يضطرون للكلام في السياسة تحت ضغوط أتباعهم المقربين جدًّا ويكون ذلك في جلسات سرية لخواص الأتباع، ويقتصر كلامهم السياسي علىٰ شرح تصوراتهم للواقع السياسي ومشكلاته، ويعتبرون هذا الكلام من الأسرار التي يكون من المحظور علىٰ الجميع إذاعتها خارج نطاق الذين حضروا هذه الجلسات السرية.

وتتلخص رؤية هذا الفصيل للتغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في تفسيرهم الخاص لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]؛ فهم يرون أن الأية تشير إلىٰ أن تغيير واقع الأمة الإسلامية إلىٰ الأفضل لن يتم إلا عندما يغير كل مسلم نفسه وفق معايير الإسلام فيلتزم بتعاليمه ويؤثر في من حوله من أهله وجيرانه وزملاء عمله فيغيروا هم أيضًا أنفسهم بنفس الطريقة، وبذا ينصلح حال الأمة من وجهة نظرهم، ومن أهم معايير الإسلام التي يسعون لتطبيقها في الواقع تنقية الدين مما يرونه من البدع خاصة المرتبطة بالتصوف والأضرحة، وكذلك منع المسلمين من الإفتتان بالحضارة الغربية ومرتكزاتها الفكرية المخالفة للإسلام، ووسيلة التغييرعندهم تنحصر في الدعوة عبر خطب الجمعة والدروس الدينية في المساجد بالإضافة إلىٰ الدعوة الفردية وطبعًا دخلت علىٰ الخط القنوات الفضائية ومواقع شبكة الإنترنت، وكان هذا الفصيل يقوم بدعوة الناس في الشوارع للصلاة في المسجد والاستماع لدروس المشايخ (عندما كانت أجهزة الأمن تغض الطرف عن هذا في فترة السبعينات من القرن الماضي) لكنها توقفت عن هذا النشاط في الثمانينات من القرن الماضي تحت ضغط الأمن.

وتفيد بعض المعلومات الموثوقة المتسربة عن قيادة هذا التيار أن أكثرهم لا يمانع من المشاركة في التصويت في الانتخابات النيابية وغيرها من انواع الانتخابات لدعم محاولات الاصلاح وهم في ذلك يتفقون مع منهج الاخوان المسلمين.

۞ فمن هو أسامة عبد العظيم؟

هو الشيخ أسامة محمد عبد العظيم حمزة القاهري. نشأ في بيت علم ودين، فوالده كان من دعاة الجمعية الشرعية في مصر، ثم تدرج الشيخ في سلك التعليم حتىٰ أتم الدراسة في كلية الهندسة، ثم انصرفت همته لتعلم الشريعة، فالتحق بكلية الشريعة في الأزهر، ولكن كان الشيخ أسامة في فترة دراسته كلها نموذجًا للشاب الملتزم في عصر قلَّ فيه الملتزمون، فقد كان الشيخ أسامة عبد العظيم ممن يعدون علىٰ أصابع اليد من الملتحين في مصر.

كان الشيخ أسامة عبد العظيم في فترة الثمانيات أمير المعسكرات الصيفية للجماعة

الإسلامية، وهو الاسم العام لكل الجماعات التي كانت تعمل متعاونة متشاركة في كل الأنشطة، ولم تنشطر الجماعات الإسلامية إلا بعد أحداث سبتمبر وأكتوبر وما تلاها.

كان الشيخ طيلة فترة شبابه معروفًا بعلمه وهدوئه وسمته. أما زهده وعبادته فكان مضرب المثل دومًا لا يجادل ولا يماري أحد في مصر (بشهادة كل الجماعات حتىٰ أساتذة الأزهر من الأشاعرة وغيرهم).

عرفت الشيخ في أوائل التسعينات، وحضرت له بعض المجالس العلمية، ثم أكرمني المولىٰ عز وجل بالقرب منه والجلوس معه علىٰ مائدة عشاء واحدة في بيته المتواضع، فلم أر كرمًا مثل كرم الشيخ، لكن أشد ما لفت انتباهي وأنا في طريقي لبيت الشيخ هي كمية الكتب المرصوصة من أول الباب الرئيسي حتىٰ الدور الثاني حيث شقة الشيخ.

وثاني أمر لفت انتباهي وبهرني في شخصية الشيخ هو بره بأمه، فلم أر في حياتي ولدًا بارًّا بأمه مثل الشيخ، ولعل المقربين من الشيخ يعرفون هذا الأمر جيدًا.

وأما عبادته وصلاته فأهل مصر كلهم – تقريبًا – يعرفونها عن بكرة أبيهم. فوالله ما تذوقنا للعبادة طعمًا وحلاوة إلا في الصلاة خلف هذا الرجل، مع أن صوته صوت عادي، ولكنه يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ومسجده يقع في منطقة البساتين أو الشافعي (أي قرب مقبرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ)، وهو من خمس طوابق تمتلئ عن آخرها في رمضان.

والعجيب أن المسجد يمتلئ بالشباب من كل الشرائح. يأتون ليتعلموا فنون العبادة وراء هذا العابد.

يبدأ الشيخ أُسامة صلاة التراويح في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساء. ثم تستمر صلاته حتىٰ قبيل الفجر بنصف ساعة أو ساعة تقريبا.

ومن عادة الشيخ أن يصلي أطول ركعتين في التراويح (إحدىٰ عشرة ركعة) في البداية، فكان يصلي أولىٰ الركعتين بأربعة أجزاء وربما بخمسة.

وكان يختم في التراويح في رمضان أكثر من ست ختمات. ثلاث ختمات تقريبًا في العشر الأواخر من رمضان. وكنا نصلي في مسجده الذي يمتلئ بالشباب، وكان الشيخ يقرأ

الساعات الطوال فلا يجلس في المسجد إلا القليل.

ووجه تميز الشيخ أسامة في عبادته، أنه كان صاحب مسئوليات، وكان قليلًا ما ينام في ليله ونهاره، ينام تقريبًا 4 ساعات فقط. وهذا ليس ببعيد، فالشيخ يدرِّس في الجامعة (قسم الدراسات العليا) ويأتي إلىٰ المسجد فيجلس للإفادة والتدريس، ثم يأتي طعام الإفطار ثم يصلي ويجلس مع الإخوان، ولا ينام إلا بعد العشاء قليلًا، ثم يبدأ القيام حتىٰ الفجر.

ومن عادة الشيخ أنه بعد صلاة الفجر يجلس في مجلسه، وربما اضطجع علىٰ جنبه – كل هذا وهو يذكر الله – حتىٰ تشرق الشمس، فيقوم فيصلي الضحىٰ. وهنا بدأ يوم الشيخ.

ومعروف عن الشيخ وتلاميذه العبادة والزهد، فملابسه بسيطة، وهيئته تدل علىٰ بساطة في كل شيء، وهو يرتدي الزي الأزهري المعروف.

حتىٰ سيارته التي كان يرفض مجرد طلاءها بلون جديد. أما مسجده فعلىٰ الهيئة البسيطة، لا ألوان ولا زخارف. فبمجرد أن تدخل المسجد تشعر أنك في جو يساعدك علىٰ الخشوع.

في كل دروس الشيخ تقريبًا حض علىٰ قيام الليل وعلىٰ تهذيب النفس، أما طلبة العلم عند الشيخ فلهم مناهج خاصة يتابعهم الشيخ بنفسه.

وقد تخرج علىٰ يديه الكثير من الدعاة والعلماء العاملين في الحقل الدعوي، ولعل أشهرهم الداعية المعروف الشيخ محمد حسين يعقوب، و الشيخ أسامة كحيل (مدرس في جامعة الأزهر) والشيخ أسامة حامد، وغيرهم بفضل الله كثير.

والشيخ يشترط علىٰ من يأتي لطلب العلم أن يحفظ القرآن، وبعد أن يتم الحفظ، يجلس في مسجده حتىٰ يحفظ 10 من الإخوة الجدد، بل كان يشترط علىٰ كثير ممن أراد الزواج كذلك أن يحفظ القرآن، وكان يعتبر أن شباب الصحوة هم الذي تعيَّن عليهم حفظ القرآن لتقوم الأمة بالفرض الكفائي في حفظه. ولذلك في الاعتكاف تسمع في المسجد دوي كدوي النحل من كثرة الحفظة للقرآن في المسجد.

والشيخ له عناية بكتب ابن القيم وابن الجوزي وابن رجب رحمهم الله. وكانت دروسه

كلها تقريبًا في شرح كتب هؤلاء الأئمة.

ومن مآثر الشيخ أسامة عبد العظيم ومناقبه ما عرف عنه من علم واطلاع وتبحر، وله مجالس إفتاء بعد صلاة الجمعة وبعد درس الأربعاء، تدل على اطلاع وتبحر.

هذا فضلًا عنه أن الشيخ يدرس مادة أثر القواعد الأصولية في قسم أصول الفقه من الدراسات العليا في كلية الدراسات العربية والإسلامية في جامعة الأزهر.

ودرس الأربعاء للشيخ أسامة من عجائب الأمور. فهذا الدرس يحضره الآلاف منذ سنين. ويواظب الشيخ فيه على كتب الرقائق، ويخص بالاهتمام كتب ابن القيم وابن الجوزي وابن رجب رحمهم الله، وأكثر ما يعتني به كتب ابن القيم، وخاصة كتابه: مدارج السالكين وزاد المعاد ورسائل ابن رجب الصغيرة. وله طريقة في إلقاء الدرس تدل على رسوخه وحاله مع الله.

أما جهوده الدعوية فمعروفة منذ السبعينيات، وقد كان الشيخ يرأس المعسكرات الطلابية في تلك الفترة وما من أحد عاصر تلك الفترة إلا ويعرف الشيخ أسامة، ولو اعتبرناه شيخ الصحوة في مصر ما أبعدنا النجعة. كان من أوائل جيل الصحوة، تعرفه كل رؤوس الجماعات الإسلامية في مصر، بما فيهم قادة الجهاد والجماعة الإسلامية والإخوان المسلمون.

يذكر الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في مذكراته علاقاته بالشيخ فيقول:

«حين أخذنا- أنا وبعض قادة الجماعة قرار الانضمام للإخوان – كنا نتوقع أن الصف الثاني من بعض قيادات الجماعة الإسلامية سوف يعارض ما تم الاتفاق عليه بيننا وبين الإخوان، وكانت المعارضة تتمثل فيمن غلبت عليهم الرؤية السلفية مثل الإخوة: أسامة عبد العظيم في القاهرة وأحمد فريد ومحمد إسماعيل في الإسكندرية، أو من غلبت عليه الروح الجهادية مثل الإخوة: كرم زهدي وناجح إبراهيم في الصعيد، ولذلك قررنا أن نؤخر إعلام هؤلاء الإخوة بما تم الاتفاق عليه مع الإخوة.

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد كان الأخ خالد داود – أحد قادة الجماعة

الإسلامية البارزين في الإسكندرية- يجلس ذات مرة مع الأخ أسامة عبد العظيم وتطرق الحديث إلىٰ الجماعة والإخوان فزل لسانه وأخبره أن قيادات الجماعة الإسلامية قد أنهت القضية وبايعت قادة الإخوان! فوجئ أسامة بهذا الكلام، وخرج الأمر منه إلىٰ الآخرين، فاندلعت ثورة من التساؤلات والاستنكارات، خاصة من الجناح السلفي والجناح الجهادي.

أخذنا نفكر في كيفية الخروج من هذا المأزق فقررنا أن نصارحهم بما حدث فعلًا، وأننا بايعنا الإخوان وأصبحنا منهم بالفعل، وكانت رؤيتنا أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم.

جرىٰ هذا في الفترة ما بين عامي 1979، 1980، وعلىٰ إثر ذلك ظهرت مجموعة السلفيين أو تيار السلفية الغلمية في الإسكندرية، ويمثله الإخوة محمد إسماعيل وأحمد فريد ومعهم أسامة عبد العظيم في القاهرة وعبد الله سعد الذي كان نشطًا جدًّا في جامعة الأزهر، كما ظهرت مجموعة الجهاديين الذين أسسوا تيار العنف في المنيا وأسيوط وعلىٰ رأسهم كرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام دربالة ...

أخذت الأمور تستقر تدريجيًّا وانحصر نقد الإخوة في التيار السلفي لنا كإخوان في دروس ومحاضرات تتهمنا بأننا أصحاب بدع وتحلل من الدين، أما مجموعة الصعيد فقد صرنا في نظرهم مُهادِنين متخاذلين آثرنا العافية بدلًا من مقارعة النظام، وكنّا في البداية نرد عليهم بأن اختيارنا هذا نوع من الإعداد والتمهل وعدم التسرع في الأخذ بالأسباب.

وتدريجيًّا بدأ التمايز بين هذه المجموعات الثلاث وفقدنا السيطرة علىٰ الطرفين الآخرين: السلفية والجهادية، وكان الأشد خطرًا مجموعة الجهاديين الذين بدأوا يُمارسون العنف بشكل بارز، مثل بعض العمليات التي قاموا بها عام 1981 من تكسير بعض الكازينوهات، وضرب البنات المتبرجات علىٰ كورنيش النيل في المنيا، والهجوم علىٰ الطلاب الأقباط واحتجازهم في المدينة الجامعية في أسيوط.

واستمر الحال علىٰ هذا حتىٰ وقعت واقعة اغتيال السادات، فالتقينا ثانية ولكن في السجون تحت سياط التعذيب!

وبعد أن أسفرت أحداث مقتل السادات عن اضطرابات أمنية واسعة لم تقف جهود الشيخ الدعوية، بل أنشأ في الأزهر أسرة: شباب الأزهر، انتشرت في كل كليات الأزهر تقريبًا، فكان له مريدون في كل كلية من كليات الأزهر. وكنا نعرف الإخوة المنتمين لهذه الأسرة من هيئاتهم وسمتهم الذي يشبه سمت الشيخ أسامة ودلّه. وكانت هذه الأسرة تلتقي في مسجد الشيخ يوم الأربعاء.

هذا بالإضافة إلىٰ جهود طلبة الشيخ ومريديه في جامعات مصر الأخرىٰ مثل جامعة عين شمس وجامعة القاهرة وخاصة كلية دار العلوم.

وكانت تلك الأسر تقيم معسكرات طلابية في (أيام الرخاء) وكان لها دور كبير بين شباب الجامعات في مصر، وهذا نموذج عملي يدل علىٰ كذب ادعاءات بعض المنتقدين للشيخ بأنه يميل للتصوف والدروشة، في حين أن التنظيم الذي كان في جهود الشيخ يفوق تنظيم كثير من القيادات السلفية والجهادية في مصر، حتىٰ غدت دعوته راسخة في المجتمع المصري، وله أتباع في كثير من محافظات مصر. هذا فضلًا عن مكانة الشيخ بين علماء الأزهر واحترامهم له. وهو في هذا كله معلن لسلفيته، مستعلن بانتمائه لأئمة أهل السنة كابن القيم وابن تيمية وغيرهما، وذلك بما تطبعه مكتبته من رسائل ابن رجب والذهبي وابن القيم.

۞ قام الشيخ بتحقيق الكتب والرسائل التالية:

سلسلة العلم النافع وتحوي ست رسائل هي:

1- كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي.

2- شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب الحنبلي.

3- تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي.

4- الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي.

5- رسالة لكل مسلم لابن القيم.

6- الصوفية والفقراء لابن تيمية.

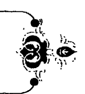
7- وللشيخ مؤلف بعنوان: إتحاف الأكابر بتهذيب وترتيب كتاب الكبائر للذهبي.

8- و مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني وكلها طبعت في دار الفتح التابعة للشيخ.

9- كما تتم طباعة بعض خطب العيد للشيخ وتوزيعها بالمجان لمن يحضر الخطبة أو الدروس منها رسالة بعنوان «ليت شعري من المقبول فنهنيه ومن المردود فنعزيه». بمناسبة انتهاء رمضان.

وجهت انتقادات لطريقة الشيخ أسامة في التربية وفي الدعوة وفي طلب العلم، وإلىٰ موقفه من الحكام، وكل هذه الانتقادات عندي من اختلافات تحقيق المناط بين الدعاة، وليس في عقيدة الشيخ ما يؤخذ عليه، وكل ما يُقال من ذلك فساقط لا برهان عليه، وهذا شأن الكثير مما يقال في أهل العلم في هذا الزمان.





الشيخ الدكتور محمد الدبيسي



۞ اسمه ونسبه ونشأته:

هو فضيلة الشيخ العلامة محمد بن مصطفىٰ بن عبد السلام بن سالم ابن الشيخ العلامة أحمد الدبيسي الجهني، ينتهي نسبه إلىٰ الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني الأنصاري رضي الله عنه أحد أعلام الصحابة الكرام.

كان مقر قبيلتهم في شمال المدينة النبوية المباركة حتىٰ انتقل جد فضيلة الشيخ إلىٰ مدينة الأسكندرية واستقر هناك في منطقة سيدي جابر، فبها ولد الشيخ ونشأ وقضىٰ أول سنين عمره المبارك هناك، حتىٰ انتقل به والده رحمه الله تعالىٰ إلىٰ مدينة القاهرة حيث تلقىٰ الشيخ حفظه الله تعالىٰ تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي وكان ترتيبه الأول علىٰ جمهورية مصر العربية ثم التحق بكلية الهندسة جامعة عين شمس وحصل علىٰ درجة البكالوريوس في هندسة الكهرباء والاتصالات.

ومن المعروف عن قبيلة الدبيسي أنهم يربون أبناءهم علىٰ القيادة والسيادة خصوصًا الابن الأكبر فيخضعونه لتربية خاصة تجعله عند وصوله إلىٰ سن الثمانية عشرة قائدًا محنكًا وهذا ما خضع له الشيخ حفظه الله تعالىٰ من أبيه إذ كان يقدمه دائمًا لمواقع القيادة مما سهل عليه بعد ذلك مهمته الدعوية.

۞ طلبه للعلم:

بدأ الشيخ حفظه الله تعالىٰ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره بتوجيه والده رحمه الله تعالىٰ وتشجيعه.

۞ شيوخه:

أ-فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف: قرأ عليه القرآن في مقرأته التي كانت قائمة

حينها في مسجد الشيخ كشك رحمه الله تعالىٰ.

ب- فضيلة الشيخ عبده الذي قرأ علىٰ الشيخ الضباع رحمهما الله تعالىٰ: قرأ عليه الشيخ ختمة كاملة.

ت-فضيلة الشيخ العلامة: يوسف السبكي رحمه الله تعالىٰ الذي لازمه فضيلة الشيخ محمد وبه تخرج وكان من أكثر من تأثر بهم الشيخ محمد حفظه الله تعالىٰ.

ث- فضيلة الشيخ العلامة: علي حلوة رحمه الله تعالىٰ مفتي الديار المصرية سابقًا، قال الشيخ محمد وكان الشيخ علي حلوة كبيرًا سنًّا ومقدارًا وكان يضرب الطلبة ضربًا شديدًا وكان صاحب توجيه وخير رحمه الله تعالىٰ.

ج-فضيلة الشيخ العلامة: محمد الأمين رحمه الله تعالىٰ.

ح-فضيلة الشيخ: عبد المحسن القاسم.

خ-فضيلة الشيخ: عطية سالم رحمه الله تعالىٰ.

د-فضيلة الشيخ العلامة: محمد نجيب المطيعي رحمه الله تعالىٰ، الذي أجاز الشيخ في الكتب الستة بأسانيده وكانت إذا جاءته فتوىٰ في وجود الشيخ محمد قال: سلوا هذا. وقد طلب الشيخ المطيعي قبل موته من الشيخ محمد أن ينظر في تكملة الشيخ المطيعي علىٰ مجموع الإمام النووىٰ وأن يهذبه. وقد سألت الشيخ محمد لِمَ لمْ يعمل بالوصية؟ فقال: لم يأذن الله تعالىٰ بعد.

ذ-فضيلة الشيخ: طه عبد الله رحمه الله تعالىٰ.

ر-وقد قرأ الشيخ علوم العربية علىٰ الشيخ محمد أمين علامة النحو والصرف رحمه الله تعالىٰ.

❁ الدعوة إلى الله تعالى:

لفضيلة الشيخ محمد قصب السبق في عدة مجالات من مجالات الدعوة السلفية ونشرها في أقطار مصر.

أولًا: فترة السبعينيات:

بدأ الشيخ نشاط الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في كلية الهندسة بجامعة عين شمس وأسس الجامعة الإسلامية في كل جامعات مصر وكان الشيخ في هذه الفترة هو أمير النشاطات الطلابية التي قامت بنشر الدين في الطبقات المصرية، ثم قام الشيخ بإقامة المعسكرات الطلابية التي كانت تقام في الكليات المختلفة كالطب والهندسة. وقد يقيم الشيخ بعض هذه المعسكرات في بعض المحافظات كالفيوم وغيرها.

ثم أسس الشيخ مدرسة النور الإسلامية بمسجد النور بالعباسية. يقول مصطفىٰ ابن الشيخ الأكبر: سألت أبي عمن عاونه فيها فقال: ابني أسامة حامد وأسامة خاطر. وسُئل مصطفىٰ عما يشاع من أن الشيخ أسامة عبد العظيم هو الذي أسسها فقال: إن هذه الإشاعة ليس لها أي أساس من الصحة، بل إن هذه المدرسة كانت قائمة علىٰ أبي فقط ثم استدعىٰ الشيخ جمال فاروق والشيخ عبد الرازق البكري ليعاونوه فيها وكان أبي قد شرح للطلبة المصطلح والعقيدة الطحاوية، وهو بفضل الله تعالىٰ أول من شرحها في مصر ثم شرع في شرح الفقه حتىٰ وصل في كتاب كفاية الأخيار إلىٰ كتاب الصلاة ثم استدعىٰ الشيخ أسامة ليكمله فشرح درسين من زاد المعاد ثم قبض علىٰ أبي وأغلقت المدرسة.

فلو قلنا: إن الشيخ محمد شيخ الصحوة في العصر الحاضر لما ذهبنا بعيدًا، وقد كان الشيخ كشك رحمه الله تعالىٰ يواظب علىٰ طلب أشرطة الشيخ محمد باستمرار خصوصًا أشرطة الرقاق والزهد. وكان في سجن الثمانينيات يأمر بكتابة رقم زنزانة الشيخ محمد علىٰ الفتاوىٰ التىٰ تجيء إليه وما زلت أذكر رقم الزنزانة فقد كان (3\6)..

فترة الثمانينيات:

بمقتل السادات حلت مصائب كثيرة علىٰ سير العمل الإسلامي ولا يخفىٰ هذا علىٰ أحد فلا داعي لتبيينه. المهم قُبض علىٰ شيخنا الفاضل عام 1981م ومكث في السجن بضع سنين نال خلالها من التعذيب والإيذاء ما الله تعالىٰ به عليم فخرج من السجن مريضًا بعدة أمراض جعلته طريح الفراش لعدة سنين، ومن هذه الأمراض: فقد سمعه

بأذنه اليسرىٰ وأصيب بفيروس سي وكسرت رجله وعظمة في جمجمته ثم أصيب بضغط الدم والسكر..

۞ نشاط الشيخ:

هذا وقد شرح الشيخ كفاية الأخيار شرحين وشرح جزءًا كبيرًا من الإقناع وكذا العقيدة الطحاوية وأقرأ العقيدة الواسطية والاسفراييئية طلبة العلم وشرع في شرح أسماء الله الحسنىٰ بمنهج جديد ماتع رائع لم يسبق إليه بفضل الله تعالىٰ نسأل الله تعالىٰ أن يتمها علينا بيمن وبركة.. وشرح كذلك «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رحمه الله تعالىٰ وشرح جزءًا كبيرًا من «مختصر البخاري» لبعض طلبة العلم، وأقرأ «صحيح مسلم» و«موطأ مالك» وغيرهم. وشرح كذلك «فقه السيرة» وهي سلسلة كبيرة نفيسة، و«مدارج السالكين» و«طريق الهجرتين» كلاهما لابن القيم وشرح ثلاثيات «مسند الإمام أحمد» لبعض طلبة العلم وشرح «الورقات بشرح المحلىٰ» وشرح كذلك «شرح ابن الفركاح علىٰ الورقات».

أما بالنسبة للدعوة فهذا لايخفىٰ علىٰ أحد ممن كانوا قد عاشروا تلك الفترة، ومما فعله الشيخ تقسيمه الناس لمناطق وتقسيم النشاط عليهم في نشر العلم والعمل بين الناس، وهذا من حسناته حفظه الله تعالىٰ هذا وقد كان في مسجده المقارئ وحلقات العلم والإفطارات والجولات وغيرها وهذا مما رأيناه وعرفناه وأدركناه.

۞ عبادته:

أما عبادة الشيخ فلا تخفىٰ علىٰ أحد، وهو أول من صلىٰ بالناس في رمضان إلىٰ الفجر.

وما من شيخ في الساحة الآن إلا وللشيخ محمد الدبيسي فضل عليه إن لم يكن شيخه بالفعل، وقد رأيت الشيخ أسامة عبدالعظيم يقوم ويسلم عليه ورأيت الشيخ الدكتور سيد العفاني والأستاذ الشيخ سيد عبد الوهاب والأستاذ الشيخ محمد حسين يعقوب والأستاذ الشيخ أبو ذر القلموني في حرم النبي ﷺ كلهم يقبل يديه ورأسه.

وللشيخ روح فكاهة وداعبة يعرفها المقربون منه، وقد لامستها بنفسي في إحدى المعسكرات الصيفية في أواخر الثمانينات، لما جئت من مبارة كرة قدم وقد بدئ علي الإجهاد وأنا أتوضأ والشيخ بجواري، فسألني: ما لَك؟

فقلت له باللهجة العامية: أنا (هَبَطْ) من اللعب.

فرد الشيخ قائلًا: وأنا (هَوِز).

❀❀❀



ثانيًا: السلفية العلمية

في منتصف السبعينات أنشأ مجموعة من قادة الحركة الطلابية الإسلامية في عدد من جامعات مصر تيارالسلفية العلمية لكن كان ثقلها الرئيسي في جامعة الإسكندرية حيث قادها من هناك وإلىٰ جميع أنحاء مصر محمد إسماعيل المقدم وسعيد عبد العظيم وأبو إدريس وأحمد فريد وغيرهم وكان من أبرز قادتها في القاهرة حينئذ عبدالفتاح الزيني، وقد رفضوا الانضمام للإخوان المسلمين عام 1978م وسموا أنفسهم المدرسة السلفية ورفضوا لفظ الأمير لاعتبارهم أنه يقتصرعلىٰ إمارة الدولة ولكن أطلقوا علىٰ قائدهم أبي إدريس لقب «اسم قيم المدرسة السلفية» أسوة بالمدارس العلمية التي كانت قائمة في عصور الإزدهار في التاريخ الإسلامي، واحتدم التنافس بين «المدرسة السلفية». والإخوان علىٰ ضم الشباب والسيطرة علىٰ المساجد، وعندما أصدرت المدرسة السلفية نهاية عام 1979م سلسلة كتب دورية باسم «السلفيون يتحدثون» تندر عليهم بعض الإخوان بقولهم: السلفيون يتحدثون والإخوان يجاهدون، وكان الجهاد الأفغاني قد اندلع لتوه ضد السوفيت وكان الشائع حينئذ أن المجاهدين الأفغان هم من الإخوان المسلمين.

وظلت السلفية العلمية تطلق علىٰ نفسها اسم «المدرسة السلفية» لعدة سنوات لكنها سعيًا لتطوير حركتها واعطاءها مزيد من الحركية زاد اهتمامهم بالعمل الجماهيري وأطلقوا علىٰ منظمتهم اسم «الدعوة السلفية»، وبذلك اصبح اسم «المدرسة السلفية» مجرد تاريخ.

والدعوة السلفية منتشرة في كل أنحاء مصر ولها أتباع كثيرون يقدرون بمئات الألوف، ويطلق عليهم اختصارًا اسم: «السلفيين» لكنهم ليسوا تنظيمًا هرميًا متماسك مثل

الإخوان المسلمين، بل يغلب عليهم التفرق لمجموعات يتبع كل منها شيخ من المشايخ، لكن مشايخها متعاونون بدرجة كبيرة جدًّا، ومن مشايخها المشهورين غير الذين ذكرناهم: محمد حسان وأبو ذر القلموني صاحب كتاب: «ففروا إلى الله». ومحمد حسين يعقوب وسيد حسين العفاني وياسر برهامي وغيرهم كثير جدًّا لكننا ذكرنا أشهرهم.

كما أن «الدعوة السلفية» مثلها مثل بقية تيارات الحركة الإسلامية الحديثة ترى وجوب رجوع المسلمين إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وفقًا لمنهج السلف الصالح لكنهم أكثر حرفية والتزامًا بذلك وأقل اجتهادًا وتجديدًا فيه، ويفرق بينهم وبين الإخوان المسلمين رفضهم للتصوف وآراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعة التي ترك الإمام حسن البنا الباب مواربًا لها بهدف لم شمل المسلمين، كما يفرقهم عنهم أيضًا رفض «الدعوة السلفية» للعمل الحزبي والدخول في انتخابات مجلسي الشعب والشورى[1]، كما يفرقهم عن الجهاد والقاعدة رفضهم للعمل المسلح والتنظيمات السرية.

وأبرز استراتيجية معلنة لـ«الدعوة السلفية» وأدقها هي التي طرحها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (رَحِمَهُ اللَّهُ) في عدد من محاضراته وكتبه وتتلخص في أن ما لحق بالمسلمين من تدهور حضاري سببه الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والآراء الفقهية التي تخالف الحديث الصحيح وبالتالي فالتغيير الإسلامي (حسب رأي الألباني) لابد من أن يمر بالمراحل التالية:

أولًا: التصفية: وهي أن يقوم علماء المسلمين بتنقية الكتب الشرعية كلها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والآراء الفقهية التي تخالف الحديث الصحيح.

ثانيًا: التربية: حيث يتم دعوة وتربية أغلبية المسلمين على هذه الكتب الصافية من أي

(1) هذا الكلام قبل أحداث ثورة 25 يناير، ولنا كتاب آخر بإذن الله نبين فيه التحولات السياسية والفكرية عند هذا الفصيل السلفي. يسر الله إكماله وصدوره قريبًا.

أخطاء.

ثالثًا: المفاصلة: حيث يعلن المؤمنون انفصالهم عن الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله ويعلنون أن هؤلاء الحكام علىٰ باطل وينذرون الحكام وأعوانهم بالرجوع عن باطلهم وإلا سيواجهون جهادًا إسلاميًا من أهل الحق، ويطالب كل المسلمين بتحديد موقفهم بشكل واضح إما مع أهل الحق وإما مع أهل الحكم، وهنا حكمهم هو حكم أهل الباطل.

رابعًا: الجهاد: وهو في حالة ما إذا رفض الحكام الإلتزام بالإسلام بعد الإنذار السابق، فحينئذ يجاهدهم أهل الحق لأن الصفوف في هذه الحالة ستكون قد تمايزت فصار بعض الشعب مع الحق وبعضه مع الباطل وهنا سيكون الفريقان المتصارعان واضحين لا لبس فيهما، فلا يقع ضحايا لا علاقة لهم بالصراع بل يكون أي: إنسان إما مع هذا الفريق أو ذاك.

وقد قيل للشيخ الألباني: وهل تنتظر أن يتركنا الحكام عندما ننذرهم ونتحرك في المجتمع لاستقطاب تأييد الناس؟ يا شيخ إنهم لن يتركوننا بل سيبادروننا بالقتال!!!

فرد عليهم **الألباني**: يا إخواني بس شدوا حيلكم في تحقيق الكتب ونشر الدعوة الإسلامية بين أغلبية الشعب وعندما نصل للمفاصلة لن نختلف بشأن تحديد وقت الجهاد إن شاء الله.

والشيخ الألباني هو سوري من أصل ألباني وهو من أكبر علماء الحديث النبوي الشريف في عالمنا المعاصر، وقد تتلمذ عليه وعلىٰ يد بعض تلاميذه عدد من كبار مشايخ الدعوة السلفية في مصر، وقد توفي في مطلع القرن الواحد والعشرين.

ورغم أن «الدعوة السلفية» تتبنىٰ استراتيجية الألباني هذه بشكل صريح تارة وبشكل ضمني تارة أخرىٰ لكنها لم تضع تكتيكات محددة ومتكاملة لتنفيذها، كما لم يتبع السلفيون أي خطط أو أساليب موضوعية محددة لتنفيذ هذه الإستراتيجية عمليًا.

❀❀❀

وهذه ترجمة لأبرز قادة هذا التيار السلفي:



الشيخ الدكتور
محمد إسماعيل المقدم

هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن مصطفىٰ بن المُقدَّم، يُكنىٰ: «أبا الفرج». ولد بالأسكندرية في غرة ذي القعدة سنة 1371هـ الموافق 26 يوليو 1952م. نشأ لأول مرة في جماعة أنصار السنة المحمدية، وعمل بالدعوة السلفية لأول مرة سنة 1972م، ثم كان تأسيس المدرسة السلفية بالإسكندرية سنة 1977م إذ ضم لها بعد ذلك كثيرًا من علماء الدعوة آنذاك.

❁ **الدعوة وطلب العلم:**

كان لنشأته لأول مرة وسط جماعة دعوية مثل أنصار السنة المحمدية دورًا في تعلقه بالدعوة منذ الحداثة. وقد كانت الدعوة السلفية في هذا الوقت ما تزال بِكرًا تحتاج إلىٰ رجال أقوياء يحملون علىٰ عاتقهم همها، وقد كان للدكتور المقدم الصدارة في قيادة العمل الدعوي في الثغر السكندري.

درس الطب في جامعة الإسكندرية في أوائل السبعينات، وهناك التقىٰ الشيخ أحمد فريد لأول مرة، وفي أثناء دراستهما في الجامعة كونا مع زملائهما فريقًا للدعوة إلىٰ منهج أهل السنة والجماعة، وكان الشيخ المقدم هو الذي يصنف الرسائل التي تنشر بين شباب الجامعة، وكان الشيخ أحمد فريد صنوه يُعنَىٰ بتأليف كتب الرقائق. وكانت هذه الكتب تطبع وتوزع علىٰ شباب الجامعة.

وكان مقر الدعوة في الخارج هو مسجد عباد الرحمن. وقام إمام المسجد علي

بالتخلص من هؤلاء الشباب من المسجد تمامًا بحجة أنهم جهلاء، وقد وقف معهما الدكتور عادل عبد الغفور، والدكتور عماد عبد الغفور.

وبمرور الوقت تكونت نواة جيدة للدعوة في الإسكندرية إبان تخرج هؤلاء الشباب، حيث عمل الشيخ محمد إسماعيل علىٰ نشر الدعوة السلفية في كل أنحاء مصر، وبخاصة في القاهرة العاصمة، فكان ينتقل إليها كل أسبوع لإلقاء درس في منطقة الطالبية حيث وجد أول تجمع سلفي واضح المعالم في القاهرة إبان فترة أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات. وكانت جهود الشيخ محمد إسماعيل مركزة علىٰ الدروس ذات البعد الحضاري والاجتماعي، مع اهتمامه بقضية المنهج السلفي وأساسياته. ثم إنه طاف مُحاضرًا في الكثير من محافظات مصر والعديد من البلاد العربية، والأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية.

❁ سمات أسلوبه:

اشتهر الشيخ محمد إسماعيل بتناوله لكل قضايا العصر، فما من قضية تشغل الرأي العام إلا ويفرد لها محاضرة يتناول فيها القضية من الناحية الإخبارية تحليلًا وشرحًا، ثم يتعرض لحكم الشرع في القضية وعلاقة الصحوة بهذه القضية، حتىٰ بلغت شرائط دروسه التي تتناول كل قضايا العصر المئات أو يزيد.

واتسم أسلوبه بالواقعية، وفي كلامه دومًا دعوة إلىٰ الشباب إلىٰ علو الهمة والعمل، وعدم الاتكال علىٰ الأماني وإن بدت لهم ثوابت. تجد ذلك في: كتاب «علو الهمة»، وسلسلة دروس «مهدينا ليس مُنتظرًا» وفيها يناقش السلبية التي طبعت الأمة بسبب الاعتقاد المظلم بأنه لا صلاح إلا علىٰ يد المهدي! اتسم كذلك كلامه بالعقلانية، والتأكيد الدائم علىٰ أنه لا تعارض بين عقل ونقل صحيحين أبدًا.

ركز الشيخ علىٰ بيان ما وصفه بـ:«ضلالات الشبهات الفكرية المعاصرة»، وأكد علىٰ ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية، وذلك من منظور إسلامىٰ سلفي، وألف من أجل ذلك: «الهوية الإسلامية» و«بدعة تقسيم الدين إلىٰ قشر ولباب» و«المهدىٰ» و«خدعة

هرمجدون»، ومن دروسه المسموعة في ذلك المجال: طاغوت العلمانية وثورة الغزالي علىٰ السنة.

اهتم الشيخ المقدم بقضية المرأة، وموقفها مما يوصف بـ«حملات التغريب والسفور». ولأجل ذلك صنف الكثير من المؤلفات وألقىٰ الدروس التي تناقش قضايا المرأة المسلمة مثل كتاب «عودة الحجاب» بأجزائه الثلاثة، وسلسة دروس «تحرير المرأة من البذر إلىٰ الحصاد». كما اهتم بقضايا الشباب، وحدثهم بما يفهمون.

۞ أخلاق الشيخ:

عرف عن الشيخ حفظه الله أنه من أعلىٰ الناس خلقًا وأدبًا في علماء العصر ودعاته، حتىٰ إن كلمة الجماعات الإسلامية في مصر اتفقت علىٰ وصفه بهذا اللفظ، ولا يعرف أحد من الجماعات الإسلامية التي تخالف الشيخ تكن له أي بغض أو كراهية أو تحفظ، بل تعتبره رجلًا محل إجماع في الصحوة. مثله مثل بعض الأعلام في الجماعات الأخرىٰ.

يقول تلميذه رضا صمدي: «وقد عايشت الشيخ ليلة مع بعض الإخوة في بيته تسمح لي أن أحكي ما اشتهر بين الناس بالسند العالي وبالمشاهدة لا بالسماع:

أما مكتبته فتشغل جزءًا كبيرًا من شقته، والتي كانت في يوم من الأيام ضيقة جدًّا، لا تسعه ولا تسع أسرته ولا مكتبته العامرة، حتىٰ وسع الله عليه وحصل علىٰ شقة أوسع وسعت مكتبته، ومع ذلك فإن الشقة ازدحمت بالكتب والأبحاث التي يؤلفها الشيخ، وكان هذا اللقاء في أواسط الثمانينات من القرن الماضي.

حضرنا درسًا للشيخ في مسجد أبي حنيفة في عشية ليلة شاتية من ليالي الإسكندرية، ثم استضافنا الشيخ في بيته، وكان معنا شيخنا الحبيب القريب عبد الفتاح الزيني (وكان هو أمير الركب) والشيخ محمد الكردي، الداعية الهصور والمجاهد الجسور، والأخ الحبيب مجدي حسن الذي كان من أوائل المعاصرين لمشايخ الجماعات الإسلامية. وكان أكبرنا سنًّا.

نزلنا علىٰ بيت الشيخ فقدم لنا العشاء، وأبىٰ علىٰ أي واحد منا أن يحمل أي شيء من

الطعام، حتىٰ إنه دخل ومعه الصحون أكثر من مرة فقمنا احترامًا له نساعده فأمرنا أمرًا أن نجلس وألا نتحرك من أماكننا.

من معالي أخلاق هذا الداعية أنه عقد دروسًا منهجية حول قضية الجهاد، تطرق فيها لتجربة الجماعات الجهادية في مصر، وكان قد ألقىٰ تلك الدروس علىٰ مدار اثني عشر أسبوعًا في وقت كانت الجماعات الجهادية تعيش عصر هدنة مع السلطة، فلما اشتدت الأزمة علىٰ جماعات الجهاد طلب بعض الدعاة من الشيخ أن يعيد تدريس تلك المادة المنهجية، فرفض الشيخ احترامًا لحال الإخوة من جماعات الجهاد وما هم فيه من محنة. وهذا يعكس الرؤية الشاملة المشفقة لهذا الداعية، وهذه من درر ما تعلمت من الدعاة، ونفعتني في المعيارية الولائية التي بها أزن مواقفي مع الجماعات الإسلامية.

أما ورع الشيخ وعبادته فقد طبقت الآفاق، ولم يتسن لي شرف الصلاة وراءه في أيام رمضان ولكن حدثني الثقات من طلبة العلم من تلامذة الشيخ أنه كان يصلي التراويح بعد صلاة العشاء وحتىٰ الساعة الثانية ليلًا، وكان يطيل السجود والركوع جدًّا.

والذي يحضر محاضرات هذا الشيخ ويتعرف علىٰ المشايخ الذين عرفوه يعرف قدر هذا الرجل، فما رأيت الدعاة والمشايخ من أهل السنة يبجلون ويحترمون أحدًا مثل الشيخ محمد إسماعيل، فما أن يرد ذكره في مجلس إلا ويتسارع الناس في مدحه والثناء علىٰ إنصافه وهدوئه وعقله.

سمعت هذا من الشيخ فريد هنداوي الفقيه وسمعته من الشيخ ياسر برهامي، والشيخ سعيد عبد العظيم، والشيخ سيد حسين».

قال فيه الشيخ أبو محمد الألفي:

أخي وصاحبي ورفيقي في ابتداء الطلب، وزبدة الإخوان ومنتهي الأرب، نزلتْ محبَّتُه بقلبي نزولَ المسرَّة، فلم أَخْشَ منه يومًا عيبًا ولا مَعرَّة. واستمسكْتُ بحبل محبَّتِه فلم اتعدَّاه، فكلُّ حبيبٍ تقول عنه أحببْ هونًا ما إلا إيَّاه. وطوَّقنيٰ من وداده طوقَ الحمامة. فلا هجْرَ ولا قِلَيٰ ولا مخافةَ ولا سَآمة.

يـــا أوحـــدَ الأوصـــافِ يَـــا مَـــنْ حـــازَ أنـــواعَ المكـــارمْ

أنــــت الــــذي طــــوَّقتني ودًّا لــــه تعنــــو الأعــــاظمْ

فمتـــــىٰ أؤدي شـــــكرها والعجـــزُ لـــي وصـــفٌ مـــلازمْ

هبَّتْ عليَّ من رياض أخلاقه ألطفُ نِسْمة. وخصَّني وكنتُ الأقربَ إليه بأوفر رحمة. وما أعدُّ أيامي التي صحبتُه فيها إلا مفاتحَ السرور. ومطالعَ الأنس والحبور. ولستُ أعيبها إلا بقلَّة البقاء. وسرعة الانقضاء. وكذلك أعمار السرور قصيرة. وأحداث الزمان مريرة.

وهو الآن حسنة من حسنات زماننا. وشيخ الإسكندرية المقدَّم علىٰ أقراننا. والكوكب الذي لا يعتريه كسوف ولا أفول. والسابق بلا نزاع في التفسير والفقه والأصول. فهو أبو عُذْرتها. ومالكُ أزمَّتِها. لا زالت روضاتُ درسِه بطلاب العلم مأهولة. ورشحاتُ كَلِمِه بالفوائد واللطائف مأمولة.

تلقــىٰ علــومَ النــاسِ في أوراقهــم وعلومُــه في صــدرِه المــشحونِ

لــولا هلالُــك نــوَّر الشــغرَ لنــا بِتْــنَا بليــل الظــنِّ والتخمــينِ

مــا أنــت إلا البــدرُ لاح بأفقنــا فأنــاره وكــان ضيــاؤه يهــديني

فاســلم فــديتك طائعًــا أو راغبًــا فلــسان مــدحىٰ في القــصور يلينــي

۞ علاقته بالجماعات الدعوية الأخرى:

عرف عن الشيخ علاقته الجيدة بالجماعات الإسلامية في مصر، ولا يعرف أحد من الجماعات الإسلامية التي تخالف الشيخ تكن له أي بغض أو كراهية أو تحفظ، بل تعتبره رجلًا محل إجماع في الصحوة. مثله مثل بعض الأعلام في الجماعات الأخرىٰ.

ورغم ذلك لم تخل حياة الرجل من المعارك الفكرية، فمن معاركه الشهيرة التي سطرها التاريخ مجدًا للصحوة الإسلامية معركته مع العلمانية من أشباه العلماء ممن ادعىٰ حرمة النقاب.

الشهادات التى نالها:

- بكالوريوس الطب والجراحة – كلية الطب – جامعة الإسكندرية.
- دبلوم الصحة النفسية – المعهد العالي للصحة العامة «جامعة الإسكندرية».
- ليسانس الشريعة الإسلامية – كلية الشريعة – جامعة الأزهر.
- حاليًا: دراسات عليا في الأمراض العصبية والنفسية.
- عضو الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية.

أساتذته ومشايخه:

في القرآن الكريم:

- الشيخ / محمد عبد الحليم عبد الله.
- الشيخ / محمد فريد النعمان.
- . الشيخ / أسامة عبد الوهاب.

في الإجازات العامة:

- العلامة المحدث/ أبو محمد بديع الدين شاه الراشدي السندي المحمدي.
- فضيلة الشيخ/ محمد الحسن الددو الشنقيطي.
- فضيلة الشيخ/ عبد الله بن صالح بن عبد الله العبيد.

في طلب العلم:

من علماء أنصار السنة المحمدية:

- الشيخ/ محمد سحنون.
- الشيخ/ شاهين كاشف أبو راس.
- الشيخ/ عبد العزيز بن راشد النجدي.
- الشيخ/ عبد العزيز البرماوي.
- الأستاذ/ محمد فتحي محمود.
- الشيخ/ محمد علي عبد الرحيم.

- الأستاذ/ عكاشة عبده.
- الأستاذ الدكتور/ محمد شوقي.
- الأستاذ/ البخاري عبده.
- **من علماء الأزهر:**
- الشيخ/ إسماعيل حمدي.
- الشيخ/ محمود عيد.
- الشيخ/ أحمد المحلاوي.
- الشيخ/ السيد الصاوي.
- الشيخ/ صبحي الخشاب.
- **ومن مشايخه ومربيه:**
- الشيخ/ حامد حسيب.
- الشيخ/ إسماعيل عثمان.
- الشيخ/ بديع الدين السندي.
- الشيخ/ عبد الله بن يوسف الوابل.
- الأستاذ/ محمد بسيوني.
- الأستاذ/ عبد العظيم كشك.
- الأستاذ/ محمود شاكر القطان.
- الأستاذ/ محمود شكري.
- الأستاذ/ محمد حسين عيسى.
- الأستاذ/ محمد أبو مندور.

۞ علماء تشرف بلقياهم أو بحضور مجالس علمية لهم.

- الشيخ/ عبد الرازق عفيفي .
- الشيخ/ عبد الله بن حميد.

- الشيخ/ عبد العزيز بن باز.
- الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني.
- الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري.
- الشيخ/ عبد الله بن قعود.
- الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين.
- الشيخ/ عبد الله بن محمد الغنيمان.
- الشيخ/ عبد الله بن جبرين .
- الشيخ/ أبو بكر الجزائري.
- الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق .
- الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي.
- الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي.
- الشيخ/ سيد سابق.
- الدكتور/ عيسىٰ عبده .
- الأستاذ الدكتور/ مصطفي حلمي.
- الأستاذ الدكتور/ محمد رشاد سالم .
- الشيخ/ رشاد غانم.

۞ مصنفاته:

- تمام المنة بالرد علىٰ أعداء السنة- النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة- علو الهمة- حرمة أهل العلم- فقه أشراط الساعة- المهدي- الأدب الضائع- بدعة تقسيم الدين إلىٰ قشر ولباب- اللحية لماذا؟- الحجاب لماذا؟- لماذا نصلي؟- هويتنا. أو الهاوية-الحياء خلق الإسلام- مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة- الإجهاز علىٰ التلفاز- خدعة هرمجدون- أذكار وآداب الصباح والمساء- أذكار الصلاة، وما حولها- التذكرة بأدعية الحج والعمرة- صيحة تحذير، وصرخة نذير-بين يدي

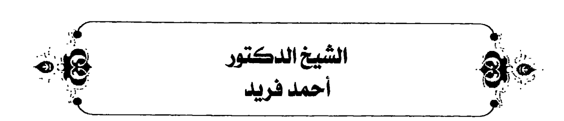
رمضان- عودوا إلىٰ خير الهدي- حوار مع مجلة الهجرة- أدعية القرآن والسنة الصحيحة (الأدعية المطلقة)- عودة الحجاب، بأجزائه: الأول: (معركة الحجاب والسفور)، الثاني: (المرأه بين تكريم الإسلام، وإهانة الجاهلية)، الثالث: (أدلة الحجاب) - الرد العلمي علىٰ كتاب «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» - شرح قصيدة (ذكرىٰ الحج وبركاته) للإمام الصنعاني (مثير الغرام إلىٰ طيبة والبلد الحرام)- المنهج العلمي الشامل للعوام والدعاة والمدرسين.

۞ من كلمات الشيخ :

في مقدمة كتابه القيم (حرمة أهل العلم):

«إن الميدان الدعوي اليوم يموج بحالة من الخلل الناشئ عن «التضخم الكمي» الذي فرض نفسه علىٰ حساب «التربية النوعية» الأمر الذي أفرز كثيرًا من الظواهر المرضية؛ من أخطرها تطاول الصغار علىٰ الكبار، والجهال علىٰ العلماء، وطلبة العلم بعضهم علىٰ بعض حتىٰ إن الواحد منهم ينسىٰ قاموس التآخي وما أسرع ما يخرج إلىٰ العدوان علىٰ إخوانه ويجردهم من كل فضل، فلا يحلم ولا يعفو ولا يصبر ولكن يجهل فوق جهل الجأهلينا !! بل إن من طلاب «آخر الزمان» من غاص في أوحال السب والشتم والتجريح وانتدب نفسه للوقيعة في أئمة كرام اتفقت الأمة علىٰ إمامتهم وهو لا يدري، أنما ذلكم الشيطان يستدرجه إلىٰ وحل العدوان وهو يحسب انه يُحسن صنعًا، ويتوهم أنه يؤدي ما قد وجب عليه شرعًا، فرحم الله من جعل عقله علىٰ لسانه رقيبًا، وعمله علىٰ قوله حسيبًا».

۞۞۞



الشيخ الدكتور أحمد فريد

ولد في يوليو 1952م بمدينة منيا القمح. كان أبوه موظفًا في دائرة الإصلاح الزراعي فنشأ أحمد فريد في أسرة بسيطة، توفيت والدته وهو يافع فعاش مع والده وانتقل إلىٰ السنبلاوين بمحافظة الدقهلية وأتم بها دراسته حتىٰ الثانوية العامة ثم التحق بكلية طب المنصورة وأمضىٰ بها السنة التمهيدية (إعدادي طب) ثم انتقل إلىٰ الإسكندرية وحصل علىٰ بكلوريوس طب جامعة الإسكندرية. تعرف أثناء دراسته إلىٰ إبراهيم الزعفراني أحد قياديي الإخوان المسلمين، وكونا معًا الجماعة الإسلامية التي كانت امتدادًا لحزب الإخوان المسلمين داخل جامعة الإسكندرية، اهتم بالعمل السياسي بعد تخرجه وتفرغ له.

❁ **ويترجم الشيخ لنفسه ويحكي تجربته الدعوية، فيقول:**

يروي قصة التزامه المنهج السلفي واعتقاله داخل الجيش وطرده منه وتاريخ الدعوة السلفية في الاسكندرية: ولدت في شهر يوليو سنة اثنين وخمسين وغالب ظني في تحديد اليوم أنه يوم الثورة أو قبلها بيوم أو يومين أو بعدها كذلك، وذلك بمدينة منيا القمح ووالدي رَحِمَهُ اللهُ كان يعمل بإحدىٰ الدوائر التابعة للأمراء وذلك قبل قانون الإصلاح الزراعي، ثم عين كغيره ممن كان يعمل بهذه الدوائر موظفًا في الإصلاح الزراعي، ووالدتي رحمها الله لم تكن تعمل وكانت بنت أحد التجار بالقاهرة، وكان والدي يعمل موظف عنده قبل أن يتزوج والدتي. كان والدي رَحِمَهُ اللهُ رجلًا صالحًا مُحافظًا علىٰ الصلاة في المسجد وقيام الليل وكان يختم القرآن كل أسبوع تقريبًا، وكان محبوبًا بين جيرانه وأصدقائه وتردد علىٰ مكة لأداء العمرة عدة سنوات ومات علىٰ أحسن أحواله بعد أن

أطلق لحيته، والوالدة رحمها الله كانت طيبة السيرة والسريرة محافظة علىٰ الصلاة هادئة الطباع محبة للخير وفقت لأداء فريضة الحج في آخر سنة من عمرها وطلبت مني أن أصحبها إلىٰ العمرة كل عام في رمضان ولكنها لم يدركها رمضان لأنها بعد عودتها من الحج بشهر أو شهرين أصابها داء السرطان وتوفيت في أقل من شهرين بداء البطن فأرجو أن تكون شهيدة، وقد رأيتها في المنام في حالة طيبة وكذلك والدي رحمهما الله وجميع أموات المسلمين.

وقد أخبرت بأنني أصابني مرض في الصغر أوشكت منه علىٰ الهلاك وكان في هذا العام خروج والدي إلىٰ الحج وودعني علىٰ أنني سوف أموت وهو في رحلة الحج فرزقني الله عز وجل العافية ثم انتقلت تبعًا لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض البلاد ثم أقمت بمدينة السنبلاوين بمحافظة الدقهلية فأمضيت بها دراستي حتىٰ الثانوية العامة ثم التحقت بكلية طب المنصورة فأمضيت بها السنة التمهيدية (إعدادي طب) وخلال هذه المدة من حياتي كنت بحمد الله مستقيمًا محافظًا علىٰ الصلاة أحس بعاطفة دينية وكنت أتطلع كما يتطلع كثير من الناس إلىٰ تحقيق المجد فكنت أفكر في حياتي وما أتمناه لنفسي وما كانت لي رغبة قوية في مجد دنيوي فلم أكن أتمنىٰ أن أكون طبيبًا مشهورًا أو مهندسًا ناجحًا أو أديبًا ولكن الأمل الذي كان يراودني في الصبا أن أكون خطيبًا في المساجد فكنت أرىٰ أرفع الناس منزلة هذا الخطيب الذي ينتظره الناس حين يصعد درجات المنبر ويذكر الناس بالله عز وجل.

ولم أكن أعرف عند ذلك قول سفيان: أشرف الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء، فكنت أخرج من خطبة الجمعة بشحنة إيمانية قوية استمر عليها أيامًا.

وكنت أجد رقة طبيعية في قلبي فإذا سمعت طفلًا يبكي أكاد أبكي لبكائه، وكنت بحمد الله بارًّا بوالدي محبوبًا من أصدقائي وأقاربي، وأذكر أنني يومًا ذهبت إلىٰ أحد أصدقائي في المرحلة فلم أجده، فقالت له أخته الصغيرة: (صاحبك أبو وش سمح سأل عنك) ولله

الحمد والمنة.

وبعد أن قضيت السنة التمهيدية بطب المنصورة انتقلت تبعًا لوالدي وأسرتي إلىٰ الإسكندرية والتحقت بطب الإسكندرية وذلك في بداية السبعينيات. وتعرفت في هذه الفترة علىٰ إخواني في الله الذين بدأو الدعوة إلىٰ الله عز وجل بالجامعة. وكان سبب ذلك أن كتب أحد طلاب الكلية الذين يسبقوننا علىٰ سبورة المدرج من أراد أن ينضم إلىٰ الجماعة الدينية فعليه أن يذهب إلىٰ جمعية الشبان المسلمين بالشاطئ يوم كذا بعد صلاة كذا، فذهبت إلىٰ الجمعية والتقيت بهم، وكان علىٰ رأسهم أخي الحبيب الدكتور إبراهيم الزعفراني، ثم كثرت اللقاءات بيننا بالكلية وخاصة إبراهيم الزعفراني حيث كان معي في نفس المجموعة للقرب بين أحمد وإبراهيم واشتراكهم في حرف الألف، وكان الدكتور إبراهيم ذو لحية طيبة وكان من أسرة طيبة، يغلب عليها التمسك بالسنة، وكان يرتدي ملابس تُشبه ملابس الباكستانيين، وترددت عليه كثيرًا في بيته، وصارت بيننا صداقة وأخوة ومحبة، وبدأنا معًا طريق الدعوة، وكانت هذه بداية الصحوة بالنسبة لنا، وكذا بجامعة الإسكندرية، وبدأ النشاط بالجامعة بعد تكوين الجماعة الإسلامية التي كانت في الظاهر خاصة بالجامعة وفي الواقع ممتدة إلىٰ خارج الجامعة. ثم في السنة الأخيرة في كلية الطب رشحت لاتحاد طلاب الجامعة لجنة خدمة الطلاب ورشح أخي إبراهيم في اللجنة الثقافية ثم تم ترشيحنا أيضًا للجنة العليا لطلاب الجامعة. وكان من لجنة نشاط خدمة الطلاب أنني استأجرت أتوبيسًا من هيئة النقل العام لنقل طالبات الكلية وكنت أعطي موعظة قبل نزول الطالبات من الأتوبيس وأحضهم علىٰ الصدقة والبذل في الدعوة فكان من وراء ذلك خير كثير بحمد الله وأعطي دروسًا بالمدرج قبل دخول المحاضرين وكذا درس للنساء ودروس بمسجد الكلية وغرفة الجماعة الإسلامية حيث إننا تمكنا بفضل الله عز وجل من الاستيلاء علىٰ غرفة التمثيل والموسيقىٰ بالكلية وتحويلها إلىٰ مسجد وغرفة للجماعة الإسلامية.

وكان أول مؤتمر تم بمبنىٰ اتحاد الجامعة ردًا علىٰ بعض المضايقات للجامعة بكلية

الطب، وتكلم فيه بعض الإخوة وعلىٰ رأسهم الدكتور إبراهيم الزعفراني وألقيت قرارات المؤتمر وكانت الجماعة الإسلامية حديث جديد وكأنه مولود جديد الكل خرج به محتفل وكان أول عمل بعد أن نجحنا في الانتخابات هو إنشاء جماعة إسلامية بكل كلية من كليات جامعة الإسكندرية.

وفي هذه الأثناء تعرفنا علىٰ الشيخ محمد بن إسماعيل وكان في السنة الثالثة أو الرابعة وكان الشيخ محمد نابهًا من صغره حريصًا علىٰ طلب العلم إلا أنه لم يبدأ الدعوة حتىٰ وصل إلىٰ مرحلة معينة من العلم. وكنت دونه في العلم والعمل ولكنني كنت قد بدأت الدعوة إلىٰ الله عزوجل بعاطفتي الإسلامية وبضاعتي المزجاة من العلم ويكفي في إثبات هذه العاطفة شهادة أحد أعداء الدعوة في هذا الوقت وهو الأستاذ صبري نور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كان في هذا الوقت يُخالف الجماعة الإسلامية في الفكر ويميل إلىٰ فكر التكفير وأرجو أن يكون رجع عن ذلك فقد رأيته في مساجد الدعوة قبل وفاته بقليل واستقبلني استقبالًا حسنًا. فقال في هذه الأثناء: الأخ أحمد فريد قلبه ينبض بحب الإسلام والحمد لله الواحد العلَّام. وبعد أن نجحت الجماعة الإسلامية في الحصول علىٰ جميع اللجان في اتحاد كلية طب الإسكندرية نما إلىٰ علمنا أن عميد الكلية قد ألغىٰ الاتحاد وهو بصدد تعيين أمراء جدد نتيجة لضغوط معينة معروفة فصمم الإخوة علىٰ عمل مؤتمر بساحة كلية الطب، وعلق الميكرفون فوق حجرة الجماعة ونزل عميد الكلية وحاشيته لإنزال الميكرفون وإلغاء المؤتمر فوقفت له تحت الميكرفون وصممت علىٰ أن الميكرفون لن يُزال، وكنت في هذا اليوم في غاية الشدة وكان أخي إبراهيم في غاية اللين، عكس طبيعتنا في غير هذا الموقف، المهم لم ينزع الميكرفون وبدأ المؤتمر وكنت آخر المتكلمين وأذكر أنني قلت في خطبتي: «نحن نعلم مستقبلنا جيدًا مستقبلنا بين جدران الزنازين وعلىٰ خشبات المشانق أما مستقبلهم. وتلوت خواتيم سورة إبراهيم ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ

ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:44 – 52].

«لقد اشتقنا إلىٰ إخواننا الشهداء اشتقنا إلىٰ سيد الشهداء حمزة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وحسن البنا وصالح سريه وكارم الأناضولي». وارتجت الكلية رجة عنيفة وكنت أرىٰ الطالبات المتبرجات يبكين وكذا إخواننا في الجماعة الإسلامية، وقد هزت كلمتي حتىٰ عميد الكلية فأعاد الاتحاد المنتخب مرة ثانية وأرسل إلينا يقول: اعتبروني واحد منكم، وانضم في هذا الوقت كثيرمن الطلاب إلىٰ الجماعة الإسلامية لما وجدوا منا هذه الروح، وكان أعداء الجماعة يتهمونها بأنها تُحرك عواطف الناس وبذلك ينجحون في الانتخابات والله الموفق رب الأرض والسماوات.

وعاشت الجماعة الإسلامية أزهي عصورها في الجامعة وخارج الجامعة وأقيمت المعسكرات الإسلامية وكانت من اتحاد الجامعة واشتراكات الطلاب، وكان ذلك قبل خروج الإخوان من السجون فكان الذي يضع برنامج المعسكرات الشيخ محمد بن إسماعيل، فقدكان ومازال أعلمنا ونحسبه أتقانا لله عز وجل، ولم يكن ظهر اسم السلفية وكذا لم يكن هناك تواجد لمنهج الإخوان، فكان العمل تحت اسم الجماعة الإسلامية، ولكن الكتب التي نَدْرُسُهَا ونُدَرِّسُهَا سلفية؛ كتب ابن تيمية وابن القيم، وأذكر أنه في سنة من السنوات تم تدريس كتاب: الأصول العلمية للدعوة السلفية للشيخ عبد الرحمن عبدالخالق.

استمر النشاط بالجامعة وخارجها، وكان أول ظهور للإخوان في معسكر إسلامي برشيد

وكان القائم عليه الأستاذ عباس السيسي كبير الإخوان بالإسكندرية وهو رجل فاضل كريم من الرعيل الأول للإخوان، وقد دُعيت لهذا المعسكر وكذا الشيخ محمد بن إسماعيل والشيخ أبو إدريس محمد عبد الفتاح، وكان الإخوان يرسلون كل يوم أحد الإخوة للإشراف علىٰ المعسكر وكان في اليوم الأول الأستاذ محمد عبد المنعم وكان مع إخوة الجماعةالإسلامية عناصر ضعيفة جدًا علميًا وعمليًا من الإخوان الجدد، وللأسف كانوا هم المسئولين عن الحجرات وكذا إعطاء الدروس وإدارة المعسكر.

في اليوم التالي كان المبعوث من الإخوة الأستاذ جمعة أمين حفظه الله، وكان يعرفنا حيث اعتكفت معه بمسجد الحمام بالظاهرية، وكان يعطي موعظة يومية في التفسير فشكوت إليه ما نعانيه في المعسكر فقال: أنت غدًا أمير المعسكر أو الشيخ محمد إسماعيل فقلت له: بل الشيخ محمد إسماعيل، وكان الأمر كذلك فتغيرت الأحوال بالمعسكر تمامًا، وفي اليوم التالي كنت أنا أمير المعسكر، ثم حضر إلينا الدكتور مصطفىٰ حلمي وكانت رسالته الدكتوراه أو الماجستير عن شيخ الإسلام ابن تيمية وهو وإن كان حركيًا من جماعة الإخوان إلا أن دراسته وكتاباته سلفية ثم ازداد المعسكر حلاوة بحضور الأستاذ محمد حسين في اليوم الأخير وكان المعسكر علىٰ شاطئ رشيد وكنا نلعب الكرة وننزل البحر فكان من أمتع المعسكرات، وفي نهاية المعسكر أراد الإخوان مني ومن الشيخ محمد إسماعيل المبيت فاستأذنت الأستاذ محمد حسين، فرفض وقال: كان ينبغي أن يستأذنوني.

وأعطونا عدة مذكرات عن الدعوة لتوزيعها فرفض الأستاذ محمد حسين ذلك. واستمر نشاط الجماعة الإسلامية بالجامعة يقودها من خارج الجامعة الأستاذ محمد حسين وكان طبيعة العاملين شخصيات إدارية كإبراهيم الزعفراني وكان أميرًا، وشخصيات دعوية تتحمل الدعوة العامة وكذا المجموعات الدراسية.

وقبل أن أنتقل إلىٰ بداية تأثير الإخوان علىٰ الجماعة الإسلامية أحب أن أشير كيف تعرفنا علىٰ إخواننا بجامعة القاهرة وهم الدكتورعبد المنعم أبو الفتوح والدكتور عصام العريان

والدكتور محمد عبد اللطيف وقد تم بمعسكر عُقد بكلية الهندسة بشبين الكوم لانتخاب رئيس اتحاد طلاب الجمهورية. فتعرفنا علىٰ هؤلاء الإخوة الكرام ووجدنا أن ظروف نشأتهم ونشاطهم تُشبه ظروفنا إلىٰ حد كبير، فحصل تآلف عجيب معهم وتواصل وتناصح وتناضر وكان المعسكر مُهيأً لانتخاب شخصية معينة لها ولاء معين معروف في مثل هذه المعسكرات فقمنا بعمل تكتل إسلامي وهددنا بترشيح الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وكان كما أذكر رئيس اتحاد طب القاهرة.

المهم حصلنا علىٰ بعض المقاعد في اتحاد الجمهورية وإلىٰ هذا الوقت لم يكن للإخوان أثر علىٰ الصحوة الإسلامية سواء بالإسكندرية أو القاهرة، وكان ذلك سنة (1976) أو (1977) وكانت الصحوة تعمل تحت اسم الجماعة الإسلامية أما الاتجاه هو علىٰ الفطرة والفطرة في اتجاهات الدعوة هي السلفية كما أن الإسلام هو دين الفطرة بالنسبة للشرائع المختلفة. لأن السلفية هي إتباع سلف الأمة وهم الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الخيرية الثلاثة الأول عدا أهل البدع الذين يرون ظلام الظلم نور واعتقاد الحق ثبور وسيصلون سعيرًا ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولانصيرًا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

وكان نشاط الدعوة يتمثل في المعسكرات السنوية حيث تم أكثر من معسكر بمبنىٰ اتحاد الجامعة أمام كلية الهندسة. وكان آخرها بأبي قير. وكذلك خروج رحلات للعمرة يتفق عليها اتحاد الجامعة واشتراكات الطلاب، وكذا عمل الأيام الإسلامية واعتكافات رمضان وطبع بعض الكتيبات باسم الجامعة الإسلامية كرسالة «يا قومنا أجيبوا داعي الله» للشيخ محمد إسماعيل ورسالة «دقائق الأخبار في رقائق الأخيار». للعبد الفقير. وكانت أول رسالة بعنوان «العقل وثلاثة أسئلة». وكان من نشاط الدعوة أيضًا في هذه المرحلة قوافل الدعوة علىٰ طريقة التبليغ داخل الجامعة. والجدير بالذكر أن هذه الفترة لم يكن بها حرس جامعي وأراد الرئيس أنور السادات أن يضرب الاتجاه الشيوعي داخل الجامعة

بالجماعة الإسلامية وبالفعل انتقل بعض اليساريين إلىٰ صفوف الجماعةالإسلامية، وفي هذه الفترة كانت حادثة الفنية العسكرية كما أذكر سنة 75 وكان فيها عدد ليس بالقليل من الإسكندرية وكانت هذه أول تصفية فبعض من انضم إلىٰ صفوف الجماعة الإسلامية حرصًا علىٰ دراسته وعلىٰ دنياه حلق لحيته ومارس حياته بالجامعة كإنسان عادي حريص علىٰ العبادة وحرم من شرف الدعوة إلىٰ الله عز وجل.

كذلك حدث في هذه الفترة ظهور جماعة التكفير علىٰ يد شكري مصطفىٰ وكان فتنة بالفعل حيث اغتر بفكره وذكائه كثير من الناس وقتل الذهبي وزير الأوقاف المصري وكان ذلك ونحن في أحد المعسكرات الإسلامية فخرجنا إلىٰ المواصلات العامة ونحن نرتدي فانلة مكتوب عليها الجماعة الإسلامية ندعو الله عز وجل ونتبرأ من جماعة التكفير وقتل الذهبي. حتىٰ لاتُستغل الفرصة لضرب الصحوة. وكان مؤسس هذه الجماعة الإسلامية بالجامعة الأخ إبراهيم الزعفراني وكنت أقرب الناس إليه والمدرسة السلفية لم تولد بعد وتزامن تأثير الإخوان علىٰ قيادات الجماعة الإدارية وميلاد المدرسة السلفية ففوجئنا بالإخوة الإداريين يطلبون الاستخارة للانضمام إلىٰ جماعة الإخوان المسلمين وأذكر أنني قلت نحن نحب السلف وعلماء السلف وسوف نشتكيكم إلىٰ الله عز وجل.

وكان الشيخ محمد إسماعيل مسئولًا عن منطقة محرم بيه وكان بها الشيخ أبو إدريس محمد عبد الفتاح وكذا الشيخ سعيد عبد العظيم. وكان المرشد للإخوان في هذا الوقت غير معلن وهو الأستاذ عمرالتلمساني حيث جمع صفوف الإخوان بعد الأستاذ الهضيبي.

وجدير بالذكر أيضًا أننا في نشاط الجامعة دعونا الأستاذ التلمساني لمحاضرة بمدرج كلية الطب وأنكر علينا بعض قيادات الإخوان ولعله الدكتور حتحوت وقال: إن عمر التلمساني لا يمثل الإخوان وقد أعلن بعد ذلك أنه المرشد العام للإخوان المسلمين في ذلك الوقت. في هذا الوقت كنت أُمارس الدعوة إلىٰ الله عز وجل داخل الجامعة وخارجها وكنت أخطب في مساجد الإسكندرية بروح قوية بفضل الله عز وجل، وأذكر أن

أول خطبة خطبتها كانت بمسجد أهالي العصافرة وهو مسجد كبير لا يقل عن 400 متر وخطبت ساعة عن يوم القيامة وأبكيت الناس مع أنها كانت أول خطبة. أما عن حياتي الخاصة في هذه الفترة – وهي آخر فترات الدراسة – فقد استأذنت أبواي في أن أسكن في غرفة عرضت عليهم بأنها بجوار مسجد السلام بأرض الحمرة بسيدي بشر القطار وكان باني المسجد عرض علي المسجد للخطابة فاشترطت عليه أن يتحول المسجد من البدعة إلىٰ السنة فأذن لي في ذلك، فكنت أبيت في هذه الحجرة وأذهب إلىٰ البيت كل يومين أو ثلاثة، وكان ذلك يرضي والداي، حيث كانت الوالدة هادئة الطبع مُحبة للخير وكذا الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان محب للإخوة مستعدًّا للترقي حتىٰ ختم له عمره في أحسن أحواله.

واجتهدت في هذه الفترة في تعريف أهل المسجد معنىٰ السنة وحذرتهم من البدع وصار هناك محبة وولاء شديد بيني وبينهم. وفي بعض الجُمعات أعلنت أن الأذان سيكون واحدًا بعد ذلك وليس هناك قراءة قرآن قبل الأذان. وتقبل الناس ذلك بفضل الله وكانت مساجد السنة في الإسكندرية قليلة ونادرة، وكانت هذه الفترة من أحسن وأسعد فترات حياتي من حيث التفرغ للطاعة والعبادة ومخالطة من أحبهم من إخواني وكذا الرؤا الصالحة التي رأيتها في هذه الحجرة والتي رؤيت لي وأذكر من هذه الرؤا أن أحد شباب المسجد وكنت أكنيه أبو إسحاق رأىٰ في المنام أن النبي صلىٰ الله عليه سلم دخل المسجد وكنت نائمًا بالحجرة وكنت في هذا الوقت مريضاً فسلم عليَّ وجلس إلىٰ جواريﷺ ثم جاءت سيارات نقل كبيرة تحمل لحمًا وكوسة «دباء»، فطبخ الإخوة وخرجنا من الحجرة مع رسول الله ﷺ وأكل معنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالمسجد ووصف الأخ علىٰ صغر سنه وقلة علمه الرسول ﷺ بما ثبت من صفته. وأعلنت هذه الرؤيا في حفل زواج الشيخ محمد بن إسماعيل بمسجد السلام بإستانلي. وطلبت أن يجتمع الإخوة في المسجد علىٰ الطعام كما حدث بالرؤيا وأخذ الإخوة يقولون أين جلس رسول الله ﷺ حتىٰ يجلسوا في المكان الذي جلس فيه إن جاز التعبير تبركًا وليس بجائز، وحضر الأستاذ محمد حسين وغيره هذا الحفل. وصلت في هذه

الفترة إلىٰ أحوال إيمانية طيبة فكنت أجلس في مجالس العلم فإذا ذكر رسول الله ﷺ بكيت.

وكنت أحس بشوق شديد إلىٰ القرآن كلما مكثت فترة دون تلاوته أجد ما يدفعني إليه وحفظت ما يقرب من ربع القرآن وأنا في هذه الفترة ولا أكتم أنني كذلك كنت أشتاق إلىٰ رؤية الله عز وجل؛ وأذكر أنني خلال هذه الفترة عندما كنت أذهب من بيتي (بيت والدي) بالعصافرة إلىٰ مسجدي بسيدي بشر القطار كنت أحب القمر حبًّا شديدًا وأستأنس بالنظر إليه وهو مكتمل ثم خشيت أن يكون في ذلك حرج شرعي فكلما نظرت إلىٰ القمر غضضت بصري خوفًا أن يكون في ذلك شيء من العبادة ثم بدا لي في أحد الأيام أن القمر آية من آيات الله ولا حرج في النظر إليه والاعتبار به ومحبته. وفي نفس الليلة رأيت أن أسير أنا وأحد الإخوة الذين كانوا من أحب الناس إليَّ في هذه الفترة في طريق طويل متسع كنت أشير له إلىٰ القمر وأقول له إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فأحسست أن هذه الرؤيا تشير إلىٰ جواز النظر إليه، وتذكر رؤيته عز وجل لأن النبي ﷺ شبه الرؤية بالرؤية، وليس المرئي بالمرأي. فقال ﷺ «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا – وأشار إلىٰ القمر ليلة البدر – كما ترون هذا».

كنت في هذه الفترة أحس بقرب شديد من الله عز وجل وأجد ذلك في حسن ظني بالله عز وجل وقبول دعائي.

أذكر أن بعض الإخوة كان يبيت عندي بالمسجد وأردنا أن نقوم من الليل للصلاة فقلت لهم: متىٰ تريدون أن تقوموا فقال بعضهم: الواحدة والنصف، وقال بعضهم: الثانية، فقلت لهم: نقوم الثانية إلا الربع ودعوت الله أن يوقظني في الثانية إلا الربع وأنا موقن بالإجابة، فاستيقظت بالفعل في الثانية إلا الربع وأيقظت الإخوان؛ ومن الطريف أني مرضت في بعض الأيام وكنت أحب أن أرىٰ إخواني وأن يعودوني في مرضي ففكرت أن أخبرهم ثم قلت لو أخبرتهم لتكلفوا الحضور وركبوا المواصلات وكان في ذلك مشقة عليهم فدعوت الله عز وجل أن أراهم في المنام فرأيتهم في الليل وأنا في غاية السرور

وذلك قبل الفجر، وبعد الفجر قلت أنا لم أر أخي إبراهيم الزعفراني وفلان فدعوت الله أن أراهم فرأيتهم بعد صلاة الفجر وأنا أذكر ذلك تحدثًا بنعمة الله عز وجل ومن علامات إيماني ومحبتي لله عز وجل في هذه الفترة وشدة محبتي لإخواني الذين أحبهم في الله عز وجل، فقد أحببت أحد إخواني من جيران المسجد وكنيته أبو سعيد وتأخر عليَّ مدة وأنا في شوق شديد إليه ولم يحضر حتىٰ قرب إقامة صلاة الفجر فقلت بلساني أو بقلبي يا رب أرسل إليه ملكًا يوقظه ويأتي به إلىٰ المسجد وبعد دقائق معدودة حضر الأخ إلىٰ المسجد وأدركنا في صلاة الفجر فأخبرته بما حدث فقال: أنا بالفعل كأن أحدًا يوقظني وأتىٰ بي إلىٰ المسجد وكان الأخ يعيش مع أمه، فكانت إذا تأخرت أمه بعد ذلك يقول: يا رب أرسل إليها ملكًا يأتي بها.

في هذه الفترة أيضًا رأيت رؤيا فيها تبشير بالشهادة وتأكدت هذه البشارة برؤا أخرىٰ ورآني أخي الحبيب حامد الزعفراني في الجنة، وأنا أتحرج من قص هذه الرؤا إلا أنها رفعت محبتي للجنة والسعي إليها. وحفظت قصيدة ابن القيم في بداية حادي الأرواح وأطلق عليَّ الشيخ محمود عيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقب عاشق الجنة من كثرةذكري لها وتذكيري بها.

في هذه الفترة كذلك تعرفت علىٰ أحب الإخوة إلىٰ قلبي وهو الدكتور عادل عبد الغفور. وكانت بداية محبتي له ومعرفتي به رؤيا رأيتها في حجرة مسجد السلام وتحقق ما رأيته. رأيت كأنني أقول له: يا عادل أنا أحبك جدًّا وأتمنىٰ أن تبقىٰ معي في المسجد يومين، فقال لي في الرؤيا سوف أستأذن والدتي وأحضر وكان إذن والدته من أصعب الأمور لأنها أسرة طيبة متدينة وكانت والدته وهي سيدة فاضلة كريمة حريصة عليه وعلىٰ أخيه عماد ولكن بقدر الله عز وجل وافقت والدته وبقي معي في المسجد يومين وتأكدت محبتنا في الله عز وجل. وأذكر أنني كنت عائدًا من الكلية وفي غاية الفرح لرؤية قميص أخي عادل الذي نساه بالحجرة وتجددت معاني كثيرة مما نقرأه في محبة السلف وإيثارهم وكلما امتد بنا العمر تزداد هذه المحبة بفضل الله عز وجل والشيخ عادل ممن يُشهد له بالعلم والعمل، نحسبه ممن يتقي الله عز وجل أسأل الله أن يُديم محبتنا فيه وهو الآن من أفراد

أهل العلم بالقاهرة. المهم هذه الفترة وهي نهاية الدراسة بالجامعة وكذا سنة الامتياز كانت مرحلة فاصلة في حياتي وإلىٰ هذا الحد كان العمل ما يزال تحت اسم الجماعة الإسلامية والكل يعمل تحت هذه الراية ولكن العقيدة هي عقيدة السلف والذين يوجهون الفكر بالجماعة الإسلامية هم أعلم الناس بفكر ومنهج السلف.

ثم كان من تقدير الله عز وجل أن بدأ الشيخ محمد بن إسماعيل في إنشاء المدرسة السلفية وذلك بعد أن رأىٰ أنه تأهل للدعوة والتصدي لتعليم الناس وكانت بداية المدرسة السلفية درس عام يوم الخميس في مسجد عمر بن الخطاب وذلك قبل أن يكتمل بناؤه وكانت هناك حلقة بمسجد عباد الرحمن ببوكلي صبح الجمعة وكان الحضور في هذه الحلقة لا يتجاوز العشرة أفراد ولم يكن معنا أحد قادة الدعوة السلفية الآن وكان الشيخ محمد يحفظنا متن العقيدة الطحاوية وكذا تحفة الأطفال وكلفني بتدريس مدارج السالكين شرح منازل السائرين. ثم توقفنا عن ذلك خشية ترويج مصطلحات الصوفية وكان ذلك قريبًا من تأثير جماعة الإخوان علىٰ القيادات الحركية للجماعة الإسلامية، ثم لما طلبوا منا الاستخارة للانضمام إلىٰ الإخوان رفض الشيخ محمد كما ذكرت الانضمام للإخوان المسلمين لأن المرشد مجهول وكان معه إخوة محرم بيه. وهددوا الشيخ بالتشهير بهم علىٰ المنابر والتضييق عليهم، فلم يخضع لهذا التهديد واستمر في دعوته.

في هذه الأثناء دخلت الجيش ولي فيه قصة قد يطول شرحها ولكن أرجو أن يكون في ذلك عبرة وعظة وأسأل الله أن يرزقني حسن النية في عرضها وأن يكون ذلك بقصد الفائدة لا فخرًا ورياءًا. ذهبت إلىٰ القاهرة (حلمية الزيتون) لتقديم أوراقي للجيش، وكنت أظن أنني سوف أقدم أوراقي وأعود ولكن الحال كان علىٰ عكس ذلك حيث قسم الحاضرون إلىٰ من سيُجند عسكري ومن يُرشح لضباط الاحتياط، وكنت قد قلت في نفسي إن رشحت لضباط الاحتياط فلن أحلق لحيتي قولًا واحدًا، وإن رشحت جنديًّا كان في المسألة قولان وأستخير الله عز وجل أحلق أو لا أحلق. فقدر الله عز وجل أنني رُشحت لضباط الاحتياط لأن الكليات العملية خاصة طب وهندسة يُرشحون للاحتياط

قلت لمسجل الكلية أنا لن أحلق لحيتي. فرفض أن يحولني إلىٰ جندي، وقال أنتم تحبون السجن وكانت سيارات الكلية واقفة فتم نقلنا إلىٰ كلية الاحتياط بفايد دون أن نُخبر أهلنا أننا ذاهبون إلىٰ الكلية؛ وذهبت إلىٰ كلية الاحتياط بالزي الرسمي للجماعة الإسلامية أقصد القميص والغطرة؛ وبت ليلة واحدة بعنبر الطلبة وأحسست بالاختناق في هذا الجو الذي لم أتعود عليه حتىٰ أنني كنت أعيش بالمسجد وأخالط إخواني وأستمع للقرآن وأشتغل بطلب العلم والحرص علىٰ سلامة قلبي ولكن بحمد الله لم تكرر هذه الليلة التي بتها في عنبر الطلبة بكليةالاحتياط. وفي الصباح وبعد صلاة الفجر جلست علىٰ سرير وكان في الدور الأول أقرأ القرآن فأتىٰ الشاويش المسئول. عن العنبر يقول هيا للطابور فقلت له: أنا رافض الجيش من أوله إلىٰ آخره ورفضت الخروج معه. فذهب من أجل أن يبلغ المسئولين وأتاني أحد الطلبة الذين في الدفعة السابقة لدفعتنا رقم (44) وأخبرني في دفعتهم (43) أخ رفض حلق اللحية وهو الآن بالسجن المركزي وإن شئت أن تذهب إليه فهيا بنا. فقلت له: نعم نذهب إليه. وكان هذا الأخ يسمىٰ رفعت وقد حكم عليه بخمسة أشهر وكان من جماعة التبليغ والدعوة ومن أقرب الناس إلىٰ الشيخ إبراهيم عزت رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمير الجماعة ولم يكن للكلية أسوار حتىٰ نعلوها وذهبنا إلىٰ السجن المركزي بفايد وخرج إلينا الشيخ رفعت وكان وسيمًا جميلًا والنور يشع من وجهه وهو متعمم عمامة لطيفة فسلم علينا وقال له رفيقي: الأخ أحمد فريد من الدفعة الجديدة وهو يرفض حلق اللحية ويطلب منك النصيحة. فنصحني حفظه الله عدة نصائح أغلىٰ من الدنيا وما فيها، فقال لي: «إن أمرك أحد المسلمين بأمر فإن كان معصية فلا تطيعه فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإذا أمرك من ليس بمسلم فلا تطيعه علىٰ كل حال خالفوا المشركين».

والنصيحة الثانية: قال: «لا تفتر عن ذكر الله عز وجل فإن الله عز وجل لما أرسل هارون وموسىٰ إلىٰ فرعون قال ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ [طه: 42]، فالذكر يقوي القلب علىٰ مواجهة الشدائد والدخول علىٰ الظالمين».

والنصيحة الثالثة: قال لي: «إذا كلمك فلا تنظر إليه لأن النظر إلىٰ وجه الفسقة يقسي

القلب ولا تناقشه في كلامه بل دعه يقل ما عنده ثم بلغه دعوتك فإن النبي ﷺ لما عرض عليه أبو الوليد بمكة أن يجمعوا له من المال حتىٰ يكون أكثرهم مالًا وأن يملكوه عليهم لم يناقشه ولكنه قال له: أَفَرَغت يا أبا الوليد؟ فاسمع مني ثم تلا عليه القرآن».

خرجت من هذه المقابلة وأنا أشد عزمًا وتصميمًا علىٰ المواصلة والثبات علىٰ الحق وعدت إلىٰ كلية الاحتياط فرأيتهم قد حلقوا لهم رؤوسهم وصرفوا لهم الملابس العسكرية فكانوا يلبسونها قبل أن تفصل عليهم وكانوا في طابور الميز (يعني المطعم) لطعام الغذاء. وأتىٰ الشاويش الذي كلمني في الصباح وقد تعب في البحث عني وقال: أين كنت؟ وعلمت أنه ليس علىٰ ملتنا، فقلت: أنت بالذات لا تكلمني. فأخبر أحد الضباط بخبري فقال له: يقف في الطابور. ووقفت في الطابور وأنا أرتدي القميص وقد صنع لي الشيخ رفعت من الغطرة عمامة لطيفة ثم حدثت مشادة كلامية مع أحد الضباط ذهبت علىٰ إثرها إلىٰ سجن الكلية وكان في الواقع أحسن مكان بالكلية لأنه بجوار المسجد وهو فارغ تمامًا وأمكن فيه من قراءة القرآن وكتب العلم وصار سجن الكلية هو خلوتي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن سجني خُلوة. وكنت أصلي بالناس إمامًا وأعطي دروس بالمسجد يحضرها من فيه خير من ضباط الكلية وأخطب الجمعة أحيانًا فمكثت في سجن الكلية حتىٰ تشكلت محكمة عسكرية ممن يحضر دروس في المسجد خوفًا علي من تشديد العقوبة وحكموا علي بشهر واحد والمُحزن أنني سجنت بسجن الوحدة وليس سجن الطلبة المجاور للمسجد وابتُليت بمخالطة المسجونين حيث شرب السجائر وسماع الغناء فلم يكن سجني في هذه المرة خلوة كما قال شيخ الإسلام بل ما كنت أجد مكانًا أقوم فيه بالليل. وبدأوا معي مساومات حتىٰ أوافق علىٰ حلق اللحية وأتاني طبيب الكلية وعرض علي إذا وافقت علىٰ مبادرته أن يكون سكني بالعيادة وأن أكشف علىٰ إخواني الطلاب وبذلك لا أقف في الطابور وأحيي العلم والضباط فوافقت علىٰ ذلك وتم إلغاء السجن بعد أسبوع أو أكثر وانتقلت إلىٰ العيادة وكنت أعامل قريبًا من معاملة الضباط الأطباء وأسكن معهم. ولكن نفسي لم تطاوعني إلىٰ حلق اللحية مرة

ثانية فأعفيت لحيتي وقدر الله عز وجل أن يتغير مدير الكلية ويعين لواء جديد للكلية فأهمهم كيف يعرضون عليه مشكلتي وأنا قد تركت اللحية أكثر من ثلاثة أسابيع. وقبل أن أدخل عليه دخلت علىٰ من دونه من الرتب وكانوا يرغبوني تارة ويهددوني تارة أخرىٰ ويقولون بحمية وعصبية القوانين العسكرية والنظم العسكرية فأقول لهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: 165] فيقولون نحن لسنا كفارًا، فأقول أنا لا أكفركم ولكنها الغيرة علىٰ الشرع كلما وجدت غيرتهم علىٰ القوانين العسكرية.

وأخيرًا أدخلت علىٰ اللواء مدير الكلية وهو يرفع جهاز التسجيل بالقرآن وعرض عليَّ حلق اللحية فرفضت وتلوت عليه أدلة التحريم فحولني إلىٰ نائب الأحكام لإعادة محاكمتي فحكم عليَّ بستة أشهر لمخالفة الأمر العسكري بحلق اللحية وتم إعادة الشهر الذي أوقف تنفيذه فصارت لمدة سبعة أشهر قضيت جزءًا منها قبل إجراء تحويلي إلىٰ السجن المركزي في سجن الطلبة حيث الخلوة وممارسة الدعوة مع الذين يمن الله عليهم بالسجن.

وكان الوقت شتاءًا فكنت أخرج بالبالطو والغطرة وأرىٰ إخواني وهم في البرد القارص بالشورتات وبلغ من فتنة بعضهم ممن كان من الجماعة الإسلامية قبل دخوله الجيش أنه ترك الصلاة. وقد تعجبت كيف دخل الإخوة هذه الكلية وفيها ما فيها وتخرجوا ضباطًا وكيف سمح لهم إيمانهم بذلك؟! وأحببت أن أترك بالكلية كلمة حق تتوارثها الأجيال وتشهد لي يوم يقوم الأشهاد فقلت في نفسي الجيش كله ظلم. ظلم النفس وظلم العباد والظلم والظلم هو أظلم الظلم الشرك بالله عز وجل فجهزت خطبة في تفسير الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسيوجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»، وقلت في خلال خطبتي ما ظنكم برسول الله ﷺ لو أتىٰ فرأىٰ أمته يلتفون حول خشبة في آخرها خرقة يعظمونها من دون الله عز وجل، ما ظنكم برسول الله ﷺ لو أتىٰ فرأىٰ أمته

يعظم بعضها بعضًا وكان قد دخل علىٰ أصحابه فقاموا فقال: لا تعظموني كما تعظم الأعاجم ملوكها وقلت لهم: تقولون الجيش يُربي الرجال وتأمرون بحلق اللحية والتشبه بالنساء؟! وكان الأولىٰ بكم أن تقولوا الجيش يُربي الرجال وتأمرون من يحلق لحيته بإعفاء اللحية لأن الجيش يُربي الرجال؟! فقلت ما في نفسي في خطبةالوداع وبعد إقامة الصلاة قلت: كل أخ يلبس باريه: (ما يوضع علىٰ الرأس) فيه صنم (النسر) يداريه فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة وصليت بهم الجمعة، وقد قامت القيامة بالكلية فمن موافق ومشجع لما قلت ومن خائف وعلىٰ كل حال حصل المقصود من إقامة الحُجة وترك كلمة الحق بالكلية. ومن رحمة الله بي أنه كان يجعلي دائمًا مخرجًا ويضيق عليهم كما وعد عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: 2] فكان من الممكن أن يحكم علي بمدد متطاولة بسبب ما قلت، والمخرج أنني كنت في هذه الفترة مسجونًا فكيف خرجت من السجن وكيف ارتقيت المنبر، منبر التوجيه وأنا مُخالف للقواعد العسكرية، وأنا والحمد لله في رعاية الله وحفظه أنتقل من خير إلىٰ خير ومن سعادة إلىٰ سعادة فجهزت للانتقال من الكلية إلىٰ السجن المركزي بفايد وكانت هذه المنطقة كأنها فتحت فتحًا إسلاميًا بدعوة أخي الشيخ رفعت فكان أول من سن هذه السنة الحسنة وكان قائد المحطة العسكرية تاركًا للصلاة وكان يسب دين الله والعياذ بالله فلما رأىٰ رجلًا يترك زوجته وأولاده ويرضىٰ بالسجن لأنه يرفض حلق اللحية، بكىٰ علىٰ نفسه وكان ثبات الشيخ رفعت سببًا في هدايته. وقدم طلب إلىٰ إدارة التوجيه المعنوي بتعيين الشيخ رفعت في التوجيه المعنوي لمحطة فايد العسكرية ومن حسن تقدير الله عز وجل أن اليوم الذي حولت فيه إلىٰ سجن فايد المركزي هو نفس اليوم الذي عاد فيه الشيخ رفعت من إجازة ثلاثة أسابيع بعد إنهاء سجنه وتعيينه بالتوجيه المعنوي بالمحطة العسكرية. والتقيت معه ومع العقيد عبد الفتاح بمسجد المحطة الذي بناه العقيد بعد هدايته علىٰ يد الشيخ رفعت وصار منارً اللدعوة بالمنطقة؛ وقبل أن أحول إلىٰ السجن المركزي أرسلت إدارة الكلية

إلىٰ العقيد وأخبروه بأنني ضربت الضابط وأنني لست طيبًا كالشيخ رفعت. يقول العقيد بمجرد أن رأيتك علمت أن كلامهم كذب، والتقيت به في صلاة المغرب وقابلني مقابلة هي ثمرة مقابلته السابقة بإدارة الكلية، وقال له الشيخ رفعت هناك نساء تبكي وأطفال. يقول العقيد عبد الفتاح: وأنا أصلي أقول لنفسي هذا رجل ترك أهله ودخل السجن من أجل سنةالنبي ﷺ فانظر ماذا تفعل يا عبد الفتاح، وبعد الصلاة مباشرة بشرني بأنه سوف يعطيني حجرة الشيخ رفعت ويعاملني كما كان يعامله؛ وهي حجرة بالسجن المركزي بُنيت خصيصًا للشيخ رفعت، كان معه مفتاحها فهو يغلقها من الخارج، وبالفعل استلمت الغرفة المذكورة، وصمم الشيخ رفعت علىٰ أن يدخل معي السجن مع أنه عُين رسميًا واعظًا بالمنطقة العسكرية، وقالوا له أن يسكن في الفيلا فيقول حفظه الله: أخي أحمد في فترة بلاء وتنزل عليه رحمات من السماء فأحب أن أكون معه.

وجهزت الغرفة بسريرين وكان بها مصباح كهربائي مع أن ذلك من الممنوعات في السجون في هذه الفترة سواء كانت حربية أو مدنية، وقضيت أنا والشيخ رفعت قريب من شهر ونصف فكنت أصلي الفجر بالمسجد أنا والشيخ رفعت، وكنت أصلي بهم إمامًا؛ وكان العقيد عبد الفتاح يقول للصولات كل صول يعطيني تمامًا بالعساكر الذين معه في صلاة الفجر، وكنا بعد شروق الشمس نركب إحدىٰ السيارات التابعة للمحطة للإفطار بفيلا كبار الزوار علىٰ البحيرات المرة بفايد وكنت أُمارس الدعوة فأعطهم موعظة قبل التأمين (دخول الزنازين) وأعلمهم الصلاة، وكان العقيد يقول: الأخ أحمد فريد أقدم واحد يصلي فينا؛ كلامه أوامر. سبحان الله مسجون كلامه أوامر – كما قال بعضهم –: (أعز أمر الله حيثما كنت، يعزك الله حيث ما كنت) في هذه الفترة كانت الثورة الخمينية، وكان كارتر رئيس أمريكا يزور مصر، وقال السادات كلمته المشهورة لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وكانت المظاهرات بالجامعات المصرية وما لنا نصيب من هذه الأحداث العالمية والمحلية ففوجئت بالشيخ رفعت تم إعادته إلىٰ القاهرة وإعادة محاكمته، وحُكم عليه بتسعة أشهر. وطلب مني حلق اللحية ولبس ملابس السجن

الحربي (العفريته الزرقاء) فرفضت وحضرت المخابرات العسكرية في حجرة قائد المحطة وعرضت عليَّ في حضور ضابط المخابرات، وطلب مني حلق اللحية أو يؤمر بإعادة محاكمتي فقلت له: موافق علىٰ إعادة محاكمتي مرة ثانية وثالثة ورابعة وليس وراءنا شيء إلا دين الله عز وجل. وبالفعل ذهبت إلىٰ المكان الذي سوف أُحاكم فيه ويبدوا أن نائب الأحكام أخبرهم أنه لا يجوز محاكمتي لأنني في فترة قضاء عقوبة علىٰ أمر معين ولم تنته الفترة بعد، فأُعدت إلىٰ غرفتي بالسجن المركزي وفوجئت بأنهم أخذوا المرتبة وكذا المصباح الكهربائي ومنعوني من الخروج، إلا أن العقيد الذي تحرك قلبه بالإيمان كان يوصي بأن الطعام يأتيني من مطعم الضباط، ويوصيهم في السر أن لا يُعاملوني معاملة سيئة. وتأخر العقيد عن زيارتي كثيرًا خوفًا من رصد المخابرات حتىٰ انتهز فرصة وزارني في السجن فلم ير المرتبة ولا المصباح فقلت له: يأخذون كل شيء حتىٰ البطاطين وسوف أنام علىٰ الرمل. ولكن ديني لن يأخذوا منه شعرة واحدة، وكان العقيد يحبني إلا أنه كانت محبته للشيخ رفعت أكثر مني لأنه كان سبب هدايته، فبكىٰ وقال: هل سفر الشيخ رفعت هين عليّ. وقلت له: أنا في أسعد فترات حياتي، أنا كلما نمت رأيت رؤيا صالحة. وأشار أن يُعيد الكهرباء والمرتبة فرفضت. وكنت أحفظ حزبًا من القرآن في كل صباح في أقل من ساعة وأراجعه قبل غروب الشمس، وأصلي به في الليل، وحفظت في هذه الفترة والتي بعدها ثلث القرآن تقريبًا. بقيت عدة أيام بالسجن المركزي ثم أتىٰ أمر بنقلي إلىٰ السجن الحربي وهو أكبر من السجن المركزي؛ حيث يقضي فيه العسكر الذين حكم عليهم بأكثر من ستة أشهر؛ والمركزي لستة أشهر فما دونها. وبالفعل نقلت إلىٰ السجن الحربي، وكان الذي استقبلني بالسجن الحربي قائد ثاني السجن، وكان نقيًا؛ وكان يراني كثيرًا مع العقيد عبد الفتاح ويعلم أنني متخصص في الرقائق وذكر الجنة والنار. فقال لي: لن أكلمك عن اللحية ولكن السجن له نظام، فلا بد من لبس ملابس السجن. فقلت له ببراءة الفطرة: هل أنا سارق؟! أنا مسجون في طاعة الله عز وجل واتباع سنة النبي ﷺ فأنا في طاعة، وهذا اللبس لبس ذلة ومهانة والذي يكون في

طاعة لا يناسبه لبس الذلة والمهانة. وكان يكلمني تارة ويتصل بقيادة الجيش الثاني تارة. وأنا أقول له وأسمعه: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾ [النمل: 50-51].

وصرح لي بعد ذلك أن قائد الجيش الثاني كان يأمره أن ينزع قميصي ويمزقه فلا أجد إلا ملابس السجن فأضطر إلىٰ لبسها وكنت علىٰ يقين أنهم يمكرون لي لكنني كنت علىٰ يقين أيضًا بأن الله عز وجل يمكر بهم، وكانوا إذا هددوني بأن يحلقوا لي بالقوة أقول لهم أقسم بالله من أراد أن يحلق بالقوة فسوف أقاتله إن قتلني دخلت الجنة وإن قتلته دخل النار فكانوا يفهمون من قولي أقاتله أنني أقتله، فقالوا: الشيخ قال إللي يقرب مني أقتله. فتركتهم علىٰ هذا الفهم من باب كتمان العلم للمصلحة؛ المهم قذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فلم يمسوني بسوء.

وفرغوا لي التأديب داخل السجن الحربي؛ وكان عبارة عن خمسة غرف كل غرفة متر إلا ربع تقريبًا في طول مترين، وأمام الخمس غرف فسحة وهي مغلقة بشباكة حديد فوضعت فراش في غرفة والطعام في غرفة وقلت لهم: هذه الفيلا لو أخذتم إيجار تأخذون مبلغًا وقدره.

والعجيب أنهم كانوا كل صباح يفتحون باب الفيلا ويأتي العساكر من أجل تنظيف الفيلا ورش الماء وتنفيض البطاطين ولم يطلبوا مني أن لا أكلم المساجين ولكنهم طلبوا من المساجين ألايكلموني فكانوا يأتون أمام الفيلا وأذكرهم بالله عز وجل وأقول لهم اسمعوا شيئًا فإذا رأيتم أحدًا فانصرفوا.

ثم حضر القائد الأول للسجن الحربي وكان برتبة رائد فأخبر بحضوري فأتىٰ وهم يأمنون السجن قبل المغرب وقال لي: لماذا لم تلبس ملابس السجن؟ فقلت: أنا محكوم علي بسبعة أشهر علىٰ اللحية، والملابس، فلا تكلمني في هذين الأمرين إن شئت أن تتكلم في أمور أخرىٰ نتكلم فكأنه هدد بأن يحلق لي بالقوة فأقسمت بالله بأنني سوف أقاتل من يريد أن يحلق لي بالقوة فقال لي صول الأمن وكان واقفًا: اعمل معروف ما تمتش هنا. ثم

طلب قائد السجن أن أعرض عليه بمكتبه بعد تأمين السجن فقلت له: ليس من حقك إخراجي بعد التأمين. فقال: أنت تعرف القانون. المهم أخرجوني بعد الغروب وبعد تأمين السجن وأدخلت عليه في مكتبه: السلام عليكم، قال: سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، ثم أخرج لي تفسير ابن كثير من مكتبه وقال: تعرف هذا، قلت: نعم تفسير ابن كثير. وأخرج معارج القبول كما أذكر، وقال لي: هل قرأت حديث حذيفة في فتح الباري. قلت: نعم. قال: تعرف عبد الحميد الشاذلي وهو صاحب حد الإسلام وهو شيخ بدعة التوقف والتبين بالإسكندرية. وبعد هذه المقابلة العجيبة طلب مني أن ألبس ملابس السجن أو يعرضني علىٰ العميد الرحاني بقيادة الجيش الثاني. وقال لي سوف أعطيك مهلة للصباح. فقلت: أنا أوفر عليك المهلة وأعرض من الآن. فقال: لا سوف أعطيك مهلة وأرسلني إلىٰ فيلتي وخلوتي وقمت الليلة وتفكرت في الحوار الذي دار بيننا قبل التهديد واستخرت الله عز وجل بأنني سوف أبلغ عنه أنه من جماعة التكفير وأنه يستحل دماءهم ونمت علىٰ ذلك. وبعد صلاة الفجر ومع شروق الشمس فوجئت باثنين يحملان بدلة السجن الزرقاء ويفتحان علي الفيلا ويقولان نحن نقسم بالله أننا نوافق أن نلبس-هذه الملابس ولا تلبسها أنت. وذلك لحبهم لدينهم. ولكن الرائد أمرنا أن نحضر هذه الملابس لك لتلبسها فقلت لهم بكل قوة أعيدوا له هذه الملابس وقولوا له الشيخ أحمد متظلم منك ويطلب العرض علىٰ قائد المحطة العسكرية أو عقيد المخابرات. قلت لهم أنا سوف أبلغ عنه بطريقتي الخاصة أنه تكفير يستحل دماءهم ولن يعود إلىٰ بيته بل يذهب إلىٰ المدعي العسكري فقال لي: كيف طريقتك الخاصة فقلت لهم: وهل أخبركم بطريقتي الخاصة؟!. فذهبا إلىٰ الرائد وأخبراه بما قلت فأتىٰ الرائد بنفسه وقال يا شيخ أحمد ما دمت ترفض لبس السجن خلاص. فقلت له أنت أهنتني وأنا متظلم منك وأطلب العرض علىٰ قائد المحطة العسكرية أو عقيد المخابرات وهو يخشىٰ من هذا الطلب حتىٰ لا أُبلغ عنه أنه تكفير. فقال: يا شيخ أحمد أنت لاترضىٰ بالضرر. فقال لي: طالما أنت عندنا فسوف نعاملك أحسن معاملة ونلبي كل طلباتك. فقلت له: وتعد أنك تسعىٰ في خروجي

من هذا المكان في أول فرصة قال: إن شاء الله. وتم الاتفاق علىٰ ذلك وصار الرائد يوميًا يمر علي في الفيلا ويقول: يا شيخ أحمد تريد شيئًا أقول له: جزاك الله خيرًا. ومر يوم ولم يمر علي الرائد فقلت للشاويش أين الرائد لماذا لم يمر علي هذا اليوم يبدوا أنه أبلغه فمر في اليوم الثاني واعتذر إلي أنه لم يمر بالأمس لأنه كان مريضًا – كان عنده إسهال – نسأل الله العافية والسلامة من الذل والمهانة. ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] أمضيت من مدة العقوبة أربعة أشهر ونصف وكانت هناك مناسبة استلام العريش فصدر قرار جمهوري بالعفو نصف المدة والعجيب أن العفو لمن كان حسن السير والسلوك في السجن أما المخالف فلا يشمله العفو. ولكن لأن الرائد يريد التخلص مني في أقرب وقت كنت أول مسجون يُنادىٰ عليه بالعفو في السجن الحربي؛ وخوفًا من اتصالي بأي مسئول أخذني الرائد بنفسه وسلمني إلىٰ كلية الاحتياط لأنها وحدتي الأساسية فدخلتها دخول الفاتحين واحتفل المساعدون بحضوري وقضيت ليلة أوليلتين بالكلية ورآني مُسجل الكلية وأنا بكامل عافيتي بلحيتي وقميصي وغطرتي فقال: أتيت كذلك من السجن من خمسة أشهر؟!!! فقلت: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: 38] قال يدافع عنك ويسخطني: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: 77]، فقلت: آمين. ثم أراد نقلي إلىٰ الخدمات الطبية بالقاهرة وكان سيصحبني في هذه الرحلة صول التوجيه المعنوي وكان يحبني محبة شديدة وطلب من أحد العساكر أن يسافر معنا من أجل أن يحمل المِخلة فقلت له: أنا كنت أحمل هم الجيش من أجل هذه المِخلة لا أستطيع حملها. فقال: انظر كيف يفعل الله عز وجل بعباده المؤمنين وبالفعل تم تسليمي إلىٰ الخدمات الطبية بكوبري القبة بالقاهرة وبدأت فترة جديدة من الامتحان والله يتولاني في كل مكان ويجعل لي من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا فسمحوا لي بالجلوس والمبيت بالمسجد بدل السجن فكنت أصلي بهم وأجلس أقرأ القرآن وأراجعه ويأتي

الطعام والزيارات من الأخوة بالقاهرة وكان بجوار وحدتي وحدة لنقل الدم فكنت أبيت معهم وأجعل الفائض من الطعام في الثلاجات الضخمة بسيارات نقل الدم. وعُرضت علىٰ المحكمة العسكرية بحسب ذاكرتي بالعباسية، ورفض رئيس المحكمة محاكمتي وطلب من المندوب أن يتصرفوا معي لإخراجي من الجيش. المهم عُرضت علىٰ محكمة أخرىٰ ميدانية وحكموا علي بثمانية أشهر وحُولت إلىٰ السجن الحربي بمدينة نصر وكانت درجة إيماني بفضل الله مرتفعة جدًا وتمرست علىٰ مواجهة الظروف الصعبة فلما أُدخلت السجن الحربي استقبلني شاويش الأمن وطلب مني أن أذهب معه لمقابلة قائد السجن وكان برتبة عميد. وكنت أقرأ سورة إبراهيم بصوتٍ مرتفع حتىٰ يسمع الجميع. فقلت حتىٰ انتهي من السورة فسكت فلما انتهيت من السورة ذهبت معه فأدخلت علىٰ قائد السجن فقال: يا شيخ أحمد أحلق وأنا أحمل وزرك يوم القيامة جزاه الله خيرًا علىٰ هذا التبرع ولكنني رددت عليه وقلت: أنت تحمل وزري يوم القيامة وتلوت قول الله عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 166-167] فكانت هذه الآيات بمثابة الضربة القاضية فلم يرد علي وقال الأوامر واكتفىٰ بكتابتها دون أن ينطق بها. وخرجت من مكتب قائد السجن وذهبوا بي إلىٰ عنبرالحرس وتلطفوا معي في الكلام وأخذوا يسألوني عن اسمي وعملي وعنواني وأنا أتوجس منهم شرًا في كل وقت ثم فوجئت بعدد من الحرس يتوجه نحوي وكان اختيارهم مقصودًا فهم أجسام ضخمة ليس منهم أعرج ولا أعور ولا أعمىٰ لم أشعر بنفسي فقد وقفت علىٰ أحد الأسرة وكنت أتنقل فوقها فمن تمكنت منه بيدي ضربته بيدي ومن تمكنت منه برجلي ضربته. وكان أسعدهم بالضرب شاويش الإدارة حيث كان علىٰ يميني فنال نصيبه مني ثم تمكنوا مني بعد أن جمعوا صفوفهم مرة ثانية وكتفوني وأخذوا يضربوني وأنا أقول: لا إله إلا الله - لا إله إلاالله؛ فأمرهم شاويش الأمن بالكف عن الضرب وحلقوا لي بالقوة وأنا أظن أنني بذلت

كل طاقتي وأخرجت كل ما في جعبتي فأنا معذور وبقيت في هذا السجن الحربي أنتقل من سجن إلىٰ سجن ولكن الله عز وجل مكنني من إلقاء خطبة بالمسجد بداخل السجن الحربي وتعرفت بداخله علىٰ إخوة أفاضل من الضباط والعساكر ومكثت فيه ستة أشهر ونصف وتم رفدي من الجيش بفضل الله عز وجل وخرجت بعد زملائي الذين جُنِّدوا عساكر بشهر واحد. وكانت هذه قصتي في القوات المسلحة.

وأذكر أن إخواني سألوا الشيخ ابن باز وأنا في غمار المعارك فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أطاعهم فهو معذور وإن عصاهم فهو مأجور فأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل وأن أجد بره وذخره يوم الورود عليه.

وقد رأيت في هذه الفترة من الرؤىٰ الصالحة بشرىٰ بدخول الجنة من أوسع الأبواب وكذلك بشرىٰ بمحبة الله عز وجل.

وبعد أن خرجت من الجيش كانت الجماعة الإسلامية قد تميزت إلىٰ فريقين الإخوان المسلمون والمدرسة السلفية وكان كل فريق يطمع في عملي معه وأنا بطبيعة الحال وفي كل وقت حسن المعاملة للجميع فزارني الأستاذ محمد حسين وكذلك الشيخ محمد إسماعيل وبقية الإخوة فعملت في الدعوة السلفية لأنها الفكر الأصيل وإسلام الفطرة فلم أبايع في وقت من الأوقات جماعة الإخوان وكذلك بقية الإخوة بالدعوة السلفية لم يبايع واحد منم جماعة الإخوان ولكن الواقع أن الإخوان استقطبوا العناصر الإدارية من الجماعة الإسلامية بالإسكندرية وأحضروا الإخوة الأحباب عبد المنعم أبو الفتوح وعصام العريان ومحمد عبد اللطيف للأستاذ محمد حسين بالإسكندرية فأقنعهم بفكر الإخوان.

فالواقع أن بعض الجماعة الإسلامية التي نشأت سلفية العقيدة والمنهج تركوا المنهج السلفي واندمجوا في جماعة الإخوان وبقي إخوة الدعوة السلفية علىٰ فكرهم وعقيدتهم واستعر التشويه بالمدرسة السلفية من خلال درس الثلاثاء وغيره حتىٰ كان بعض الجهال يخرج من محاضرات الإخوان، وهو يقول: السلف تلف. وهذا من جهلهم بمعنىٰ

السلف.

وكان كثير منهم من كثرة الطعن والتشويه للإخوة السلفيين يحضر درس الخميس في مسجد عباد الرحمن وكان هو التجمع الرئيسي للدعوة السلفية علىٰ مدىٰ عدة سنوات من أجل أن يتعرف علىٰ هؤلاء فإذا به يترك منهج الإخوان ويصير من دعاة السلفية أو أفرادها العاديين وفي أتون هذه المعركة الكلامية تكلم الشيخ محمد بن إسماعيل عن الأصول العشرين للشيخ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسجلت المحاضرة وانتشرت انتشارًا واحدًا كما هو شأن الحق في كل زمان ومكان يقيض الله عز وجل من ينشره ويرفعه؛ ثم سجل الأستاذ محمد حسين شرحًا للأصول العشرين ولكنه لم ينتشر كما انتشر شريط الشيخ محمد إسماعيل. المهم تحت سيطرة الإخوان علىٰ الجماعة عينوا لكل كلية أميرًا تابعًا للإخوان وكذا المدينة الجامعية وحاولوا التضييق علىٰ السلفيين وحاول الإخوان جبر النقص العملي بالنسبة لإخوانهم السلفيين فأحضروا الشيخ المطيعي من القاهرة وكان أشعري العقيدة مع أن إخواننا بالإسكندرية كانت عقيدتهم سلفية ولكن دفعهم إلىٰ ذلك مقاومة المد السلفي. وكان جميع الإخوة القائمين علىٰ الدعوة محضرون وتم إنشاء معهد تابع للدعوة بمسجد الفرقان بباكوس وكان مدير المعهد الشيخ فاروق الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتنوعت أنشطة الدعوة وصار للدعوة مجلة وهي (مجلة صوت الدعوة) وصدرت لسنوات متتابعة إلىٰ أن تم إيقافها مع بقية الأنشطة سنة 1994 كما كانت تصدر نشرات دورية لبيان موقف الدعوة من الأحداث العالمية؛ وكان قيم الدعوة علىٰ مدىٰ هذه الفترة الشيخ أبو إدريس وكان من أنشطة الدعوة كذلك دورات مكثفة لتوحيد فكر الدعاة وخطباء المساجد وكذلك المخيم السنوي الذي يحضره الحاملين للدعوة بالإسكندرية والمحافظات. وتم تشكيل مجلس تنفيذي لمتابعة أنشطة الدعوة ومجلس للمحافظات ومسئول مالي للإنفاق علىٰ أنشطة الدعوة؛ وكذا جمع الزكوات وتوزيعها علىٰ مستحقيها.

وفي سنة 1994 أو بعد بداية القضايا العسكرية لجماعة الإخوان تعرضت هيكلة الدعوة

وأنظمتها لضغوط فتم إيقاف المعهد وكذا مجلة صوت الدعوة وحل المجلس التنفيذي ومجلس المحافظات واللجنة الاجتماعية، واقتصرت الدعوة علىٰ الدروس والمحاضرات العامة والندوات الشهرية؟ ومع ذلك تم عمل قضية للإداريين بالدعوة وسجن فيها قيم الدعوة أبو إدريس والشيخ سعيد وغيرهم لمدة شهر بقسم اللبان ثم أفرج عنهم واستمرت الدعوة علىٰ الأنشطة المذكورة إلىٰ سنة 2000م تعرضت الدعوة لغربة قوية وذلك بدخول الشيخ ياسر برهامي والشيخ سعيد وغيرهم؛ ثم أخرجوا تباعًا بعد ظهور براءتهم وكانت المدة التي قضوها خلف الأسوار مابين خمسة أشهر إلىٰ أحد عشر شهر وكان آخرهم خروجًا الشيخ ياسر برهامي حفظه الله وما زادوا بهذا السجن إلا إيمانًا وتسليمًا.

وقبل أن أتكلم عن اعتقالي الأخير في سنة 2002 في شهر مايو أذكر قصة اعتقالي السابق سنة 1987 وكان ذلك في جمع عشوائي بعد محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق أبو باشا. وظروف هذا الاعتقال وأسبابه لا أعلم لها سببًا معينًا لأنني لم يتم استجوابي من الجهات القضائية أو الأمنية ومن حسن قضاء الله وتقديره أنني كنت قد نقلت أثاث بيتي من الظاهرية إلىٰ شارع مسجد الهداية ببولكلي وكان أهلي وأولادي في بيت أصهاري وكنت أبيت هذه الليلة في مسجد ابن تيمية أمام المنزل الذي انتقلت منه وكان ذلك في بداية رمضان وبعد أن تسحرت فوجئت بطرق شديد علىٰ باب المسجد وطلبوا تفتيش المنزل. فقلت إن الشقة ليس فيها شيء وكانوا يتعجبون كأنني أعرف ميعاد حضورهم ورتبت أموري علىٰ ذلك ولكنه تقدير العزيز الحميد اللطيف بعباده؛ المهم نقلت إلىٰ القسم ومكثت فيه ليلتين ثم التقيت بإخواني الشيخ ياسر برهامي وفاروق الرحماني –رَحِمَهُ اللهُ– في سيارة الترحيلات وكان معنا من حزب الله أفراد علىٰ رأسهم أحمد طارق رَحِمَهُ اللهُ؛ وكان ترحيلنا في يوم الجمعة بعد عصر الجمعة في رمضان، وفي الطريق حصل حادث مروع لسيارة النجدة التي تكون خلف سيارة الترحيلات مات فيها ستة وجرح اثنان كما ذُكر واستمرت بنا الرحلة إلىٰ سجن الاستقبال وكانت هذه المرة الأولىٰ التي اعتقل فيها

مع الإخوة حيث كنت في السجون العسكرية وحيدًا فريدًا ويعلم الله أنني وجدت من السعادة ما لم أجده وأنا خارج للحج والعمرة. ولما وصلنا سجن الاستقبال قال لنا مأمور سجن الترحيلات: هل رأيتم الحادث؟ فقال له أحمد طارق: ماذا حدث فأخبرنا، فقال له: معنا أولياء الله الصالحين.

المهم كنا في زنزانة واحدة مع الشيخ ياسر والشيخ فاروق الرحماني ومكثنا عدة أيام ثم حصل تمرد في السجن أحد إخوة الجهاد أخذ مفتاح الزنازين وفتح عدة زنازين وكنت أنا أمير الزنزانة فاستأذنوني في فتح باب الزنزانة، قلت: ليس هذا من منهج السلف ما كسر الإمام أحمد باب الزنزانة ولا ضرب الحرس؛ وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية بل كانوا يصبرون حتىٰ يجعل الله عز وجل لهم فرجًا ومخرجًا؛ المهم حصل اقتحام للسجن بعد تجهيز الإخوة وأطلقت قنابل مسيلة للدموع ثم تعرض أصحاب الزنازين التي فتحت لبلاء شديد نسأل الله العافية ونقل العنبر بأسره إلىٰ زنازين انفرادي كل أخين في زنزانة فوقفت بين أخي ياسر برهامي وفاروق الرحماني قلت: إن أفلت أحدهما فلن يفلت الآخر فقدر لي أن أسجن انفرادي مع أخي فاروق الرحماني رَحِمَهُ اللَّهُ فكان يصلي بي التراويح وكان حسن الصوت بالقرآن وكأنه خُلق للقرآن فرحمه الله رحمةً واسعة. وبعد عدة أيام انتقلنا إلىٰ زنازين أخرىٰ كبيرة لم تطل هذه الفترة فكانت ثمانية وثلاثين يومًا تقريبًا، وكانت هذه المرة الأولىٰ التي اعتقل فيها سياسيًّا.

والمرة الثانية منذ سنة ونصف تقريبًا مايو 2002م ولم تكن أيضًا هناك أسباب ظاهرة لاعتقالي، وإن كانت هناك قضية ولكنني أخلي سبيلي منها بعد شهر تقريبًا حيث اتهمت فيها بالتكفير وعدم العذر بالجهل، مع أنني صنفت كتابًا فيه إثبات العذر والرد علىٰ بدعة التكفير، ولم تطل إقامتي أيضًا هذه المرة بل كانت ستة أشهر وعدة أيام ولكنني انتقلت منها في سجون مختلفة أولها الاستقبال (استقبال طره) ثم الترحيلات بالإسكندرية أمضيت في كل منها شهرًا كاملًا، ثم سجن دمنهور ثم وادي النطرون فأتاحت لي هذه الانتقالات فرصة الدعوة إلىٰ عز وجل من ناحية كما سنه يوسف عليه وعلىٰ نبينا الصلاة

والسلام تم التعرف علىٰ عدد كبير من إخوة من جماعات مختلفة من الجماعة الإسلامية، والجهاد، والتكفير، وإخوة سلفيين من بلاد يصعب الوصول إليهم، وكذا القطبيين، وحزب الله، والحمد لله كان لنا أثرًا كبيرًا عليهم، وكان الجميع يعاملوننا بالحب والتقدير؛ وكانت هذه المدة أيضًا فرصة لمراجعة القرآن والصيام والقيام وتربية الأولاد من خلف الأسوار بالخطابات فأسأل الله تعالىٰ أن لايحرمنا أيضًا ثواب هذه الفترة وها أنا ذا أعود إلىٰ دعوتي وأوراقي وأقلامي وأولادي أسألالله أن يشغلنا بطاعته وأن يوفقنا إلىٰ أسباب رحمته وجنته.

أما عن طلبي للعلم وشيوخي فقد شافهت علماء العصر والتقيت بهم وسمعت من أفواههم وعلىٰ رأس هؤلاء مُجدد العصر ومُحدث الديار الشامية العلامة محمد ناصر الدين الألباني والعلامة ابن بازوالعلامة ابن عثيميين وعبد الرازق عفيفي رحمهم الله وكذا الشيخ أبو بكر الجزائري ومحمد الصباغ ولكن أكثر ما تعلمته كما تعلم الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من الكتب بالإضافة إلىٰ مُلازمة شيخنا محمد بن إسماعيل حفظه الله الذي أثر فينا كما أثر شيخ الإسلام ابن تيمية في معاصريه وصبغنا كما صبغهم بالصبغة السلفية وهذا من فضل الله علىناوعلىٰ الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فقد قال ابن أبي شوذب: إن من نعمة الله علىٰ الشاب إذا نسك أن يوفقه الله إلىٰ صاحب سنة يحمله عليها. وساعدني كثيرًا في طلب العلم أنني فتح لي في التصنيف والإفادة فكنت أجمع الكتب في علم من العلوم الشرعية من أجل أن أخرج منها بمصنف فيكون في ذلك فائدة من جهة تحصيل هذاالعلم وتوصيله للناس، وقد وفقت إلىٰ دراسة علوم مختلفة وصنفت في كل منها كتابًا أسأل الله تعالىٰ أن ينفعني والمسلمين بها، وأختم بذكر هذه المصنفات بحسب وقت تصنيفها والله الموفق:

1 - تذكرة الأبرار بالجنة والنار - رسالة لطيفة طبعت مرات عديدة.

2 - تزكية النفوس - وكان مطبوعًا باسم «دقائق الأخبار ورقائق الأسرار».

3 - البحر الرائق في الزهد والرقائق -وهو أشهر كتبي وترجم لأكثر من لغة أجنبية.

4- الثمرات الزكية في العقائد السلفية.

5- تحفة الواعظ في الخط والمواعظ – جزءان.

6- من أخلاق السلف.

7- العذر بالجهل والرد علىٰ بدعة التكفير.

8- تسلية المصاب بما جاء في البلوىٰ من النفع والثواب.

9- الفوائد البديعة في فضل الصحابة وذم الشيعة.

10- الحب في الله وحقوق الأخوة.

11- تعظيم قدر الصلاة.

12- وقفات تربوية مع السيرةالنبوية.

13- الإمام البخاري وصحيحه الجامع.

14- نظم الدرر في مصطلح علم الأثر.

15- الزهد والرقائق لابن المبارك -تحقيق وتعليق.

16- من أعلام السلف – 60 ترجمة في جزئين.

17- الفرج بعد الشدة.

18- تقريب الوصول إلىٰ معرفة الرسول ﷺ.

19- تيسير المنان في قصص القرآن – ثلاثة أجزاء.

20- التقوىٰ الغاية المنشودة والدرة المفقودة.

21- شجرةالإيمان.

22- التزكية بين أهل السنة والصوفية.

23- تذكير النفوس المؤمنة بأسباب حسن الخاتمة وسوء الخاتمة.

24- من أعلام الصحابة – تراجم العشرة المبشرين بالجنة.

25- مواقف إيمانية.

26- طريق السعادة.

27- الفتوىٰ آداب وأحكام.

حوار مجلة البيان مع الشيخ أحمد فريد

أجرىٰ الحوار: وائل عبد الغني[1]

1- في مستهل حوارنا نرحب بضيفنا الشيخ أحمد فريد، ونحب أن نتعرف علىٰ فضيلتك، وكيف طلبت العلم؟ وحبذا لو أشرت إلىٰ أهم مؤلفاتك.

الاسم: أحمد محمود فريد.

محل الميلاد: الدقهلية جمهورية مصر العربية.

حصلت علىٰ بكالوريس الطب والجراحة من جامعة الإسكندرية في مايو 1977م.

في الحقيقة إن المرحلة التي نشأنا فيها لم يكن فيها علماء مشهورون في بلدنا ممن يأوي إليهم طلبة العلم لينهلوا منهم، ولذلك كان تلقِّينا للعلم مدارسةً بيننا وبين الأقران، بالإضافة إلىٰ الاستماع إلىٰ دروس مشايخ الصحوة الذين لم نتمكن من التلقي عنهم وطلب العلم علىٰ أيديهم، إلا أن الله شرّفني بمجالسة بعضهم ومحادثته؛ مثل: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله، والشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله، والشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله، والشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله.

أما مؤلفاتي: فهي بحمد الله كثيرة، منها: البحر الرائق في الزهد والرقائق، وهو أحب كتبي إليّ، الثمرات الزكية في العقائد السلفية، خصائص أهل السنة والجماعة، وقفات تربوية مع السيرة النبوية، مواقف إيمانية، تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ، تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره السلف، غاية السقيا في تعبير الرؤيا.

2- باعتبارك قد عاصرت تجربة الصحوة الإسلامية خلال العقدين: الماضي والحالي. فكيف تقيّم هذه الفترة من حيث: الإيجابيات المتحقّقة، السلبيات، الدروس؟

شهدتُ الصحوة الإسلامية في بداية السبعينات، وكنتُ في بداية دراستي الجامعية.

---

(1) عدد (137) المحرم سنة 1420هـ.

ومنذ نعومة أظفاري وأنا أمتلك عاطفة إسلامية، وتطلعًا للبذل والعطاء لإعزاز دين الله عز وجل ورفع رايته، وقد جمعني الله عز وجل إلىٰ إخوة كرام بالجامعة وفقهم الله عز وجل لرفع راية الإسلام، والدعوة إلىٰ دين الملك العلام، وبدأتِ الدعوةُ بالإسكندرية، وكان المنهج الذي تتبناه هذه الدعوة: هو منهج أهل السنة والجماعة، وقد كنا بحمد الله القطفة الأولىٰ من هذه الصحوة المباركة. ومما ساعد كثيرًا علىٰ انتشار الدعوة، وتربية أفرادها: رحلات العمرة، والاهتمام بالنواحي التربوية، والاجتماع علىٰ الإفطار والقيام. وكان الإخوة القائمون علىٰ الدعوة يتعلمون ويعلمون إخوانهم، وكان ذلك قبل ظهور المسميات المختلفة، وكان الحب والوئام وسلامة المنهج والإخلاص من أعظم أسباب انتشار الدعوة، وظهور بركتها. ولم تكن الصحوة المباركة بالإسكندرية وحدها؛ ولكن الله عز وجل وفق إخوة كرامًا في القاهرة، وفي أكثر المحافظات يدعون إلىٰ الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ-: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته» وهذا النبت المبارك لا شك من ثمرات الشجرة الطيبة شجرة: لا إله إلا الله؛ فقد أخبر الله عز وجل أنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ فنسأل الله أن يتم علينا وعلىٰ سائر المسلمين نعمته، وألا نُحرم هذا الشرف العظيم: شرف الدعوة إلىٰ الدين القويم، والصراط المستقيم.

ولا شك أن الدعوة مرت بمراحل كثيرة. وكل مرحلة من المراحل لها من الظروف الإيجابية أو السلبية ما لها.

۞ فمن الظروف الإيجابية لهذه الفترة:

1- انتشار الدعوة، ومعرفة كثير من الناس معنىٰ السلفية ومنهج أهل السنة والجماعة، وانحسار كثير من الدعوات المخالفة لأهل السنة: كالدعوة إلىٰ التصوف أو التكفير.

2- انتشار تتبع الأدلة والارتفاع بالمستوىٰ العلمي عند كثير من المنتسبين إلىٰ الدعوة، وكذلك عند المتعاطفين الذين يشاركون إخوانهم في الندوات العامة وصلاة

العيد، أو يقرؤون في الكتب والمجلات التي تنشر فكر أهل السنة والجماعة، وتدعو إليه.

3- التقارب بين كثير من جماعات الدعوة في ساحة الصحوة الإسلامية، وغض الطرف عن كثير من الخلافات الفرعية التي شغلتهم حينًا من الدهر، وهو ما نطمح في زيادته واستمراره خاصة بين جماعات الدعوة التي تتبنىٰ عقيدة السلف ﷺ وتنتهج منهج السلف في فهم الكتاب والسنة.

وفي مقابل هذه الإيجابيات وُجِدت بعض السلبيات التي ينبغي علاجها والقضاء عليها، فمن ذلك:

1- تعصب بعض من أهل الصحوة للّافتات التي تُرفع، وإن كانت جميعًا تشير إلىٰ شيءٍ واحد وجماعة واحدة وهي جماعة الصحابة ﷺ ومَنْ علىٰ شاكلتهم، والتي إمامها رسول الله ﷺ.

2- روح الانعزالية والفردية التي تُميّز بعض الدعاة إلىٰ الله عز وجل، وكذلك الملتزمين بطاعته. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: 2] والدعوة مهمة كبرىٰ، وأكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون؛ بل الواجب علىٰ المسلمين التعاون عليها؛ حيث يكمل بعضهم بعضًا، وأن يتشاوروا من أجل الوصول إلىٰ أنجح السبل وأمثل الطرق للدعوة. ولا شك أن في الاجتماع من البركة والتوفيق وقلة الخطأ وكثرة الخير والصواب أكثر مما في الدعوة الفردية الانعزالية، ثم إن الاجتماع علىٰ الدعوة أقرب إلىٰ الإخلاص؛ فيكون العبد ممن دعا إلىٰ الله؛ وليس إلىٰ نفسه أو جماعته.

3- ضعف الهمم في الدعوة وقلة تحصيل العلوم الشرعية، والتراخي في أداء الطاعات والعبادات.

❁ أما الدروس المستفادة من هذه الفترة، فمنها:

أ- استشعار الدعاة إلىٰ الله عز وجل بأهمية الاجتماع علىٰ منهج أهل السنة وعقيدة السلف ﷺ وأن اختلاف جماعات الدعوة الإسلامية ينبغي أن يستفاد منه في تكميل

بعضهم بعضًا، وأن يكون بين الجميع من التناصح والتناصر ما يكون فيه عز الإسلام والمسلمين.

ب - حث الأفراد واستنهاض الهمم لمزيد من البذل والجهد والطاقة؛ لأن المسلمين إذا استفرغوا وسعهم في البذل أعانهم الله عز وجل وأمدهم بمدد من عنده.

3- ما هي رؤيتكم للاختلافات المتزايدة بين الاتجاهات الإسلامية علىٰ الساحة بوجه عام، وعلىٰ الساحة السلفية بوجه خاص؟

الاختلافات بين الاتجاهات الإسلامية بوجه عام، وعلىٰ الساحة السلفية بوجه خاص أمور نسبية إضافية تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة؛ ففي بعض البلاد:

ليس هناك فرق بين السلفيين وأنصار السنة وهذا هو الأصل، وفي بعضها: هناك مساجد خاصة بأنصار السنة، ومساجد خاصة بالسلفية، وفي بعضها الآخر:

السلفيون أنفسهم ينقسمون علىٰ أنفسهم، وتبرز عند ذلك الأسماء ويتعصب الأفراد لدعاة وعلماء بأسمائهم، وهذا بلاء مبين، ومخالفة لما كان عليه السلف الصالح ﷺ وهذا الخلاف ناشئ عن خلل تربوي عند كثير ممن يُنسبون إلىٰ منهج السلف ﷺ فيجب أن يتربىٰ الشباب علىٰ أن الولاء لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولجماعة المؤمنين التي أرشدنا النبي ﷺ إلىٰ الالتزام بها حينما أخبر عن افتراق الأمة؛ فقال: «وستفترق أمتي إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الجماعة»، ثم فُسِّرت الجماعة في الرواية الأخرىٰ بقوله ﷺ: «هم من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فالجماعة التي ينبغي أن ينضم إليها كل مسلم هي جماعة الصحابة ومن علىٰ شاكلتهم عبر القرون والأجيال؛ ولذا لما سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن الجماعة قال: أبو بكر وعمر. فقيل: قد مات أبو بكر وعمر! فقال: فلان وفلان، فقيل: قد مات فلان وفلان، فقال: أبو حمزة السكري جماعة. فعلىٰ الدعاة والمربين أن لا يربطوا الناس بأشخاصهم وأعيانهم؛ ولكن عليهم أن يجعلوا ولاءهم للجماعة الأم: جماعة الصحابة.

وكذلك فإن الواجب علىٰ الجميع ألا يتلمّس كل منهم عثرات الآخرين من أجل التشهير به وتنفير من عنده؛ فالمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتلمّس العثرات.

ولذا؛ فالواجب علىٰ الدعاة تعميق معاني الأدب مع العلماء، ومعرفة حرمتهم، وأنصح إخواننا الدعاة وكذلك المنتسبين إلىٰ الدعوة بقراءة كتاب فضيلة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل: «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام»؛ حتىٰ يعرفوا كيف كان العلماء يتعامل بعضهم مع بعض؟ وما الواجب علينا تجاه أهل العلم؟

ولو حدثت من العالم هفوة، فليس معنىٰ ذلك أن يُستباح عِرضه، وأن يُضرب بعلمه عُرض الحائط؛ نعم كل كلام عارَض الكتاب والسنة يُضرب به عرض الحائط؛ أما العالم فقد يكون معذورًا عند الله عز وجل لأنه ما قصد الخطأ، وهو مأجور علىٰ كل حال. أسأل الله أن يوفق الجميع إلىٰ طاعته.

4- كيف تقوّم أداء الحركة السلفية في مصر مُقارَنَةً بالحركات السلفية في البلاد الأخرىٰ من حيث التأثير؟

لا شك أن الإخوة القائمين علىٰ المجلة أعلم بمدىٰ تأثير الحركات السلفية في سائر البلاد؛ ولكن بحسب علمي لا يزال تأثير الدعوة السلفية في مصر محدودًا؛ فالوسائل التي تمتلكها الدعوة لا تصل إلىٰ أكثر الأماكن؛ فالدعوة تؤثر علىٰ المجتمع من خلال خطب الجمعة في المساجد التابعة للدعوة، وكذا الندوات العامة، والدروس الثابتة في مساجد الدعوة، وكذا من خلال الكتب والرسائل للمنتسبين إلىٰ الدعوة، ولا شك فإن نسبة المخاطَبين بكل هذه الوسائل قليلة بالنسبة إلىٰ عموم الناس. وعلىٰ كل حال قد تكون السلفية في البلاد الأخرىٰ أكثر تأثيرًا، وفي بعضها أقل تأثيرًا، والله الموفق الجميع لما يحب ويرضىٰ.

5- هل لدىٰ الحركة السلفية في مصر مشروعات أو تصورات للعمل الدعوي لعامة الأمة؟

هذا السؤال لا شك مكمل للسؤال السابق؛ لأن تأثير الدعوة السلفية في مصر يخص

قطاعًا صغيرًا أو فئة محدودة من فئات المجتمع، فإن لم تكن هناك مشروعات للعمل الدعوي لسائر الأمة، فلا أقل من وجود تصورات معينة قد يوفق الله عز وجل إلىٰ تنفيذها.

أما كيف تصل الدعوة إلىٰ قطاعات عريضة من الأمة؛ ففي تصوري أن هذا يحتاج إلىٰ جهود متضافرة، وتعاون من الجميع، ومساعدة من أجل الوصول إلىٰ أمثل الطرق. فمن الوسائل التي يمكن أن تصل بها الدعوة إلىٰ قطاعات أكثر من الأمة الدعوة بالأشرطة للدعاة المشهورين والمعروفين بالاتجاه الصحيح؛ وذلك بتوزيعها علىٰ سائقي التاكسي مثلًا، وكذا سيارات الأجرة بين المحافظات بشرط استعمالها، وكذلك الرسائل التي تنشر عقيدة السلف وفكر السلف ﷺ توزع في المناسبات، وكذلك بعمل المسابقات التي تركز علىٰ العقيدة والمفاهيم السلفية وتعريف عوام الناس معنىٰ الانتساب إلىٰ السلف أو أهل السنة والجماعة، والاهتمام بالمحاضرات العامة التي يشترك فيها أكثر من محاضر، وحبذا لو كانوا ممن يعملون تحت رايات وأسماء مختلفة، ما دام الفكر الذي ينتسبون إليه فكرًا صحيحًا.

فهذا مما يجعل انتماء الناس للمنهج والعقيدة، وتذوب بذلك العصبيات والثلوج التي تُجمّد كل داعية، وكل شخص ملتزم براية معينة يعمل تحتها ويتعصب لها؛ فلا تكون الدعوة إلىٰ الله ومنهجه؛ ولكن للانتماءات والمسميات والأفراد.

وكذا تكون الندوات في قضايا تعيشها الأمة، وتهم عموم الناس. وإن أمكن عمل دورات مكثفة لتوحيد الفكر في القضايا التي تهم الدعوة مثل: قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والغلو؛ حيث يلتقي فيها الدعاة أصحاب المنهج الصحيح وقد اتحد الفكر وتلاينت القلوب، وجُمعت الهمم، وتضافرت الجهود؛ فإن اتباع السلف يجمع الأمة، واتباع الهوىٰ والرأي يفرقها.

ولذا يقولون: (أهل السنة والجماعة)، و(أهل البدع والافتراق) فاتباع السنة يكون سببًا للاجتماع، واتباع البدع سببًا للافتراق. وطالما اجتمعت الأمة علىٰ الحق ولا يمكن

أن تجتمع علىٰ خلافه جاء نصر الله والفتح. والله الموفق للطاعات والهادي لأعلىٰ الدرجات.

6- ما هي أعظم صور البلاء التي نزلت بالأمة في وقتها الراهن؟ وما هي الأسباب؟ وما العلاج؟

لا شك أن أصل البلاء الذي نزل بالأمة هو إعراض الأفراد والحكومات عن الشرع المتين والتحاكم إلىٰ القوانين الأرضية والأنظمة البشرية، والذي نشأ عنه ألوان أخرىٰ من البلاء، من أعظمها في نظري: محاولة الحكومات العلمانية مقاومة تيار الصحوة الإسلامية بتيارات من الإباحية والفجور والتبرج والسفور؛ كي ينجرف أكثر الشباب المسلم في هذه التيارات؛ فلا ينفعهم نصح ولا تذكير. ويقترن هذا البلاء ببلاءٍ آخر هو سيل البث الفضائي الموجه عبر الأقمار الصناعية إلينا، والتي تبث الإلحاد والإباحية والتخلي عن الأديان والأخلاق والقيم. ومما يفتت الفؤاد أسًىٰ تسابق المسلمين إلىٰ اقتناء الوسائل التي يستقبلون من خلالها مثل هذا الغزو.

وبلاءٌ تابعٌ لذلك هو انفتاح الأمم بعضها علىٰ بعض فيما يُعرف بالعولمة؛ مما يفتح أنفاقًا من التبعية أكثر.

أما الأسباب فأعظمها:

جهل المسلمين بربهم ودينهم وواجبهم.

مكر الليل والنهار.

دور الإعلام الماجن الذي يفعل فعل السحر في النفوس.

الهزيمة النفسية والفكرية أمام الغرب، وعدم استغلال الأمة لطاقاتها.

أما العلاج: فبالتحذير من الفتن، والسعي لحفظ طاقات الأمة ومقدراتها من التبديد وتوجيهها نحو الأصلح والأنفع، وبإعادة الناس إلىٰ ربهم ودينهم وتذكيرهم بواجبهم في هذه الحياة وما يستقبلهم من أخطار في طريقهم الذي يسيرون عليه إن لم يعودوا إلىٰ ربهم.

7- ما الملامح التي ينبغي أن تميز العمل الدعوي الملتزم بالمنهج السلفي لكي يوجه للأمة؟

❁ **أما الملامح فهي:**

-إخلاص العمل الدعوي لله وحده.

-اتباع الحق في العقيدة والفكر؛ أي: الفهم الصحيح لمنهج السلف ﷺ.

-الشمولية؛ فلا تهتم الدعوة بقضايا علىٰ حساب قضايا أخرىٰ؛ بل ينبغي أن تهتم بكل أصول الإسلام بتوازن واعتدال، والتمييز بين الأهم والمهم، ولا تقدم قضية مثلًا علىٰ قضية التوحيد؛ لأن الرسل الكرام كان اهتمامهم الأول بالتوحيد؛ فكل دعوة لا تهتم بالتوحيد ولا تجعله منهجها هي دعوة علىٰ غير هدي المرسلين.

- الدعوة ينبغي أن يكون لها واجب تبليغي، وواجب تربوي؛ فالتبليغ لعموم الناس من خلال خطب الجمعة والندوات العامة. ومن وُجد فيه الإخلاص للدعوة، والاستعداد للبذل في سبيل نشرها يُهتم بتربيته وترقيته بمزيد من العلم والتوجيه والإعداد.

- الدعوة ينبغي أن تعيش عصرها؛ بأن تعلم الأخطار المحيطة بها، والأعداء الذين يتربصون بها.

- وجود قطاعات دعوية في المجالات والتخصصات المختلفة فلا تكفي العاطفة الصادقة والعقيدة الصحيحة.

- اهتمام الدعوة بأحوال الأفراد الإيمانية وربط أبنائها بالقرآن والقيام والصيام والأذكار الموظّفة وغير الموظفة.

- اهتمام الدعوة بالهدي الظاهر؛ فصلاح الباطن لا يغني عن صلاح الظاهر، وقد قال عمر ﷺ: من أظهر لنا خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرًّا ظننا به شرًّا وأبغضناه عليه.

- ومن ذلك: التزام الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة.

- ومنه أيضًا: التسلح بالعلم النافع حتىٰ تكون الدعوة علىٰ بصيرة.

8- معلوم أن المنهج الأقوم الذي ينبغي أن تتبناه جميع فصائل العمل الإسلامي هو منهج أهل السنة والجماعة، ومع تسليم أكثر التجمعات الإسلامية بهذا؛ إلا أننا لا نرىٰ لتلك الوحدة المنهجية أثرًا ملموسًا في الوحدة القلبية؛ فبِمَ تعلل ذلك؟

هذا الأمر يعتبر خللًا تربويًّا في الجماعات التي تنتسب إلىٰ منهج أهل السنة وتعتقد اعتقادهم؛ لأن الاجتماع مطلبٌ شرعي ولا سبيل للنصر والتمكين بدونه.

فكان علىٰ القائمين علىٰ هذه الدعوات أن يربطوا الناس بأصول أهل السنة والجماعة وبإمامها رسول الله ﷺ، وأن يكون الولاء لأصحاب النبي ﷺ ومَنْ علىٰ شاكلتهم، ويحبون من كان علىٰ مثل هذا المعتقد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: 137].

والله تعالىٰ قد جعل عقيدة الصحابة المقياس للعقيدة الصحيحة؛ فكان ينبغي علىٰ القائمين علىٰ أمر هذه الدعوات أن يعمقوا مثل هذه المعاني في نفوس الأفراد حتىٰ لا تكون الدعوة إلىٰ اللافتة، وتكون لله تعالىٰ ويكون التعصب للحق وحده.

9- نعود للصحوة وبعض قضايا الدعوة؛ فبعض الدعاة يشغل مدعويه الجدد بقضايا خلافية بين اتجاهات الصحوة، ويجعلونها من أولويات الدعوة، فكيف ترىٰ الأولويات؟

ينبغي أن نحدد المسائل المختلف فيها؛ فإن كانت من المسائل التي يسع فيها الخلاف والتي اختلف فيها العلماء فيسعنا ما وسعهم فيها. وإذا كنا في ذيل الزمان طلاب علم ما نستطيع أن نحسم الخلاف في مثل هذه المسائل؛ فلا أقل من ألَّا تكون سببًا لتفريق الأمة فضلًا عن تفريق أصحاب المنهج الواحد.

ورغم أن علماء الأمة قد اختلفوا في مثل هذه المسائل إلا أنهم حرصوا علىٰ الائتلاف والموالاة والمحبة فيما بينهم، هذا من جهةٍ منهجية. أما من الناحية التربوية: فإن المدعو عندما يُشغل بمثل هذه المسائل فإنه يُشغل بها عن قضايا هي أَوْلىٰ في حقه الانشغال بها، وقد يُحرم بذلك من معانٍ إيمانية؛ كمحبته لأهل الإيمان، كما يُحرم من الإلمام بقضايا قد تكون أخطر من هذه القضية التي جُعل ولاؤه وبراؤه عليها.

10- باعتبارك من المتخصصين في الدعوة الإيمانية والرقائق القلبية؛ هل ترىٰ أنه قد بُذل قدرٌ كافٍ من الجهد الدعوي في هذا المجال يفي بالحاجة إلىٰ إنشاء جيلٍ مربَّىٰ تربية إيمانية؟

الاهتمام بما تزكو به النفس، ويرق به القلب من أَوْلىٰ ما تنفق فيه نفائس الأنفاس، والقلوب لا تصل إلىٰ مُناها حتىٰ تصل إلىٰ مولاها، ولا تصل إلىٰ مولاها حتىٰ تكون صحيحة سليمة؛ فالنفس الزكية تسعد في الدنيا والآخرة وتستجيب لربها عز وجل، ولا ينجو في الآخرة إلا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم.

والعمل الإسلامي في أكثر البلاد يعاني من خللٍ تربوي نتيجة قلة اهتمام القائمين علىٰ العمل في أكثر المواطن بالنواحي التربوية، وربطً أبناء الدعوة بالقرآن والعبادة ودوام التذكير بالآخرة، خاصة مع كثرة الشواغل ومغريات الفتن التي تموج موج البحر. فالتركيز علىٰ الرقائق والتربية العملية علىٰ الطاعة والاستقامة من أنفع الأمور للدعاة والأفراد، ولا يكفي الملتزم وضوح الفكر وصحة المعتقد حتىٰ يضم إلىٰ ذلك الاهتمام بالعبادات وتهذيب النفس والارتباط بالقرآن؛حتىٰ يستطيع مقاومة الفتن؛ لأن الرقائق هي التي تقوي في النفس بذرة الاستجابة لله عز وجل وللرسول ﷺ، وتجعلها قريبة من الله تعالىٰ، وتعودها علىٰ المعاني الإيمانية من الحب والتوكل والخشية والإنابة وأمثالها.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

افترض الله علىٰ نبيه قيام الليل، فقام النبي ﷺ وقام الصحابة حولًا كاملًا – تعني سورة المزمل – فاحتجز الله خاتمة السورة اثني عشر شهرًا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف في آخر السورة.

وإن القرآن الذي تكاد ألَّا تخلو صفحة من صفحاته من ذكر الآخرة وأخبارها ليذكرنا أن التكرار قد جاء لفائدةٍ زائدة عن مجرد الإخبار الذي يحصل به الإيمان، هذا التكرار جاء ليغرس حقائق الإيمان في القلب؛ ليبني عليها الإنسان أقواله وأعماله، وبهذا تسهل عليه الطاعة والاستقامة وتتحقق له الخشية.

ولبعد كثير من الملتزمين عن هذه المراتب فإني أرىٰ أن الأمر يحتاج لجهدٍ تربوي أكبر، وترسيخٍ لهذه الحقائق أعمق. نسأل الله أن يتولانا وإخواننا المسلمين بطاعته، ويسبغ علينا وعليهم سوابغ نعمته.

11- تؤثر الموجة المادية العاتية التي تجتاح العالم كله بما فيه العالم الإسلامي تأثيرًا بالغًا في شتىٰ المناحي والقطاعات. ومن هذه القطاعات: قطاع الدعاة، هذا التأثير إن لم يكن فيهم ففي مجال دعوتهم؛ فكيف ترىٰ مواجهة هذه الموجة؟

وظيفة الدعاة كما سبق أن قلت هي تعبيد الناس لله وإخراجهم من عبادة الآلهة الباطلة وجعلهم عبادًا لله عز وجل، وهذه هي الوظيفة الرئيسة للدعاة، كما قال ربعي بن عامر ﷺ: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام. ولهم مع ذلك وظائف أخرىٰ؛ منها علاج أمراض الأمة.

ولا شك أن الموجة المادية العاتية التي تجتاح العالم قد أثرت في قطاعات كبيرة من الأمة.

والدعاة إلىٰ الله عز وجل والملتزمون بالشرع المتين من هذه القطاعات التي تأثرت بهذه الموجة العاتية علىٰ اختلاف درجات التأثر؛ فضعف عند الكثير منهم المعاني الإيمانية الراقية كمعاني بر الوالدين وصلة الأرحام والحب في الله، ومعاني الاحتساب وطلب الأجر والثواب من الله تعالىٰ، وصارت الحسابات عند البعض مادية بحتة! فالواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ إحياء المعاني الإيمانية، ودوام التذكير بفضائل الأعمال وقيمتها في الدنيا والآخرة، وتذكير الناس بأمور الآخرة وتحبيبها إليهم؛ لأنها هي التي تهوّن علىٰ الإنسان مصائب الدنيا، وتهوّن في نظره حسابات الدنيا. ولا شك في ذلك؛ فإن حب الأمر الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير.

12- يقلل بعض المشتغلين بالسياسة والحركة من شأن الرقائق والآداب، ويعتبرونها (دروشة) ! تهدر الطاقات وتدغدغ المشاعر في وقتٍ تحتاج فيه الأمة إلىٰ مزيد من

الطاقات لمواجهة الأخطار المحيطة. فما مدىٰ صحة ذلك؟ !

التقليل من أهمية الرقائق والآداب خروج عن الوسطية والاتزان؛ فاهتمام بعض الدعاة بقضايا الفكر أو المنهج أو بعض القضايا الفرعية، وإهمال قضايا أخرىٰ مثلها أو أهم منها لا يثمر الثمرات المرجوة، ولا تكون الصبغة التي يُصبغ بها الأفراد هي التي يحبها الله ورسوله. وأصحاب المنهج القويم يهدفون إلىٰ تربية الأفراد علىٰ شاكلة السلف ﵃، وقد قال الإمام مالك إمام دار الهجرة ﵀: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها) وقد صلح أمر أولها بالعقيدة الصحيحة والفهم السليم للكتاب والسنة، وصلح أمر أولها بقيام الليل وصيام النهار، وصلح أمر أولها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلح أمر أولها بالجهاد والبذل والتضحية. فلا ينبغي التقليل من شأن أيّ من هذه الأمور.

والرقائق والآداب لها دور مميز مقصود منها وهو ترقيق القلوب لسرعة تأثرها بالقرآن والسنة، وتحرير إرادة الإنسان بعد إطلاقها من أسر الشهوات ليستجيب لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ.

13- هناك ظاهرة مثيرة للقلق؛ وهي تدني مستوىٰ الالتزام في الأجيال الناشئة، وهم أبناء الملتزمين. فبماذا تعلل ذلك؟ وهل من نصيحة للآباء لعلاج تلك الظاهرة؟

لا شك أن مثل هذه الظاهرة مثيرٌ للقلق، ويحتاج إلىٰ عناية خاصة وعلاج قويّ، ولا نستطيع أن نُخلي الآباء من المسؤولية مطلقًا، كما لا نستطيع أن نحملهم إياها كاملةً.

والناس كما قال الأوزاعي: الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وأمهاتهم. وهنا يبرز دور الإعلام وما يصنعه من سلوكيات وعادات وتقاليد، وحضٍ علىٰ الانسلاخ من الشرع، كما يبرز دور برامج التعليم وما تقدمه من تقليل لشأن الالتزام.

ولا يقل عن ذلك تشاغل الآباء بالكسب والكدّ أحيانًا، وبالدعوة أحيانًا أخرىٰ، وعدم إعطائهم قدرًا من جهودهم لأبنائهم، وكذلك قلة الأجواء الإيمانية، والافتقار إلىٰ الشخصيات التربوية الناجحة التي تربي النشء علىٰ الأدب وحسن السمت والورع

والالتزام بأحكام الإسلام، وكذا قلة المدارس التي يتربىٰ فيها الأطفال تربية إسلامية.
فنصيحتنا للآباء والدعاة والمربين: الاهتمام بالنشء، وتوفير الأماكن التي يتعلمون فيها العقائد والآداب والأخلاق الإسلامية، بجانب الترفيه بالوسائل المباحة البعيدة عن أجواء الاختلاط المريب، وكذا اهتمام الآباء باصطحاب أبنائهم معهم في دروس العلم حتىٰ يتنفسوا هواء الإيمان، وكذا الاهتمام بربطهم بالمساجد ودور التحفيظ، وشغلهم بالطاعات والعبادات، وارتباط الأبناء بمجموعات إيمانية تعينهم علىٰ الخير وتؤنس غربتهم.

14- السيرة النبوية هي أعظم معين ننهل منه أسس التربية الإيمانية، وقد بذلتَ جهدًا ملموسًا في هذا من خلال كتابك «وقفات تربوية مع السيرة النبوية».

فهل لك من توجيهات أو اقتراحات بشأن الطرق التي يمكن من خلالها ربط النشء بهذه السيرة الجليلة وتربيتهم عليها؟

دراسة السيرة النبوية متعةٌ روحية، وكذلك هي من أنجع وسائل التربية لاكتساب الصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة؛ لأن الدارس للسيرة النبوية يصحب في دراستها رسوله الكريم ﷺ وأشرف جيل شهدته البشرية يصحبهم في السراء والضراء وحين البأس؛ يأنس بهم، ويفرح بانتصاراتهم، ويفخر بشجاعتهم وإقدامهم، ويتعلم منهم كيف يكون الصبر علىٰ دين الله عز وجل والثبات عليه، وكيف يكون البذل، وكيف تكون الأخوة، يتعلم القائد منهم كيف تكون القيادة، والجندي كيف تكون الجندية، والمربي كيف تكون التربية.

فينبغي الاهتمام بتبسيط السيرة وتدريسها للنشء بطريقةٍ جذابة، وإبراز ما فيها من معانٍ شريفة وأخلاقٍ عظيمة، وعقد المسابقات، وتكريم من يحفظ أحداثها، ويستنبط من مواقفها العظة والعبرة؛ حتىٰ يرتبط هذا الجيل الناشئ بالجيل الأول الفاضل، وحتىٰ يتخذ الأولادُ من أفاضل الصحابة القدوة الحسنة؛ فيعرفوا مناقبهم ومواقفهم، وحتىٰ تتخذ البنات من أمهات المؤمنين وفضليات الصحابيات أسوة، بدلًا من أن يحفظ

الأطفال أسماء الفنانين والفنانات والفاسقين والفاسقات. وهذا العمل يحتاج إلىٰ جهدٍ جهيد ودراسة من أساتذة متخصصين، والله الموفق للطاعات والهادي إلىٰ أعلىٰ الدرجات.

15- هل من نصائح توجهها إلىٰ المشتغلين بالدعوة عامة، وبالوعظ والرقائق خاصة؟

الدعوة إلىٰ الله عز وجل هي أشرف وظيفة؛ لأنها وظيفة الأنبياء والمرسلين الذين اختصهم الله عز وجل بهذا الفضل المبين، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، وقال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم» كما روىٰ ذلك البخاري ومسلم، وفيهم يقول سفيان بن عيينة: أشرف الناس منزلةً من كان بين الله وبين عباده. وهم الأنبياء والعلماء.

فنصيحتىٰ للمشتغلين بالدعوة أن يستشعروا فضل الله عز وجل عليهم باستعمالهم في الدعوة إلىٰ دينه وفتح قلوب العباد لرسالته، ومهما بذل أحدهم في الدعوة فلا ينبغي له أن يظن أن له فضلًا علىٰ الدعوة؛ بل الدعوة لها الفضل عليه في طلب العلم وتحصيل الثواب ومحبة العباد. قال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز:

جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال: بل جزىٰ الله الإسلام عني خيرًا.

فينبغي علىٰ الدعاة أن يبذلوا جهدهم ولا يبخلوا بأوقاتهم وأنفاسهم عن الدعوة، وأن يجهروا بالحق غير هائبين ولا وجلين؛ فإن جهاد الكلمة هو الجهاد الذي تُرفع رايته الآن، وهو أفضل الجهاد كما قال النبي ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وعلىٰ الدعاة أيضًا التسلح بالعلم حتىٰ تكون دعوتهم علىٰ بصيرة، وحتىٰ لا يبثوا الأباطيل والكذب علىٰ رسول الله ﷺ وهم لا يدرون.

وكذلك عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وعدم تعميق الخلافات مع من يخالفهم في الرأي خاصة إذا كان الخلاف سائغًا أو مما يسع فيه الخلاف أهل السنة.

أما نصيحتىٰ لمن يعلّمون الناس الرقائق فهي: الاهتمام بالأحاديث والآثار التي تُروىٰ

في هذا الباب؛ لأن أكثر كتب الرقائق مليئة بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة والحكايات الملفقة؛ فينبغي أن يُؤخذ الصحيح من ذلك دون غيره.

وكما أن الله تعالىٰ لم يجعل شفاء هذه الأمة في أبدانها فيما حرم عليها، فكذلك فإن شفاء القلوب لا يكون إلا بالصحيح من الأحاديث والآثار؛ لأننا نرىٰ كثيرًا من الناس يستغنون بالأبيات عن الآيات، ولو قرأت علىٰ أحدهم القرآن من أوله إلىٰ آخره لم يتحرك قلبه كما يتحرك للبيت من الشعر أو الحكاية المكذوبة.

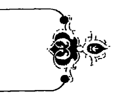
فعلىٰ الإنسان أن يلتمس صلاح قلبه وسلامته في القرآن والسنة الصحيحة وهي بحمد الله متوافرةٌ كثيرة إلىٰ جانب تراجم العلماء وأخبار الصالحين.

كما ينبغي علىٰ هؤلاء الواعظين إصلاح أنفسهم ليكون كلامهم أوقع وأنفع، كما قال بعضهم: من أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أحسن ما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس، ومن شغله أمر دينه كفاه الله أمر دنياه.





الشيخ ياسر برهامي



وُلد الشيخ في محافظة الإسكندرية في 25 صفر 1378 هـ الموافق 9/ 9/ 1958م.

حصل علىٰ بكالوريوس الطب والجراحة في عام 1982م كما حصل علىٰ ماجستير طب الأطفال عام 1992م من جامعة الإسكندرية.

حصل علىٰ ليسانس الشريعة الإسلامية عام 1999م من جامعة الأزهر.

بدء العمل الدعوي وطلب العلم في المرحلة الثانوية.

شارك الشيخ في العديد من المجالات الدعوية بداية من تأسيس معهد إعداد الدعاة للمدرسة السلفية بالإسكندرية والتدريس فيه، حيث قام بتدريس مادتي التوحيد وأصول الدعوة إلىٰ حين إيقافه سنة 1994م، وللشيخ مؤلفات عديدة مسموعة ومقروءة.

أول كتاب له هو كتاب: «فضل الغني الحميد» عام 1980م، درّس هذا الكتاب في أول ملتقىٰ بشباب الدعوة السلفية عام 1981م وبعده كتاب: «منة الرحمن» وكتاب: «لا إله إلا الله كلمة النجاة» وكتاب: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وكتاب: «تأملات في سورة يوسف» وكتاب: «قراءة نقدية لبعض ما ورد في كتاب ظاهرة الإرجاء والرد عليها» وكتاب: «فقه الخلاف».

وقام بالتعليق علىٰ العديد من الكتب مثل: «شرح كشف الشبهات» وكتاب: «أقوال وأفعال واعتقادات خاطئة».

أيضًا قام بالمشاركة في كتابة مقالات مجلة صوت الدعوة إلىٰ حين إيقافها سنة 1994م.

يقوم الشيخ بشرح كتاب: «صحيح مسلم بشرح النووي»، وكتاب: «فتح الباري»، و«تفسير ابن كثير»، وكتاب: «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب: «شفاء العليل»،

وكتاب: «أعلام الموقعين» لابن القيم، وكتاب: «العقيدة الوسطية».

كما أن للشيخ مجموعات علمية صوتية كاملة؛ مثل: قضايا الإيمان والكفر، وفقه الخلاف ومشروعية العمل الجماعي، والرد على كتاب الإرجاء، والعقيدة في الصحابة، وشرح مِنة الرحمن، وشرح فتح المجيد، وشرح معارج القبول، وغيرها الكثير.

يقول فيه تلميذه رضا صمدي:

«ما رأيته متجهمًا قط. فالبسمة لا تفارق شفته، وفي أحلك الظروف كنت أراه مستبشرًا هانئًا مُقبلًا على الله بالذكر. من جالسه عرف عمق علاقته بربه، فهو عميق الإيمان والثقة واليقين بربه، لا تهزه الخطوب. ولا تؤثر فيه المحن والفتن، وقد عصفت فتن زلزلت بكثير من الشيوخ والدعاة فكنا نراه دون غيره ثابت الخطا واثقها».

وهذا حوار مع الشيخ يتكلم فيه عن قصة حياته ونشأته العلمية (1)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم أما بعد.

صوت السلف: في أول حوار في موقعنا يسرنا ويسعدنا أن يكون ضيفنا فضيلة الشيخ الدكتور ياسر برهامي، والشيخ ياسر ضيفنا في هذا الحوار نهنئه بافتتاح موقعه، ونستطلع منه بعضًا من خلفيات شخصيته ودعوته ومنهجه الذي يتميز به، وتتميز به الدعوة السلفية في الإسكندرية.

بداية نرحب بك شيخنا الفاضل ونهنئك بالموقع، وندعو الله عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتك يوم القيامة.

- **الشيخ:** جزاكم الله خيرًا، الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

صوت السلف: في بداية اللقاء نود أن نتعرف على بياناتكم الشخصية.

الشيخ: الاسم/ ياسر حسين محمود برهامي حشيش.

تاريخ الميلاد/ 25من صفر سنة 1378هـ - الموافق 9 من سبتمبر 1958 م

الدراسة/ خريج كلية الطب سنة 1982 طب الإسكندرية، وحاصل على ماجستير طب الأطفال سنة 1992، وحاصل على ليسانس الشريعة الإسلامية سنة 1999.

صوت السلف: وبيانات الأسرة إذا سمحتم لنا.

الشيخ: والدي رحمه الله كان يعمل مهندسًا، ونشأت في أسرة ملتزمة، وبفضل الله - سبحانه وتعالى - كان جو الالتزام العام يؤثر فيها، وإن لم يكن تفاصيل الالتزام على ما نعلمه الآن

(1) المصدر http: //www.forsanelhaq.com

من معاني الالتزام التفصيلي في سائر نواحي الحياة، لكن التدين بصفة عامة والتوجه إلىٰ التزام الحلال واجتناب الحرام بعد المحافظة علىٰ الصلوات والعبادات الواجبة. والدي رَحِمَهُ اللهُ كان عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين في كفر الدوار، حيث محل عمله، وكذا سكنه لفترة من الزمن، وكان هو سبب في اقترابي من معاني الالتزام، وكذا كان عمي الدكتور برهامي حفظه الله هو أيضًا تربىٰ معنا، رباه والدي كواحد من أفراد الأسرة.

صوت السلف: نفهم من ذلك أن النشأة الأسرية كانت هي العامل الرئيسي في اتجاهك للالتزام.

الشيخ: نعم، بالإضافة إلىٰ تعرض والدي وعمي لمحنة الإخوان عام 1965 وقد بقي عمي محبوسًا فيها لمدة خمس سنوات مما كان له أكبر الأثر في ارتباطي به لشعوري بشدة الظلم الواقع عليه، وكنا نذهب لزيارته في طرة.. فكان هناك تعلق شديد وحب له، حيث لم يكن هناك سبب يقتضي أن يعتقل، وكان منهج الإخوان في ذلك الوقت ليس فيه هذا القدر الكبير من التمييع الحالي، بل أتذكر أن أول قراءتي في مكتبة البيت كان كتاب «رياض الصالحين» وكتاب «فقه السنة»، وهذه الكتب أول ما أثر فيَّ، وأتذكر أني قرأت كتاب «رياض الصالحين» وانتهيت من قراءته في الصف الثالث الإعدادي، وشرعت في قراءة الأجزاء الصغيرة من كتاب «فقه السنة» بعد خروج عمي من المعتقل سنة 1970، وبدأ يتغير الوضع، كان هناك توجه إلىٰ المزيد من المحافظة علىٰ القرآن، المحافظة علىٰ الصلاة في أوقاتها، تعلم بعض أحكام التجويد وبعض سنن الصلاة، حيث كانوا يدرسون في المعتقل «المغني» و«سبل السلام»، وأتذكر أن أول من دلني علىٰ كتاب «معارج القبول» عمي أيضًا، فلذلك كان المنهج فيه قرب كبير أو فيه روافد كثيرة من المنهج السلفي.

صوت السلف: نفهم من ذلك أن دخول عمك السجن كان مرحلة، بينما كان خروجه مرحلة أخرىٰ دفعتك للقراءة فماذا كانت المرحلة التالية؟

الشيخ: كانت المرحلة التالية في الالتزام بعد النشأة الأولىٰ في المرحلة الثانوية، حيث كنا

أنا والأخ أحمد حطيبة والأخ مصطفىٰ خليل نشترك معًا في الجماعة الدينية، كنا في فصل واحد، وكنا نلقي الدروس تحت إشراف مشرفها الأستاذ شاكر القطان حفظه الله؛ وهو أحد أفاضل الأساتذة وكان مشرف الجماعة الدينية، فكان هو يستمع، هو لم يكن يشارك ولكنه كان يستمع إلىٰ الدروس التي كنا نلقيها في الفُسْحة، وكان هذا سببًا في مزيد من القراءة ومزيدًا من المطالعة، والإمكانية الدعوية بدأت تتكون من خلال إلقاء هذه الدروس لمدة ربع ساعة يوميًّا.

صوت السلف: في نهاية المرحلة الثانوية وعلىٰ أعقاب الجامعة كيف كان حالكم؟

الشيخ: أنهينا المرحلة الثانوية وفي داخل كل منا صبغة إسلامية قوية بفضل الله، وفي أثنائها منَّ الله علينا بإطلاق اللحية التي سمعنا القول بوجوبها سماعًا مرسلًا بلا دليل، فبحثنا في كتاب «فقه السنة» الذي كان يمثل المرجعية الفقهية لنا في ذلك الوقت فوجدنا فيه إشارة في الحاشية أن الجمهور حملوا الأمر بإطلاق اللحية علىٰ الوجوب، ومن ثم قالوا بوجوب إطلاقها وحرمة حلقها، فعزمنا علىٰ الالتزام بذلك فمنَّ الله علينا بها والحمد لله رب العالمين.

صوت السلف: ماذا وعن الجامعة؟

الشيخ: عند دخولي الجامعة سنة 1976 التقيت بالإخوة في الجماعة الإسلامية التي كانت تمارس دورًا بارزًا في الدعوة إلىٰ الله.

صوت السلف: هل يحضرك أسماء الشخصيات التي التقيتها أو لا؟

الشيخ: كان أول من التقيته الشيخ أحمد فريد، حيث كان مقيمًا في سيدي بشر في ذلك الوقت، وكان في مسجد السلام، وكنت أصلي معهم التراويح من قبل أن أدخل الجامعة، وكان في سنة خامسة طب. وفي الجامعة تعرفت أيضًا علىٰ الشيخ محمد إسماعيل وكان أيضًا في خامسة طب، وتعرفت أيضًا علىٰ الشيخ سعيد عبد العظيم وكان في سنة خامسة وكذلك الدكتور إبراهيم الزعفراني.

صوت السلف: المعروف أن الدكتور إبراهيم الزعفراني أحد رموز جماعة الإخوان

المسلمين.

الشيخ: الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت كانت سلفية خالصة والدكتور الزعفراني وغيره كانوا علىٰ هذا المنهج إلىٰ أن حصل الانقسام المشهور في صفوف الجماعة الإسلامية.

صوت السلف: هل عايشت هذه الأحداث عن قرب؟

الشيخ: نعم فإن هذه الأحداث وقعت بعدما كنت أعمل مع الجماعة الإسلامية.

صوت السلف: إذن فلنتحدث أولًا عن كيفية عملك في الجماعة الإسلامية.

الشيخ: ذكرت لك أننا تعرفنا علىٰ إخوة الجماعة الإسلامية في كلية الطب وفي أول الأمر كلفوا الدكتور أحمد حطيبة بالمسئولية عن كلية طب الأسنان بينما كنت أنا مسئول عن نصف دفعتي، وما زلت أذكر أول كلمة ألقيتها في مدرج الكلية، وكانت قراءة في سورة الرحمن، ثم كلمة عن شروط لا إله إلا الله فبقيت عالقة في ذهني لا سيما أن ذات الموضوع كان موضوع أول خطبة ألقيها في مسجد التقوىٰ، وهكذا تعرفنا بعد ذلك علىٰ بقية إخوة الجماعة الإسلامية خارج كلية الطب كالشيخ أبي إدريس.

صوت السلف: عودة إلىٰ موضوع انقسام الجماعة الإسلامية.

الشيخ: أُخرج الأخوان من السجون والجماعة الإسلامية موجودة علىٰ أرض الواقع بمنهجها السلفي النقي، وفي بداية الأمر لم يحاول الإخوان إظهار كبير فرق، وكانوا مثلًا يحافظون علىٰ الهدي الظاهر، ولم يتعرضوا للكتب السلفية التي ندرسها وظل الأمر علىٰ ما هو عليه من دعوة الجماعة الإسلامية المتميزة بمنهج سلفي واضح جدًّا مع الاستفادة بالطاقة الحركية الموجودة عند الإخوان، وكذلك طاقة الشباب العالية. وتمت معسكرات صيفية سنة 77، 78، 79 كلها كانت ذات منهج سلفي، كان يوزع فيها كتاب الأصول العلمية للدعوة السلفية، وكان يدرس فيها كتاب تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، كلها كانت صبغة سلفية في جميع الأشياء، بدأ النزاع يظهر بعدما قويت شوكة الإخوان ومحاولة فرض منهجهم علىٰ الجماعة الإسلامية، فبعض الشباب اختار

المحافظة علىٰ المنهج ولو علىٰ حساب الجماعة، والبعض الآخر أختار المحافظة علىٰ الجماعة ولو علىٰ حساب المنهج.

صوت السلف: ومتىٰ حدث التمايز الواضح وكيف؟

الشيخ: حصل ذلك في أوائل سنة 1400هـ، وكنت آنذاك في رحلة عمرة في شهر رمضان وبقيت هناك إلىٰ الحج فعدت لأجد الإخوة الذين آثروا الحفاظ علىٰ المنهج السلفي قد انسحبوا من الجماعة الإسلامية.

صوت السلف: ألا يمكن أن تحدثنا عن هذه الرحلة قبل الاستطراد في تفاصيل الانسحاب من الجماعة الإسلامية؟

الشيخ: هذه الرحلة كانت ذات أثر كبير جدًّا علي، وكانت في صيف السنة الثانية في كلية الطب سنة 79 الموافق رمضان من سنة 1399 إلىٰ حيث سافرت إلىٰ العمرة في رمضان وبقيت إلىٰ الحج. خلال هذه الرحلة لزمت دروس الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانت القضايا التي كانت تمثل نقاط اختلاف في الدعوة أو في العمل كلها كنت أسأله عنها بطريقة مباشرة، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ، ومن خلال كثرة الحضور جعل الله الشيخ سببًا في تسهيل الحج في مخيمات هيئة التوعية الإسلامية، وقدر الله سبحانه وتعالىٰ من فضله أن يكون الشيخ المسئول عن الخيمة هو الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالىٰ، فلازمنا فترة الحج كلها.

صوت السلف: يعني حضرتك بقيت فترة الحج بصحبة الشيخ محمد بن عثيمين.

الشيخ: نعم بقيت مع الشيخ ابن عثيمين فترة الحج كلها، وطبعًا في ذلك الوقت لم يكن قد اشتهر الشهرة العالية جدًّا مثل الشيخ ابن باز رحمهما الله تعالىٰ، ولكن أعجبت به وبأسلوبه العلمي الدقيق، وفتاواه المنضبطة جدًّا.

صوت السلف: أظن أن هذه الفترة لابد وأن تظل محفورة في ذهنك.

الشيخ: نعم بلا شك، للقائي فيها بالعالمين الشامخين ابن باز والعثيمين، كما أنه قد حدثت فيها أحداث الحرم وهذه الأحداث التي وقع فيها عدد كبير من المنتسبين إلىٰ

العلم والدعوة عصمنا الله تعالىٰ بفضله من الوقوع فيها. وكان الشيخ محمد إسماعيل قد حضر إلىٰ الحج ونصح الإخوة آنذاك بالبعد عن الفتن وهو ما اتفق عليه جميع الإخوة الموجودون هناك آنذاك.

صوت السلف: عودة إلىٰ موضوع الانسحاب من الجماعة الإسلامية.

الشيخ: بعد العودة وجدت تغيرًا كبيرًا حصل في منهج الجماعة وكان الإخوة في السنة الثالثة في كلية الطب مرتبطين بي ارتباطًا قويًّا جدًّا، فظلوا معي، ومعظم الشباب استمروا علىٰ المنهج السلفي في ذلك الصيف، ولما حضرت إلىٰ معسكر الجماعة الإسلامية كالمعتاد وجدت تغيرًا كما يقولون مائة وثمانين درجة إلىٰ منهج الإخوان، فلم أستطع أن أكمل المعسكر وانسحبت، وانسحب معي مجموعة كبيرة من الإخوة، وهنا ظهر أن هناك عمل إخواني صرف، وهو ما يسمىٰ بالجماعة الإسلامية، أما الدعوة السلفية فهي عبارة عن مسجدين أو ثلاثة فقط، كان منهم مسجد التقوىٰ ومسجد السلام ومسجد عباد الرحمن في بولكلي ومسجد نور الإسلام.

صوت السلف: هل كان هناك مساجد أخرىٰ في ذلك الوقت؟

الشيخ: لا، كان مسجد نور الإسلام في البداية كان مسجد أحمد بن حنبل الذي كان الشيخ أحمد حطيبة مسئولًا عنه، وبعد ذلك أصبح مسجد نور الإسلام لما انتقل إليه الشيخ، لكن لم يكن هناك ما يربط الإخوة ببعضهم في ذلك الوقت إلا المنهج.

صوت السلف: وهل ظل العمل الدعوي السلفي قاصرًا علىٰ المسجد فترة طويلة أعني متىٰ عاد العمل السلفي إلىٰ الجامعة؟

الشيخ: في سنة رابعة كان الأخ عماد عبد الغفور اقترح أن نعمل عملًا سلفيًّا في الجامعة، فوافقت واتفقت أن نكون مشتركين معًا في هذا العمل، فبدأ العمل فبدأ الصدام مع الإخوان الذين كانوا يعملون باسم الجماعة الإسلامية.

صوت السلف: ومتىٰ كان ذلك؟

الشيخ: هذا كان في سنة 1980، وهي التي حدثت أحداث كلية الطب فيها، هذه

الأحداث كنا نوزع أوراقًا ونعمل محاضرات في ساحة الكلية ونسميها ندوة، ونتكلم فيها عن قضية التوحيد وقضايا الإيمان باليوم الآخر ويتكلم فيها الإخوة، فخطط الإخوان لمنع هذا اللقاء، ومنع خروج الناس والمشاركة، وحصل صدام بين بعض الإخوة وبعضهم، وساعتها حدث نوع من التخبط في المواقف، لأنهم كانوا مرتبين أمورهم جيدًا ونحن فاجأنا مثل هذا الموقف، بعض الإخوة طالب بالانسحاب، وبعضهم طالب بالرد بعنف، وظهر ارتباك شديد جدًّا في صفوفنا أمام الناس، وساعتها التقىٰ الإخوة مع بعضهم البعض واتفقوا أنه لا بد أن يتم العمل بطريقة مرتبة بينهم، ما يشبه باتحاد الدعاة بين الإخوة الذين يعرفون الآن بشيوخ الدعوة السلفية أو رموزها، وتم الاتفاق علىٰ أن الشيخ أبو إدريس هو قيِّم المدرسة السلفية، وتواجد العمل في المساجد بالإضافة إلىٰ العمل في الجامعة، وحدثت احتكاكات أقل بعد ذلك لكن بقيت مستمرة.

صوت السلف: ومتىٰ توقفت هذه الاحتكاكات أو اضمحلت؟

الشيخ: لقد تلاحقت الأحداث فدخل عدد من الإخوة السجن ضمن أحداث سبتمبر 1980 التي دخل فيها رموز من مختلف الحركات الإسلامية، منهم الشيخ أحمد حطيبة من السلفيين، كما اعتقل الشيخ محمد إسماعيل بعد ذلك، وكما اعتقل الشيخ أحمد فريد بسبب رفض حلق اللحية في الجيش، ولم يبق في الخارج إلا الشيخ سعيد عبد العظيم والشيخ أبو إدريس وأنا، فتعاونًا في أمر الدعوة بفضل الله عز وجل إلىٰ أن خرج الإخوة المحبوسين.

صوت السلف: ومتىٰ أستأنفت النشاط الدعوي مرة أخرىٰ؟

الشيخ: ظلت الدعوة السلفية، وكذلك الإخوان متأثرين بهذه الأحداث حتىٰ منَّ الله علينا في عام 84 وبدأنا العمل حتىٰ قبل الإخوان واستأنفنا النشاط في الجامعة، وكونَّا أربع أسر في كليات الزراعة والتربية والهندسة والطب، وكتبنا عددًا من الرسائل تم توزيعها من خلال هذه الأسر جمعتها فيما بعد في كتاب «معًا علىٰ طريق الجنة».

صوت السلف: إذن يمكن القول بأن أصول كتاب «معًا علىٰ طريق الجنة» تمثل أول

مؤلفاتك؟

الشيخ: لا، بل سبقها كتاب: «فضل الغني الحميد» الذي أعددته في أول الأمر كمذكرة تشمل اختصارًا لكتاب التوحيد لتدريسه للإخوة، وكان هذا في عام 80 قبل الأحداث التي أشرت إليها.

صوت السلف: قبل أن ننتقل إلىٰ محطات أبعد في المشوار الدعوي، نريد أن نعود إلىٰ نقطة شخصية أخرىٰ، وهي إنك ذكرت لُقياك بالشيخين ابن باز وابن عثيمين، فهل لقيت غيرهما؟

الشيخ: نعم التقيت بالشيخ ابن قاعود والشيخ أبي بكر الجزائري كليهما في زيارته للدعوة هنا في الإسكندرية وكذلك التقيت بالشيخ عبد الرزاق عفيفي في رحلة حج طال مقامي فيها هناك لظروف مقتل السادات.

❁ أخي الكريم تابع معنا في الحلقة الثانية من الحوار حوار مع فضيلة الشيخ ياسر برهامي (الجزء الثاني):

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ وبعد:

يسر موقع صوت السلف أن ينشر الجزء الثاني من الحوار الذي أجريناه مع الشيخ ياسر برهامي (المشرف علىٰ الموقع)، ونحب أن نشير إلىٰ أن الحوار تم مرة واحدة وجزّأناه في النشر علىٰ حلقتين، وثمة حلقة أخرىٰ من الحوار لم تتم بعد يمكن لمن أراد أن يرسل الأسئلة التي يقترح علينا أن نسألها للشيخ وإن شاء الله يجد إجابة عليها في الحلقة الثالثة من الحوار.

صوت السلف: ذكرت لنا أن ممن التقيت بهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ ابن قاعود، فلتكن البداية بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كيف ومتىٰ كان اللقاء معه؟

الشيخ: كنت في رحلة حج عام 1981 وبقيت شهرًا بعد الحج حتىٰ هدأت الأوضاع بعد مقتل السادات، وكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي أهم من التقيت به، فكان كثير من القضايا

الحساسة جدًّا التي طرحت في المجال الدعوي بعد ذلك كانت مستفادة من مجالسة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، والطرح مفيد جدًّا رغم قصر المدة، والشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقدر الشيخ عبد الرزاق عفيفي تقديرًا بالغًا جدًّا، وكان رغم أنه كان نائب الرئيس في اللجنة الدائمة إلا أنه كان لا يجلس إلا إذا جلس الشيخ، يعني كأنه يعتبره شيخه.

فكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي له فهم دقيق جدًّا بمسائل الواقع.

صوت السلف: خاصة وأن الشيخ شهد الواقع المصري.

الشيخ: نعم، ولهذا كانت مسألة غاية في الفائدة حقيقة، يعني مثلًا في الكلام علىٰ قضايا الحكم بما أنزل الله كان كلامه فيها هو الذي سجلناه في الكتب، مع التفريق طبعًا بين النوع والعين، وهذا أمر معلوم، لكن الشيخ عبد الرزاق عفيفي كان كلامه في منتهي الوضوح، هو كان رئيس لجماعة أنصار السنة، ولذلك أنا أجزم بأن المخالفين لنا في هذه المسألة ممن ينتسب لأنصار السنة مخالفون للشيخ حامد الفقي مؤسس الجماعة ولأعلم شيوخها بعد ذلك الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

صوت السلف: هل نستطيع أن نقول أن الدعوة السلفية لها تاريخ تستمده من وراثتها لمنهج جماعة أنصار السنة المحمدية الأصيل؟

الشيخ: هي تأثرت بلا شك، لأن جماعة أنصار السنة كانت علىٰ منهج أهل السنة والجماعة وتميزت بنشره علىٰ يد الأستاذ حامد الفقي، وعلىٰ يد الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، كل هؤلاء لهم تأثير ضخم، وكان كذلك الشيخ محمد علي عبد الرحيم، وإن كانت منزلة المشايخ المتقدمين في العلم أعلىٰ، لكن كان لنا معه بعض المجالسات ولكن ليست بالطويلة، فبالتأكيد تأثرت الدعوة، لكن استفادت من خلال تجربة العمل في الجماعة الإسلامية بنوع من التواجد وسط الشباب، لكن مع الحذر من الأخطاء الحركية والمنهجية التي وقعت فيها جماعة الإخوان.

صوت السلف: لماذا لم تعملوا ضمن جماعة أنصار السنة؟

الشيخ: الحقيقة أن هذه المسألة كانت تتوقف علىٰ شخصيات القائمين علىٰ الجماعة في

الأماكن المختلفة، ففي الإسكندرية كان هناك طائفة لا تستوعب الشباب ولا طاقاتهم بل تكاد تحصر نفسها في قضايا بعينها تتشدد جدًّا فيها وتهمل غيرها رغم أن الحق غالبًا ما يكون في خلافها، مثل قضية الاقتصار علىٰ الصحيحين في الاستدلال ومثل قضية إخراج القيمة في زكاة الفطر، ومثل قضية إنكار المهدي، ولقد كان الوضع في الإسكندرية لا يحتمل أي تطوير للعمل من خلال الوضع القائم في حين كان التعاون التام في وجود الشيخ صفوت نور الدين رَحِمَهُ اللَّهُ وقبل أن يتولىٰ رئاسة الجماعة، وأتذكر أن الشيخ كان يحضر لقاءات الإخوة في المحافظات المختلفة بتواضعه وعلمه وسعة أفقه وحسن خلقه رحمه الله تعالىٰ، وفي كثير من البلاد عمل الإخوة ضمن هذه الجماعة حتىٰ حالت ظروف كثيرة خارجة عنا عن ذلك.

صوت السلف: وماذا عن لقائكم بالشيخ أبي بكر الجزائري حفظه الله؟

الشيخ: لقد زار الشيخ الدعوة هنا في الإسكندرية في عام 1986، وكان لهذه الزيارة أثر كبير جدًّا في تدعيم موقف الدعوة وخصوصًا أمام الإخوان، لأنه زار كل مساجد الدعوة تقريبًا، وألقىٰ محاضرات قوية جدًّا في المنهج السلفي.

صوت السلف: ذكرت أن الدعوة استفادت من موقف الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مسألة الحاكمية، فهل تمت مناقشات منهجية مع الشيخ الجزائري بخلاف المحاضرات العامة؟

الشيخ: نعم لا شك، وكان من ذلك أن سئل الشيخ في مسجد نور الإسلام عن حديث النبي ﷺ: «من مات وليس في رقبته بيعة مات ميتة جاهلية»، فأجاب الشيخ فقال: «أنا سُئلت هذا السؤال في المغرب فقلت لهم: أنتم في أعناقكم بيعة للملك الحسن الثاني، ومعلوم موقف الحسن الثاني، يعني علمانية واضحة، والعلاقات كانت مع إسرائيل في ذلك الوقت - يعني قبل أن يزور السادات القدس أو بعدها يعني سنة 1986 - كان خلاص تم الصلح مع إسرائيل، لكن الحسن الثاني كان في عز المعركة في ذلك الوقت»، الغرض المقصود بأن هذه الإجابة أثارتني وأثارت كل الإخوة، فعاتبت الشيخ فيها وقلت له: يا شيخ يعني الآن هذه الفتوىٰ كيف تتم؟ فقال: «هذا سؤال حرام أن يسأل؟ هل تريد

أن أقول أن يخرجوا ويقاتلوا ويترتب علىٰ ذلك الفتن، أنا احتاط لكم كما أحتاط لنفسي، أنا كنت أقصد أن الناس مطيعون رغمًا عنهم للحسن الثاني، وكل من في بلدهم مُطيعون رغمًا عنهم مقهورون في ذلك»، فقلت له: «الناس تسأل عن الحديث في الناحية الشرعية وليس عن الواقع القهري، الناس يمكن أن يقال لهم أنهم إذا عجزوا عن شيء سقط الواجب، الجواب الذي ينبغي أن يجاب به أنهم إذا عجزوا عن المعنىٰ الشرعي فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وهذه هي الحقيقة، لماذا؟ يعني ما موقفنا من الأمر؟ هذه البيعة بيعة لأمير المؤمنين، هذا خليفة، هذا الذي ينطبق علىٰ الحديث: «من مات وليس في رقبته بيعة مات ميتة جاهلية»، فهذه بيعة، فهذا الخليفة غير موجود، لا يوجد خليفة للمسلمين الآن، فماذا نجيب ربنا عن هذا المعنىٰ؟ هل نموت ميتة جاهلية؟ نقول: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، نحن ندين لله عز وجل بأنه عندما يوجد خليفة سوف نبايعه، والخليفة لا بد أن يكون ممكنًا، ذا سلطان، وليس أنه شخص عادي يمكن أن يوضع في السجن بين لحظة وأخرىٰ، وبالتالي فتركنا لهذا الأمر من باب العجز، وعدم الوجود، وهذه حجتنا عند الله، فاعتذرت له عن سوء الأدب في الاعتراض علىٰ الفتوىٰ فقلت له: سامحني، فقال ما معناه أنه ازداد لي حُبًّا، وتقبل الأمر بصدر رحب جدًّا حفظه الله تعالىٰ.

صوت السلف: هل يمكن أن تصوغ لنا هذه المناقشة في عبارة مختصرة؟

الشيخ: نحن نرىٰ أن الطاعة التي تجب علىٰ المسلم في المنشط والمكره وفي السر والعلن هي طاعة الخليفة الذي يتولىٰ باسم الدين لإقامة الدنيا بالدين، وإن لم يكن مستجمعًا لشروط الخلافة، وأما من عدا ذلك فالطاعة تكون حيث كانت مصلحة المسلمين، وقد لا يوجد فرق عملي في بعض الأحيان كالحالة التي أجاب عنها الشيخ، ولكن التفريق النظري مهم جدًّا حتىٰ إذا ما وُجد واقعٌ مُغاير حُكِم عليه بما يُناسبه، كحال الفلسطينيين مع اليهود مثلًا، وكحال الجهاد الأفغاني مع الروس في أول الأمر، فنحن في الواقع نلتزم بما فيه مصالح المسلمين مما تطلبه الحكومات المعاصرة، وحتىٰ ما نمنع منه من أمور الدعوة فنُمنع منه لمَّا كان الضرر علىٰ الدعوة أعظم من المصلحة المرجوة، وإثم المنع

علىٰ من منعنا، ونحن لا نرىٰ أن الصدام والمواجهة المحسوسة يأتىٰ بالخير علىٰ الدعوة بل بالعكس، ولكن لا يعني المداهنة أو قبول الباطل، أو الإقرار بالمنكر، أو المشاركة فيه.

صوت السلف: بمناسبة ذكر البيعة ما رأيك في البيعة التي تأخذها بعض الجماعات لقادتها، وما موقف الدعوة من البيعة؟

الشيخ: أقول بلا مُداراة، ولا مُداهنة، ولا كذب لمصلحة الدعوة، ولا تعريضًا كما يحاول البعض أن يتهمنا، وللعلم نحن لا نرىٰ الكذب لمصلحة الدعوة، بل الكذب يضر الدعوة، وإنما يجوز الكذب فيما أجازه الرسول ﷺ: «في الحرب، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، والإصلاح بين الناس». أقول: ليس عندنا بيعة، وإنما نرىٰ تحقيق التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، أن هذا لازم لنا من غير بيعة، أمر البيعة هذا أمر حصل فيه نوع من الخلل في الفهم، لأن البيعة التي رآها بعض العلماء جائزة علىٰ الطاعات أو مشروعة، ظنها الناس أنها بالمعنىٰ السياسي، وتحولت علىٰ يد الإخوان من بيعة تشبه البيعة الصوفية إلىٰ البيعة السياسية، وأصبح المرشد بمنزلة الإمام والحاكم علىٰ أفراد الجماعة.

صوت السلف: وهل هذا يعد خروجًا علىٰ مفهوم البيعة الشرعي؟

الشيخ: هناك معنًىٰ للبيعة بالمفهوم السياسي، وهذا يكون للإمام المُمكَّن، وهذا غير حاصل، فهم صبغوها بهذه الطريقة، وهناك بيعة علىٰ الطاعات، يعني مثلًا: أنا أبايعك علىٰ إقامة الصلاة، فالرسول ﷺ كان يبايع الناس علىٰ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، وهذه ليست بالمعنىٰ السياسي للبيعة، وهذا أمر مشروع إذ هو نوع من العهد، بأن أقول لك مثلًا: عاهدني بأن تحافظ علىٰ صلاة الجماعة، عاهدني علىٰ أن تحقق التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، عاهدني بأن تحافظ علىٰ طلب العلم، يعني مثلًا: كنا نكتب في المعهد أنا فلان أتعهد بأن أحافظ علىٰ دروس المعهد كاملة، وأن أشارك في العمل الدعوي بعد تخرجي من المعهد، هذا هو. هذا تعهد بالعمل علىٰ الطاعة ليس بالمفهوم السياسي، فحدث خلط بالفعل لدىٰ الإخوان ثم الجماعات الأخرىٰ. وبداية البيعة عند

الإخوان كانت من تأثرهم بالمنهج الصوفي عند الأستاذ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ، لأنه كان في الطريقة الحصافية، فهذا فهم أنه يكون بالمعنىٰ السياسي، واستمرت عند كل الجماعات التي تأخذ بيعة مثل الجماعة الإسلامية والجهاد.

ونحن من أجل المفاسد الحاصلة في موضوع البيعة ولسوء فهمها، ولأجل الخلط الذي يحدث ما بين المعاهدة علىٰ الطاعات الذي لا يوجب شيئًا لم يكن واجبًا، في الحقيقة لو أوجبتها علىٰ نفسي بالعهد يتحلل منه بكفارة يمين، يعني لو قال واحد أعاهد الله علىٰ أن أصلي السنة مثلًا، فهذا تصبح السنة واجبة عليه لأجل نذره، وإذا لم يف عليه كفارة، يعني يكفر عن يمينه، لكن قضية التعاون علىٰ البر والتقوىٰ لازمة سواء تابع الناس أو لم يتبايعوا.

صوت السلف: كثيرًا ما رفع الإخوة الدعاة والمشايخ شعار (السلمية والعلنية) فما فقه هذا الشعار؟

الشيخ: هذا الشعار ذكره الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تقييمه لما ينبغي عليه العمل الدعوي لدفع المضار عن العمل الإسلامي، وهذا نقول به لأن الأصل في الدعوة العلن والبيان ونحن في واقعنا لا نحتاج إلىٰ سرية، وقد تمكنا من الدعوة العلنية بحمد الله، ثم هي سرية وهمية أضر من العلنية كذلك معنىٰ السلمية لأنه بها يحصل أنواع من الخير ودفع الشر لأهل الإسلام ولا يعني ذلك أن كل أحوال المسلمين في كل مكان وزمان كذلك، فنحن لا نبطل الجهاد بالقوة والسنان وموقفنا واضح من الجهاد في بلاد المسلمين التي نزلها الأعداء كأفغانستان والبوسنة وفلسطين والشيشان والعراق، ورغم الدخن الذي يوجد إلا أن الجهاد من أعظم الطاعات وأفضل القربات، وهو بين الوجوب العيني علىٰ أهل البلد والوجوب الكفائي علىٰ غيرهم، كذلك في معنىٰ السرية فالمسلمون في روسيا والاتحاد السوفيتي سابقًا هل كانوا يستطيعون إظهار المصحف أو الصلاة جماعة، فضلًا عن تعلم العلم والدعوة إلىٰ الله؟ فما كان يلزمهم؟ هل نقول السرية محرمة عليهم، وإذا لم تقدروا علىٰ العلن لا تقرؤوا القرآن في السر ولا تدعوا ولا تَعلَّموا؟ نعوذ بالله من ذلك، بل يجب

عليهم ما يقدرون عليه من ذلك قدر إمكانهم وبالذي يدفع الضرر عنهم في دينهم قبل دنياهم، والبعض يجادل أن يجعل كل طاعة لا بد فيها من إعلان واستئذان، وهذا ليس من كلام أهل العلم، وأنصح بمراجعة كتاب «فقه الأمر بالمعروف» في هذا المقام، ولكن نقول: لسنا بحمد الله نحتاج إلىٰ السرية، وضررها في واقعنا أكثر من نفعها.

صوت السلف: وماذا عن لقائك بالشيخ ابن قاعود؟

الشيخ: كان ذلك أثناء زيارة الشيخ ابن قاعود لنا هنا في الإسكندرية، وأيضًا كنت ملازمًا له فيها، ووجدنا طبعًا فرقًا كبيرًا بين طريقته رَحِمَهُ اللَّهُ وبين طريقة الشيخ أبي بكر، طريقة الشيخ أبي بكر كانت تميل إلىٰ الجماهيرية، طريقة الشيخ ابن قاعود كانت ما شاء الله علمية ممحصة تمحيصًا دقيقًا، وهو رجل مجتهد عالم، بلا شك أثر تأثيرًا ضخمًا جدًّا علىٰ كل الأخوة..

صوت السلف: جميع المشايخ الذين ذكرتهم هم من جملة علماء الدعوة الوهابية المعاصرين، فلماذا إذن ينسب البعض الدعوة إلىٰ الشيخ الألباني؟

الشيخ: لا ينكر أحد فضل الشيخ الألباني ودعوته وجهوده في نشر السنة فهو من مجددي هذا الزمان، ولكن الدعوة لا تقتصر علىٰ واحد بعينه تنسب له دون من سواه، بل الدعوة تُقدِّر جميع علماء أهل السنة القدماء والمعاصرين، والمواقف التي اتخذتها الدعوة كانت نتيجة دراسات علىٰ ضوء كلام أهل العلم، ولا تخرج في مجموعها عنهم في معظم قضايا المنهج منظرة تنظيرًا متقنًا في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يمثل مرحلة هامة جدًّا في تنظير كلام السلف، وعند تنزيل كلامه علىٰ أرض الواقع رجعنا لكلام العلماء المعتبرين من المعاصرين.

صوت السلف: الإحالة علىٰ ابن تيمية أليست إحالة علىٰ الكتب، وإنما يطلب العلم علىٰ يد الشيوخ؟

الشيخ: هذا الكلام يقال لمن وجد الشيوخ ثم أعرض عنهم إلىٰ الكتب ولكن عندما تفتقد ذلك فماذا فعل السلف؟ شيخ الإسلام كان له شيوخ ولكن مؤلفاته كالفتوىٰ

الحموية الكبرىٰ وغيرها من شيوخه غير الكتب، وإلا فلماذا اعتبر شيخ الإسلام أعلم أهل زمانه بمذهب السلف إن لم يكن قد تعلم من الكتب ما لم ينقله غيره؟

الشيخ الألباني من شيوخه أبوه رَحِمَهُ اللَّهُ كان فقيهًا حنفيًّا مُتعصبًا، فمن جعل الألباني إمامًا في السنة والحديث؟

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ذكر في «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» احتجاج مبتدعة زمانه عليه بمخالفته لمنهج شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا لأنه مع أن له شيوخًا إلا أن كثيرًا من علمه أخذه من كتب ابن تيمية.

وبالنسبة لي كان لقاء المشايخ ابن باز وابن عثيمين وابن قاعود والجزائري وعبد الرزاق عفيفي كما ذكرنا من أكثر المؤثرات في توضيح معالم المنهج بعد شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالىٰ، فقراءتنا لم تكن مفرغة من الرجوع لأهل العلم والعرض عليهم، خصوصًا في المواقف الحساسة، ثم كانت مناقشات الإخوة الدعاة الكرام مشايخ الدعوة من أعظم الأمور أهمية في تحديد مواقف الدعوة المختلفة، فهم كلهم شيوخنا جزاهم الله خيرًا.

صوت السلف: لنعد الآن إلىٰ مسيرتكم الدعوية، ذكرتم معاودة نشاط الجامعة في عام 1984، وماذا بعد؟

الشيخ: بعد ذلك تم إنشاء معهد إعداد الدعاة تحت إشراف الشيخ فاروق الرحماني رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجد الفرقان، وشارك فيه الإخوة كلهم في البداية، لكن لم يستمر من المشايخ القدامىٰ الذين بدءوا في العمل غيري أنا والشيخ أحمد حطيبة وأضيف إليهم من تخرج من المعهد واستمر المعهد حتىٰ 1994.

صوت السلف: هل كان هذا المعهد أول محاولة من الدعوة لتقديم دراسة منهجية منتظمة؟

الشيخ: طبعًا ينبغي ملاحظة أنني أحكي عن مشواري الدعوي، وبالتالي ثمة أحداث قد تجدون فيها تفاصيل أكثر عند غيري، وهي علىٰ وجه التحديد الجماعة الإسلامية في

سنواتها الأولىٰ، وقبل دخولي الجامعة كيف كانت طبيعة الدراسة فيها، ومدرسة الجماعة الإسلامية التي كانت في مسجد عمر بن الخطاب، ثم بعد الانفصال انتقلت إلىٰ مسجد عباد الرحمن وصارت تعرف بالمدرسة السلفية، وكان درس الخميس للشيخ محمد إسماعيل حفظه الله ملتقىٰ الإخوة الأسبوعي من كل الإسكندرية وغيرها.

صوت السلف: هل كان المعهد كافيًا لتقرير أصول المنهج السلفي عن هذا الجمع الكبير من الإخوة؟

الشيخ: المعهد كانت رسالته تخريج طلبة علم، وبعد ذلك وكمحاولة لوصول المنهج لعدد أكبر صدرت بعد ذلك مجلة صوت الدعوة، وكانت معظم المقالات التي فيها تمثل المنهج السلفي، مثل فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل فقه الخلاف، فقه الجهاد، الدعوة السلفية ومناهج التغيير، الغمل الجماعي، كلها ظهرت خلال مجلة صوت الدعوة إلىٰ أن توقفت أيضًا سنة 1994، وللعلم أنا لست كاتب هذه المقالات وحدي بل مشارك فيها وما كتبته أقره الإخوة، ولعل السبب في وجود كثير من الأخطاء المطبعية والأخطاء في النقل في هذه المقالة تعدد كاتبيها وتنوع العبارات والأوراق حتىٰ اختلطت علىٰ من كان يعدها للطبع مع ضعف المراجعة في ذلك الوقت، ولذلك أنصح الإخوة بالترتيب في النقل والنشر لهذه المقالات حتىٰ تراجع مرة ثانية.

صوت السلف: المعهد توقف سنة 94، المجلة توقفت سنة 94 لعل كثير من القراء لا يدري السر في ذلك.

الشيخ: الدعوة جزء من واقع مَليء بالحسابات المعقدة، ونحن نجتهد قدر الطاقة في فعل ما فيه جلب المصلحة ودرء المفسدة دون تعجل ودون أن نستجلب علىٰ أنفسنا أو علىٰ دعوتنا البلاء، بل شعارنا «والله لا يعطوننا خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أجبناهم إليها»، ولكن إذا شاء الله شيئًا كان، فقد تم عمل قضية للإخوة سنة 94، وتم القبض علىٰ الشيخ سعيد والشيخ أبو إدريس، وتم تسليم المعهد لوزارة الأوقاف علىٰ أساس أنهم سوف يستمرون في العمل، وطبعًا لم يستمر العمل بأي درجة من الدرجات، وتوقف

عمل ما كان يسمىٰ بالمجلس التنفيذي في ذلك الوقت، وهو ترتيب العمل في المناطق بطريقة مركزية.

صوت السلف: البعض يتهم الدعوة بالتهاون في إيقاف الأعمال الدعوية، فما ردكم؟

الشيخ: نحن نُتهم بتهمتين متناقضتين، الأولىٰ: أننا ندعو دعوة سرية، ونأخذ بيعة إلىٰ آخر التهم المعروفة، والثانية: هي تهمة التهاون التي ذكرتها، ونحن ندين لله بأن نفعل كل ما في وسعنا من نصرة دين الله بحيث تتحقق المصلحة وتدفع المفسدة، وبالتالي كان لا بد من إيقاف العمل في الظروف التي أشرنا إليها.

صوت السلف: هل شهد عام 94 إيقاف جميع أنشطة الدعوة؟

الشيخ: لا، بقي العمل مع الجامعة والطلائع، وهو لم يتم الاعتراض عليه، وظل مُستمرًّا حتىٰ سنة 2002، وهو القضية الأخيرة التي من خلالها تم إيقاف العمل في الجامعة والطلائع، والعمل خارج محافظة الإسكندرية كذلك، وكان أصلًا السفر خارج الإسكندرية متوقف أيضًا من أواسط التسعينات كذلك.

صوت السلف: ضربت الدعوة في 94 ومع ذلك ظل العمل مُستمرًّا حتىٰ 2002 أين مراعاة المصلحة والمفسدة هناك؟

الشيخ: نحن تعرضنا لهذه التجربة في ضوء أحداث عالمية أكبر من تأثيرات داخلية أو أن بعض الناس قد يظن مثلًا أن العمل في الجامعة أو في المحافظات الأخرىٰ هو السبب، هذه كانت المبررات المطروحة، لكن الحقيقة أن هذه المبررات كان ممكن توجد في أي وقت آخر مبررات غيرها، لكن الأحداث العالمية في ذلك الوقت كانت ذات أثر كبير جدًّا. وعمومًا المفسدة التي يوقف العمل من أجلها هي المفسدة المتحققة، وأما الضرر المتوقع في الجملة فلو أوقفت الدعوة من أجلها لما دعا إلىٰ الله داع.

صوت السلف: البعض يعتبر قلة عدد دخول السجن دليل إدانة والبعض يعتبر مجرد دخوله السجن دليل إدانة علىٰ وجود فكر تكفيري أو ما شابه ذلك، فما الجواب؟

الشيخ: ذكرت أن شعارنا في ذلك «والله لا يعطونني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا

أجبتهم إليها»، ومن ثم لم نسع إلىٰ صدام، ولذلك كانت فترات سجننا قصيرة وفي الغالب لأسباب خارجة عنا تمامًا فالشيخ محمد تم القبض عليه في أحداث 80، وكذلك الشيخ أحمد حطيبة والشيخ أحمد فريد بسبب عدم حُلق اللحية في الجيش، وتم القبض علي أنا والشيخ أحمد فريد والشيخ فاروق الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد محاولة اغتيال أبو باشا، ومكثنا في المعتقل أشهر أو أكثر قليلًا، ثم قضية 94 ولم يمكث فيها الإخوة أكثر من شهر. ثم كانت القضية الأخيرة والتي طالت قليلًا للظروف التي أشرت إليها، وخرج إخوتنا تباعًا والحمد لله لم يبق منهم أحد وأود أن أزف البشرىٰ لجميع إخواننا بخروج آخرهم قبل أيام ونسأل الله أن يُفرِّج كرب جميع المسلمين.

صوت السلف: بالنسبة لك كم كانت مدة مقامك في السجن؟

الشيخ: سنة تقريبًا.

صوت السلف: كيف رأىٰ الشيخ تجربة السجن؟

الشيخ: والله تجربة السجن كان فيها رحمة من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لأن الإنسان كان بدأ ينشغل انشغالًا شديدًا جدًّا في العمل الدعوي، فكان لا توجد فرصة للعبادة والذكر كما كانت موجودة في فترة السجن، وتوثقت العلاقة مع شخصيات كثيرة جدًّا وإخواننا الأفاضل الأحباء فكانوا في الحقيقة من الناحية الإيمانية جوًّا مفيدًا جدًّا. ومن الناحية الدعوية الإنسان شعر بلا شك بفضل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بتعمير المساجد وذكر الله ـ عز وجل ـ فيها، وكان الإنسان يشعر بألم شديد جدًّا حينما تأتي خطبة الجمعة، وهو يخطب في طرقة ويصلي في زنزانة فكان أمرًا مؤلمًا للنفس أن يحرم الإنسان من تعمير المساجد التي يحب الله ـ عز وجل ـ أن ترفع ويذكر فيها اسمه، من الناحية الإيمانية كما ذكرت، من الناحية الدعوية لا شك أن الإنسان استفاد من احتكاكه بالاتجاهات الإسلامية الأخرىٰ وتقييم لعمل الجماعات الإسلامية الأخرىٰ مثل الجماعة الإسلامية والجهاد، وهذه الاتجاهات، وكان لنا بفضل الله تعالىٰ مناقشات كثيرة معهم، وكان هناك الكثير جدًّا ممن تأثروا بهذه المناقشات، وبالفعل بدأت مراجعات يعني من أفراد منهم لطريقة تناوله

للأمر، وبفضل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وضح فيها مدىٰ انضباط المنهج السلفي.

وبلا شك أيضًا أن الإنسان استفاد في طريقة ميزان المصالح والمفاسد، وأنه لا بد من مراعاة هذا الأمر بدقة وعدم التسرع. كنت أضرب للإخوة مثالًا ونحن في الداخل أن أمورًا حصل فيها تسرع وإعجاب بحجم العمل الذي انتشر بسرعة جدًّا، لكن كان أشبه ما يكون بنفخ بالون من السهل جدًّا أن يثقبه أي شخص في أي وقت، ونحن لا نحتاج إلىٰ هذا العمل الدعائي الضخم جدًّا، ولا الهيئات الإدارية الطويلة الشكل، هذه التي في الحقيقة لا تثمر الفوائد المرجوة منها في ضوء عدم اكتمال الشخصية التي تقوم بالعمل في ذلك الوقت. مثل هذه الأشياء، وهي اكتمال الشخصية المسلمة المتكاملة التي هي في الحقيقة مفقودة في عامة الاتجاهات الإسلامية، هذا هو المناط الأول الذي لا بد أن نركز عليه، ونهتم بأن يكون هو هدفنا الأول، وهو وجود الشخصية المسلمة المتكاملة المستعدة والقادرة علىٰ تحقيق التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.





الشيخ
سعيد عبد العظيم



الشيخ / سعيد بن عبد العظيم بن علىٰ بن محمد

ولد في عام 1372 هـ الموافق لعام 1952م.

نشأ الشيخ علىٰ حب الدين والالتزام منذ نعومة أظفاره حيث كان حريصًا علىٰ أداء الصلوات الخمس في المسجد وحضور دروس العلم منذ بداية المرحلة الابتدائية وعرف بذلك بين أفراد عائلته وجيرانه وأقرانه.

بدأ طلب العلم في مرحلة مبكرة حيث كان لجده - الذي كان شيخًا بالجامع الأزهر وأحد العلماء المرموقين والمعروفين بالعلم والفضل في بلدته - مكتبة ضخمة لطالما أثارت شغف الشيخ للبحث والاطلاع وطلب العلم في صغره وورث الشيخ الكثير من كتبها والتي أصبحت نواة لمكتبته الشخصية فيما بعد.

بدأت رحلته مع الدعوة إلىٰ الله في المرحلة الثانوية حيث كان يخطب الجمعة في عدة مساجد بالإسكندرية كالجمعية الشرعية وأنصار السنة وغيرهما.

الشيخ أحد المؤسسين الأوائل للعمل الدعوي في الجماعة الإسلامية في الجامعة ثم المدرسة السلفية بالإسكندرية في سبعينيات القرن الماضي ومن بعدها الدعوة السلفية، وأشرف علىٰ العديد من أنشطتها الدعوية والاجتماعية عبر مراحل مختلفة وحتىٰ الآن.

وفقه الله تعالىٰ للجمع بين التفوق الدراسي - حيث كان عادة من الأوائل في مراحل التعليم المختلفة - إلىٰ جانب طلب العلم والدعوة إلىٰ الله.

للشيخ آلاف المحاضرات والخطب والدروس والندوات في مختلف محافظات مصر التي جابها دعوة إلىٰ الله منذ بداية السبعينيات وحتىٰ الآن بفضل الله تعالىٰ.

دُعي الشيخ لإلقاء بعض المحاضرات والندوات والمشاركة في المؤتمرات في عدة دول مثل: قطر-الإمارات-الكويت-إيطاليا-اليمن-فرنسا-اليونان-النمسا-هولندا-الولايات المتحدة الأمريكية-تركيا.

للشيخ العديد من المؤلفات مابين مجلد-كتاب-كتيب-رسالة، تصل إلىٰ قرابة المائتي مؤلف، تُرجِم بعضها إلىٰ عدة لغات مثل الإنجليزية والتركية والإندونيسية وتطبع وتوزع في عدة دول.

أيضًا للشيخ مقالات كثيرة نشرت في عدة صحف ومجلات عربية، كما ساهم في الإشراف العلمي في فترة سابقة علىٰ مجلة الحكمة وهي مجلة علمية إسلامية تصدر في لندن وتوزع في العديد من الدول.

❁ وقد حصل الشيخ على:

- بكالوريوس الطب والجراحة من كلية الطب جامعة الإسكندرية.
- إجازات في رواية الحديث والعديد من أمهات الكتب مثل الكتب العشرة وكتب الشروح والتفاسير المعتمدة.
- عضو رابطة علماء المسلمين.
- عضو مجلس أمناء الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح.
- عضو مجلس شورىٰ العلماء.
- عضو مجلس أمناء الدعوة السلفية بالاسكندرية.

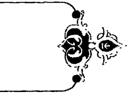
❁ بعض الشيوخ والعلماء الأفاضل الذين التقاهم وجالسهم:-

الشيخ ابن باز- الشيخ ابن عثيمين - الشيخ الألباني - الشيخ ابن قعود - الشيخ صفوت نور الدين - الشيخ صالح بن حميد - الشيخ علي الهندي - الشيخ محمد بن عبد الله الشنقيطي - الشيخ علي بن يحيىٰ الحازمي (رحم الله ميتهم وبارك في عمر أحيائهم).

من أهم مصنفاته المطبوعة:

- دعوة أهل الكتاب.
- الخُطب المنبرية.
- الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية.
- قصص وعبر من القرآن الكريم.
- رسالة إلىٰ الأخت المؤمنة.
- كيف يتحقق غنىٰ النفس وسعة الرزق؟
- أسباب عقوق الأبناء.
- عِظات وعبر في قصص الأنبياء.
- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية.
- وعاشروهن بالمعروف.
- الأتقياء الأخفياء.
- حياة القلوب.
- الديمُقراطية ونظرية الإصلاح في الميزان.





الشيخ
أحمد حطيبة



دكتور أحمد السيد أحمد حطيبه، من مواليد الإسكندرية (1958) ومن مؤسسي الدعوة السلفية بها.

بداية الشيخ:

كان منذ الصغر مقبلًا جدًّا علىٰ القراءة بشكل عام. كانت أول نقطة تحول في حياة الشيخ هي المدرسة الثانوية، حيث كان زميلًا في الفصل للشيخ ياسر برهامي، فقد كان هناك أستاذ مهتم بالعلم والدعوة، فشجع الأستاذ الاثنين علىٰ تحضير وإلقاء دروس قصيرة للطلبة، وكانت بداية الشيخ أحمد مع تفسير سورة طه، ومن ساعتها بدأ الشيخ يهتم بالعلم الشرعي ويقبل عليه، مُعتمدًا علىٰ القراءة.

بداية العمل الدعوي:

نقطة التحول الثانية كانت مع دخوله إلىٰ الجامعة. حيث تعرف (مع الشيخ ياسر برهامي وآخرين) علىٰ الشيخ محمد إسماعيل المقدم، مؤسس المدرسة السلفية بالإسكندرية، وكانت هذه هي البداية الحقيقية للشيخ أحمد حطيبة، فدرس مع الشيخ محمد إسماعيل المقدم العقيدة الطحاوية وحفظها، ثم انطلق في طريق الطلب والدعوة. فكان مسؤول الدعوة السلفية بكلية طب الأسنان.

مشاركاته الدعوية ومجهودة العلمي:

خلال فترة الجامعة، شارك الشيخ مع المشايخ سعيد عبد العظيم وياسر برهامي وسيد الغباشي وآخر، أظن اسمه محمود شاكر في المناظرة الشهيرة (علىٰ الأقل في الإسكندرية) مع المشايخ الأزهريين بزعامة أحمد عمر هاشم.

تولىٰ الشيخ إمامة مسجد نور الإسلام منذ حوالي عشرين عامًا، ولا زال حتىٰ اليوم إمامًا له. وشارك في تأسيس معهد الفرقان والتدريس فيه حتىٰ إغلاقه.

والشيخ يحفظ ألفية ابن مالك ومعه إجازة فيها. ومعه إجازتان في القراءات العشر من الطريقين، وأظن أنه يحفظ ألفية العراقي، لأنه إن سئل في مصطلح الحديث يبدأ الرد بما يوافق السؤال من أبيات الألفية، ثم يشرحها. ونفس الشيء بالنسبة لألفية مراقي السعود في أصول الفقه. إلىٰ جانب محفوظات الشيخ الكثيرة جدًّا من الأحاديث النبوية، وإلمامه بأحكام أهل العلم عليها من حيث الصحة والضعف.

❁ دروسه العلمية:

الشيخ أحمد حطيبة هو الأشهر في تدريس الفقه في الإسكندرية كلها، حيث شرح كتاب «منار السبيل» 16 مرة في حوالي 23 عامًا. إلىٰ جانب شرحه لكتاب «المغني» وفي أصول الفقه شرح الشيخ «مراقي السعود» مرتان. وفي العقيدة شرح «فتح المجيد» وغيره. وفي التفسير انتهي من شرح «تفسير ابن كثير»، ويشرح الآن «تفسير القرطبي»، ويفسر في خطبة الجمعة القرآن الكريم مما يفتح الله به عليه، وقد وصل حتىٰ الآن إلىٰ سورة الأنعام، وفي الحديث شرح «رياض الصالحين»، وقد انتهي الشيخ من شرح «مسند الإمام أحمد بن حنبل».

❁ مصنفاته:

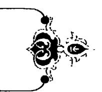
للشيخ ثلاث كتب؛ «الدعوات الطيبات النافعات» في الأذكار، «الجامع لأحكام الصيام وأعمال شهر رمضان» أظنه أشمل كتاب في بابه، «الجامع لأحكام الحج والعمرة والزيارة والهدي» وهذا كسابقه. وللعلم الشيخ لا يكسب مليمًا واحدًا من الكتب. للشيخ موسوعة إلكترونية في رواة الأحاديث، جاء ترتيبها الثاني في مسابقة دولية للبرامج الإسلامية. وقد يخرج قريبًا شرحه (المكتوب) علىٰ «منار السبيل» مطبوعًا، أو علىٰ إسطوانة، ويتميز بأنه ليس تفريغا للمحاضرات، وإنما هو من صنع الشيخ.



❁ حياته:

الشيخ له من الأبناء ثلاثة ومن البنات مثلهم. وهو من أكثر المشايخ دعوة إلىٰ الأخذ بأسباب القوة وتعلم العلوم الدنيوية والتفوق فيها بجانب علوم الشريعة.

❀❀❀



ثالثًا: السلفية الحركية



في نفس الوقت الذي نشأت فيه السلفية العلمية - منتصف السبعينات من القرن العشرين الميلادي - نشأ في حي شبرا بالقاهرة رافد آخر من روافد السلفية بقيادة عدد من الدعاة الشباب حينذاك، وكان أبرزهم في ذلك الوقت: الدكتور سيد العربي، والدكتور محمد عبد المقصود، والشيخ نشأت إبراهيم، ولم يختلف هذا الرافد السلفي عن السلفية العلمية إلا في شيء واحد، وهو الإعلان عن كفر الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية باسمه أيًّا كان اسمه، وقد انتشر هذا التيار مع الوقت وصار له أنصار وأتباع يقدرون بعشرات الآلاف، لا سيما بعدما برزت شعبية بعض الدعاة الإسلاميين من هذا التيار مثل الداعية ذائع الصيت فوزي السعيد، وقد أطلق بعض أتباع هذا التيار علىٰ أنفسهم اسم السلفية الحركية، ولكن المشايخ الكبار من هذا التيار لا يطلقون علىٰ أنفسهم أي اسم.

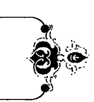
وقد تعرض هذا التيار لحصار أمني شديد منذ عام 2001م بسبب قيام عدد من رموزه بالافتاء لعدد من الشباب بجواز جمع التبرعات وتهريبها إلىٰ الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وجواز الانتقال لهذه الأراضي للمشاركة في المقاومة المسلحة هناك، وعلىٰ إثر ذلك قام هؤلاء الشباب بجمع عدة ملايين من الجنيهات كتبرعات وهربوها لغزة كما حاولوا التدرب علىٰ السلاح بهدف الانتقال لغزة عبر سيناء للمشاركة في أعمال المقاومة المسلحة، وقد تم اعتقالهم جميعًا كما اعتقل معهم اثنان من أبرز رموز هذا التيار وهما الشيخ نشأت إبراهيم والشيخ فوزي السعيد، وتم تقديمهم جميعًا إلىٰ محاكمة عسكرية بالقاهرة، وصدرت ضدهم أحكام متفاوتة لكن المحكمة برأت ساحة كل من الشيخين نشأت إبراهيم وفوزي السعيد، وتم الإفراج عنهما بعد عدة سنوات من الاعتقال.

ولكن مازال رموز هذا التيار ودعاته ممنوعون من التعبير عن آرائهم في أي مكان سواء مساجد أو صحف أو فضائيات أو حتىٰ في جلسات خاصة[1]، وقد تجرأ الشيخ نشأت إبراهيم وألقىٰ موعظة دينية في مناسبة عزاء في فيلا أحد أقرباء المتوفىٰ، وذلك تحت إلحاح أهل المتوفىٰ فتم اعتقاله في نفس الليلة عام 2007م وظل بالسجن عدة شهور قبل أن يفرج عنه بعد أخذ التعهدات عليه بعدم الكلام مرة أخرىٰ في أي مكان. ويبدو أن التشديد الأمني مع هذا التيار يأتي من مجاهرة هذا التيار بمعارضة الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة تصريحًا في خطابهم الدعوي وتصريحهم بكفره، هذا رغم موقفهم الواضح برفض العمل المسلح أو إنشاء منظمات إسلامية سرية.

❀❀❀

(1) وقد اختلف الوضع الآن بعد ثورة يناير، فظهرالشيخ محمد عبد المقصود، والشيخ نشأت وكذا سيد العربي وفوزي السعيد. بل إن لبعضهم الآن برنامجًا ثابتًا في القنوات الإسلامية. وهذا التحول سوف نتناوله في كتابنا «السلفيون في مصر .. بعد ثورة 25 يناير».

وهذه ترجمة لأهم وأبرز قادة هذا الفصيل:



الشيخ الدكتور
محمد عبد المقصود



هو فضيلة الشيخ محمد بن عبد المقصود بن محمد بن عفيفي، وُلد في السادس والعشرين من شهر شعبان لعام 1366الموافق للرابع عشر من شهر يوليو لسنة 1947. بمحافظة المنوفية بمصر. تخرج من كلية الزراعة ثم حصل علىٰ درجة الماجستير والدكتوراه من كلية الزراعة جامعة الأزهر. ويعمل الشيخ دكتور مهندس بمعهد البحوث ووقاية النباتات، شارك الشيخ في مؤتمرات عديدة منها:

مؤتمر مسجد الإيمان بنيويورك.

مؤتمر مسجد مدرسة النور بنيوجرسي.

مؤتمر مسجد التوحيد بنيوجرسي.

مؤتمر الإبانة بواشنطن، وقد زار الشيخ بلاد كثيرة للدعوة منها إنجلترا، أمريكا، الإمارات، وغيرها من البلاد.

قال الشيخ حسن أبو الأشبال الزهيري(1):

المحامد الذين أعنيهم في هذا الزمان، وإذا جاز لفظ الأبدال فهم عندي كذلك، والله تعالي حسيبهم: الشيخ محمد بن عبد المقصود عفيفي في مصر، والشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف إمام المحدثين في مصر بلا منازع؛ لا نقدم عليه أحدًا – وهذا الكلام كان قبل وفاة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ –، والشيخ محمد بن إسماعيل المقدم في الإسكندرية.

وقال: الشيخ محمد عبد المقصود عالمنا وقاضينا في وقت واحد، ولعلكم تعجبون إذا

(1) ستأتي ترجمته.

اختلف الدعاة إلىٰ الله عز وجل إنما يهرعون إليه ليقضي بينهم في خصوماتهم وفي نزاعاتهم، وكلهم ينزل علىٰ رأيه وحكمه، وما هذا إلا لوضع القبول له في قلوب العباد.

وقال: إذا لقيته أو سمعت اسمه والله اتذكر فورًا محمد بن إسماعيل البخاري.





الدكتور
السيد العربي



الاسم: السيد العربي بن كمال أبو عبد الرحمن دكتور بمركز البحوث الزراعية بالدقيْ. القاهرة.

عُرف الشيخ – حفظه الله – بنشاطه الدعوي في مساجد القاهرة، من خلال دروسه العلمية، حيث يقوم بإلقاء عدد منها–خاصة في علم العقيدة والتوحيد الذي تخصص فيه – وكذا دروسه التربوية، وخطبه للجُمعِ.

كما شارك الشيخ في عدد من المؤتمرات الإسلامية والدورات العلمية كمؤتمر «الإسلام وقضايا العصر» الذي يعقده سنويًا مركز العزيز بالله بالزيتون. القاهرة.

كما قام فترة بتدريس مادة التوحيد والعقيدة في «معهد إعداد الدعاة» بالمركز المذكور.

وله أنشطة دعوية على الشبكة العالمية (الإنترنت) حيث يقوم ببث درس إسبوعي شارحًا فيه عقيدة التوحيد من كتاب «فتح المجيد»، مجيبًا على تساؤلات المستمعين والمستفسرين من طلاب العلم.

وأيضًا من خلال صفحته على موقع «صيد الفوائد». حيث تُنشر بحوثه وكتبه ومقالاته المتنوعة –دوريًا–.

ومن هذه الكتب التي شرحها أو ما يزال:

«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله تعالى.

« شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى.

«الإيمان» للدكتور محمد نعيم ياسين رحمه الله تعالى.

ثلاث مائة سؤال وجواب في العقيدة. المائة الأولىٰ (مسائل الإيمان والكفر) للمُتَرجَم.

«زاد الميعاد في هدي خير العباد» للحافظ ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وغيرها، بالإضافة لشرح بعض كتبه وبحوثه المصنفة.

كما ألف وصنَّف العديد من الكتب والرسائل التي كتب الله لها القبول بفضل من الله ومَنه، صدر منها تحت عنوان (نحو تصور إسلامي صحيح):

ثلاث مائة سؤال وجواب في العقيدة (تقريب العقيدة الإسلامية). المائة الأولىٰ (مسائل الإيمان والكفر).

- القول الميسر في شرح مبحث القدر (من شرح العقيدة الطحاوية)، وهو آخر ما طُبع.

- فتح المنان في بيان مسائل الإيمان.

- كلمات تخالف العقيدة.

- المحجبات المتبرجات.

- نصائح للشباب.

- الزكاة الفريضة الغائبة.

- صفة الحج والعمرة.

- رمضان، كيف نستقبله؟ وكيف نغتنمه؟

وغيرها من المُصنفات المفيدة التىٰ نسأل الله أن ينفع بها مؤلفها وقارئها.

المساجد التي درس بها والكتب التي شرحها الشيخ:

- من المساجد التي درّس الشيخ السيد العربي بن كمال فيها:

- مسجد الإخلاص بالمطرية، وكان يشرح في هذا المسجد كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وكان يُطعّم بحوث الكتاب بمباحث من كتاب الإيمان لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالي، وغيرها من المباحث بما يتوافق والباب الذي يشرحه.

-.وكذلك مسجد التقوىٰ بالمظلات بشبرا مصر خلف معهد ناصر، كان يلقي فيه خطبة الجمعة وكان عقب كل صلاة جمعة له في المسجد يقوم بتوزيع كتب شرعية لطلاب العلم بسعر زهيد جدًّا ليتيسر للجميع شراؤها واقتناؤها والإهداء منها في المجال الدعوي ومن هذه الكتب «رسالة تحكيم القوانين» للشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كان يُباع بسعر 10 قروش مصرية، وذلك في عام 1994 -1995، علي ما أذكر، وكتاب «وقفات تربوية في السيرة النبوية» للشيخ أحمد فريد وكان يباع بمبلغ 6 جنيهات في حين كانت المكتبات تبيعه بمبلغ يزيد عن ذلك، وكتاب الوعد الحق والوعد المفترىٰ للشيخ سفر الحوالي حفظه الله وغيرها من الكتب، ومن هذا المسجد المبارك أعلن عن الدورة الشرعية بمسجد الشهداء المبارك بشبرا وكانت رسوم الاشتراك في هذه الدورة لا تناسب سعر الكتب التي تشرح فيها، حيث كان الاشتراك علىٰ ما أذكر 20 جنيه والكتب التي توزع في الدورة هي «الوجيز في أصول الفقه» لعبد الكريم زيدان، وكتاب «الإيمان» لمحمد نعيم ياسين، وكتاب وقفات تربوية في السيرة للشيخ أحمد فريد، «التحفة السنية».في اللغة العربية، وشرح «المنظومة البيقونية»، فضلًا عن مباحث للشيخ محمد عبد المقصود في الفقه.

ومن المساجد أيضًا مسجد العزيز بالله بالزيتون حيث كان يلقي درسًا أسبوعيًّا كل يوم ثلاثاء، لشرح كتاب «فتح المجيد» بعد التوقف عنه في مسجد «الإخلاص» بالكابلات، فضلًا عن قيام الشيخ بالخطابة يوم الجمعة في مسجد العزيز، ومشاركته في المؤتمر السنوي الذي يعقد في المسجد كل عام، وكذلك قيامه بالتدريس في معهد العزيز بالله.

وكان له درس في شبين القناطر، ومسجد القُبَيلة بعابدين، وكذلك بعض الدروس الأسبوعية في مسجد «التوحيد» بالمطرية حيث كان يشرح «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك في كل يوم خميس، وقيامه بإلقاء بعض المحاضرات في مسجد الشيخ فوزي السعيد بغمرة «مسجد التوحيد»، ومنها علىٰ سبيل المثال «محاضرة عن الإرجاء».

وقد كان للشيخ دور فعّال لفكرة دورة العلوم الشرعية بمسجد الشهداء المبارك في شبرا، حيث درّس الشيخ هناك كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين مُطعَّم بمباحث من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد درّس في هذه الدورة مجموعة من المشايخ الأفاضل مثل:

الشيخ ممدوح جابر، حيث درس أصول الفقه من كتاب الوجيز للدكتور عبد الكريم زيدان.

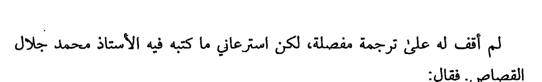
والشيخ سيد عباس الجليمي حيث شرح مادة مصطلح الحديث وشرح المنظومة البيقونية هناك.

والشيخ محمد عبد المقصود حيث كان يشرح مادة الفقه.

والسيرة كان يشرحها الشيخ محمود عبد السلام وكان يشرح وقفات تربوية للشيخ أحمد فريد.

للشيخ مبحث في شرح كتاب «الاعتصام» للشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يخفىٰ دور الشيخ في التنبيه وتوضيح خطورة منهج المرجئة، وقيامه ببيان «حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة» وتصحيح المفاهيم والتصورات ولذلك كانت جلّ كتبه تصدر بعنوان «نحو تصور إسلامي صحيح»، وكان يدعو الشباب إلىٰ التمسك بالعلم الشرعي والعض عليه بالنواجذ، والانشغال بما ينفع وترك الاشتغال بالموضوعات الخلافية والاهتمام بالنافع المفيد الذي يُستفاد منه في إحياء الأمة والعمل علىٰ نهضتها.

❀❀❀

الشيخ فوزي السعيد

لم أقف له علىٰ ترجمة مفصلة، لكن استرعاني ما كتبه فيه الأستاذ محمد جلال القصاص. فقال:

في صباح كل جمعة كنت أرىٰ كثيرًا من الطلاب يخرجون أرسالًا بثوب أبيض ومصحف وسواك، ويسيرون في اتجاه واحد، وكأن اليوم يوم دراسة لا يوم أجازة، وما سألت أحدًا إلىٰ أين؟ إلا قال لمسجد التوحيد أو إلىٰ (فوزي السعيد).

كنت أستخف بالأمر وأعطف علىٰ من أراه، وأقول في نفسي: لو أراحوا أنفسهم من هذا العناء؟

كان الخيال يرسم لي صورة أهل اللحىٰ والثوب الأبيض وكأنهم يجلسون في الظل الظليل ويشربون الماء المعين، ويبحثون عن النساء والبنين، ويتفقهون في النفاس والحيض، أو غَلِقون، مُتشنجون، يُكفِّرون ويُبدِّعون، وفي غير هذا لا يفقهون، وأقول: والمسلمون يذبحون في البوسنة والهرسك والشيشان وأفغانستان والصومال وفلسطين؟! ألَا هَدَىٰ الله السلفية والسلفيين.

كان الحديث عن فوزي السعيد أو مسجد التوحيد عاليًا وفي كل مكان، وذات يوم أخذني الفضول، وذهبت إلىٰ مسجد التوحيد في (غمرة) لأرىٰ هذا الذي يذهب إليه الذاهبون، وتدور بذكره المجالس.

كان هو الخطيب يومها، وكانت الخطبة عن (المَكر) التحايل، جلستُ منشغلًا بحال الرجل (فوزي السعيد)، مُغضبٌ، ثائرٌ، كأنه مَوْتور جاء يستغيث، قد احمرَّ وجهه، كأنما

فقئ حب الرمان فيه، واشتد صوته حتىٰ أشفقت علىٰ حنجرته، ويقف علىٰ أطراف أصابعه طول الخطبة (يشب من علىٰ المنبر)، كأنه منذر حرب. جريء، يتكلم وكأنْ لا رقيب، ومؤدب لا يخطئ.

انشغلت بحاله عن مقاله، وقلت في نفسي: ليس هذا بالجبان المستكين، الذي يبحث عن الظل الظليل، والماء المعين، والنساء والبنين.

أَخَذَت الخطبة ساعة ونصف الساعة، ونزل هذا الأسد الجسور من علىٰ منبره يتحدث ربع ساعة أخرىٰ يكمل فيها الموضوع، ووقف كثير من جمهوره الغفير ـ قدَّرته يومها بما يزيد علىٰ عشرة آلاف ـ دققت النظر في عينيه أستأنسُ، رجاء أن أسلم عليه، وما تجرأت، وحين انتهي من كلمته، أذاع جدول دروس تلقىٰ طوال الأسبوع في المسجد، بقيت قريبًا منه أرقب أنفاسه وحركات عينيه.

انصرف الناس من حوله، وحمل حذاءه ومشىٰ، يُحدث نفرًا أو نفرين بأشياء في المسجد: افعلوا كذا، وكذا، ثم انصرف يمشي وحيدًا.

كنت أسمع أنهم ـ أي السلفيون ـ يحيطون بشيوخهم، ويكادون يقتتلون عليهم، وهذا يمشي وحيدًا.

أبيض اللون، يَحْمَرُّ حين يخطب، مُلَّون العينين، لحيته قبضة أو تزيد قليلًا، وأحسب أن قصرها من تجعدٍ أمسك بطولها، طوله 170سم أو يزيد قليلًا، كأن جدّه من بخارىٰ، يبدو عليه الإنهاك الشديد علمت بعدها أنه مريض بالسكري والضغط. ويحمل أوراقًا، ونظارتين إحداهما للقراءة والثانية للنظر، يغير بينهما كثيرًا وهو يخطب، ولا يرتدي أيًا منهما وهو يسير.

تعلقت بهذا الرجل، ولم تكن دراسة الصيدلة تسمح لي بالحضور يوميًّا إلىٰ دروس المسجد – الفقه، والعقيدة، والتاريخ، والحديث والتفسير – وكذا الحالة المادية، فقلت: لألزمن هذا البطل يوم الأحد، وكان درسه في العقيدة، تركت الأدب والتاريخ وأمسكت

في العقيدة حُبًّا في (فوزي السعيد)، وبقيت تحت قدميه أربعة أعوام، أتعلم من حزمِهِ وعزمه، وحرصه الشديد على الخير قبل علمه، أحضر الدرس وأحضر الخطبة، وأرقب تفاصيل ما يحدث في المسجد، وما كنت أتكلم لأحد في المسجد بأي كلام، وإن وجدت فسحة من مال ووقت أتيت لدرس آخر بما يتيسر وقتها حُبًّا في مجالس العلم.

فوزي السعيد أو مسجد التوحيد قصة غيَّرت في مجرى التاريخ الفكري (الدعوي) في مصر، شاء من شاء وأبى من أبى. ولن يمحوها إرهاب الدولة لكل من انتسب لمسجد التوحيد أو (فوزي السعيد)، أو تسلط بعض المغرضين الحاقدين.

فوزي السعيد أو مسجد التوحيد قصة. وددنا لو أنها تكررت هنا أو هناك فالملاحظ في العمل الدعوي أنه فرديٌّ، الشيخ وحده في المسجد، والمشاريع فردية، وأغلبها مكررة، يقيم أحدهم موقعًا إلكترونيًا، فيقلده الباقون. ويخطب أحدهم في موضوع ويردد الباقون، أما مسجد التوحيد فعدد من الشيوخ، ومِنْ عِلية القوم، وعدد من المساجد يديرها مسجد التوحيد في غمرة ـ أو فوزي السعيد من غمرة.

واسمع:

خطباء الجمعة في المسجد الشيخ فوزي السعيد، والشيخ نشأت أحمد ـ وقل عنه مثل ما يقال عن الشيخ فوزي وإن شئت فزد ـ والشيخ محمد حسان ـ وهو غني عن التعريف ـ والشيخ جمال عبد الهادي أستاذ التاريخ الإسلامي ـ وكان يتخلف كثيرًا عن الحضور ـ ويحضر بعض الأخيار من فترة لأخرى. وفي المسجد يحاضر الشيخ الدكتور محمد عبد المقصود، والشيخ الدكتور سيد العربي، والشيخ الدكتور جمال عبد الهادي، والشيخ أبو الأشبال، وجاء في الأخير الفاضل الماجد الشيخ محمد عبد الحميد حبسة (أبو معاذ) ـ حفظه الله من كل سوء ـ.

ولم يكن المسجد فقط للعلم وللتعلم، بل كان لـ (الحض على إطعام المساكين). والحضُّ على إطعام المساكين مشروع لإطعام المساكين، إذ يكفل المسجد ما يزيد على

خمسة آلاف فرد، كان هذا قبل أن أنقطع عن المسجد ويقينا زاد العدد بعد ذلك، والمسجد يطبع بعض الكتب بسعر التكلفة، والمسجد يقيم محاضرات في الإعجاز العلمي ويستخدم وسائل متطورة في عرضها، والمسجد يقام أمامه كل جمعة وكل يوم بعد الدرس سوقٌ للكتب والأشرطة الإسلامية بل والملابس التي تعارف الناس علىٰ أنها ملابس شرعية للمرأة، والمسجد يسير في طرحه للقضايا هو والمساجد التي تتبعه في خطط مدروسة لا تخطئها عين. ويكاد يذهب بعقلك حسن التدبير والإفادة من كل ممكن في أيديهم، وحسن العشرة بينهم.

ما عرفنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ بكر أبو زيد، والشيخ سفر الحوالي، والشيخ ناصر العمر، وسلمان العودة، والشيخ عائض القرني، وعبد الوهاب الطريري، إلا من الشيخ فوزي السعيد أو مسجد التوحيد.

كل هذا والقيم علىٰ المسجد الشيخ فوزي السعيد، مهندس يعمل طول يومه، وربُّ أسرة، ومريض يكاد يقتله السكري وضغط الدم المرتفع، فأي همة هذه؟ وأي نفس هذه التي بين جنبي هذا الشيخ؟

تحدث الشيخ/ سيِّد العربي ذات يوم - في دروس الإرجاء، فقال: أحسب أن الشيخ فوزي لو وجد شيئًا في الطريق ينتفع به الناس هنا في المسجد لحمله علىٰ ظهره وأتىٰ به إليهم من شدة حرصه علىٰ الخير.

قلتُ: لحمل الثقيل علىٰ الظهر أيسر مما كان يفعل الشيخ، قد كان يُعرِّضُ ظهره لسياط الجلادين وفِعال المجرمين كي يصل الحق للناس.

جلستُ أمام كثيرين، ولم أجد أحدًا همه الأول الدعوة وليس رصيده الدعوي كالشيخ فوزي السعيد، يقول: احضروا للشيخ فلان فهو والله خير مني، ويوم الجمعة يأتيكم الشيخ فلان، فلا تفوتوا الخطبة، وإني ذاهب إلىٰ مسجد السادس من أكتوبر فلا تأتوا خلفي، فلن تستفيدوا كثيرًا فالخطبة هناك تُعنىٰ بالمبتدئين.

قضية الشيخ فوزي السعيد الأولىٰ هي الأسماء والصفات. أسماء الله وصفاته، وأعمال القلوب، وأمراض الأمة، والسنن الربانية، وله في ذلك طرح علمي لم أجده لغيره، واتصلت به من فترة أطمئن علىٰ حاله، فإذا به يقول فتح الله علي بأشياء في الأسماء والصفات لم أسمع أحدًا تكلم بها من قبل، ولم أكن أعلمها من قبل.

فقلتُ ـ في نفسي ـ: ربك مطلع علىٰ القلوب يعطي الخير لأوليائه فهنيًا أبا أيمن.

ألا مثلُ أبي أيمن وإلا فلا.

ألا مثل مسجد التوحيد وإلا فلا !

❁ موقف من مواقف!

ذات يوم ركبت (ميكروباص) من ميدان رمسيس مُتجهًا للشمال ـ حيث بلدي التي أعيش فيها ـ وجلس بجواري عجوز، فرحٌ مسرورٌ، يلتفت يمنة ويسرة من فرحه، وأحسست أنه يريد الحديث مع أحد من شدة فرحه، فكففت مصحفي وتكلمت إليه، فإذا به قادم من محافظة البحيرة – في شمال مصر. يمر من بين ثلاثين مليون تقريبًا – كي يسمع الشيخ فوزي في القاهرة، وإذا بالميكروباص ستة أفراد علىٰ الأقل هذا حالهم

يحبونك أبا أيمن، ويقطعون مئات الكيلومترات كي يسمعوك، ويهشون ويبشون فرحًا بحديثك.

أبا أيمن !

اشتد حسّادك، والله لا يصلح عمل المفسدين.

سكتوا عنك، وكأنهم لا يعرفوك، وكأن القاهرة كلها ـ بل مصر كلها ـ لم تكن تذكرك فرحًا أو حقدًا وحسدًا.

جلس إليها الخبيث يوسوس لها وتسلط عليها الجبان، فشدوا وثاقها وأحكموا أُسارها.

ولم تنسك.

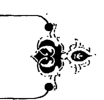
تحدث عنك بالسرّ خالية.

ولن تنساك.

فغدًا يفكُّ أسارها، وتجلس بين أبنائها تحدثهم بأيامك وتحكي لصبيانها أفعالك، فنم قرير العين يا بطل.

حفظك الله أبا أيمن، وأجزل الله مثوبتك، وأحسن الله خاتمتي وخاتمتك.





الشيخ
نشأت احمد



هو الشيخ نشأت أحمد محمد إبراهيم من مواليد محافظة أسيوط بمصر تلقىٰ العلم عن الشيخ القيعي والشيخ المطيعي والشيخ عبد الحميد كشك والشيخ إبراهيم عزت والشيخ حسن أيوب رحم الله الحي منهم والميت.

أمّا دراسته الأكاديميّة فكانت في كلية أصول الدين جامعة الأزهر في القاهرة ومعهد القراءات وكلية التجارة جامعة عين شمس.

والشيخ حاصل علىٰ درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية المفتوحة للدراسات الإسلامية.

وكتب فيه عبد الآخر حماد، فقال:

الشيخ نشأت أحمد محمد داعية مصري معروف في مصر وخارجها، خصوصًا في أوساط الشباب من الملتزمين بالسنة وأبناء الحركة الإسلامية.

عرفت الشيخ نشأت منذ أكثر من عشرين عامًا، من خلال جولاته في الدعوة إلىٰ الله، وقد كان حينها مُتخرجًا حديثًا من كلية التجارة بجامعة عين شمس، وكان دؤوبًا يجوب البلدان في الدعوة إلىٰ الله من غير كلل ولا ملل، وهو ذو طريقة مؤثرة في الدعوة والإرشاد، مع حرص قدر الطاقة علىٰ تقديم المعلومة الصحيحة، وتصحيح ما قد يشيع من أخطاء في المفاهيم؛ حتىٰ إنني قد سمعته يومًا يُكرر في أثناء درسه عبارة: إخواني في الله أحبابي في الله. وتعجبت من كثرة ترديده لذاك النداء، ثم تذكرت أن كثيرًا من الدعاة وقتها كانوا يقولون في دروسهم: إخواني في الله أحبابي في رسول الله، وانتشر ذلك بينهم حتىٰ

صار عرفًا مألوفًا، ولما كان ذلك منافٍ للعقيدة الصحيحة في أن الحب لا يكون إلا في الله كما في حديث أنس مرفوعًا: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»، فقد رأىٰ أن يُكرر تلك المقولة حتىٰ يُرسخ عند سامعيه أن الحب لا يكون إلا في الله، وأنهم مع حبهم لرسولهم ﷺ لا ينبغي أن يكون تحابهم إلا في الله عز وجل.

ثم جاءت واقعة مقتل السادات وما تلاها من أحداث، وامتلأت السجون بعشرات الألوف من خيرة شباب مصر، وكان غالبيتهم ممن لا علاقة لهم بما وقع من أحداث، وكان من هؤلاء الأخ نشأت فك الله أسره، ولكني أشهد أني ما رأيته إلا صابرًا محتسبًا غير متضجر ولا متبرم، بل كنت تلمح في وجهه علامات الفخر والسرور وهو يحكي لإخوانه في السجن كيف أنه كان جالسًا يتابع محاكمة خالد الإسلامبولي ورفاقه، وإذا بزوجه تقول له: لكم وددت أن تكون واحدًا من هؤلاء الأبطال، وفي اليوم التالي طرق المجرمون بابه واقتادوه إلىٰ السجن.

وبعد مدة أُفرج عن غالبية من كانوا في السجون وعاود الأخ الشيخ نشأت نشاطه في الدعوة إلىٰ الله، ثم سافر إلىٰ بلاد الحرمين حيث عمل إمامًا وخطيبًا في أحد مساجد مدينة جدة، ولكنه فوجئ ذات يوم بالسلطات السعودية تقبض عليه وتُرحله إلىٰ مصر لأنه مطلوب فيها، وفي مصر بقي في السجن فترة وجيزة لم تزد علىٰ أسابيع فيما أخبرني به أحد الإخوة ممن كانوا علىٰ علاقة به في تلك الفترة، ثم اعتذروا له وأخرجوه من السجن ولكنهم منعوه من السفر مرة أخرىٰ مع أن إقامته كانت لا تزال سارية في السعودية، وكانت حجة السلطات المصرية - فيما بلغني أيضًا - أنهم قالوا له: لقد قلنا للسعوديين حين طلبناك منهم إنك مطلوب علىٰ ذمة قضايا خطيرة، فماذا يقولون عنا لو تركناك تعود إليهم بعد أسابيع فقط من ترحيلك إلينا، لا شك أنهم لن يصدقونا إذا طلبنا منهم أحدًا بعد

ذلك!

وغابت عني أخبار الأخ نشأت مدة من الزمن حتىٰ فوجئت منذ عدة شهور بخبر أنه مقبوض عليه مع مجموعة من شباب مسجد التوحيد الذي يخطب فيه بالقاهرة، بتهمة مساعدة الانتفاضة الفلسطينية والمجاهدين الشيشان[1]، وقلت لعلها فترة اعتقال لمدة ثم تنقضي، ويبدو أن الأمر في أوله كان كذلك ولكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد غيرت كثيرًا من الأمور وصار من العبارات المألوفة لدىٰ الكتاب والمحللين أن يقولوا إن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر غير العالم قبله، ومع طلب أمريكا لحكومات العالم بوجوب الوقوف معها في حربها ضد الإسلام التي تسميها بالحرب علىٰ الإرهاب، ومع تحذيراتها لتلك الحكومات بأنه لا مجال للحياد في هذه الحرب، وأن من لا يكون معهم فهو ضدهم، أقول مع هذه التهديدات والتحذيرات انبرىٰ الكل في إرضاء بوش وزمرته، وبدأت كثير من حكومات البلاد الإسلامية في تعقب الإسلاميين حتىٰ تلك الدول التي لم تكن معروفة بتضييقها عليهم، فرأينا في اليمن حربًا تستخدم فيها المروحيات لتعقب من تشتبه السلطات في انتمائهم لتنظيم القاعدة، وفي الإمارات وغيرها اعتقالات بالجملة، وكان لا بد للنظام المصري أن يقدم شيئًا في هذا المجال، وكان مما قدمه في ذلك إحالة تلك القضية – التي أسموها قضية تنظيم الوعد – إلىٰ القضاء العسكري بما يعنيه ذلك من توقع أحكام قاسية غير قابلة لنقض ولا استئناف.

وإذا كان لي من كلمة أوجهها عبر هذا المنبر إلىٰ الشيخ نشأت وإخوانه فإني أقول: إنه لشرف لكم أن تحاكموا بتهمة مساعدة مسلمين يدافعون عن عقيدتهم وأرضهم وديارهم، ولو كنت مكانكم لقلت للقضاة ما قاله بعضهم من قبل: (تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه).

فصبرًا إخوتي علىٰ ما تلقون من أذىٰ في الله تعالىٰ، واعلموا أن المرء إنما يبتلىٰ علىٰ

---

(1) وهي المعروفة إعلاميًا بقضية «تنظيم الوعد».

قدر دينه، وهذا هو الطريق: طريق الدعوة إلىٰ الله، وتلك مشاقه ومصاعبه، فهو طريق - كما يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعب فيه آدم وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيىٰ، وقاسىٰ الضر أيوب، وزاد علىٰ المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسىٰ، وعالج الفقر وأنواع الأذىٰ محمد ﷺ».

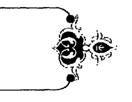
ومن أسفٍ أنا لا نستطيع نصرتكم إلا بمثل هذه الكلمات التي نخطها في الذب عنكم والمطالبة برفع الظلم عنكم، ثم الدعاء لكم وهو بحمد الله مبذول نسأل الله تعالىٰ القبول.

ثم إنه تبلغني وأنا أُعد هذه السطور أخبار الإفراج عن بعض إخواننا ممن قضوا فترات طويلة في سجون مصر، ولا شك أن ذلك مما يسرنا ونحمد الله عليه حمدًا كثيرًا، غير أن ذلك لا يمكن أن ينسينا أنه لا يزال في قبضة الظالمين آلاف من أمثالكم، كما أننا لسنا من السذاجة بحيث يحملنا الإفراج عن البعض أو تحسين معاملة البعض في السجون إلىٰ إعلان الرضىٰ عن أنظمة قد نحَّت شرعة الله عن الحكم في بلاد المسلمين، وصارت أداة لتمرير مخططات أعداء الأمة من اليهود والأمريكان، وإلا كنا كذاك المسكين الذي يُحكىٰ عنه - في قصة رمزية - أنه قد خرج عليه ذات يوم بعضُ قطاع الطريق وعقدوا له محاكمة عاجلة كان قاضيها بطبيعة الحال هو زعيم عصابتهم، وفي ثوانٍ معدودات حكم القاضي علىٰ الرجل بقتله وأخذ جميع ما لديه من مال، وبينما الرجل مستسلم لمصيره المحتوم إذا بأحدهم يهزه هزًّا عنيفًا ويقول له: لِمَ تظل صامتًا هكذا؟ إن الحكم الذي سمعته ما هو إلا حكم ابتدائي، ويمكنك تقديم استئناف فيه، وزعيمنا رجل طيب القلب فلعله يخفف الحكم عنك، واستجاب الرجل فقدم استئنافه، ولشد ما كانت فرحته حين أعلن القاضي قبول الاستئناف وإلغاء حكم القتل والاكتفاء بأخذ ماله وتجريده من جميع ثيابه بحيث يمشي عاريًا، ومرة أخرىٰ قيل له لقد بَقِيَتْ في

سُلَّم قضائنا درجة، فارفع أمرك لمحكمة النقض ففعل، فحكم القاضي بأن يُترك له من ثيابه ما يستر عورته، ولما نُفذ الحكم وأخذ منه جميع ماله وثيابه، وألقي إليه فقط بشيء يستر عورته، رفعه وهو يهتف: يحيا العدل. يحيا العدل.

إنا بحمد الله لسنا كذاك الرجل، ولن نكون مثله بمشيئة الواحد الأحد.





رابعًا: سلفية أهل الحديث



وهم الذين يعتنون بحديث المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام رواية ودراية، باذلين جهدهم علىٰ مدارسة أحاديث النبي ﷺ وروايتها واتباع ما فيها علمًا وعملًا، ملتزمين بالسنة مُجانبين للبدعة، متميزين عن أهل الأهواء الذين يقدمون مقالات أهل الضلالة علىٰ أحاديث النبي محمد ﷺ.

ظهر هذا الاتجاه – وإن كان في أصله تابع للسلفية العلمية – في أوائل الثمانينات، فانجرف بعض السلفيين نحو دراسة المصطلح وعلم العلل ومعرفة الصحيح من الضعيف، بالاضافة لإلقاء الخطب والدروس الوعظية والعلمية للعامة وللخاصة، ونذكر من هؤلاء:

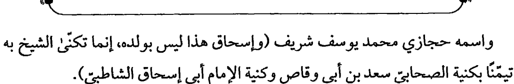
أبي إسحاق الحويني، مصطفىٰ العدوي، أسامة القوصي، محمد سعيد رسلان[1].



---

(1) وإن حاد الأخيرين عن منهج المدرسة الحديثية مؤخرًا، واهتموا بالتجريح والتعديل لبعض رموز الدعوة السلفية، وهذا مقال يطول، علّنا نتكلم عليه في كتابنا «السلفيون في مصر. بعد ثورة 25 يناير» .





فضيلة الشيخ
أبو إسحاق الحويني

واسمه حجازي محمد يوسف شريف (وإسحاق هذا ليس بولده، إنما تكنّىٰ الشيخ به تيمّنًا بكنية الصحابيّ سعد بن أبي وقاص وكنية الإمام أبي إسحاق الشاطبيّ).

ولد يوم الخميس غرة ذي القعدة لعام 1375هـ الموافق 1956م بقرية حوين مركز الرياض بمحافظة كفر الشيخ بمصر.

ولد الشيخ في أسرة ريفية بسيطة لا تعرف إلا الزراعة، وما كانت فقيرة ولا غنية، ولكنّها كانت متوسطة الغنىٰ، لها وجاهتها في القرية واحترامها، بسبب معاملتها الطيبة للناس وما اشتهر عن الأب من حُسن خُلقه، وقد كان متزوجًا بثلاث (كان الشيخ من الأخيرة وكان الأوسط -الثالث- بين الأبناء الذكور الخمسة) وكان متدينًا بالفطرة -كحال عامة القرويين آن ذاك- يحبّ الدين.

أُدخل الشيخ المدرسة الابتدائية الحكومية غير الأزهرية بقرية مجاورة (الوزارية)، تبعد حوالي 2كم عن حِوين، مضىٰ فيها ستّ سنوات، وانتقل إلىٰ المرحلة الإعدادية في مدينة كفر الشيخ - تبعد عن حوين ربع الساعة بالسيارة - بمدرسة الشهيد حمدي الإعدادية، بدأ في السنة الأولىٰ منها كتابة الشعر، ومنها إلىٰ المرحلة الثانوية بالقسم العلميّ بمدرسة الشهيد عبد المنعم رياض الثانوية. ولبعد المسافة، أجّروا - الشيخ وإخوته - شقة في المدينة، يذهبون إليها في بداية الأسبوع ومعهم ما زودتهم به أمّهم (الزّوّادة) ونصف جنيه من أخيهم الأكبر.

بعد إنهاء الدراسة الثانوية حدث جدال حول أيّ الكليات يدخل الشيخ، فتردّد بين كليات حتّىٰ استقر علىٰ كلية الألسن قسم اللغة الإسبانية بجامعة عين شمس بالقاهرة، والتي لم يخرج عن الثلاثة الأول في السنين الثلاثة الأولىٰ وفي الرابعة نزل عنهم، وتخرّج

فيها بتقدير عام امتياز. وكان يريد أن يصبح عضوًا في مجمع اللغة الأسباني، وسافر بالفعل إلىٰ أسبانيا بمنحة من الكلية، ولكنّه رجع لعدم حبّه البلد هناك.

سافر الشيخ في أواخر العام الأخير من الدراسة الثانوية (سنة 1395هـ/ 74-1975م) إلىٰ القاهرة ليذاكر عند أخيه، وكان يحضر الجمعة للشيخ عبد الحميد كشك في مسجد «عين الحياة»، ومرة، وجد بعد الصلاة كتابًا يُباع علىٰ الرصيف للشيخ الألباني كتاب: «صفة صلاة النبيّ من التكبير إلىٰ التسليم كأنّك تراها»، فتصفّحه ولكنّه وجده غاليًا (15 قرشا) فتركه ومضىٰ، حتّىٰ وقع علىٰ التلخيص فاشتراه، فقرأه ولما أنهي القراءة، وجد أنّ كثيرًا مما يفعله الناس في الصلاة وما ورثوه عن الآباء – متضمنًا نفسه – خطأ ويصادم السنة الصحيحة، فصمّم علىٰ شراء الكتاب الأصليّ، فلمّا اشتراه أُعْجِب بطريقة الشيخ في العرض وبالذات مقدمة الكتاب، وهي التي أوقفته علىٰ الطريق الصحيح والمنهج القويم منهج السلف، والتي بسط فيها الشيخ الكلام علىٰ وجوب اتباع السنة ونبذ ما يخالفها ونقل أيضًا كلامًا عن الأئمة المتبوعين إذ تبرؤوا من مخالفة السنة أحياءً وأمواتًا. وقد لفتت انتباهه جدًّا حواشي الكتاب، مع جهله التامّ في هذا الوقت بهذه المصطلحات المعقدة بل لقد ظلّ فترة من الزمن -كما يقول- يظنّ أنّ البخاريّ صحابيّ لكثرة ترضّي الناس عليه، فهو، وإن لم يكن يفهمها، إلا أنّه شعر بضخامة وجزالة الكتاب ومؤلّفه، وصمّم بعدها علىٰ أن يتعلم هذا العلم علم الحديث.

توالت الأيام، ودخل الجامعة، وبدأ يبحث عن كتب في هذا العلم، فكان أول كتاب وقع عليه كتاب «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للإمام الشوكانيّ، فهال الشيخ ما رأىٰ، لقد رأىٰ أنّ كثيرًا من الأحاديث التي يتناولها الناس في حياتهم لا تثبت عن النبيّ ﷺ، فعكّر ذلك عليه استمتاعه بخطب الشيخ عبد الحميد كشك، فأصبح لا يمرّ به حديث إلا ويتشكّك في ثبوته.

حتىٰ كان يوم، وكانت جمعة عند الشيخ كشك فذكر حديثًا تشكّك الشيخ فيه، فبحثه فوجد أنّ ابن القيم ضعّفه، فأخبر الشيخ كشكًا بذلك، فردّ وقال بأنّ ابن القيم أخطأ، ثمّ قال

كلمة كانت من المحفزات الكبار له لتعلم الحديث والعلم الشرعيّ، قال: يا بنيّ! تعلم قبل أن تُعلِّم.

يقول الشيخ أبو إسحاق: فمشيت من أمامه مُستخزيًا، كأنما ديكٌ نقرني! وخرجت من عنده ولديّ من الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجلّ عن تسطير وصفه بناني.

أخذ الشيخ يسأل كلّ أحد عن أحد من المشايخ يعلّمه هذا العلم أو يدلّه عليه، فدلوه علىٰ الشيخ محمد نجيب المطيعي. وأخذ يبحث أكثر عن كتب أكثر، فوقع علىٰ المئة حديث الأولىٰ من كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» للشيخ الألباني، فوجد أنّ الشيخ كان يركز علىٰ الأحاديث المنتشرة بين الناس والتي لا تصحّ.

لاحظ الشيخ أنّ أحكام الشيخ علىٰ الأحاديث ليست واحدة، فمرة يقول: منكر، ومرة يقول: ضعيف، ومرة: باطل، فأخذ يبحث وينقّب كي يفهم هذه المصطلحات ويفرق بين أحكام الشيخ علىٰ الأحاديث، وسأل الشيخ المطيعي، فدلّه علىٰ كتابه «تحت راية السنة: تبسيط علوم الحديث»، فأخذه الشيخ وعرف من حواشيه أسماء كتب السنة وأمهات الكتب التي كان ينقل منها الشيخ، ومعاني المصطلحات.

يقول الشيخ: مكثت مع الكتاب - كتاب الشيخ الألباني - نحو سنتين كانت من أفيد السنين في التحصيل.اهـ.

ذهب الشيخ لمجالس الشيخ المطيعي في بيت طلبة ماليزيا بالقرب من ميدان عبده باشا بالعباسية، فأخذ عليه شروح كلّ من: صحيح البخاري، المجموع للإمام النووي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزاليّ، ولزم الشيخُ الشيخَ المطيعي نحوًا من أربع سنوات حتّىٰ توقفت دروسه بسبب الاعتقالات الجماعية التي أمر بها السادات، فرحل الشيخ المطيعي إلىٰ السودان، ثمّ المدينة النبوية وتوفيّ هناك ودفن بالبقيع.

وحضر دروسًا للشيخ سيد سابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعادي.

وأخذ علىٰ بعض «شيوخ الأعمدة» في الجامع الأزهر، في أصول الفقه واللغة والقراءات، ولكن ليس كثيرًا.

وأخذ بعض قراءة ورش علىٰ خاله رَحِمَهُ اللَّهُ - وكان مدرس قراءات -.

وفي سنة 1396هـ قدم الشيخ الألباني لمصر، وألقىٰ محاضرة في المركز العامّ لجماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين، ولكنّه رحل ولم يقابله الشيخ.

وكان قد نشر للشيخ كتاب «فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب»، وكان الشيخ الألباني يقول: ليس لي تلاميذ أي: علىٰ طريقته في التخريج والنقد، فلمّا قرأ الكتاب قال: نعم (أي: هذا تلميذه).

سافر الشيخ إلىٰ الشيخ الألباني في الأردن أوائل المحرم سنة 1407هـ وكان معه لمدة شهر تقريبًا كان - كما يقول - من أحسن أيامه وبذلك أصبح تلميذًا نجيبًا له لشهر قضاه مع الشيخ الألباني.

وقد قابله مرة أخرىٰ في موسم الحج في الأراضي المقدسة سنة 1410هـ وكانت أوّل حجة للشيخ وآخر حجة للشيخ الألباني، وآخر مرة رآه الشيخ فيها.

فعلىٰ هذا، فإنّ الشيخ لم يلق الشيخ الألباني إلا مرتين سجل لقاءاته وأسئلته فيهما علىٰ أشرطة كاسيت ونشرت هذه اللقاءات باسم «مسائل أبي إسحاق الحوينيّ»، وهاتفه بضع مرات. فأخذ علمه عن الشيخ من كتبه ومحاضراته المسموعة، ومن هاتين المرتين. وذهب الشيخ إلىٰ المملكة العربية السعودية، فأخذ عن:

الشيخ عبد الله بن قعود، حضر بعض مجالس في شرح كتاب «الكافية في الجدل». للإمام الجويني، وكان يقرأ عليه آنذاك الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -.

الشيخ ابن باز، حضر بعض مجالس في مسجده المسجد الكبير في شروح لكتب: «سنن النسائي»، «مجموع الفتاوىٰ» للإمام ابن تيمية، و«كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب.

كما قابل الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الحرم، ودخل غرفته الخاصة وسأله عن

بعض مسائل.

وللشيخ خطبتان في كلّ شهر عربيّ، الجمعتان الأولىٰ والثالثة، ومحاضرة كلّ يوم اثنين، بين المغرب والعشاء، وكلّهم في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بمدينة كفر الشيخ.

وللشيخ محبون واتباع داخل مصر وخارجها خاصة في المغرب العربي، ومثله مثل الباقين لم يسلم منهجه من النقد والطعن، حتىٰ وصل إلىٰ التبديع والتشهير به في المحاضرات والكتب والرسائل المؤلَّفة.

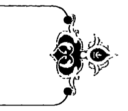
فقال فيه الشيخ عبد المالك رمضاني صاحب كتاب «مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية»:

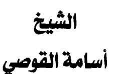
(السائل: كلمة في منهج الشيخ أبي إسحاق الحويني حتىٰ يكون لنا منك سند عال.

الشيخ: أما الشيخ أبي إسحاق الحويني فأنا أخشاه علىٰ مصر كما كنت أخشىٰ علىٰ أهل بلدنا الجزائر «علي بلحاج»، يتبع نفس المنهج في الإثارة والدغدغة بالعواطف، وكثرة التهييج السياسي، هذا يظهر في الخطب أكثر منه في الدروس والمحاضرات، ولعل السائل [.] يجد ذلك واضحًا مسموعًا، خطب تخالف السنة: ساعة وساعتين، ثم محتوىٰ فارغ كله حديث عن الوزراء والمسئولين، وتضييع وقت المسلمين في. في التحريش السياسي، هذا لا يفيد كما تعلمون، وهذا من باب الأمانة في دين الله -عز وجل- ذكرناها) اهـ منقول من شبكة سحاب السلفية.

وما زال الشيخ توجه له الطعون والاتهامات مرة علىٰ أنه قطبي، أي يقول بمقولة سيد قطب: «أخص خصائص الألوهية هي الحاكمية»، ومرة أنه من الخوارج لأنه يكفر بالمعصية، ومرة أنه سروري، ومرة أنه جهمي.

❀❀❀





الشيخ
أسامة القوصي



وهو مؤسس تيار «السلفية القوصية»، وهو تيار شبيه بتيار السلفية المدخلية في الجزيرة العربية الذي ينسب إلىٰ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي.

القوصي بدأ حياته صوفيًّا، وانضم بعدها وهو في كلية الطب إلىٰ جماعة تكفيرية مع مجموعة من أصدقائه مطلع السبعينيات في جامعة القاهرة، وكان يعتقد أن الدولة بمؤسساتها كافرة، وأن جميع من حوله ليسوا مسلمين، وتأثر كثيرًا حينها بكتب سيد قطب وأبي الأعلىٰ المودودي، وكان هو ومجموعته يصلون في المسجد ويكررون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾، وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ فيضجون بالبكاء؛ لأنهم كانوا يتصورون أن فرعون هو حاكم مصر، وقوات الأمن المركزي هي جنود فرعون الذين يحفرون لهم الأخدود.

كان القوصي علىٰ استعداد للموت في سبيل الله فهاجر إلىٰ اليمن ليستكمل مسيرة الجهاد، لكن الأقدار دفعت به إلىٰ مجلس الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الذي قلب أفكار الرجل من النقيض إلىٰ النقيض، ومحا من عقله الفكر التكفيري، وسافر معه إلىٰ السعودية، إلا أن الأقدار التي جمعتهم فرقتهم مرة أخرىٰ بعد أن رحلت السلطات السعودية كلا الرجلين إلىٰ موطنهما بعد سجنهما شهرين بسبب مجموعة جهيمان العتيبي التي كانت تحيط بالوادعي قبل تنفيذ حادثة الحرم، ثم رحل كل من القوصي والوادعي إلىٰ بلديهما قبل حادثة جهيمان العتيبي بشهرين تقريبًا.

القوصي الذي ترك مصر وهو يرىٰ أن حاكمها فرعون، وأن جنود الأمن المركزي هم أصحاب الأخدود، رجع إليها وهو يرفع الشعار المصري العريق (أعطِ العيش لخبازه

«الحاكم» حتىٰ لو أكل نصفه)، كما يكرر كثيرًا في محاضراته ورجع لينادي «إمام غشوم خير من فتنة تدوم»، و«إمام ظالم وجائر يضرب ظهور الناس ويأخذ أموالهم خير من فتنة تدوم»، ويدعو إلىٰ محاربة المظاهرات والإضرابات والقلاقل والانقلابات؛ لأن أهل البدع لا يعيشون إلا في إثارة الفتن، وأهل السلف يدعون إلىٰ الأمن والأمان.

ويقول الرجل إن ما يدعو إليه هو السلفية الطيبة النقية التي ليست جماعة أبدان، بل هي جماعة أفهام، وليست جماعة بشرية وضعها بشر لا عصمة له، ويرىٰ أن كل الجماعات دعوات جاهلية يجب أن تترك «دعوها فإنها منتنة»، حتىٰ لو غررت بالشعارات الإسلامية، فالمهاجرون والأنصار أسماؤهم منزلة من عند الله، لكنهم كادوا أن يتحزبوا علىٰ أساسها لولا أن النبي ﷺ حذرهم، فالجماعة المسلمة جماعة واحدة لا جماعات، وصراط واحد لا عشرات، وسبيل واحد وليس سبلًا، ومن معالم المنهج السلفي تجمع المسلمين علىٰ ولاة أمورهم، وإن خالفوا الحق، لكنهم لا يسكتون علىٰ الفساد ولكن يقومون بإصلاحه، فالجماعة هي الحق، والجماعة هي السلطان.

والسلفية التي تعترف بالحاكم ولا ترىٰ الخروج عليه لكن من جهة أخرىٰ لا تعترف بمؤسسات الدولة الأخرىٰ كمنصب المفتي وشيخ الأزهر هي خارجة عن النظام أيضًا ويجب التصدي لها؛ لأنها تنازع الأمر أهله، فلو قال المفتي علي جمعة: إنه لم تتم رؤية الهلال - نقول له: حاضر؛ لأن يد الله مع الجماعة، لكن الأهم من العبادات هي الأمور التي تتعلق بما يعم به البلوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:83].

كما أن الرجل لا يؤصل لدعوته شرعيًّا فقط لكن عقليًّا كذلك؛ لأن العقل له منزلة مقدمة في الإسلام، فيتساءل: ماذا يستفيد الناس من مهاجمة الحكام والسلاطين؟ أصلح نفسك أولًا وبيتك. نحن نتحدث عن إصلاح الكون ولا نحسن الوضوء وخلافاتنا الدائرة في بيتنا لا نستطيع إصلاحها. فلنبدأ حيث بدأ النبي محمد ﷺ.

وينعكس هذا المنهج «الأصل» عند القوصي علىٰ الفرعيات الأخرىٰ، فبما أنه ليس

لأحد أن يخرج عن فتوىٰ علماء البلد الرسميين؛ لأن هذا نظام جمهورية مصر العربية، فإن فوائد البنوك حلال ليس لأنه يرىٰ أنها حلال، بل لأن مفتي البلاد قال ذلك، وعندما يحلل المفتي البنوك فليس لأحد منا أن يفتات أو أن يخرج عليه، «ومن يقدح في الشيخ علي جمعة -حفظه الله وأطال عمره وحسَّن من عمله- فهو علىٰ طريق يشبه طريق الخوارج».

ولأن القوصي يرىٰ أن محور الجماعة المسلمة هي الدولة والسلطان، فإنه يحارب أي عمل جماعي خارج علىٰ نظام الدولة، ويناهض الجماعات الإسلامية والحزبية؛ لأنها في رأيه ضد مفهوم الجماعة ومن ثم فهم خوارج علىٰ النظام ومبتدعة في الدين، وحربه ضدهم تهدف إلىٰ إنهاء التفرق في الأمة والتفافها حول سلطانها.

إلا أن القوصي يعتبر أن أخطر جماعة علىٰ الإسلام هي جماعة «الإخوان المسلمين» إلىٰ الدرجة التي وصفها في محاضرة له بأنها «فكرة شيطانية»، ومن تحت عباءتها خرجت جماعة الجهاد، والتكفير والهجرة، وحزب التحرير، والجماعة الإسلامية.

ودعا الرجل صراحةً وعلنًا وفي أكثر من موضع لحظرها عمليًّا، إضافة إلىٰ حظرها قانونيًّا لمنع أسباب الإرهاب الفكري، كما دعا إلىٰ منع نشر كتب سيد قطب وأبي الأعلىٰ المودودي، إلا أنه يلتمس للنظام العذر في عدم استئصالها نهائيًّا؛ لأن الإخوان مخترقون -حسب رأيه- لكل مؤسسات الدولة؛ ولذا فليس من السهل أن يقتلع الإخوان من البلد لأنهم «إخطبوط وسرطان»، لكنه دعا الجميع إلىٰ التعاون في استئصال «الإخوان المسلمين».

ويدافع الرجل عن الحكومات التي لا تحارب المتدين -حسب رأيه- بل تحارب الجماعات. ويتفهم استدعاء أجهزة الأمن له من آن لآخر واحتجازه في المطار ساعتين إيابًا وساعتين ذهابًا، ويقول: لابد أن يكون الأمر معروفًا لأولي الأمر. ماذا أدرس؟ وأين أدرس؟ وهذا حقهم كولاة أمر معرفة ما يجري في البلاد، وأنا أقول لهم شكرًا، وهم يعتذرون لي وأنا أقول لا تعتذروا. البحث عن إرهابي في وسط 85 مليون مصري يقتضي

أن يتعرض الـ85 مليون إلىٰ مشكلات لكن لصالحهم.

وعلاقة القوصي برموز السلفية الأخرىٰ ليست جيدة؛ فيكاد يكون قد هاجم كل الرموز السلفية المعروفة في مصر الوعظية منها والحركية، ويؤكد دومًا أنه لا يهاجم أشخاصًا بل يهاجم بِدعًا وضلالات، حتىٰ إنه هاجم الفضائيات السلفية التي انتشرت مؤخرًا، ورفض اسم الفضائيات الإسلامية؛ لأنه ليس هناك إسلام 24 ساعة، فهذا لم يكن علىٰ عهد النبي ﷺ لأنه ملل.

كما أن مشايخ السلفية المنتشرين في الفضائيات لم يسلموا من سخرية القوصي الذي وصفهم بأنهم مشايخ صدفة لا يملكون مؤهلا غير الغطرة واللحية، وقال ذات يوم عنهم: «ولو أراد أحدهم أن يشتغل عندي سمكريًّا لرفضت».

كما سخر القوصي من الهدف الربحي لتلك الفضائيات وقال عنها إنها لا هم لها إلا تحصيل الأموال والإعلانات، فإذا الشيخ فلان مرض يقومون بالإعلان عن مرضه لتتوالىٰ بعدها الرسائل غير المجانية تقول: «شفاك الله يا شيخ»، ثم يتبعه إعلان: «تتشرف قناة كذا الذي يديرها الشيخ فلان بالإعلان عن «الغسالة الإسلامية». غسالة زمزم المباركة. توفير الطاقة؛ لأن الله سيسألنا عن المال، البطانية الإسلامية التي تشع الدفء والحرارة والمودة والرحمة»، ويدعو القوصي إلىٰ مشاهدة باقي الفضائيات؛ لأنها مفيدة حتىٰ لو كانت تحتوي علىٰ الموسيقىٰ؛ لأنها حلال عند الشيخ ويجد فيها النافع كما أن فيها الضار.

الواقعية السياسية جزء مهم ومفتاحي لقراءة عقلية القوصي؛ فالجهاد عند الرجل يرتبط بالمصلحة من ورائه، ويخضع لمعايير الخسارة والربح؛ لأن الغرض في النهاية هو النفع؛ ولذلك فالرجل شديد النقد والهجوم علىٰ الحركات الجهادية في العالم وحتىٰ المقاومة في فلسطين؛ لأنها لا تحكم هذا المعيار، ووصفهم بأنهم حمقىٰ ومغفلون، ونزع عنهم صفة المصلحين.

وذهب الرجل إلىٰ حث حماس علىٰ قبول الصلح مع إسرائيل، كما فعل السادات،

واستشهد بصلح الحديبية التي كان فيها إجحاف بالنبي، لكن النبي قبله؛ لأنه لم يكن قد تمكن من مقومات النصر بعد، والحال نفسه الآن بيننا وبين اليهود؛ فهم الأقوىٰ ونحن الأضعف.

والقوصي يرىٰ أن الجهاد في زماننا من فروض الكفايات؛ لأن هناك جيشًا لكل بلد والجيش يسد هذا الواجب العيني، ولو قلت: إن هذا الجيش جيش الطاغوت ستكون دخلت في عقيدة الخوارج حتىٰ في جهاد الدفع والطلب؛ لأن الجيش المصري هو الموكل عنا وعليه الدفع حتىٰ لو دخل العدو إلىٰ البلاد.

وتأتي آراء الرجل السياسية منسجمة مع هذه القاعدة؛ فلا يكل من الهجوم علىٰ حماس والحلف السوري الإيراني، ويرىٰ فيهم محور شر يريدون أن يورطوا بلادنا في الفوضىٰ.

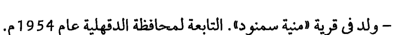
بينما يرىٰ أن أوباما رجل عاقل «فرح العقلاء في كل الدنيا بعقله».أما الحمقىٰ فهم الذين يرفضون ما قاله جملة وتفصيلًا، وأيد القوصي كلام أوباما عن الهولوكوست؛ لأننا كمسلمين مشفقون علىٰ كل من قتل من اليهود، لكن يختلف معه لأن الأمريكان لا يقبلون أن تقام دولة لليهود في أمريكا، لكن لا يستطيع أوباما أن يذكر ذلك، وختم حديثه عنه بقوله: «أوباما رجل متسامح. رجل عاقل، وهو من بلد فيه اختلاف وفيه تعدد، نسأل الله أن يسخره، وأن يجعله سببا في الأمن والسلام في العالم، وأن يجعله سببًا في إنشاء دولة فلسطينية يعيش فيها الفلسطينيون آمنين مستأمنين».

وأخيرًا ظهر القوصي في الفضائيات العلمانية الليبرالية وشارك في برامج حوارية، يديرها نساء متبرجات، وأعلن صراحةً أنه لا مانع من تولي النصراني حكم البلاد، وما علينا ساعتئذ إلا السمع له والطاعة!!

❀❀❀



فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي



- ولد في قرية «منية سمنود». التابعة لمحافظة الدقهلية عام 1954م.
- درس في كلية الهندسة قسم الميكانيكا في عام 1977م.
- حفظ كتاب الله عز وجل.
- رحل إلىٰ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالىٰ في اليمن.
- حضر دروسه من عام 1400هـ إلىٰ عام 1404هـ تقريبًا.
- حصل علمًا كثيرًا مع الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.
- رجع إلىٰ مصر، وأنشأ مسجدًا صغيرًا وبدأ فيه التدريس.
- بدأ دروسه في «البخاري» و«مسلم» وفي التفسير والفقه.
- رحل إليه عدد كبير من الطلبة من داخل مصر وخارجها.
- بدأ في إنشاء مسجد كبير ومكتبة كبيرة، بعد ازدياد عدد الطلاب.
- له عدد من الدروس الأسبوعية في مختلف محافظات مصر.
- كتب في عدة اتجاهات منها (فقه-حديث- مصطلح حديث-التفسير).
- له مشروع كبير في التفسير علىٰ صورة سؤال وجواب واسم هذا المشروع: «التسهيل لتأويل التنزيل» وقد صدر منه: حوالي أربعة عشر مُجلدًا منها (الفاتحة - البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - يوسف - النور - القصص - الحجرات - جزء قد سمع - جزء تبارك - جزء عم).
- ولهذا العمل مختصر في ثلاث مجلدات صدر منه جزء يحتوىٰ تفسير جزء عم واسمه «تفسير الربانيين لعموم المؤمنين».

- ثم لهذا التفسير المختصر اختصارا آخر اسمه «تسهيل التسهيل» وهو تفسير للقرآن في جزء واحد.

- ثم مشروع آخر رابع يحتوي معاني المفردات مع الثوابت من تفسيرات الرسول ﷺ لبعض الآيات مع أسباب النزول.

وأما بالنسبة للفقه فله كتاب: «الجامع لأحكام النساء». في خمس مجلدات أربعة مجلدات للشرح والخامس أسئلة تطبيقية على الأربع مجلدات في المسائل المحتواة.

وله كتاب آخر في الفقه بصفة عامة وهو كتاب اسمه: «الجامع العام في الفقه والأحكام».

- وهناك العديد من المؤلفات الأخرى منها:
- كتاب «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».
- وكتاب «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».
- و«الصحيح المسند من فضائل الصحابة».
- و«الصحيح المسند من الأحاديث القدسية».
- «فقه التعامل مع الوالدين».
- «فقه التعامل بين الزوجين».
- «فقه تربية الأبناء».
- «فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين».
- «أسئلة وأجوبة في علم مصطلح الحديث مع شرح علل الحديث».
- «مفاتيح الفقه في الدين».
- «شفاء القلوب».
- «فقه الدعاء».
- وهناك مختصرات صغيرة كثيرة للغاية مثل:
- «قبس مختار من صحيح الأذكار».

- و«روضة المحبين من فضائل صحابة النبىٰ الأمين».
- «فضائل القرآن وآداب حملته».
- «معجزات النبي».
- «ولاتقربوا الزنا».
- «ذم البخل».
- وله عدد من التحقيقات منها:
- «المنتخب لعبد ابن حميد».
- «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».
- «الوابل الصيب من الكلم الطيب».
- و«تحقيق شرح الطحاوية».
- وغيرها من الكتب.

وسُئل عن درجة الشيخين الفاضلين أحمد شاكر، وناصر الألباني في تصحيح الأحاديث من ناحية التسأهل أو التشدد؟

فأجاب: أما الشيخ الفاضل أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ فيجنح إلىٰ التسأهل في الحكم علىٰ الحديث بالصحة.

وأما الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فهو أحسن حالًا في هذا الجانب إلا أن عمله لا يخلو من شيء من ذلك.

ووجه ذلك: أنه يصحح الحديث في كثير من الأحيان بناء علىٰ صحة الإسناد فقط، ولا ينظر إلىٰ أوجه إعلاله.

وأحيانًا يُصحح الحديث بمجموع الطرق، وكثرتها مع شدة ضعفها. والله تعالىٰ أعلم.انتهي كلامه «شرح علل الحديث».

وهذا حوار أجراه معه موقع «شبكة الحزم»:

❁ نص الحوار:

شيخنا المبارك: نرحب بك في منتدىٰ شبكة الحزم الاسلامية ونسأل الله لفضيلتكم الخير المتواصل برحمة منه سبحانه.

شيخنا الحبيب نريد أن نقلب معك صفحات من تاريخكم المبارك بداية من المولد والنشأة ومرورًا بتلقيكم العلم وانتهاء بالتأليف والتدريس فهلا تفضلتم علينا بذلك؟

- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد الأمين وعلىٰ آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلىٰ يوم الدين

وبعد:

فجزاك الله خير يا أخانا «أبو محمد المصري» علىٰ ما تفضلت به وتكرمت نسأل الله أن يبارك فيك وأن يحفظك ويحفظ جميع المسلمين.

-أما بالنسبة لما سألت عنه بارك الله فيك- فاختصارًا ولدت في قرية تابعة لمحافظة الدقهلية اسمها «منية سمنود». تبعد عن مدينة المنصوره 15كم والمولد في عام 1954م من الميلاد ولا أدرىٰ تقديرها في السنوات الهجرية لأنه ليس من المعتاد في بلادنا التقدير بالتقويم الهجرىٰ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- وقد انتهيت من دراسة كلية الهندسة قسم الميكانيكا في عام 1977م وقضيت سنة بالجيش المصري، وخرجت منه.

- وبالنسبة لاتجاهاتىٰ العلمية فلما كانت الخلافات كثيرة جدًّا في هذا الوقت كنت والحمد لله نشأت منذ صغري أُصلىٰ وأعرف بيوت الله، فلما تخرجت وقد ظهرت الخلافات في هذه الفترة إبان خروج الأخوان المسلمين من السجن، وكثرت الجماعات وانتشرت.

وكل جماعة تدعو لمنهجها، فاختصارًا وجدت أن النجاه دائمًا في كتاب الله وسنة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.وكتاب الله كنت قد انتهيت من حفظه والسنة وجدتها منها ما هو ثابت ومنها ما هو صحيح وغير صحيح.

وأما الثابت الصحيح فمعروف لدينا أنه هو البخاري ومسلم، وأما ما سواهما فالثابت

أنه يحتوي الصحيح والضعيف، فبحثت عن أهل العلم الذين يعلمون كيف يتم تصحيح الأحاديث وكيف يتم تضعيفها.

فكان النظر الىٰ ثلاثة من أهل العلم الأفاضل رحمة الله عليهم أجمعين الذين كانوا لهم في هذا الباب ثمرة بغض النظر عن العلماء الموجودين في الجامعات النظامية وكان الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالىٰ - وكنا نقرأ له «سلسلة الأحاديث الضعيفة» التي كانت تصدر في مذكرات صغيرة قبل أن تطبع.

والشيخ مقبل بن هادي - باليمن وكان له كتاب «الصحيح المسند في أسباب النزول». وقد وصلنا مع كتاب آخر في دراسته لكتاب الشيخ الدارقطني.

وأيضًا الشيخ بديع الزمان السند ي بباكستان، فهؤلاء الثلاثة هم المرشحون لإفادتنا في هذا الباب.

أما الشيخ ناصر رحمه الله تعالىٰ وهو أعلمهم وأكبرهم فكان مُطاردًا من سوريا إلىٰ لبنان، ولم يكن وقتها يمكن الوصول إليه، إذ كان هو نفسه مطارد وذلك كان تقريبًا أواخر الستينيات، والشيخ بديع الزمان لغته تُخالف لغتنا وما إلىٰ ذلك، فذهبت إلىٰ اليمن، وعملت أولًا بعض الأعمال لسداد بعض الديون التىٰ كانت عليَّ، ثم اتجهت إلىٰ الشيخ مقبل رحمه الله تعالىٰ، وكان راجعًا من السعودية وكان عددنا قليل جدًّا عنده في هذه الحقبة من الزمن وذلك من عام 1400هـ إلىٰ عام 1404هـ تقريبًا، ووافق وجودنا هناك الأحداث التىٰ يسميها إخواننا المصريون: أحداث السادات فكانت الاعتقالات بالجملة لكل من له انتماء للدين، أو كل من له لحية وظاهره اتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فآثرت السلامة.

وذلك استجابة لرغبة الوالدين، فكان في السمع والطاعة للوالدين بركة في أن أبقىٰ في اليمن، فقضيت مدة إلىٰ أن هدأت الأوضاع ولله الحمد حصلت علمًا كثيرًا مع الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة، فكنا في المكتبة ليل نهار، ثم رجعت إلىٰ مصر، وأنشأت مسجدًا صغيرًا وبدأت فيه التدريس في البخاري ومسلم وفي التفسير والفقه، وذلك في بداية عام

1980 من الميلاد ثم ولله الحمد أتانا عدد كبير من طلاب العلم من كل مكان سواء من مصر أوخارجها، ولكن الحكومة كان لها بعض التحفظ علىٰ الإخوة الذين جاءوا من خارج مصر لأنها لاتدري عنهم شيئًا فبدأت في الضغط عليهم لابعادهم وبالفعل قاموا بإبعادهم، ونسأل الله أن يوفقهم أينما كانوا.

ثم بدأنا في إنشاء مسجد كبير ومكتبة كبيرة - ولله الحمد - يعد ازدياد عدد الطلاب، وكان هذا متوازيًا مع مسألة التأليف، ولله الحمد فهي تفيد إفادات كبيرة في مسألة ترسيخ المسائل في الأذهان، ودقة التحرير وتختلف عن السماعات، فإذا انقذت مسألة بحثًا كما يقولون؛ رسخت في ذهنك أكثر من أن تسمعها ثم تم عليك، وهذا ترسيخ يفيد في الدعوة إلىٰ الله فيما نسأل عنها في المحاضرات وما إلىٰ ذلك ولله الحمد والشكر.

وكانت بداية التدريس في البخاري ومسلم وكتب السنن، واحتاج الأمر إلىٰ تدريس التفسير قربة إلىٰ الله عز وجل كما قال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ثم لاحتياج الناس له فبدأت دروس في التفسير في عدة مساجد من محافظات مصر، والحمد لله كان لهذا أثر طيب عليَّ أولًا قبل غيري، فلكتاب الله عز وجل أثر طيب في تقويم الأخلاق وتهذيبها.

ثم كتبت عدة كتب في اتجاهات أربع (فقه-حديث- مصطلح حديث-التفسير)

أولًا: في التفسير، لىٰ مشروع كبير هو تفسير القرآن في سؤال وجواب، وصدر منه الآن ثلاثة عشر مجلدًا، وإن كانت سورًا متفرقة منها (البقرة - وآل عمران - والنساء - والنور - والحجرات - والقصص- ويوسف - وجزء عم - وجزء تبارك وغير ذلك) وهذا العمل يتناول الآيات بصورة طرح أسئلة ويجاب عنها بالتفصيل، واسم هذا المشروع «التسهيل لتأويل التنزيل».

ولهذا العمل مختصر في ثلاث مجلدات صدر منه جزء يحتوي تفسير جزء عم واسمه: «تفسير الربانيين لعموم المؤمنين».

ثم بإذن الله لهذا التفسير المختصر اختصار آخر اسمه: «تسهيل التسهيل» وهو تفسير

للقرآن في جزء واحد.

ثم مشروع آخر رابع يحتوي معاني المفردات مع الثوابت من نفسيرات الرسول لبعض الآيات مع أسباب النزول.

وأما بالنسبة للفقه:

كان أمامي خطان:

الأول: يتمثل في جمع كل ما يتعلق بالنساء من فقه حتىٰ يكون أيسر علىٰ النفس بعض الشيء فأسميته: «الجامع لأحكام النساء» في خمس مجلدات؛ أربعة مجلدات للشرح والخامس أسئلة تطبيقية علىٰ الأربع مجلدات في المسائل المحتواة.

الثاني: كتاب آخر في الفقه بصفة عامة صدرت منه طلائع «كعدد ركعات قيام الليل» إلىٰ غير ذلك من الطلائع، وهو كتاب اسمه: «الجامع العام في الفقه والأحكام» وهو مشروع متوازي مع مشروع التفسير.

ثم كتب أخرىٰ في اتجاه الأحاديث وهو صحيح الأحاديث الثوابت الصحاح في عدة موضوعات

- فهناك كتاب «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».
- وكتاب «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».
- و«الصحيح المسند من فضائل الصحابة».
- و«الصحيح المسند من الأحاديث القدسية».

وهناك كتب أيضًا تَهُم العامة علىٰ سبيل المثال:

- «فقه التعامل مع الوالدين».
- «فقه التعامل بين الزوجين».
- وكتاب إن شاء الله يكون طيبًا، هو «فقه تربية الأبناء».
- وكتاب آخر أنصح إخواني بالاطلاع عليه، وهو مجلدان وهو كتاب: «فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين» إن شاء الله تعالىٰ يكون نافعًا للمسلمين يتناول فقه الأخلاق

مثل فقه الشجاعة- فقه الحياة- فقه الخطاب.

- **ثم كتب تخصصية بعض الشيء في علم المصطلح، مثل:**

- «أسئلة وأجوبة في علم مصطلح الحديث مع شرح علل الحديث»، وهو يهتم ببيان كيفية الوقوف على العلة في الحديث مثله تدريبين.

- وكتاب تيسير أفكار ما يطلق عليه الصحوة الإسلامية وهو كتاب «مفاتيح الفقه في الدين».

- ثم هناك عدة تحقيقات لكتب:

- مثل: المنتخب لعبد بن حُميد، وعبد بن حُميد هو شيخ الإمام مسلم، وآخر طبعة صدرت هنا بالرياض.

- وهناك أيضًا تحقيق لكتب:

- «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

- «الوابل الصيب من الكلم الطيب».

- و«تحقيق شرح الطحاوية».

فهذه بعض الكتب التي أذكرها الآن.

وهناك كتب كثيرة أُخَر، ولله الحمد والمنة مثل:

- «شفاء القلوب».

- «فقه الدعاء»، ومختصرات صغيرة كثيرة للغاية.

- «القبس المختار من صحيح الأذكار».

- و«روضة المحبين من فضائل صحابة النبي الأمين».

- «فضائل القرآن وآداب حملته».

- «معجزات النبي».

- وكما بينت اختصارات لصحيح الأسانيد في كُتيبات صغيرة.

- وهناك رسائل أخرى للعامة مثل:

- «ولاتقربوا الزنىٰ».

- «ذم البخل».

- ثم هناك عدد من الكتب لإخواننا طلبة العلم قرأتها وراجعتها وقدمت لهم ونسأل الله أن يبارك فيهم.

- شيخنا الكريم لو سميت لنا الشيوخ والعلماء الذين تلقيت منهم بصورة مباشرة ورئيسية؟

- في واقع الأمر الشيخ مقبل بن هادي رَحِمَهُ اللهُ كان بصفة رئيسية لكنىٰ كنت أتردد علىٰ المملكة سنويًّا، ففي تلك الفترات التي أتردد فيها كنت أجالس الشيخ محمد العثيمين رحمه الله تعالىٰ؛ خاصةً في الدروس التي كان يلقيها بمكة، وأيضًا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وأيضًا في دروسه بمكة.

- لوقلت لك يا شيخنا المبارك: حدثنا عن مواقف لاتنسىٰ مع الشيخ «محمد العثيمين» رحمه الله تعالىٰ ماذا تقول؟

- بالنسبة للشيخ محمد العثيمين رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة، الموقف الذي لفت نظري لما دعاني مرة في بيته بعنيزة لتناول طعام الغداء معه لفت نظري أنه رَحِمَهُ اللهُ لا يترك الرد علىٰ الناس حتىٰ وهو يأكل، والطعام في فمه، وكان لي وقتها كتاب مستقل فاستشرته حوله وهو كان متعلقًا بحكم خدمة المرأة لزوجها، فالحقيقة أني أرىٰ أن هذه المسألة كما هو رأي الجمهور أنها علىٰ الاستحباب وليس علىٰ الإيجاب، وهذا ما ترجح لدي فلما أخبرته بذلك أني صنفت هذا الكتاب حول هذه المسألة، - قال لي: أيا عبد الله، أرجوك أن تتصل بالناشر وأن تُوقف نشر الكتاب الآن.

قلت له: ياشيخ الكتاب تم تسليمه.

قال لىٰ: لا.. اجعله ضمن كتاب ولا تجعله كتابًا مستقلًّا وإلا سببت نشوزًا من النسوة علىٰ الرجال، وكلما تناولنا حديث أو موضوعًا غيره، كان يُكرر الشيخ: لا بد وأن تتصل بالناشر وأن تُوقف الكتاب، فعملت بنصيحتة وأودعتة في كتاب الجامع لأحكام النساء،

فأسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة ويجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

- ولفت نظري أيضًا مع الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه أني قد زرته في مرض موته وكان الناس يدخلون عليه.

- وأنا في الطريق إليه طلبنىٰ واحد من إخواني وقال: إنني أريد التحلل من الشيخ وأريده أن يحلني من مظلمة له عندي، ووعدته أن أطلب منه هذه الجزئية وحتىٰ سأعمم الطلب أيضًا، فلما دخلت علىٰ الشيخ في غرفته فقلت له: يا شيخ لنا طلب قال لىٰ: تفضل فقلت: أن تُسامح كل من ظلمك من المسلمين!

- فقال: ماذا قلت؟

- فقلت: أن تعفو عمن ظلمك من المسلمين عمومًا ومن تكلموا فيك.

- فقال: ماذا قلت؟ فكررتها ثلاثًا.

- ثم قال: أما من تكلم فيَّ بحق فهو في حِل، وأما من تكلم فيَّ بباطل فأنا خصيمه يوم الدين، كررت عليه الرجاء، فكرر نفس الجواب، فتعجبت من هذا الرد خاصة وأنه علىٰ فراش الموت، فأخبرت بعض إخواننا من أهل العلم بالذي صار، فقالوا: يا أبا عبد الله الشيخ له حق، فقلت: لا شك فهو فقيه ومنه نتعلم، ثم أطلعني الأخ علىٰ مقالات الحاقدين والحاسدين علىٰ الإنترنت فإذا هم يتكلمون في الشيخ كلامًا لا يُتصور، وهم طائفة من أهل البدع وأهل الرفض والخوارج الإباضيين، فقلت: سبحان الله دائمًا نتعلم من علمائنا رحمهم الله تعالىٰ.

- نظرا لضيق وقتكم شيخنا المبارك ولا نحب أن نطيل عليكم، نرجوا منك نصيحة وكلمة أخيرة لإخوانك في شبكة الحزم الإسلامية.

نسأل الله أن يبارك فيكم وفىٰ جهدكم، وليعلم إخواني أنه علىٰ قدر تبليغ الشخص لرسالة ربه يحفظه الله تبارك وتعالىٰ وأيضًا في هذا الباب يقول بعض المفسرين في تفسير قوله تعالىٰ: «لموسىٰ وهارون». ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بعضهم يختار وجهًا في التأويل أي: بتبليغكما أنتما ومن معكما الغالبون، وأنصح إخواننا بمواصلة

الدعوة إلىٰ الله، فالله يحفظ بقدرته قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وكما يقول العلماء: قدر تبليغ الشخص الرسالة يحفظه الله تبارك وتعالىٰ.

شكر الله لك شيخنا المبارك علىٰ تفضلكم بهذا اللقاء.

فتوي الشيخ مصطفى العدوي في حكم الانتماء للجماعات:

السؤال:

ظهرت جماعات كثيرة علىٰ الساحة كجماعة السلف والسنة وجماعة التبليغ والدعوة وجماعة الإخوان المسلمين؛ فنريد أن نعرف: أي الجماعات يقتدىٰ بها، وأي الجماعات نسير معها؟!

الجواب:

لا تجتمع مع أي جماعة، ولا تشترك مع أي جماعة من الجماعات، ولا تبايع أي شخص منهم؛ [**فقاطعه السائل بقوله: حتىٰ لو كانت جماعة سلف وسنة؟!**]

[**فقال الشيخ:**] لا تشترك في أي جماعة من الجماعات؛ فأنت مسلم، ونحن مسلمون، نتعلم ديننا من كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، وأقوال أئمتنا من الصحابة والتابعين، وأهل العلم السابقين رحمهم الله.

أما أن أنتظم مع جماعة من الجماعات؛ وكل الجماعات فيها بلايا كما لا يخفىٰ، ومن ثم تتسبب – أحيانًا – في الخروج علىٰ جماعات المسلمين، وأحيانًا أخر –وهذا السائد العام– [تتسبب في] عصبيات جاهلية وتناحز لا معنىٰ له لم يأمرنا الله به.

فأنصحك:

أن تتعلم دينك، كتاب ربك، سنة نبيك، تتعاون مع المسلمين عمومًا علىٰ البر والتقوىٰ بالقدر الذي تطيقه وتستطيعه، ولا تُحَجِّر نفسك علىٰ جماعة من الجماعات بعينها، فالظاهر – كما لا يخفىٰ عليك وعلىٰ كل ذي لب! – أن هذه الجماعات كثير منها يؤول أمرُه إلىٰ الخروج علىٰ أمراء وحكام في بلاد إمرتهم فيها شرعية، وليس هذا فقط،

[بل يؤول الأمر إلىٰ] توريث عصبية جأهلية لا منتهي لها فترىٰ العضو في الجماعة يعادي كل من لم ينتظم معه في جماعته، وأمير جماعتهم يلقنه الأفكار التي فحواها ومضمونها: «لا تتعاون إلا مع مَنْ هم في حزبنا وجماعتنا» فآل الأمر إلىٰ أن فُرِّقَتْ أمةُ محمد.

ثم هذا الرجل الفلاح العامي الذي يأكل من عمل يده؛ كيف أطالبه بأن يدخل جماعة من الجماعات أو حزبًا من الأحزاب بلا بينة ولا برهان!.

إن مسئوليتنا عن مثل هذا الرجل: أن نعلمه دينه، ونرشده إلىٰ النافع له في دينه وفي دنياه. أما إلزام الأشخاص بدخول جماعات ما أنزل الله بها من سلطان وما أمر باتباع أحدها دون الأخرىٰ؛ فذلك يورث قطيعة وتباغضًا وعصبيات جأهلية لا حصر لها، ولا منتهي لها، ويضيع المسلمون العوام في هذا الباب ضياعًا لا حدَّ له؛ بل قد ينتكس الكثيرون بسبب ذلك.

فبلدة تجد فيها جماعة كذا، وجماعة كذا؛ عشرون جماعة، يأتيهم الشاب الذي كان فاسقًا، بمجرد أن يستقيم؛ فينقضُّوا عليه كلٌّ يريده في حزبه!.

[فهذه] الحزبيات مزقت أمة محمد، وقد توجع من مثلها أئمتنا القدامىٰ - رحمهم الله تعالىٰ - بل والقريبون من التعاصر، فكان الصنعاني -صاحب كتاب «سبل السلام» رحمه الله تعالىٰ- يتوجع توجعًا شديدًا من المذهبيات التي كانت في زمانه والعصبيات التي كانت في زمانه؛ فكان يقول:

وأقبح من كل ابتداع رأيته ... وإنكار للقلب المولع للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يعض بأنياب الأساود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة ... ليجفوه من كان يهواه عن عمد
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض
وليس له ذنب سوىٰ أنه غدا ... يتابع قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل سواه -بالله- في الشرع من

فإن يكن هذا ذنب فحبذا به ذنب يوم ألقاه في لحدي!

فبارك الله فيك؛ نحن -والحمد لله- في بلاد مسلمة، في بلاد مسلمة ولله الحمد؛ فلا يسوغ لنا أن ننشئ هذه الجماعات بهذا الذي نراه من التعصب المقيت البغيض [الذي يجعل المسلم المنتمي لمثل هذه الجماعات] يعادي كل من لم ينتظم معه في جماعته، فكل من لم ينتظم معه في الجماعة؛ يصبون عليه كل ما يستطيعون من الاغتياب، والطعن في العرض، ومعاداته [.. إلخ]، وكل ذلك لكونه لم ينتظم معهم!.

فأنصحك بالتآخي مع المسلمين عمومًا، أنصحك بالتآخي مع المسلمين عمومًا؛ تقبل على كل شخص بقدر طاعته الله، وإن كان فيه حيودٌ؛ نصحتَه وذكَّرْتَه. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، وقال النبي: «تسموا بما سماكم الله به؛ هو سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

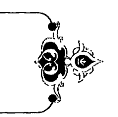
هذا لا يمنع أبدًا من أن أتعاون مع إخواني المسلمين من أي اتجاه كان فيما يقره الشرع وفيما لا يخالف آية من كتاب الله عز وجل، ولا حديثًا [من سنة نبينا]. فأنصحك: بالبُعد عن الجماعات.

وإن جئنا للتأصيل الشرعي:

فما دام هناك حاكم مسلم؛ فما الوجهة التأصيلية الشرعية التي ينبثق منها رأيها؛ [أي] تلك التحزبات وتلك الجماعات؟! والله الموفق.

انتهت الفتوى [تفريغًا من برنامج «فتاوى الرحمة». - الدقيقة: (00: 35: 30). وكانت هذه الحلقة يوم الخميس 12/ (3-ربيع أول) / 1431هـ الموافق 25/ (02- فبراير) / 2010مـ - قناة «الرحمة». الفضائية].

❁❁❁



فضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان



هو محمد سعيد أحمد رسلان المُكنَّىٰ بأبي عبد الله.

❀ **مولده:**

ولد في قرية سبك الأحد بمركز أشمون بمحافظة المنوفية (مصر) وذلك في 23-11-1955م

❀ **دراسته ومؤهلاته:**

قد حصل حفظه الله علىٰ بكالوريوس طب وجراحة من جامعة الأزهر وعلىٰ ليسانس الآداب قسم اللغة العربية شعبة الدراسات الإسلامية

وعلىٰ درجة الماجستير في علم الحديث بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولىٰ عن بحث في «ضوابط الرواية عند المُحدِّثين».

وعلىٰ درجة الدكتوراه - العَالِمية - في علم الحديث بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولىٰ في بحث عن «الرواة المُبدَّعون من رجال الكتب الستة».

ومعه إجازة في أربعين حديث بسنده إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، وهذه الأحاديث مسماة بـ: «الأربعين البُلْدَانِيَّة».

وقد تأثر بطائفة من فحولة العلماء ومحققيهم، وقفا أثرهم، ومنهم: شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد ابن تيمية، وتلميذه البار، العالم الرباني وشيخ الإسلام الثاني؛ ابن قيم الجوزية.

۞ جهوده الدعوية:

يقوم بإلقاء خطبة الجمعة والدروس في المسجد الشرقي بسبك الأحد، ويلقي محاضرات بمختلف البلاد.

۞ من مؤلفات الشيخ:

- فضل العلم وآداب طلبته.
- حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.
- ذم الجهل وبيان قبيح أثره.
- قراءة وتعليق وتخريج لرسالة شيخ الإسلام ابن تيمية «العبودية».
- قراءة وتعليق وتخريج لرسالة شيخ الإسلام ابن تيمية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».
- عداوة الشيطان.
- حسن الخُلُق.
- شأن الكلمة في الإسلام.
- فضل العربية.
- آفات العلم.
- ضوابط في الرمي بالبدعة.
- الشعارات وحدها لا تكفي.
- سلسلة: وقفات مع سيد قطب.
- سلسلة رسائل العلم النافع.
- آداب طالب العلم.
- الترهيب من الربا.
- ضوابط الكتابة عند المُحدِّثين.
- الوضع في الحديث وجهود العلماء في مواجهته.

- مراتب طلب العلم وطرق تحصيله.

❁ **نصيحة الشيخ محمد سعيد رسلان لإخوانه:**

والمرض النفسي قد استشرىٰ في شباب الأُمة، أقولها وأنا أعلم ما أقول – القوة العلمية سابقة عن القوة العملية بمراحل ولايصح لك قلب ولا ضمير ولا فؤاد ولاعقل ولاتحوز سلام العقل والروح حتىٰ تكون متوازنًا؛ موازنًا بين القوة العملية والقوة العلمية – العلم محفوظ ومنطوق ومسموع ومنظور، يسبق فيه طالبه شوقًا، وأما العمل وأما الأدب وأما التربية فحدث عن انعدامها ولا حرج وقديما كنت أقول لإخوانىٰ لا أقول لطلابي وتلامذتي دعك من هذا، وإنما كنت أقول:

يا ولدي عليك أن تقول يومًا من الأيام هذا الذي لك أقول؛ قل: إن العلم الذي أعرفه يستطيع كلٌّ أن يعرفه، ولكن القلب الذي أحمله لايتسنىٰ لغيري أن يحمله.

صِلْ إلىٰ هذه وحُزْها وعُض عليها بنواجذك، قل لنفسك: إن العلم الذي أعرفه يستطيع كل طالب علم أن يعرفه، ولكن القلب الذي أحمله لايتسنىٰ لغيري أن يحمله، إن وصلت إليها فأنت الرجل حقًا، وإلَّا فجاهد كما يجاهد الرجال في الوصول إليها، فلعل وعسىٰ.

النَّصِيحَةُ إلى إخوَانِي النُّبَلاءِ، وَأبْنَائِي الفُضَلَاءِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إلىٰ إخوانِي النُّبَلَاءِ، وأبنائِي الفُضلاءِ؛ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، الدَّاعِينَ إلىٰ اللهِ علىٰ مِنهاجِ النُّبوةِ.

السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

أمَّا بعدُ:

فإنِّي أَحْمَدُ إليكم اللهَ الذي أكرمنا بمعرفةِ الحقِّ، وأنعمَ علينا باتِّباعِهِ، فكم ممَّن عَرَفَ الحقَّ صَدَفَ عنه، فاستحوذَ عليه الشيطانُ فكان مِنْ أتباعِهِ؟!

وأسألُهُ - تعالىٰ - لي ولكم: الثباتَ علىٰ الهُدَىٰ، والسَّلامةَ من الرَّدَىٰ، والحفظَ من الأذىٰ، والاستقامةَ علىٰ النَّهجِ الذي زاغَ أهلُ الأهواءِ عن اجتماعِهِ.

وتعلمون - أدامكم اللهُ علىٰ الحقِّ دُعاةً إليه علىٰ مِنهاجِ النُّبوةِ - أنَّ أهلَ الأهواءِ ما زالت أفراخُهُم ينجُم ناجِمُهَا، ويَرْجُمُ أهلَ الحقِّ - بالافتراءِ - راجمُهَا، منذ خرجَ علىٰ الأمَّةِ شيوخُهُم القُدَامىٰ: ابنُ سبأٍ، وذو الخويصرةِ، وغَيلان القدريُّ، ومَعبدٌ الجهنيُّ، وبِشرٌ المرِّيسيُّ، وابنُ أبي دؤاد، وغيرُهُم ممَّن ترىٰ إلىٰ اليومِ أشباهَهُم ينعِقُونَ ببدعِهِم في كلِّ وادٍ نعيقَ الغِربانِ علىٰ الخرائبِ، ويسلكون فيها مسالِكَ الضِّبَاعِ تستمرئُ الجِيَفَ غَرْثَىٰ سَوَاغِب.

وتعلمون - ثَبَّتكم اللهُ علىٰ مِنهاجِ النُّبوةِ الذي دَلَّكم عليه وأرشدَكم إليه - أنَّ أهلَ الغلوِّ وإخوانَ الضَّلالةِ لا يفرحونَ بشيءٍ فَرَحَهُم بالانزلاقِ في جدالِهِم؛ لأنَّهم أهلُ المِرَاءِ والحَيْدَةِ، وأنَّهم ينصبون شباكَهم لِيَعْلَقَ فيها مَنْ خَدَعَتْهُ حِيَلُهم فَدَخَلَ نَافِقَاءَهم فأحكموا صَيْدَه.

ولقد مضت سُنَّةُ الأئمةِ علىٰ سَنَنِ الهُدَىٰ أَلَّا يجادلوا أهلَ الجهلِ من أهلِ الهوىٰ،

فقال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ عندما طُلِبَ منه أنْ يُنَاظِرَ ابنَ أبي دؤاد: «لا أعرفه مِنْ أهلِ العلمِ فأناظره».

واكتفىٰ الإمامُ في ذلك المقامِ ببيانِ الحقِّ ومضىٰ راشدًا.

وحملت الأيامُ والليالي - بعدُ - خَبَثَ القومِ، وجِيَفَ أفكارِهم فألقته حيث ألقت رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ.

وما زالت الضِّبَاعُ القَرِمَةُ - في كلِّ عصرٍ - عن تلك الجِيَفِ نابشة، تزكُمُ الأنوفَ بنتن ريحِها، ونَجِسِ خَبَثِهَا، حتىٰ يخرج آخرُهم مع الدَّجَّال.

ومَنْ له إلمامٌ بطرفٍ من تاريخ أهلِ الأهواءِ والزيغِ، ومَنْ له معرفةٌ بمسالِكِ فكرِهم، وطريقةِ تفكيرِهم يعلمُ أنَّ أعدلَ ما سَلَكَهُ من السُّبُلِ في معالجةِ زيغِهم وضلالِهم: أنْ يُظْهِرَ الحقَّ بدليلِهِ، ويلزمَ أعلامَ الهُدَىٰ بسبيلِهِ.

قال الراغبُ: «إذا ابتُليتَ بمُهَارِشٍ مُمَاحِكٍ مُنَاوِشٍ، قَصْدُهُ اللَّجَاجُ لا الحِجَاجُ، ومرادُهُ مُنَاوَأَةُ العلماءِ، ومُمَارَاةُ السُّفَهَاءِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ تعلَّمَ العلمَ ليُبَاهيَ به العلماءَ، ويُمَارِيَ به السفهاءَ، ويَصْرِفَ به وجوهَ النَّاسِ، أدخَلَهُ اللهُ جهنَّم[1].

قال الشاعرُ:

تَــــرَاهُ مُعِـــدًّا للخِـــلَافِ كأنَّـــــهُ بِـــرَدٍّ عَلَــىٰ أَهْــلِ الــصَّوَابِ مُوَكَّــلُ

فحقُّك أنْ تَفِرَ منه فِرَارَك من الأساودِ والأسودِ، فإن لم تَجْد من مزاولتِهِ بُدًّا، فَكَابِرْ إنكارَهُ الحقَّ بإنكارِكَ الباطلَ، ودفاعَهُ الصدقَ بدفاعِكَ الكذبَ، معتبرًا في ذلك قولَه تعالىٰ: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: 50]، وقولَه: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]، وقولَه تعالىٰ حكايةً عن المنافقين: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14 - 15]، وقولَه تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5].

وبَالِغْ في ذلك معه، وإيَّاك أنْ تعرِّجَ معه إلىٰ بَثِّ الحكمةِ، وأنْ تذكر له شيئًا من الحقائقِ ما لم تتحقَّقْ له قلبًا طاهرًا لائقًا بالحكمةِ، وقد قال ﷺ: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه كَلْبٌ»(2).

فإنَّ لكلِّ تربةٍ غَرْسًا، ولكلِّ بناءٍ أُسًّا، وما كلُّ الرءوسِ تستحقُ التيجان، ولا كلُّ طبيعةٍ تستحقُّ إفادةَ البيان.

(يُتْبَعُ)

وإنْ كان لا بُدَّ فاقتصر معه علىٰ إقناعٍ يبلُغُهُ فهمُهُ، فقد قيل: كما أنَّ لُبَّ الثمارِ مباحٌ للنَّحْلِ، والتبنَ معدودٌ للأنعامِ، كذلك لُبُّ الحكمةِ مُعَدٌّ لذوي الألبابِ وقشورها مجعولةٌ للأنعام، وكما أنَّه من المُحالِ أنْ يَشُمَّ الأَخْشَمُ[3] رَيْحَانًا فمُحَالٌ أن يفيدَ الحمارُ بيانًا»[4].

ونصيحتي لإخواني النُّبلاءِ، وأبنائي الفُضلاءِ، مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الدَّاعين إلىٰ اللهِ علىٰ مِنهاجِ النُّبوةِ:

أنْ يُيَمِّمُوا القَصْدَ جادِّينَ، وأنْ يَعْمُروا الأوقاتَ بالعلمِ والعملِ، وأنْ يَدَعُوا أهلَ الأهواءِ والخَطَلِ، علىٰ جِيَفِ طِباعِهِم عاكفين.

وأنْ يُرَتِّلُوا كثيرًا قولَه تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17].

وأنْ ينظروا مُمْعِنِين في قولِ النبيِّ ﷺ: «ما ضَلَّ قومٌ بَعْدَ هُدًىٰ كانوا عليه إلَّا أُتوا الجدَلَ. ثُمَّ تَلَا ﷺ هذه الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: 58]»(5).

وفي قولِهِ ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبضِ الجنَّةِ لمن تركَ المِرَاءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لمن تركَ الكذبَ وإنْ كان مازحًا، وببيتٍ في أعلىٰ الجنَّةِ لمن حَسُنَ خُلُقُهُ»(6).

وليعلموا: «أنَّ المجادِلَ المدافعَ يقعُ في نفسِهِ عند الخوضِ في الجدالِ أَلَّا يقنعَ بشيءٍ، ومَنْ لا يُقْنِعُهُ إلَّا أَلَّا يقنعَ، فما إلىٰ إقناعِهِ سبيلٌ، ولو اتفقت عليه الحكماءُ بكلِّ بَيِّنَةٍ، بل لو اجتمعتْ عليه الأنبياءُ بكلِّ معجزةٍ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: 111]»(7).

فليجتهد أبنائِي من طُلَّابِ العلمِ في الجِدِّ استعدادًا لاختبارات (معهد الفرقان)، وتهيُّؤًا لاستقبال رمضان.

وأمَّا أهلُ الغلوِّ فَذَرُوهم في طُغيانِهِم يعمهون، ودَعُوهم لأحقادِهم وفِرَاهُم يَعْلُكُون، ولَيَعْلَمُنَّ نبأَهُ بعد حين، إنْ شاءَ اللهُ ربُّ العالمين.

وكتب أبو عبد الله محمد سعيد رسلان

الخميس 13 من شعبان 1429هـ

14 من أغسطس 2008م

هوامش الرسالة:

(1) ابن ماجه (260)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(2) البخاري (3053)، ومسلم (2104).

(3) الأخشمُ: الذي لا يجدُ ريحَ طِيبٍ ولا نتنٍ.

(4) الذريعة ص 129.

(5) الترمذي (3253)، وابن ماجه (48)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (136)، وقال الترمذيُّ: (حسنٌ صحيح)، وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألبانيُّ.

(6) أبو داود (4800)، وانظر طرقه مجموعةً في السلسلة الصحيحة (273).

(7) الذريعة ص 127.





فضيلة الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ اسمه ونسبه:

محمد عمرو بن عبداللطيف بن محمد بن عبدالقادر بن رضوان بن سليمان بن مفتاح بن شاهين الشنقيطي.

فـ(محمد عمرو) مركب، وترجع أصول الشيخ إلىٰ شنقيط، فقد جاء بعض أجداده إلىٰ مصر قديمًا فرارًا من التجنيد واستقر بها.

۞ مولده ونشأته:

ولد الشيخ في حي مصر الجديدة من محافظة القاهرة، عاصمة مصر.

في الحادي عشر من شهر رمضان المبارك عام 1374هـ الموافق 5/ 2/ 1955م.

واستقر الشيخ منذ صغره مع عائلته المكونة من ستة أفراد - هو أصغر أفرادها - في منطقة المعادي.

وفي بعض مدارسها تلقىٰ الشيخ تعليمه الابتدائي والإعدادي ثم الثانوي، ثم أجبره والده علىٰ دخول القسم العلمي رغم ميوله الأدبية، فحصل في الثانوية علىٰ مجموع التحق به الشيخ بمعهد (السكرتارية) بمنطقة (مَنْيَل الرَّوضَة).

وحين وصل إلىٰ السنة الثالثة من الدراسة في (معهد السكرتارية) تقرر تحويل المعهد إلىٰ (كلية التجارة وإدارة الأعمال) التابعة لجامعة حلوان، كما تم نقل موضعه أيضًا من الموضع السابق إلىٰ منطقة (الزمالك)، في الموضع الحالي.

ظل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حتىٰ بلغ السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره (1391هـ - 1972م) لا يتميز عن أحد من أقرانه بشيء من طلب العلم، لكن أبىٰ الله - عز وجل -

إلا أن يستعمله علىٰ وجه فيه النفع له – إن شاء الله – ولعامة المسلمين.

- اتجاهه إلىٰ طلب العلم وأهم شيوخه وتلاميذه:

«عبدالرحمن بن يوسف بن حسين»

يخبر الشيخ عن هذا الأخ – جزاه الله خيرًا – وأنه أول من لفت نظره إلىٰ قراءة بعض كتب العقيدة السلفية، يوم كان عمر الشيخ حوالي (17 – 18) عامًا، ويبدو أن الشيخ تأثر بهذه الكتب أشد ما يكون التأثر، فبدأ يسلك الطريق، ويترسم الخطا.

ولكن كيف اتجه الشيخ بكليته إلىٰ الحديث؟

لعل من نعم الله – عز وجل – علىٰ عبدهِ محمد عمرو، أنه اتجه للحديث، وأقبل عليه، وأحبه، وهو في سن مبكرة.

لم يكن الشيخ حينها قد بلغ العشرين من عمره.

ويخبر الشيخ – رحمه الله تعالىٰ – عن هذه النقلة المهمة فيقول:

(كان عندنا كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضبط وشرح الشيخ: محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقرأت تعليق الشيخ عند حديث دعاء حفظ القرآن الذي رواه الترمذي والحاكم فقال فيه – عند قول الترمذي: (حسنٌ غريب) –:

(وأي حُسنٍ فيه يا علَّامة ترمذ؟ وهل نصدقك بعد هذا فيما تحسن أو تصحح من حديث؟).

وقال مُعلِّقًا علىٰ قول الحاكم: «صحيح علىٰ شرطهما»:

(ثم تأمل تبجح الحاكم وقوله صحيح علىٰ شرطهما، لا والله ما هو علىٰ شرطهما، ولو رواه أحدهما لسقط كتابه في الميزان كما سقط مستدركك أيها الحاكم).

يقول الشيخ محمد عمرو: وكان يسمي المستدرك: المسترك، أي: الذي يستحق الترك.

فكان له تأثير كبير عليَّ في حب هذا العلم، كما أن المنذري في آخر كتابه سَرد أسماء الرواة المختلف فيهم الذين مر ذكرهم أثناء الكتاب، فهذا أيضًا مما أثر فيَّ، وحبب إليَّ

علم الرجال، وكان بجوار المعهد المكتبةُ السلفية بالمنيل، فاشتريت منها «الأدب المفرد»، و«موارد الظمآن»، وبعض الكتب في العقيدة مثل: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» للسهسواني، والأخير يتميز بجو حديثي، فهذه من أوائل الكتب التي تأثرت بما فيها.

كان هذا هو بعض ما حبب الشيخ في علم الحديث، لكن تبقىٰ معالم هامة في حياة الشيخ (محمد عمرو) الحديثية، لا يسعنا أن نغفل الإشارة إليها ونحن نسوق بعض العلامات التي أثرت في الشيخ «حديثيًّا»..

الشيخ الإمام: محمد ناصر الدين الألباني.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كنت مُتجهًا إلىٰ مسجد أنصار السنة بعابدين، حين رأيت رجلًا أبيض مشربًا بحمرة، له لحية بيضاء، والناس مجتمعون حوله، وهو يتكلم عن حديث السبعين ألفًا، فقال:

(وفي رواية: «الذين لا يرقون ولا يسترقون» وزيادة: «لا يرقون» شاذة، والشذوذ من سعيد بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ.)

يقول الشيخ محمد عمرو:

(وبعدها بمدة عرفت أن هذا الكلام لشيخ الإسلام، أنه حكم علىٰ زيادة: «لا يرقون» بالشذوذ.

وكانت هذه هي المرة الأولىٰ والأخيرة التي أرىٰ فيها الشيخ، والطريف أنني رأيته ثم بعد ذلك عرفت أن هذا هو الشيخ الألباني، كان عمري حينها 20 أو 21).

لقاءٌ واحد؟!

نعم هو كذلك، وكان عمر الشيخ محمد يومها عشرين عامًا أو واحدًا وعشرين.

لكن العلاقة بين الشيخين لم تكن هكذا وفقط.

فإنه ليس بمقدور أحد أن ينكر استفادة أهل العلم وطلبته، وبخاصة أهل الحديث، من كتب وتحقيقات الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

إذا علمت ذلك أيها القارئ الكريم، فتعجب معي من شخصٍ يحط من قدر الشيخ محمدٍ لأنه يخالف الشيخ الألباني في أشياء !!

وما علم هذا المتهوِّك أن أهل السنة بعضهم لبعضٍ كاليدين، تغسل إحداهما الأخرىٰ، وأنه ليس ثَمَّ عالم إلا وهومستدرَك عليه، وأن الشيخ الألباني نفسه هو الذي علّمنا أنه (كم ترك الأول للآخر).

• **الشيخ محمد نجيب المطيعي (صاحب تكملة المجموع).**

يقول الشيخ محمد عمرو:

(بالطبع تأثرت بالشيخ المطيعي رَحِمَهُ اللَّهُ ودروسه في مسجد الفتح بالمعادي، وكانت بيننا بعض مساجلات أذكر منها أنه مرة قال:

(لا دليل أن الله – سبحانه وتعالىٰ – يوصف بالقديم) [هذا هو الصواب بلا ريب وهو معتقد الشيخ محمد عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ]، فانصرف ذهني إلىٰ حديث أبي داود.

لكن شيخ أبي داود في هذا الحديث كان يرمي بالقدر، ووجدت له مصيبة أخرىٰ في العقيدة، واسمه: إسماعيل بن بشر بن منصور، ومع أنه صدوق إلا أن له حديثًا آخر متعلقًا بالعقيدة، ففي صدري من هذا الرجل.

المقصود أنني ذكرت للشيخ حديثه في سنن أبي داود وهو حديث: «كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم..» الحديث، فقال الشيخ كلامًا في محاولة تأويل هذا.

ثم في يوم الجمعة التي تليها، قال الشيخ:

(يا شيخ عمرو، هذه سنن أبي داود، هات الحديث الذي نَخَعتَه)، وكان معه سنن أبي داود، وجلس علىٰ المنبر وأنا أمامه، ففتحت الكتاب واستخرجت له الحديث **فقال الشيخ:** (ظننتك تقول دعاء دخول المنزل وليس دعاء دخول المسجد).

وكان الشيخ يثق فيّ، مع أنني لم أخالطه كثيرًا، ولم ألزمه كما يدعي البعض، وكان يقول في أثناء بعض دروسه: (لا أثق إلا في محمد عمرو ومحمد الصَّوَّاف) في جملة

الطلبة الذين يحضرون له هذه المجالس، ثم بعد مدة أعطاني الإجازة دون أن أطلبها منه، فقال: (إذهب إلىٰ الجزء الثالث عشر من المجموع، وخذ الإجازتين، إحداهما إلىٰ النووي، والأخرىٰ إلىٰ البخاري [إسناد المعَمَّرين]).

وعودًا بعد استطراد أقول:

تخرج الشيخ (محمد عمرو) من كلية التجارة وإدارة الأعمال، ثم عُين موظفًا بمديرية القوىٰ العاملة في مجمع التحرير براتب شهري (38) جنيهًا، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستمر في الوظيفة الحكومية سوىٰ لشهرين فقط ! بل تورع الشيخ عن أخذ مرتب الشهر الثاني، لما في العمل من اختلاط بين الرجال والنساء، وما فيه من متبرجات، ثم تركها واستمر في القراءة والطلب.

ومنذ كان عمر الشيخ 22 عامًا إلىٰ أن أصبح عمره 32 عامًا، وعلىٰ مدار هذه السنوات العشر، مر الشيخ بأحداث كثيرة يمكننا أن نوجزها في الآتي:

•إعتقل الشيخ في الفترة من 14 / 12 / 1981 إلىٰ 1/ 1/ 1983 في أحداث أوائل الثمانينات الشهيرة.

•كان لا بد للشيخ أن يعمل، فهو أحيانًا يقف أمام عربة «فِشار». ليبيع الفِشار في شارع بجوار بيته، وأحيانًا يعمل في تخريج الأحاديث بالساعة، ويتذكر الشيخ جيدًا الأخ: آدم إبراهيم حسن الموجي؛ الذي دفع له بكتاب عمل اليوم والليلة لابن السني ليقوم بتخريجه، لكن العمل لم ينجز لسبب ما.

[ويذكر الشيخ أن الأستاذ إبراهيم الموجي والد هذا الأخ، قام بترجمة صحيح البخاري إلىٰ الإنكليزية].

•وأولىٰ ما يشار إليه من أحداث خلال هذه الحقبة من حياة الشيخ، أنه أصدر فيها عدة مؤلفات حين كان عمره ما بين (28 – 32) عامًا ، وهي كل الكتب التي لا يرضىٰ الشيخ عن منهجه فيها، وليس في هذه الحقبة كتاب واحد إلا وتراجع الشيخ عن بعض ما فيه، وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام علىٰ مؤلفات الشيخ إن شاء الله.

لكنني أرىٰ هذا المقام هو مقام ذكر بعض تلامذة الشيخ، وأهم هؤلاء اثنان من أنجب مَن استفاد مِن الشيخ:

أحدهما: هو الشيخ الفاضل: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، صاحب التصانيف التي راجت وفاح عطرها.

والثاني: هو الشيخ الفاضل: أبو تراب عادل بن محمد بن أحمد.

فهذان هما أنجب من استفاد من الشيخ، بل إن الشيخ كان يكثر الثناء عليهما، وقد يستشيرهما في بعض النواحي العلمية، وكم من مرة رأيته وسمعته يحيل علىٰ درس الشيخ طارق بن عوض الله.

وأما غير هذين ممن استفاد من الشيخ فكثير، منهم:

الشيخ: خليل بن محمد العربي، صاحب الفرائد علىٰ مجمع الزوائد، وله اعتناء بكتب الإمام الذهبي، فله كتاب من جزءين جمع فيه أقوال الذهبي في الجرح والتعديل.

الشيخ: إبراهيم القاضي، ممن قام بتحقيق فتح الباري لابن رجب، طبعة الحرمين).

والشيخ: السيد محمود إسماعيل، قام بتحقيق الإتحاف للبوصيري.

والشيخ: أبو ذر صبري عبد الخالق الشافعي؛ قام بتحقيق مختصر زوائد مسند البزار علىٰ الكتب الستة ومسند أحمد لابن حجر طبعة مؤسسة الكتب الثقافية.

كذلك يُذكر في هذا المقام بعض الإخوة الذين استفادوا من الشيخ وإن لم تكن لهم أعمال مثل الأخ: خالد بن حسن، والأخ: ممدوح بن جمعة وغيرهما.

۞ سرد مؤلفات الشيخ المطبوعة والمخطوطة:

أما المطبوع منها فهو قسمان:

الأول: قديم ألفه الشيخ في المعادي، ولم يرض عنه الشيخ في أواخر حياته، بل ينقده الشيخ نفسه، وهو أقل انتشارًا إلىٰ حد ما من الثاني.

وهذا كان علىٰ الطريقة الأولىٰ في التفكير، لذا كان لا يرضىٰ الشيخ عنه، فهي مؤلفات علىٰ منهج المتأخرين الذين يوصفون بالتسأهل، والاغترار بظواهر الأسانيد، وإغفال

التفتيش الدقيق عن العلل.

الثاني: متأخر نسبيًّا، ألفه الشيخ في مدينة نصر، وهو مرضي عنه في الجملة. ويتميز بالتأني، والتعمق في البحث والتحليل، وترسم خطا الأئمة النقاد في التصحيح والتضعيف والتحسين والإعلال.

ويمكن حصر المصنفات التي لم يرض الشيخ عنها - مؤلفات المعادي - في الآتي:

1- أخذ الجنة بحسن حديث الرتع في رياض الجنة، ومعه: الأذكار الصحاح والحسان في الصباح والمساء وبعد الصلاة.

2- القسطاس في تصحيح حديث الأكياس.

3- تخريج أحاديث الحقوق (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة للشيخ ابن عثيمين).

4- آداب حملة القرآن للآجري، الذي طبع زورًا باسم: أخلاق أهل القرآن.

5- البدائل المستحسنة لضعيف ما اشتهر علىٰ الألسنة، الجزء الأول.

كما يمكن أن نحصر المصنفات التي رضي الشيخ عنها فيما يأتي:

1- تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة (1، 2)(100 حديث علىٰ جزئين).

2- تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع (جزء واحد فيه 25 حديثًا).

3- حديث: «قلب القرآن يس» في الميزان.

4- تخريج أحاديث كتاب: «الذل والانكسار للعزيز الجبار» لابن رجب الحنبلي، اشترك في التحقيق مع حسين الجمل.

5- تعليقات علىٰ كتاب: (إماطة الجهل بحال حديثي: «ما خير للنساء». و«عقدة الحبل») جمع وتنسيق زوجه: أم عبدالرحمن بنت النوبي.

۞ ثناء بعض أهل العلم على الشيخ:

•الشيخ الإمام الألباني.

سمع الشيخ محمد عمرو في بعض الأشرطة المسجلة بين الشيخ أبي إسحق والشيخ

الألباني، والشيخ أبو إسحق يسأله عن كتاب: (القسطاس في تصحيح حديث الأكياس) للشيخ محمد عمرو، فقال الشيخ الألباني: باحث جيد له مستقبل جيد في اعتقادي.

وهذا الكتاب من كتب الشيخ القديمة التي لم يرض عنها.

•الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي.

لما زار الشيخ مصر، وفي مسجد الكحال قال: (أعلم أهل مصر بالحديث محمد عمرو عبد اللطيف).

وكان شيخنا محمد عمرو قد نبه الشيخ مُقبلًا علىٰ علة حديث، وأشار الشيخ مقبل إلىٰ ذلك في كتابه: «أحاديث معلة ظاهرها الصحة» تحت الحديث رقم (395) صفحة: 258 طبعة مكتبة ابن عباس بالمنصورة: «سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته» ما نصه:

(الحديث إذا نظرت في رجاله قلت: علىٰ شرط الشيخين، ولكنه منقطع: خالد الحذاء لم يسمع من أبي العالية، أفادني بهذا الأخ محمد بن عمرو المصري؛ فرجعت إلىٰ تهذيب التهذيب فوجدته كما يقول حفظه الله) اهـ.

والشيخ مقبل لما زار مصر وألقىٰ بعض الدروس في مسجد عقبة بن نافع، وقبل أن ينصرف استخلفه للجلوس مكانه وإلقاء الدروس بعده.

۞ الشيخ محمد بن عبدالمقصود العفيفي.

تناهي إلىٰ مسامعي أن الشيخ محمد بن عبدالمقصود العفيفي كان يحضر دروس الشيخ محمد عمرو ويكتب وراءه[1]!

وسُئل الشيخ محمد عمرو عن هذا الخبر، فأخبرني أنه حضر مرة ولا يذكر إن كان كتب أم لا.

وقال الشيخ محمد بن عبد المقصود العفيفي في رسالته «بحث في صفة صلاة النبي ﷺ مع الراجح من أقوال العلماء في الآراء الخلافية» صفحة 17:

(1) ما أحسن تواضعك يا شيخ محمد!.

(.. وقد ذكر العلامة محمد عمرو عبداللطيف حفظه الله في كتابه «تبييض الصحيفة» أنه قد انفرد بها زائدة بن قدامة.) إلخ..

❁ الشيخ المحدث أبو إسحق الحويني:

كثيرًا ما يذكر الشيخ أبو إسحاق حجازي بن محمد بن شريف الحويني في دروسه، أو لقاءاته تقديمه للشيخ محمد عمرو علىٰ نفسه في الحديث.

ولا عجب، فقد تقارب الشيخان بدار التأصيل لفترة ليست بالقصيرة في البداية.

❁ الشيخ حسن أبو الأشبال الزهيري:

وهو من مشايخ مصر ودعاتها المشهورين المشتغلين بالحديث وله تحقيقات وأعمال يكتب عليها: أبو الأشبال الزهيري[1].

قال الشيخ حسن في تقديمه لمحاضرة للشيخ محمد بن عبد المقصود بمسجد العزيز بالله في سياق ذكر الثلاثة المقدمين من علماء مصر:

(الشيخ محمد عمرو بن عبداللطيف إمام المحدثين في مصر بلا منازع لا نقدم عليه أحدًا).

❁ حياته:

أجمع كل من رأىٰ الشيخ أو جالسه سواء من أهل العلم أو طلبته أو حتىٰ العوام أن الشيخ آية في الزهد وكراهية الشهرة، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقبلًا علىٰ شأن آخرته مهتمًّا بها، شديدًا في النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، لا يكترث لأمر الدنيا، فكان يتنقّل بالدّراجة العاديّة إلىٰ العمل وإلىٰ المسجد، يرفض الظهور علىٰ القنوات الفضائية مخافة الشهرة، وقد حكىٰ بعض أهل العلم كثيرًا من المواقف مع الشيخ تدلّ علىٰ ذلك.

من ذلك قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه «تكميل النفع»: «وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يحترزون من أقوال وأفعال، نعدها نحن في هذه الأيام من التوافه

---

(1) ذكرنا قبل أنه ترجمته تأتي.

والمحقرات.

قيل لأحدهم: أدع الله لنا، قال: لا تحضرني لذلك نية.

وكان شيخ الإسلام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ - علىٰ إمامته وجلالته - يكره أن يُرَىٰ معتمًّا يوم الجمعة وحده مخافة الشهرة، فكان يرسل إلىٰ تلاميذه: الهقل وابن أبي العشرين، وعقبة بن علقمة، أن اعتموا اليوم فإني أكره أن أعتم.

فيا سبحان الله، هلك الذين كانوا يحبون الخمول ويمقتون الشهرة، وكثرت عمائم العُجْب والخيلاء، حتىٰ ظن بعض من أرخىٰ أربع أصابع أنه قد صار بذلك إمام المسلمين وفيهم - يا أسفي - شباب في مقتبل العمر.

وبعد كل ذلك، فلا يظنن ظان أنني أدعي لنفسي الإخلاص أو التجرد أو الرسوخ في العلم أو طهارة القلب من الآفات - حاشا وكلا - علىٰ أنني أسألها الله عز وجل علىٰ الدوام، عسىٰ أن يرزقنيها يومًا من الأيام، ويهديني فيمن هدىٰ، فلا يطردني عن بابه، ولا يحرمني من جنابه»اهـ.

ومثل هذا كثير في كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

تزوّج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منذ صغره، وله أربعة أولاد، ولدان وبنتان.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان مريضًا بـ(السكّري) لفترة تجاوزت الخمسة وثلاثين عامًا، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يعاني كثيرًا من آثار هذا المرض خاصّة في السنوات الأخيرة، وأشار إلىٰ ذلك في مقدمة آخر كتبه طباعةً.

۞ وفاته:

وفي ليلة الثلاثاء (14 من شهر المحرم عام 1429) الموافق (22 من يناير 2008) قام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ليجيب علىٰ بعض أسئلة طلبة العلم في شريط يسجّله، كما هي عادته، وعند منتصف الشريط تقريبًا، أجهد الشيخ، فقام ليستريح، فتمدد علىٰ سريره وخرجت روحه كأيسر وأسهل ما يكون والحمد لله.

فمات رَحِمَهُ اللَّهُ وآخر كلامه حديث رسول الله ﷺ، وحقًّا: «من عاش علىٰ شيء مات

عليه» وإنا نرجو للشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن يبعث مدافعًا عن النبي ﷺ.

قامت زوج الشيخ أم عبدالرحمن، وزوج ابنته، وابناه عبدالرحمن وأنس، بتغسيله.

وأمَّ الناسَ في الصلاة على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل المقدَّم، وحضره كل دعاة وعلماء مصر تقريبًا.

ومع حرص الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على الخمول وعدم الشهرة، فقد احتشد الناس من سائر محافظات مصر لحضور جنازته والصلاة عليه، وانطلقت الحشود بالآلاف في مسيرة مهيبة؛ طويلة وشاقّة في الأمطار والبرد الشديدين إلى مقابر السادس من أكتوبر حيث دفن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وطيّب ثراه.

فرحمه الله من إمام هدى «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها».

ورثاه بعضهم شعرًا فقال:

مَاذَا فَعَلْتَ بِقَلْبِي أَيُّهَا الْعَلَمُ ... أَصَابَهُ أَلَمٌ مِنْ حِيْنِ مَوْتِكُمُ

أَيَا مُحَمَّدُ عَمْرٍو هَلْ أَجَبْتَ عَلَىٰ ... رِسَالَتِي أَمْ تَرَكْتَ الْقَلْبَ يَنْكَلِمُ

أَيَا مُحَمَّدُ عَمْرٍو لَمْ أَزُرْكَ وَلَمْ ... يُيَسِّرِ اللهُ نَيْلَ الْعِلْمِ عِنْدَكُمُ

أَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْمَوْتَ آخِذُنَا ... لَكِنَّ مَوْتَ تَقِيٍّ ذَاكَ يَنْهَدِمُ

بِمَوْتِهِ رُكْنُ عِلْمٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... إِلَّا الَّذِيْ خَلَقَ الأَعْلَامَ رَبُّهُمُ

الْحِفْظُ وَالْبَحْثُ وَالتَّنْقِيْبُ فُزْتَ بِهِ ... بِالْكَشْفِ عَنْ عِلَلِ الأَخْبَارِ تَتَّسِمُ

وَزُهْدُكُمْ قُدْوَةٌ إِذْ لَوْ أُقِيْمَ لَهُ ... مُجَلَّدَاتٌ مِنَ الأَوْرَاقِ تَنْخَرِمُ

تَوَاضُعٌ وَانْكِسَارٌ وَالْخُمُوْلُ غَدَا ... وَصْفًا لَكُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ كُلِّهِمُ

فَهَذِهِ الدَّارُ لَمْ تَغْرُرْكَ زَهْرَتُهَا ... الْمَالُ وَالْجَاهُ وَالإِعْلَامُ وَالنِّعَمُ

وَرَّثْتَ زُهْدًا وعِلْمًا نَسْتَنِيْرُ بِهِ ... فَالْعِلْمُ وَالْهَدْيُ فِيْنَا قَائِمٌ عَلَمُ

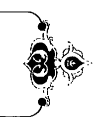
غَـادَرْتَ أَرْضًـا بَـوَارًا لاَ قَـرَارَ بِهَـا ... وَهَـذِهِ حَـالُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ قَـبْلَكُمُ

يَعِـيْشُ فِـي الأَرْضِ آلاَفٌ مُؤَلَّفَـةٌ ... وَعُمْـرُهُمْ فِـي سَبِيْلِ الْجَهْـلِ يَنْصَرِمُ

لاَ يُعْرَفُـوْنَ بِمَـوْتٍ أَوْ بِكَـوْنِهِمُ ... يَحْيَـوْنَ فِيْنَـا أَمَـاتَ اللهُ ذِكْـرَهُمُ

لَحِقْـتَ سَـادَةَ عِلْـمٍ لِلْحَـدِيْثِ غَـدَوْا ... عَلاَمَـةً فِـيْ جَبِـيْنِ الْعَـصْرِ تَرْتَسِمُ





فضيلة الشيخ
حسن أبو الأشبال



ترجم الشيخ لنفسه، كما جاء في موقعه الإلكتروني، على النحو التالي:

سيرة ذاتية:

* الاسم/ حسن أمين المندوه يوسف الزهيري.

* الكنية/ أبو الأشبال.

* زمان الميلاد/ 4-2- 1957.

* محل الميلاد/ قرية ميت سويد، مركز دكرنس، محافظة الدقهلية جمهورية مصر العربية.

* محل الإقامة/ محافظة القاهرة.

* العمل/ محام ومتفرغ للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

- الشهادات الحاصل عليها:

* ليسانس حقوق سنة 1980 م جامعة المنصورة.

* دبلوم دراسات عليا في الشريعة الإسلامية واللغة العربية؛ كلية دار العلوم -جامعة القاهرة سنة 1994م.

* ليسانس شريعة إسلامية جامعة الأزهر الشريف-القاهرة سنة 2000م.

* وحاصل علىٰ عدة إجازات من شيوخ وعلماء الحديث والفقة والقراءات في بلاد الحجاز والشام ومصر ولله الحمد والمنة.

- الحالة الاجتماعية/ متزوج وله ستة أولاد، وهم جميعًا يدرسون علوم الشريعة بجامعة الأزهر الشريف ولله الحمد والمنة.

❁ **شيوخه:**

قد امتن الله عليَّ بتلقي العلم على يد العلامة؛ محدث الشام محمد ناصر الدين الألباني بالأردن في الفترة ما بين 1979م حتى 1985م.

وفي أثناء تلك المدة كنت أتلقى العلم بمجالس السادة العلماء والمشايخ أمثال:

1. العلامة محمد إبراهيم شقرة مدير عام شئون المسجد الأقصى بالأردن، وهو فقيه وأديب سلفي، وأصولي بارع حفظه الله وأتم به النعمة في بلاد الشام بعد وفاة محدثها الألباني رحمه الله.

2. الشيخ العلامة الفقية أحمد السالك شيخ جبل الهاشمي الشمالي بالأردن.

3. الشيخ العلامة المفسر السلفي محمد نسيب الرافعي الذي اختصر تفسير الحافظ ابن كثير في أربع مجلدات.

4. الشيخ الدكتور عاطف التهامي المصري الشامي الكويتي الأزهري وتلقيت على يديه عدة علوم في الحديث والفقه والأصول والسيرة والتفسير ولازمته سنوات عديدة بالأردن جزاه الله خيرًا ونفع به.

5. الشيخ العلامة صاحب العقيدة السلفية وصاحب التصانيف الرائعة الدكتور عمر سليمان الأشقر.

6. الدكتور المفسر الشيخ محمد عبد القادر أبو فارس بجبل اللويبدة بعمان الأردن وكنت أحضر مجالس التفسير له بالمسجد الكبير بالجبل.

7. الشيخ أبو محمد وضاح خريم أمام وخطيب مسجد الفالوجة بضاحية الأمير حسن بعمان الأردن وقد تلقيت على يديه أحكام التجويد وختمت على يديه عدة ختمات بعد صلاة الفجر.

- أما في أرض الكنانة مصر المحروسة:

فقد نشأنا بها صغارًا علىٰ حفظ كتاب الله تعالىٰ في الكتاتيب علىٰ يد الشيخ الأحمدي رحمه الله بالقرية.

وتعرفنا علىٰ الدعوة السلفية ونحن بجامعة المنصورة سنة 1977م، من خلال دعاتها بالجمعية الشرعية ومسجد التوحيد التابع لجمعية أنصار السنة المحمدية بالمحافظة، مما شجعنا علىٰ السفر إلىٰ بلاد الشام لمقابلة شيخ السلفيين العلامة الألباني، وذلك في فترات الإجازات الصيفية أثناء الدراسة بالجامعة وبعدها

وحبب إلينا دراسة الحديث النبوي الشريف وأصوله ونحن طلبة بالجامعة علىٰ يد الشيخ الدكتور سيد نوح أستاذ الحديث بجامعة الأزهر -كلية أصول الدين بالمنصورة

وكنا نحضر مجالس العلامة المحدث الفقيه محمد نجيب المطيعي بحي المعادي بالقاهرة «مسجد الفتح».

وكذلك كنا نحافظ علىٰ الحضور للشيخ السلفي العلامة محمد جميل غازي مؤسس المركز الإسلامي بالزيتون-القاهرة، والمعروف بمسجد العزيز بالله حتىٰ شرفنا الله تعالىٰ بعد ذلك وكنا من دعاته، وكذلك كان لنا شرف إدارة الدعوة فيه وإدارة معهد إعداد الدعاة التابع لهذا المركز 2000-2001م.

وفي القاهرة تلقينا قراءة حفص عن عاصم من طريق الحرز علىٰ يد الشيخ العلامة عبد الباسط هاشم ولنا منه إجازة في هذا العلم.

ولنا مع أعلام الدعوة السلفية بمصر حضور وتواصل أمثال:

1. الشيخ الدكتور محمد أسماعيل المقدم حفظه اللة تعالىٰ.

2. الشيخ الدكتور سعيد عبد العظيم حفظه اللة تعالىٰ.

3. الشيخ المحدث أبو اسحاق الحويني حفظه اللة تعالىٰ.

4. صاحب الود ووعاء العلم الزاهد الأديب العلامة شقيق الروح الشيخ الدكتور سيد بن حسين العفاني صاحب القلم السيال والتصانيف النافعة.

5. كبار مشايخ ودعاة جمعية أنصار السنة المحمدية أمثال الشيخ محمد صفوت نور

الدين وكانت لنا معه صُحبة في حِلهِ وتِرحاله في داخل البلاد وخارجها، رحمه الله تعالىٰ، والشيخ صفوت الشوادفي الفقيه رحمه الله تعالىٰ.

6. الشيخ المحدث الثقة الذي فجعت الأمة عامة ومصر خاصة بموته العلامة محمد عمرو بن عبد اللطيف الشنقيطي الأصل، المصري مولدًا ونشأةً، ولنا منه إجازة في كتاب «المجموع شرح المهذب». للأمام النووي وقرأنا عليه كتاب «المنتقىٰ».لابن الجارود إلا شيئًا يسيرًا رحمه الله رحمة واسعة.

7. الشيخ العلامة الفقيه الأصولي المحدث الدكتور محمد بن عبد المقصود عفيفي ثقة وزيادة يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، بقية السلف، يأخذ نفسه بالعزيمة ويرخص للناس، صاحب ورع وأدب جم.

۞ أسماء الكتب التي قام الشيخ بإخراجها:

1. جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر – طبع دار ابن الجوزي بالسعودية– تحقيق:

2. صحيح جامع بيان العلم وفضله – اختصار وتهذيب، طبع مكتبة ابن تيمية بالهرم– جيزة.

3. التوبيخ والتنبيه للحافظ أبي الشيخ الأصبهاني، طبع مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم جيزة – تحقيق.

4. مسند الحب ابن الحب للحافظ ابن منيع، تحقيق، طبع دار الضياء بالرياض السعودية.

5. التتبع لصفة التمتع، للحافظ ابن حجر العسقلاني – تحقيق.

6. تنبيه الأعلام في تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام، تأليف الإمام الشوكاني – تحقيق.

7. الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع مكتبة ابن تيمية – بالقاهرة – تحقيق.

8. القول المبين في مشروعية الختان للبنات والبنين – تصنيف.

9. الوصية الشرعية – تصنيف.

10. الأربعون في مشيخة ابن تيمية رواية الحافظ الذهبي – تحقيق، طبع دار الريان للتراث.

11. البيتوتة للحافظ ابن مندة – تحقيق.

12. القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين، للشيخ محمد حسنين مخلوف – تحقيق، طبع مكتبة الحرمين للعلوم النافعة – السعودية.

13. كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم، وذكر الفرق الضالة – للإمام ابن الجوزي، تحقيق، طبع مكتبة ابن تيمية بالهرم جيزة.

14. ذم الموسوسين للحافظ ابن قدامة المقدسي – تحقيق، طبع مكتبة التوعية الإسلامية – بالهرم الجيزة.

وغيرها من الكتب والرسائل الصغيرة

۞ وقيد الطبع:

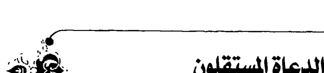
1. المرأة في الإسلام بين الحقيقة والاتهام – تصنيف في مجلدين.

2. أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية – تصنيف – مجلد.

3. جامع السنة – وهو كتاب جمع كتب العقائد المسندة وتبلغ حوالي أربعين كتابًا – محذوفة الأسانيد أبقينا فيه على الصحيح دون الضعيف، مخرج النصوص، مشروح شرحًا وافيًا بحمد الله تعالىٰ.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا مُحمدٍ وآله وأزواجه وأهل بيته وأصحابة أجمعين.

۞۞۞




الدعاة المستقلون

ظهر في الفترة الأخيرة العديد من الدعاة المؤثرين ذوي الشعبية الواسعة، وساعد علىٰ لمعان هؤلاء الدعاة وجود وسائل الاتصال الجديدة كالفضائيات والانترنت والـ CDs بالإضافة للوسيلة القديمة التي مازالت فعالة في مصر، وهي شرائط الكاسيت، واعتبر البعض أن ظهور هؤلاء الدعاة هو ظاهرة جديدة علىٰ واقع الحركة الإسلامية الحديثة، حتىٰ ظن البعض أن ظهور هؤلاء الدعاة مؤذن بزوال الجماعات الإسلامية المختلفة، وأن هؤلاء الدعاة الجدد سيسحبون البساط من تحت أقدام الحركة الإسلامية بمختلف فصائلها.

لكن حقائق التاريخ القريب تشير إلىٰ ضحالة هذا الرأي الذي يرىٰ أن الدعاة المستقلين عن الجماعات الإسلامية هم ظاهرة جديدة علىٰ الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر.

ذلك لأنه في الماضي القريب كان الدعاة المستقلون موجودون بشكل بارز ومعتاد في الساحة المصرية بل إن أشهر خطيب في العالم الإسلامي في العصر الحديث هو الشيخ عبدالحميد كشك وقد كان داعية مُستقلًا ولم يكن عضوًا في أي جماعة إسلامية، فوجود دعاة مشهورين مستقلين عن كل الجماعات الإسلامية أمر معروف، وهو من ثوابت تاريخ الحركة الإسلامية المصرية في العصر الحديث، لكن الذين يحبون أن يوصفوا بخبراء الحركة الإسلامية دون أن يبذلوا مجهودًا كافيًا في دراسة وفهم تاريخ وأفكار الحركة الإسلامية يشيعون أراءً غريبة، ليس لها أي مستند علمي ليس من أجل شيء سوىٰ أن لا يعلنوا الحقيقة الساطعة، وهي: أنهم لا يعلمون شيئًا ذا بال عن الحركة

الإسلامية، وإنما يبنون آراءهم علىٰ مجرد تخيلات بعيدة كل البعد عن الواقع أو الموضوعية العلمية.

لقد شهدت الحركة الإسلامية في كل مراحلها ظاهرة الدعاة المستقلين عن الجماعات الإسلامية، وكان كثير منهم عمالقة لا يمكن أن يطاولهم أكثر الدعاة المستقلين الموجودين الآن، فمن الآن في مثل حجم الشيخ أحمد المحلاوي الذي ناصب السادات العداء في السبعينات حتىٰ هاجمه السادات في خطبه الأخيرة واعتقله؟

وقد خرج أكثر من مليون متظاهر في الإسكندرية محتجين علىٰ اعتقال الشيخ أحمد المحلاوي في سبتمبر 1981م.

ومن الآن من الدعاة المستقلين في حجم الشيخ العلامة محمد الغزالي؟

وقد كان أيضًا مُستقلًا عن الجماعات رغم قُربه الفكري من الإخوان المسلمين.

ومَن كالشيخ محمد متولي الشعراوي؟

ومن كالشيخ الدكتور عبدالرشيد صقر؟

وحتىٰ علىٰ مستوىٰ العالم العربي من الآن كالشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الذي رغم أنه نظَّر تنظيرات عديدة تبناها السلفيون إلا أنه لم يكن ينتمي لأي جماعة، ومثله الكثيرون.

والشاهد من هذا الكلام كله أن ظاهرة ما يسمىٰ بالدعاة الجدد، ما هي إلا ما نسميه نحن بـ «الدعاة المستقلين»، وهم دعاة يظهرون في كل زمان ومكان لا ينتمون للجماعات الإسلامية الموجودة تنظيميًّا وإن بدا أن بعضهم قريب من هذه الجماعة أو تلك؛ علىٰ المستوىٰ الفكري فقط وليس التنظيمي، ولكن الذي أدىٰ إلىٰ زيادة لمعان نجم دعاة هذه الأيام المستقلين هو كما قلنا سابقاً انتشار وزيادة دور القنوات الفضائية وافساحها الطريق أمام هؤلاء الدعاة للظهور والانتشار، بالإضافة لشبكة الانترنت والـ CDs، بجانب شرائط الكاسيت.

فمن ثوابت واقع العمل الإسلامي وجود الجماعات الإسلامية بمختلف تياراتها

بجانب العديد من الدعاة المستقلين ذوي الشعبية الكبيرة.

ومن ثوابت واقع هؤلاء الدعاة المستقلين هو قرب كل منهم فكريًّا فقط وليس تنظيميًّا بدرجات متفاوتة من هذه الجماعة أو تلك؛ من الجماعات القائمة علىٰ الساحة.

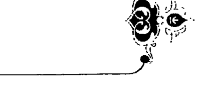
وفي الواقع فإن هؤلاء الدعاة المستقلون عددهم أكبر بكثير مما يظن الكثيرون، فهم ليسوا فقط المشهورين في وسائل الاعلام بل يوجد العشرات من الأقل شهرة ممن يشتهرون عبر المساجد وشرائط الكاسيت والانترنت كما يوجد المئات من المغمورين، ولكل منهم أتباعه ومريديه كل بقدره.

لكن نحن سنركز الضوء علىٰ أشهر من في الساحة الدعوية الآن، أو قل: من له التأثير الأكبر في عموم المسلمين.





فضيلة الشيخ
محمد حسان



محمد إبراهيم إبراهيم حسان.

اسم الشهرة: محمد حسان.

الميلاد: 8/ 4/ 1962.

ولد الشيخ في قرية دموه، مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية، في بيت متواضع متدين حيث تولاه بالرعاية منذ نعومة أظفاره جده لأمه الذي كان يحفظ القرآن الكريم حفظًا مُتقنًا فضلًا عن فقه الشافعية كله.

التحق الشيخ وهو في الرابعة من عمره بكُتّاب القرية، وأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره علىٰ يد شيخه المبارك فضيلة الشيخ/ مصباح محمد عوض رحمه الله تعالىٰ، ثم أنهى حفظ بعض المتون في اللغة العربية والفقه الشافعي والعقيدة.

المؤهل: التحق الشيخ بالدراسة النظامية حتىٰ أنهي الجامعة بالحصول علىٰ بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة بتقدير جيد جدًا.

ثم التحق مباشرة بمعهد الدراسات الإسلامية للحصول علىٰ الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية.

سافر الشيخ إلىٰ السعودية ليعمل إمامًا وخطيبًا لجامع الراجحي لمدة تزيد علىٰ ست سنوات.

۞ تلقى العلم على يد:

1 – الشيخ عبد العزيز بن باز.

2 – الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين.

3 – الشيخ عبد الله بن الجبرين.

4 – الشيخ عبد القادر شيبة الحمد.

عمل مُدرسًا لمادتي الحديث الشريف ومناهج المحدثين في كليتي الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم.

الشيخ متفرغ للدعوة والتدريس منذ عشر سنوات تقريبًا، وهو أستاذ مادة العقيدة بمعهد إعداد الدعاة بجماعة أنصار السنة بالمنصورة، ورئيس مجلس إدارة مجمع أهل السنة.

وإليك تزكية العلماء للشيخ محمد حسان:

تزكية

فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين

للشيخ محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾.

إن للإسلام دعائم وركائز، ومن دعائم الإسلام المساجد، ومن دعائم المساجد خطبة الجمعة، فإن المساجد بيوت الله، يدخلها المسلم مُتطهرًا مُستقبلًا القبلة، يتجه إلىٰ ربه مُكبراً مُسبحًا تاليًا القرآن، داعيًا، فيعلم أن له من يحميه إن ضاقت السبل واتصلت الحلقات، فإذا استقبل ربه وسأله ودعاه، فإنه سبحانه يتداركه برحمته وعونه، وأهمية

المساجد كثيرة فوق الحصر والعد.

وخطبة الجمعة أحد أهم دعائم المساجد، فالحمد لله أن جعلها فريضة، أُمِر المسلم بالسعي للصلاة إذا نودي إليها من الجمعة، ونهىٰ النبي ﷺ عن كل ما يشغل في ذلك الوقت وأمرهم رب العزة بالاتصال والسماع، وقال لهم سبحانه الآية: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

وخطبة الجمعة هي أدنىٰ ما يلزم المسلم بحضوره من مجالس العلم حتىٰ يتعلم ما يصحح به عمله واعتقاده، لذا وجب علىٰ الخطيب أن يُراعي أن من بين الحاضرين والكثير منهم من لا يشهد موعظة سواها ولا يحضر درس علم غيرها وأنه – وقد أنصت الناس له بأمر الله – مؤتمن علىٰ تلك الكلمة التي يقولها والموعظة التي يقدمها.

إلا أن الكثير من الخطباء لم يراعوا ذلك فانصرفوا عن تعليم الناس أمر دينهم (اعتقادًا وتعبدًا وسلوكًا) وتوجهوا أحد وجهتين.

الوجهة الأولىٰ: حرصوا علىٰ جمع القصص المسلية والحكايات الجذابة حتىٰ يجذبوا أسماع الناس لقولهم دون أن يخرجوا من ذلك بفوائد تربوية ولا بعلم للمسائل الاعتقادية أو التعبدية، وأخرجهم ذلك إلىٰ البحث عن الغرائب والفرائد، فركبوا الصعب وبحثوا عن المختلفات والمكذوبات والموضوعات، وأشاعوا بين الناس الحكايات المنكرة والأحاديث الباطلة.

الوجهة الثانية: شغلهم المظالم التي وقعت عن الشرك والكفر والبدعة وعن جهل الناس بدينهم صلاةً وزكاةً وصومًا وحجًا وذكرًا، فلم يُعلِّموا الناس من ذلك شيئًا، إنما جعلوا المنابر نشرات إخبارية لا يتعلمون فيها أمر دينهم، فصار ذلك الذي لا يحضر إلَّا الجمعة يظن أن دينه أن يعرف هذه الأخبار، وأن يجمع هذه الحوادث، ولما كان الكثيرين رواة هذه الأخبار لا يتحرون الصدق، صارت المنابر عرضة لرواية الكذب وإشاعة البلبلة وإحداث الفوضىٰ بين الناس.

واليوم نسعد بان نقدم لإخواننا المسلمين الخطب المسموعة مكتوبة بقلم (فاكهة

الدعاء) الشيخ الشاب بل الشاب الشيخ محمد حسان صاحب العبارة الرشيقة والكلمة الموثقة والحديث الصحيح والرواية المنضبطة والقراءة المؤثرة والبسمة البهية والغضبة الصادقة نحسبه كذلك ولا نزكي علىٰ الله أحدًا والله حسيبنا وحسيبه.

ولعل هذه بداية سلسلة تعليمية وعظية لنماذج من الخطب التي نأمل أن يتربىٰ عليها المسلمون في بيوتهم، فلقد زرت الكثير من المسلمين في الشرق والغرب ورأيت أثر الشريط والرسالة وأثر الخطبة والكلمة في إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق وإرشادهم بعد تفككهم وبعدهم عن دينهم وانصرافهم.

وأُوصي الأخ الحبيب الشيخ محمد حسان بالمزيد علىٰ المنهج الفريد من جمال الموعظة وتوثيق الكلمة، كما أُوصي أخي القارئ بحسن الاستقبال وأن يكون مثل هذه الخطب مفتاحًا له يفتح له باب القراءة ليتعلم، وعليه أن يعلم أن أصل الدين في اعتقادٍ أركانُه ستة، وإسلامٍ أركانُه خمسة، وسلوكٍ مدراه علىٰ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فعليه أن يتعلم ذلك ليبقىٰ علىٰ بصيرة من سلوكه وعمله وعلمه، فالأجل قريب والحساب بعده فليكن مستعدًّا.

كما أُوصي الأخ الناشر بحُسن الإخراج، وجمال الطبعة، ودقة المراجعة، والله يوفق الجميع لما فيه خير الإسلام وصالح المسلمين.

والله من وراء القصد

وكتبه فقير عفو ربه ورضاء مولاه:

محمد صفوت نور الدين

العاشر من رمضان 1416 هـ

تزكية

فضيلة الشيخ محمد صفوت الشوادفي

للشيخ محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد.

فإن الله عز وجل قد خلق عباده متفاوتين في العلم والفهم وسائر شئونهم، قال تعالىٰ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾

واختص الله بعض عباده بالفهم في مسائل معينة كما في قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

كما تفضل علىٰ بعض عباده بنعمة الحكمة فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وجعل الله عز وجل الدعاة إليه العاملين بعلمهم هم أحسن الناس قولًا، وأهداهم سبيلًا، وأقومهم طريقًا، وأكرمهم سلوكًا، وذلك لما اختصهم الله به من الفضل والكرامة والعلم والإمامة، فجعل قلوبهم أوعية لنصوص الشريعة، وعلومها، ونورًا يضيء الطريق لقلوب غيرها. من أجل ذلك فإن رسول الله قد جعل فقههم علامة علىٰ إرادة الخير بهم؛ فقال: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

والكتاب الذي بين أيدينا الآن هو مجموعة كلمات خالصة، نادىٰ بها مؤلفه جزاه الله خيرًا علىٰ قومه من فوق أعواد المنبر، وهو يعمل جاهدًا علىٰ أن يوقظ الناس من سباتهم وينبههم من غفلتهم بلسان لا يعرف الملل أو الكلل.

وصاحب هذا التأليف غنىٰ عن التعريف، فقد رزقه الله القبول في الشرق والغرب، وأنزل الله محبته علىٰ قلوب عباده المؤمنين، واختصه بأسلوب يجمع القلوب، ويثير كوامن الإيمان، وقد كان ومازال – أكرمه الله – يبذل جهدًا متواصلًا في الدعوة إلىٰ الله حتىٰ تقطعت أحبال صوته في سبيل الله، فنسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الكتاب وسائر

أعماله الصالحة في ميزان فضيلة الأخ الشيخ محمد حسان، وأن يجزيه خيرًا علىٰ ما قدم ويقدم من دعوة صادقة موفقة إلىٰ الله، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

محمد صفوت الشوادفي

تزكية

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

للشيخ محمد حسان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله. واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في صفاته لا شبيه له، سبحانه، علا فقهر، وملك فقدر وبطن فخبر.

إلهي:

مـا في الوجـود سـواك رب يعبـد	كـلا ولا مـولىٰ هنـاك فيقـصد
يـا مـن لـه عنـت الوجـوه بأسـرها	رهبًـا وكـل الكائنـات توحـد
أنـت الإلـه الواحـد الحـق الـذي	كـل القلـوب لـهُ تُقـرُّ وتـشهد

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا رسول الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات ربي وسلامه عليه، ما هبت النسائم وما ناحت علىٰ الأيك الحمائم. أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة، لعلك أيها القارئ الكريم إذا ما طفت برياض هذا البستان.

بستان الإسلام في هذا السفر الكريم، تلمح بعين الفؤاد، ووعي القلب ما فيه من أصول العقائد وشعائر العبادات وشرائع المعاملات، ومناهج السلوك، وقيم الأخلاق، ومبادئ الأحكام، وقواعد النظام ما يجعلك تُكوِّن باقة عبقة يفوح أريجها مُعطرًا بشذا الجِنان الفيحاء في هذا الكتاب.

أيها القارئ الكريم ترىٰ من المعاملات الإسلامية ما يجعلك تنشق عبير الإسلام عالج البشرية بعلم وحكمة، فكان كالنسيم الساري يدفع الشراع دون أن تغرق المركب.

وسيجد القارئ الكريم في ضفاف هذا الكتاب ما يشرح الصدر ويسعد الروح، لا سيما أن المؤلف صاحب تجربة والتجربة خير شاهد.

ولقد جاء هذا الكتاب في عصر طغت فيه الماديات علىٰ المعنويات حتىٰ قال بعض المستشرقين: «اخلعوا الحجاب عن المرأة وغطوا به المصحف ولا تجزعوا من بنائهم للمساجد، ودعوهم فليبنوا ما شاءوا ما دام أبناؤهم يتعلمون في مدراسنا».

نعم إن المسلمين في مسيس الحاجة إلىٰ كلمة قؤول مُلتزم، لا يخالف قوله عمله.

إنك أيها القارئ الكريم أثناء قراءتك هذا الكتاب ستجد نفسك كالطائر الغريد ينتقل من فنن إلىٰ فنن، ومن غصن إلىٰ غصن وكأنك تهب عليك نسمات تحمل في ثناياها قطرات الندىٰ معطرة بأريج الجنة، وفي هذا فليتنافس المتنافسون، وفي ذلك فليعمل العاملون.

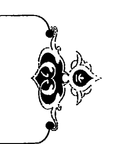
وجزىٰ الله الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد حسان خير ما جزىٰ به عباده الصالحين، وحسبه قول رسول الله «إن العلماء ورثة الأنبياء».

وصلىٰ اللهم وسلم وزِدْ وبارِكْ عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عبد الحميد كشك





فضيلة الشيخ
محمد حسين يعقوب



. الشيخ مُحمد حُسين يعقوب، من مواليد عام 1956م. حصل علىٰ دبلومة المعلمين العامة في تخصص اللغة العربية عام 1976م. وعمل مدرسًا للغة العربية، ثم تفرغ أخيرًا لأمور الدعوة.

❁ **شيوخه:**

سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز.

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.

فضيلة الشيخ عبد الله بن قعود.

فضيلة الشيخ عبد الله بن غديان.

فضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطي.

فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي.

فضيلة الشيخ عطية سالم.

فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري.

فضيلة الشيخ أسامة محمد عبد العظيم الشافعي المصري.

فضيلة الشيخ رجائي المصري المكي.

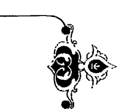
فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد.

❁ **منهجه:**

يعتمد كثيرًا في خطبه وكتبه على نفائس الإمام الحافظ المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

أثرى المكتبة الإسلامية بجملة من المؤلفات النافعة القيّمة، وله عشرات الخطب والمحاضرات الدينية القيمة.





فضيلة الشيخ
محمد بن عبد الملك الزغبي

ولد الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي بقرية ديمشلت مركز دكرنس محافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية.

وذلك في يوم 4/ 7/ 1964.

❁ **والده:**

هو الأستاذ عبد الملك بن محمد الزغبي، شغل العديد من الوظائف، وكان علىٰ دراية دينية كبيرة، ونال حب الناس بطريقة غير معهودة، حتىٰ أنه لما دخل الانتخابات المحلية اجتازها دون دعاية أو خروج من البيت، بعد ذلك عُرض علية الدخول في الانتخابات الكبرىٰ، فرفض وأصر علىٰ الرفض، وتفرغ للقراءة، وتحصيل العلم، وكان يختم القرآن في مجلسة علىٰ براندة البيت في كل ثلاثة أيام، وما رآه أحد إلا وهابه ووقره، ولم يكن له خصم أو عدو من المسلمين.

ومن مآثره أنه قام بتحفيظ الشيخ محمد ألفية ابن مالك كاملة كما قام بتحفيظه كتاب الله وهو صغير، كما قام بتحفيظ الابن الأصغر عبد اللطيف القرآن كاملًا بأحكامه، وكان الشيخ محمد وهو صغير إذا أُصيبَ بالفتور أجلسه بين يديه وشرح له بابًا أو فصلًا أو كتابًا صغيرًا كاملًا.

جده: هو الشيخ العلامة محمد الزغبي، كان حُجةً بين الناس وخاصةً في القرآن، وكان يدرس القراءات للقراء المعروفين والمشاهير، وكان له كتاب يحضره القاصي والداني، تخرج منه المئات من القراء والدعاة والعلماء.

وكان إمامًا بحق في المذهب المالكي وكتب المصحف بخطه، لكن لم يكمله، وكان

خطه أجمل من رسم الآلة للخطوط.

وكان تقيًا صالحًا إذا دعا الله أجابه، ولم تُرَدّ له دعوة بشهادة الجميع، وكان يُحارب الدجل والبدع والتبرج والفسق، وأظهر الله له من الكرامات ما استفاض على ألسنة الناس الذين كانوا من حوله جميعًا.

الأسرة: ينتهي نسبها إلى الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – والأسرة بفضل الله كلها سنية تنتصر لمنهج أهل السنة.

أمه: هي أم محمد بنت يوسف المهدي من أسرة عريقة النسب معروفة، اشتهرت بالكرم والشجاعة.

أشقاؤه: له شقيقتان متزوجتان، وخمسة أشقاء ذكور.

هم:

علي: وهو مدرس.

إبراهيم: وهو مدرس أيضًا ومسجل مترجم مساهم برابطة العالم الإسلامي – قسم هيئة الإعجاز العلمي بالكتاب والسنة.

أحمد: وهو المؤلف المعروف، مؤلفاته مشهورة كثيرة، وآخرها مجلد: «السنن المهجورة والبدع المشهورة». وهو داعية معروف.

محمود: صاحب الموسوعات الشرعية، وموسوعة الزكاة الكبرى، والتي شهد لها القاصي والداني،وكبار أهل العلم من سائر الدول الإسلامية، وأشهر وأكبر موسوعة في الأسهم المساجلة،والتي شهد له بشأنها لعلماء والمتخصصون بأنها أعظم موسوعة صُنفت في العالم الإسلامي، وممن شهدوا بذلك العلامة الأستاذ الدكتور علي السالوس، والدكتور الشيخ أحمد فريد، والداعية الحبيب المشهور محمد حسان، وغيرهم.

وعبد اللطيف: وهو طالب بكلية أصول الدين ويحصل على تقديرات سامية، وحصل على العديد من مسابقات حفظ القرآن بتجويده، وهو من طلاب العلم المتأصلين.

وترتيبهم من حيث العمر:

الشيخ محمد وهو الأكبر.

الأخ علي.

الأخ إبراهيم.

الشيخ أحمد.

الشيخ محمود.

الشيخ عبد اللطيف.

۞ تعريف عام:

- حاصل علىٰ الإجازة العالية في اللغة العربية من جامعة الأزهر.
- عمل إمامًا وخطيبًا أول بمسجد مطلق الخزام بالفحاحيل الكويت - سابقًا.
- موجة فني سابقًا بإدارة مساجد الأحمدي الكويت.
- عضو العلاقات العامة العربية برقم 1166.
- مؤلف مساهم برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، قسم الإعجاز العلمي في الكتاب والسُّنَّة برقم 493/ ب.
- حاصل علىٰ المركز الأول في مسابقة المسجد المتميز علىٰ مستوىٰ محافظة الأحمدي والأول علىٰ مستوىٰ دولة الكويت لعام 2004-2005.

۞ الإجازات والمسابقات التي حصل عليها الشيخ:

- حاصل علىٰ المركز الأول في مسابقة الشباب المسلم عام 1979.
- حاصل علىٰ المركز الأول في جميع المسابقات الشرعية والأدبية في المعهد الديني الثانوي الأزهري في المرحلة الثانوية الأزهرية.
- حاصل علىٰ المركز الأول في المسابقات الشرعية بجامعة الأزهر.
- حاصل علىٰ المركز الأول في مسابقة تنظيم النسل والتوزيع الجغرافي بمصر عام 1980.

– حاصل على المركز الأول في مسابقة الخطبة النموذجية بمساجد محافظة الأحمدي بالكويت عام 1999.

– حاصل على المركز الأول في مسابقة جريدة (المسلمون) الدولية تحت عنوان «حل مشكلة البطالة من منظورإسلامي» (12/ 1990).

– حاصل على المركز الأول في المسابقة الأدبية السابعة بدولة الكويت في الخطابة وكذا على المركز المتقدم في القصة، والرسالة.

– حاصل على (45) درعا تكريمًا من وزارة التربية والهيئات والمؤسسات الخيرية والمؤتمرات العلمية والشرعية الدولية بالكويت.

– حاصل على (22) شهادة تقدير من العديد من الجهات العلمية والدينية.

– حاصل على درعين شرفيين من سفارة مصر بالكويت إثر الجهود العلمية والشرعية.

الدورات والمؤتمرات التي شارك فيهاالشيخ:

– دورة ابن باز الشرعية العلمية بالكويت حيث قام بتدريس مادة العقيدة كتاب «لُمعة الاعتقاد».

– دورة العلوم الشرعية بمحافظة الأحمدي بمسجد الخزام حيث قام بشرح الإتقان في علوم القرآن للسيوطي في مجلدين، والدورة تابعة لوزارة الأوقاف الكويتية.

– دورة العقيدة بمسجد الهيدان بالكويت وقام بشرح معارج القبول في مجلد واحد، والدورة تابعة لوزارة الأوقاف.

– الدورة الشرعية لنساء الكويت، بضاحية صباح السالم. اللجنة النسائية، وتم شرح كتاب لُمعة الاعتقاد.

– فضلًا عن العديد من الدورات والمحاضرات الإقليمية والدولية.

– ولقد شارك الشيخ في سائر المؤتمرات الشرعية الإقليمية والدولية بدولة الكويت، وآخرها: أنا والآخر.

- كما أن للشيخ برنامج ثابت بإذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت بعنوان: (على طريق الإيمان)، كما له مشاركات عديدة بتليفزيون الكويت.

- للشيخ كتابات في جريدة الوطن الكويتية، وكان آخرها فتاوىٰ الزكاة والعيد.

۞ المناظرات التي خاضها الشيخ:

* خاض ثلاث مناظرات مع الشيعة:

1- أولاها بمدينة المنصورة بالجمعية الشريعة، وقد حضرها الآلاف من الجمهور في درسه الأسبوعي «الثلاثاء».

2- المناظرة الثانية ببيت أحد الأخوة بمساكن الجمعية.

3- المناظرة الثالثة بمنزل شيعي بمدينة المنصورة.

وقهرهم بفضل الله.

* خاض مناظرة مع الطائفة الأحمدية ومثلها عالمان (جاهلان) أحدهما كشميري والثاني باكستاني، وكان ذلك بديوان مسجد مطلق الخزام بالفحاحيل، بدولة الكويت في حضور طلاب العلم.

وقهرهم بفضل الله.

* مناظهرة مع رأس من رؤوس التكفيريين بالفحاحيل بديوان مسجد فايز الدبوس بالكويت.

* مناظرة مع مجموعة من طلاب العلم الكويتيين بشأن صلاة التراويح حيث يقولون ببدعية صلاتها خلف إمام في رمضان، وأصدروا كتابًا بذلك، وناظروا ثلاثة من مشايخ المملكة العربية السعودية ثم الأخيرة مع الشيخ محمد الزغبي بديوان مسجد مطلق الخزام بالفحاحيل، وهي مُسجلة.

وفيها أبطل الشيخ مزاعمهم ودمر شُبههم.

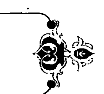
* مناظره كبرىٰ مع رؤوس الطرقيين - الصوفية - بحي الجلاء بمدينة المنصورة وحضرها منهم المئات.

وقهرهم الشيخ وأبطل شُبههم.

* المناظرة الفردية عبر التلفاز مع الطائفة الأحمدية، وفيها قهرهم الشيخ وبين كفرهم وضلالهم.

* دعا زكريا بطرس من خلال الفضائيات أكثر من مرة لمناظرته في عقره إلا أن الأخير جَبُن ولم يجرؤ. وقد أثنىٰ عليه شيخنا مشهور آل سلمان، وشيخنا علي الحلبي، وأجرىٰ معه عدة لقاءات علىٰ قنوات فضائية.

❀❀❀



هل السلفية تنظيم؟



تمثل قضية «التنظيم» إشكالية كبيرة عند دراسة الحالة السلفية في مصر، فبالرغم من اتساع الرقعة التي يشغلها السلفيون المصريون من الخارطة الإسلامية في هذا البلد، فإن أصحاب هذا الحيز موجودون بلا تنظيم هرمي ينخرطون فيه ويُسَيِّر شئون دعوتهم.

وعلىٰ عكس «الإخوان»، و«الجماعة الإسلامية»، و«الجهاد»، و«حزب التحرير»، و«التبليغ» ليس في أدبيات السلفيين كلمة «تنظيم» علىٰ الإطلاق، بل يستعيضون عنها بمصطلح: «العمل الجماعي»، ويرون ذلك تحصيل حاصل؛ لأن كلمة «جماعي» تغني عندهم عن كلمة «تنظيمي».

أما تعريفهم للعمل الجماعي فهو: «التعاون علىٰ ما يُقدر عليه من إقامة الفروض الكفائية مثل الأذان، وصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، والأعياد، والدعوة إلىٰ الله، والقيام علىٰ حقوق الفقراء والمساكين، وتعليم المسلمين وإفتائهم بمقتضىٰ الشرع، وسائر ما يقدر عليه من فروض الكفايات».

ولأصحاب هذا المنهج تأصيل شرعي في كافة تفريعات العمل التنظيمي، مثل: البيعة، والسرية، والشورىٰ، ووجود الإمام من عدمه، وأيضًا قضية «المسمىٰ».

وهم يستمدون موقفهم في العمل الجماعي (التنظيمي) من فتاوىٰ وكتابات عدد من العلماء القدامىٰ، مثل: ابن تيمية، والإمام الجويني، والعز بن عبد السلام.

ومن العلماء المعاصرين الإمام الألباني، وعبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وعبد الرحمن بن عبد الخالق، الذي يقول في كتابه «أصول العمل الجماعي»:

«إن أي جماعة تجتمع علىٰ مقتضىٰ الكتاب والسنة والالتزام بإجماع الأمة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم هي جماعة مهتدية راشدة ما دام أن اجتماعها وفق هذه

الأصول ووفق قوله تعالىٰ: {وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ} [المائدة: 2]»، ولا يفرق عبد الخالق في تأسيس الجماعات بين حالتي حضور الإمام وغيبته، مؤكدًا «أن وجود الإمام العام لا يلغي وجود الجماعة الصغرىٰ، وجماعة الدعوة والبر والإحسان. فإذا كان الإمام العام راشدًا قائمًا بالحق فإن الجماعة الصغرىٰ سند له وقوة».

وبشكل عام يرىٰ السلفيون جواز ومشروعية العمل الجماعي (المنظم)، بشرط تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وهو ما يلزم عندهم أشياء منها:

عدم المصادمة مع الحكومات المدنية؛ لأن ذلك يجر علىٰ الدعوات كثيرًا من المفاسد ويجعل الناس تستهين بدماء المسلمين، والبعد عما يفهم منه خطأ البيعة والسرية حال التمكن من الجهر بالدعوة، فتكون السرية حينئذ مخالفة للمقصود من الدعوة، وعدم التعصب للجماعة، بل يكون التعصب للحق.

۞ البيعة والسرية والخروج على الحاكم:

وفي إطار الجدال حول «البيعة» المعروفة لدىٰ «الإخوان» و«الجماعة» و«الجهاد»، وقضايا أخرىٰ مثل: «السرية»، و«الخروج علىٰ الحاكم»، يرىٰ السلفيون أن البيعة ليست شرطًا للعمل الجماعي، بل يرون إمكانية وجود عمل جماعي بغير بيعة، وكذلك عمل جماعي علني غير سري، وأيضًا من دون خروج علىٰ السلطات القائمة، بل يرون أن هذا هو الأصل والأكثر شيوعًا لديهم.

فقد سُئل الشيخ ياسر برهامي – أحد أبرز رموز السلفية في مصر – عن رأيه في البيعة التي تأخذها الجماعات لقادتها.

فأجاب: «أقول بلا مداراة، ولا مداهنة، ولا كذب لمصلحة الدعوة، ولا تعريضًا – كما يحاول البعض أن يتهمنا – ليس عندنا بيعة، وإنما نرىٰ تحقيق التعاون علىٰ البر والتقوىٰ. وأن هذا لازم لنا من غير بيعة، و(البيعة) أمر حصل فيه نوع من الخلل في الفهم؛ لأن البيعة التي رآها بعض العلماء جائزة علىٰ الطاعات أو مشروعة، ظنها الناس أنها

بالمعنىٰ السياسي، وتحولت علىٰ يد الإخوان من بيعة تشبه البيعة الصوفية إلىٰ البيعة السياسية، وأصبح المرشد بمنزلة الإمام والحاكم علىٰ أفراد الجماعة».

ويفرق بين معان مختلفة للبيعة بعضها سياسي «وهذا يكون للإمام الممكن»، لكن هناك بيعة أخرىٰ علىٰ الطاعات.

ويضرب برهامي مثالًا لذلك بالمبايعة علىٰ إقامة الصلاة، حيث إن «الرسول ﷺ كان يُبايع الناس علىٰ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وهو أمر مشروع إذ هو نوع من العهد، كأن أقول لك مثلًا: عاهدني بأن تحافظ علىٰ صلاة الجماعة، عاهدني علىٰ أن تحقق التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، عاهدني بأن تحافظ علىٰ طلب العلم».

وبالنسبة لـ«العلنية»، فهي اختيار فكري لدىٰ السلفيين، غير متأثر بالظروف الأمنية أو غيرها؛ لأن «السرية» كمبدأ عندهم مرفوضة تمامًا، رغم كونهم يعترفون بأنها – أي: (السرية) – منهج نبوي قديم، كما كان عليه الحال في دار (الأرقم بن أبي الأرقم) ودعوات الأنبياء في كثير من الأحيان.

وقد سئل الشيخ ياسر برهامي عن شعار (السلمية والعلنية) الذي رفعه السلفيون، فذهب إلىٰ: «أن الأصل في الدعوة العلن والبيان، ونحن في واقعنا لا نحتاج إلىٰ سرية، وقد تمكنا من الدعوة العلنية بحمد الله»، وبالنسبة للسرية يوضح: «فهي سرية وهمية أضر من العلنية»، أما (السلمية) فبها يحصل أنواع من الخير ودفع الشر لأهل الإسلام، لكن «لا يعني ذلك أن كل أحوال المسلمين في كل مكان وزمان كذلك، فنحن لا نبطل الجهاد بالقوة والسنان، وموقفنا واضح من الجهاد في بلاد المسلمين التي نزلها الأعداء، كأفغانستان والبوسنة وفلسطين والشيشان والعراق» علىٰ حد قوله.

۞ رؤية التغيير تحكم رؤية التنظيم:

يرىٰ السلفيون أنهم ليسوا بحاجة إلىٰ ما اصطلح علىٰ تسميته بـ«التنظيم» نظرًا لأن جل دعوتهم منصب علىٰ العمل التربوي والدعوي داخل المساجد، وبالتالي فوحدة العمل عند السلفيين لا تحتاج إلىٰ قدر كبير من العمق التنظيمي، حيث لا حاجة لأجنحة

سياسية وأخرىٰ اقتصادية، ونحو ذلك مما «يغري» الأحزاب والجماعات السياسية، ولعل طبيعة العمل السلفي الذي يبتعد عن السياسة ومعاركها، جعل اهتمام السلفيين موجهًا بالأساس إلىٰ تربية الأفراد، ورفع مستواهم العلمي (الديني)، وقدرتهم علىٰ رؤية الواقع وقياسه بمقاييس شرعية.

ولعل ما سبق يفسر لنا طبيعة الحركة السلفية وعملها في الإسكندرية؛ إذ كان منصبًّا بالأساس علىٰ نشر المنهج السلفي من خلال الدروس والندوات والدورات العلمية، ومن ثم تحول اسم الجماعة إلىٰ «الدعوة السلفية»؛ رغبةً في توسيع المساحة التي يتحرك فيها الدُّعاة السلفيون والعمل من خلال مساحات دعوية مختلفة، مثل أوساط الشباب بالجامعات، وداخل المناطق السكنية. ولم يتوقف النشاط السلفي في الإسكندرية علىٰ الجوانب التعليمية والدعوية فحسب، بل تعداه إلىٰ جوانب اجتماعية وإغاثية ككفالة الأيتام والأرامل، وعلاج المرضىٰ، وغير ذلك من النشاطات.

وقد استلزم الانتشار السريع للفكرة السلفية قدرًا من السعي نحو ترتيب العمل سواء داخل الإسكندرية أو خارجها، لاسيما مع ازدياد أعداد المنتسبين للدعوة والمتأثرين بمنهجها.

۞ إشكاليات في العمل التنظيمي:

لا يُخفي السلفيون أن العائق الأمني - وما قد يجره من اتهامات وملاحقات - كان نصب أعينهم وهم يتخلون طواعية عن العمل التنظيمي، مبتعدين بمنهجهم عن مسلك باقي الجماعات الإسلامية، وهم يعتبرون في ذلك بتجارب تاريخية مأساوية مرت علىٰ المجتمع المصري، وكانت نتيجتها سيئة علىٰ صحوة العمل الإسلامي، ليس في مصر وحدها بل في العالم، فهم يعدون العامل الأمني أحد العوامل التي تؤثر في رؤيتهم للتنظيم، وإن كان ليس العامل الوحيد.

ولقد كانت للدعوة السلفية في الإسكندرية تجربة عملية في هذا الاتجاه أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن الماضي، حين استفز توسعهم الأجهزة الأمنية التي

شرعت في التضييق عليهم، محاولة تفكيك الروابط التنظيمية لهذا التجمع الأصولي، وبلغ هذا التضييق ذروته في القضية التي تم فيها توقيف الشيخ عبد الفتاح أبو إدريس - قيم الدعوة السلفية - أي مسئولها -، والدكتور سعيد عبد العظيم عام 1994، وهي القضية التي تم فيها وقف مجلة «صوت الدعوة». وإغلاق معهد إعداد الدعاة المعروف بـ(معهد الفرقان) أمامهم، وهو الذي أنشأته الحركة وظل شيوخها يشرفون عليه باعتباره أول مدرسة منهجية سلفية لتخريج الدعاة السلفيين.

الدكتور ياسر برهامي من جانبه نفىٰ أن يكون قد تم إيقاف جميع أنشطة الدعوة كاملة في عام 1994. مؤكدًا في تصريحات سابقة له أنه «بقي العمل مع الجامعة والطلائع، وهو لم يتم الاعتراض عليه (من قبل الأمن) وظل مستمرًّا حتىٰ سنة 2002»، وهو العام الذي تم فيه إيقاف العمل في الجامعة والطلائع والعمل خارج الإسكندرية، وقد كان السفر والتنقل ممنوعًا علىٰ الدعاة السلفيين خارج الإسكندرية منذ أواسط التسعينيات.

وإلىٰ جانب الحاجز الأمني يذهب السلفيون إلىٰ أن ظروف النشأة لديهم - التي تختلف عنها لدىٰ الإخوان - سبب آخر جعلهم لا يفكرون في مسألة التنظيم، فبينما أتاحت نشأة الإخوان القديمة تاريخيًّا فرصة أكبر من أجل تنظيم صفوفهم وترتيب وظائفهم وواجباتهم والتزاماتهم الإدارية، لم تكن نشأة السلفية الحركية لتهيىء جوًّا مساعدًا للتنظيم، وهم يرون أن الواقع الحالي لا يسمح بأي صورة من صور التنظيمات السلفية، في حين تم التعامل مع الإخوان كأمر واقع مع محاولات عديدة لاستئصالهم لا تنجح غالبًا؛ لأن التنظيم عند الإخوان قديم قدم دعوتهم ذاتها.

وفي حين تمثل قضية (السمع والطاعة) عاملًا رئيسيًّا في الانضباط التنظيمي لدىٰ الإخوان، يعول السلفيون علىٰ تقديم الدليل (الشرعي)، والنظرة الإسلامية الأصيلة للعلماء والدعاة من حيث احترامهم وتوقيرهم، مما يجعل حبهم وطاعتهم لازمًا من لوازم التعاون علىٰ البر يقوي البناء الروحي بين عناصر الحركة، وإن كان يلغي الارتباط التنظيمي أو علىٰ الأقل يضعفه.

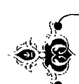
السلفية حالة دينية لا تحتاج لـ(تنظيم):

يؤرخ جمال سلطان - الكاتب والمراقب الإسلامي - لفكرة «التنظيم»، التي تمثل تراثًا حديثًا تاريخيًّا للحركة الإسلامية، بحركة الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ لم يُعرف التنظيم في التاريخ الإسلامي إلا لدىٰ أصحاب العقائد الجديدة التي كانت تريد منازعة الأمة، ولم يكن ثمة ضرورات أو احتياجات لها حينئذ.

أما بالنسبة للدعوة السلفية فهي في نظر سلطان حالة دينية في عمومها تهتم بالأبعاد العلمية والدعوية والتربوية، وهذه لا تحتاج إلىٰ تنظيمات ولا عمل تنظيمي، والسلفيون ليس لهم مشروع حركي - كما يرىٰ - وليس لهم خبرات تنظيمية، ولا يوجد لديهم أي تفكير في عمل تنظيم في مصر؛ لأنه ليس لهم مشروع سياسي (علىٰ الأقل حاليًّا)، والتنظيم إنما يوجد فقط عندما يكون للجماعة مشروع سياسي أو أجندة سياسية تعمل وفقها.

وبشأن الفارق بين السلفيين وجماعات إسلامية أخرىٰ كـ«الإخوان»، و«الجماعة الإسلامية»، و«الجهاد» في وجود التنظيم الهرمي، يربط سلطان ذلك بوجود المشروع السياسي لهذه الجماعات والتنظيمات متأثرة بخبرات عصرية في هذا المجال.

ومن جهته يرجع الدكتور عمرو الشوبكي - الباحث بمركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - عدم وجود تنظيمات سلفية في مصر إلىٰ أن السلفية ظهرت بينما كانت هناك تنظيمات عديدة مؤثرة موجودة علىٰ الساحة كالإخوان والجهاد والجماعة الإسلامية، بما يشبه حالة احتكارية لساحة العمل التنظيمي، ومع فشل التنظيمات الجهادية بشكل أساسي رأت السلفية أن هناك مساحات دعوية وفكرية لم تستغل بعد، وأن هناك مجالًا للدعوة الفكرية والانتشار التربوي عبر المساجد بما لا تستفز معه الدولة وأجهزتها الأمنية. وإن لم يفصل الشوبكي بين إشكالية التنظيم لدىٰ السلفيين والسياقات السياسية الحالية والأمنية.



قراءة في فكر الدعوة السلفية



أثناء إعدادي لهذا الكتاب، تصفحت عشرات المقالات والبحوث على الشبكة العالمية (الإنترنيت)، ومن ضمن هذه البحوث والمقالات، مقالًا للدكتور ياسر برهامي بعنوان: «السلفيَّة ومناهج التغيير» نشر بمجلة صوت الدعوة.

وهذا المقال – في رأيي – يبلور فكر المدرسة السلفية التي يمثلها برهامي، ولأهمية المقال وما تضمنه من معاني وملامح فكر الدعوة السلفية، رأيت أن أضعه بنصه ولفظه كاملا غير مبتور، حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة أيدلوجية هذه المدرسة التي يمثلها برهامي وأقرانه، فإلى المقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

فرض الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية أن تعلي كلمته في الأرض وأن تسعى أن يكون الدين الظاهر على الأرض هو دين الله سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 33]، وأوجب على كل مسلم أن يكون مؤثرًا فيمن حوله والمجتمع الذي يعيش فيه بالخير، ناهيًا عن الشر، قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ولا شك أن حياة المسلم بإسلامه لا تكون على الوجه الأكمل إلا في مجتمع مسلم، والحياة بالإسلام في مجتمع لا يلتزم بالإسلام في أنظمته ومناهجه قبضٌ على الجمر –وما أقل من يقدر على أن يكون قابضًا على الجمر– فإن نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم نجد

الانحراف عن دين الله إلىٰ مناهج الباطل والضلال ظاهرًا منتشرًا في الأفراد والمجتمعات، مما يستوجب علىٰ كل مسلم غيور علىٰ دينه يفهمه الفهم الصحيح الشامل أن لا يقف موقف المتفرج السلبي الذي يتحسر علىٰ وجود الفساد دون أن يحرك ساكنًا لإزالته ولإقامة الخير والمعروف مكانه.

وهذا الموقف السلبي من الكثيرين من الملتزمين يدل علىٰ نقص الإيمان ولابد، لأن الجميع يخالط المجتمع ويعيش فيه هو وأهله وأبنائه، ويتأثر وهو يرىٰ منكراته المختلفة في التعليم والإعلام والقضاء والتشريع والحكم والحرب والسلام والاقتصاد ووضع المرأة وسائر أنظمة المجتمع، فمن لم يستشعر وجوب تغيير تلك المنكرات ويشارك في تغييرها بكل ما يقدر عليه من أنواع القدرة بنفسه أو مع غيره من إخوانه المسلمين أو بأمر القادرين وحثهم علىٰ التعاون علىٰ ذلك، فهو كما قال رسول الله ﷺ: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم.

ولا شك أنه يلزم أهل السنة والجماعة من هذا الواجب أكثر مما يلزم غيرهم لأنهم الطائفة الظاهرة علىٰ الحق التي تعلمه وتعمل به وتدعوا إليه، وهم المؤهلون لتحقيق التغيير المنشود وإقامة الحق علىٰ صورته الكاملة، بل لن تكون الخلافة علىٰ منهاج النبوة التي بشر بها رسول الله ﷺ بقوله: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة ثم تكون ملكًا عاضًا ثم تكون ملكًا جبريًا ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة»، إلا من خلال عمل أهل السنة والجماعة ومنهجهم ودعوتهم، لذا فإن تقصير بعض من ينتسب لأهل السنة ومنهج السلف في هذا الباب يقدح في صدق انتمائه لهم.

وما أكثر ما تتردد الأسئلة وتتعدد المحاورات حول مناهج التغيير ووسائله بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، والتي يتبنىٰ كل منها جماعات مختلفة، كل منها تؤيد ما تراه بالحجج وبيان الإيجابيات، وربما جزم البعض أن لا وسيلة ولا منهج إلا ما يرونه هم، ونحن في هذا العدد نطرح بعض الاتجاهات الأساسية في التغيير دون بسط في الأدلة

ونعرض سلبياتها وايجابياتها لينتفع أبناء الصحوة الإسلامية بالإيجابيات ويحذروا من السلبيات وليكون ذلك خطوة علىٰ طريق التكامل والتناصح المطلوب بين أبناء الصحوة الإسلامية.

أولاً: من يرى التغيير من خلال الانتخابات البرلمانية:

ترىٰ كثير من الجماعات الإسلامية العاملة علىٰ الساحة أن المشاركة في العمل السياسي بتكوين الأحزاب في البلاد التي يسمح فيها بتكوين أحزاب إسلامية أو بمشاركة الأفراد التابعين لهذه الجماعات في الانتخابات البرلمانية، والبعض يُجَوِّز التحالف مع الأحزاب الأخرىٰ ولو كانت علمانية ليحصل بذلك علىٰ أصوات في المجالس المسماة بالتشريعية، ليدعو إلىٰ تطبيق الشريعة من خلالها، وليستغل الفرصة المتاحة بالسماح للمشاركين في الانتخابات بالدعوة إلىٰ أنفسهم للدعوة إلىٰ الإسلام وإلىٰ شرع الله سبحانه، وقبل أن نبين موقفنا من هذا الأمر نقرر أولًا عدة أمور:

1. التشريع حق خالص من حقوق الله - عز وجل -، وهو من أهم خصائص الربوبية والألوهية، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله تعالىٰ والدين ما شرعه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: 40]، وقال - عز وجل -: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: 26]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: 21].

2. القوانين الوضعية مُخالفة للشريعة الإسلامية وكل ما يخالف الشريعة فهو باطل، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: 18].

3. الحكم بغير ما أنزل الله سبب يوجب غضب الله، وينزل مقته وعقابه، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا حكم ولاة الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم، وهذا من أعظم تغير الدول كما جرىٰ قبل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويجتنب

مسلك من خذله الله وأهانه، فإن الله يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: 40، 41]، فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا بنصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم) انتهي.

4. النظام قسمان: إداري وشرعي: أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها علىٰ وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم، ويدخل في ذلك كتابة أسماء الجند والدواوين علىٰ وجه لا يخالف الشرع، ويحقق المصلحة العامة، أما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (ج3 ص267): (والإنسان متىٰ حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه كان كافرًا أو مرتدًا باتفاق الفقهاء وفي مثل هذا أنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: 44]، أي: هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: (هؤلاء ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله إذا علموا أنهم بدلوا دين الله فتابعوهم علىٰ التبديل، واعتقدوا تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شِركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء) انتهي.

5. فارق أساسي وكبير بين الحكم الإسلامي والحكم العلماني الديمقراطي؛ فتشريعات الحكم الإسلامي تبنىٰ علىٰ الكتاب والسنة، وهو يوجب الحكم بما أنزل الله ويرىٰ العدول عن ذلك فسقًا وظلمًا وكفرًا، فلا يمكن الفصل بين الدين والدولة في نظر الإسلام، أما الحكم العلماني الديمقراطي فمصدر السلطة عنده هو الشعب، وتشريعاته

تنبني علىٰ إرادته وهواه، فلابد للسلطة من الحفاظ علىٰ رغبة الشعب ومرضاته، ولا يمكن لها أن تعدل عن إرادة الشعب وهواه؛ حتىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ تحليل الزنا واللواط والخمر، فالمبادئ والتشريعات كلها عرضة للتغيير والتبديل في الحكم العلماني والديمقراطي حسب ما تطلبه الأغلبية.

6. الشورىٰ في الإسلام تختلف عن الشورىٰ في النظام الديمقراطي، يقول الجصاص: (والاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها، ويستشار الصالحون القائمون علىٰ حدود الله المتقون لله من ذوي الخبرة والدراية) وأين هذا من استشارة الملاحدة المحاربين لدين الله ممن يشرع مع الله في النظام الديمقراطي.

7. لا يجوز شرعًا عرض الشريعة الإسلامية علىٰ الأفراد ليقولوا: أتطبق أم لا تطبق، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: 65]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 36]؛ وحكىٰ الشافعي الإجماع من الصحابة فمن بعدهم علىٰ أنه من استبانت له سنة لرسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أيًا كان.

8. المجالس التشريعية التي تسن قوانين مخالفة للشرع يلزمون بها العباد، وترىٰ أن للأغلبية أن تفرض رأيها؛ حتىٰ ولو كان مخالفًا للشرع مجالس كفرية وهؤلاء هم الشركاء الذين عناهم رب العزة بقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورىٰ: 21].

9. الأحزاب التي تقوم علىٰ مبادئ العلمانية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية وغيرها من المبادئ الوضعية التي تخالف أصل الإيمان والإسلام، من فصل الدين عن الدولة، وأنظمة المجتمع، والمساواة بين الملل كلها، واحترام الكفر والردة وقبولها، كتعدد الشرائع لا يفسد للود قضية كما يزعمون، كل هذا من العصبية الجاهلية والولاء

للكافرين والمنافقين مما يستوجب علىٰ كل مسلم رده وهجره ومحاربته والتبرؤ منه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: 140].

10. هناك فرق بين النوع والمعين، وبين الحكم والفتوىٰ، فقد يكون الفعل كفر والقول كفر وفاعله وقائله ليس بكافر، وذلك بأن يكون الفاعل أو القائل جاهلا أو متأولًا أو مكرهًا أو حديث عهد بالإسلام، وليس لنا أن نكفر الشخص المعين إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه علىٰ يد عالم أو ذي سلطان مطاع حتىٰ تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير، ويحيىٰ من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

11. العبودية لله وحده، والبراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم إليه من مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

12. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة تتحقق تارة بالدعوة إلىٰ سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة بالقدوة الصالحة، وتارة بتغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب، تبعًا للاستطاعة وبما يحقق المصلحة، ويستدفع المضرة والمفسدة، ومن المعلوم أن هذا الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، وهذا من رحمة الله – عز وجل – بهذه الأمة، إذ لم يكلفنا إلا ما في طاقتنا وقدرتنا، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان وكل مجال وكل قطاعات المجتمع من واجبات المسلمين عمومًا وأهل العلم خصوصًا.

وأما عن حكم دخول هذه المجالس والمشاركة فيها فإن الحكم يختلف باختلاف الداخل والمشارك، وكما يقولون: الحكم علىٰ شيء فرع عن تصوره، ولكل صورة حكمها:

أولًا: حكم الداخل والمشارك بغرض تحقيق الديمقراطية بإباحة التشريع لغير الله

طالما كان حكمًا للأغلبية، فهذا شرك مناف للتوحيد، إلا أن يكون صاحبه جاهلا أو متأولًا ولم تبلغه الحجة فلا يكفر بعينه حتىٰ تقام عليه الحجة الرسالية.

ثانيًا: الداخل والمشارك بغرض تطبيق الشرع بشرط إعلان البراءة من الأصل الذي قامت عليه المجالس من التشريع لغير الله، فهذا من المسائل الاجتهادية المعاصرة وهو مختلف فيه بين العلماء المعاصرين علىٰ قولين:

القول الأول: أن المشاركة في ذلك بغرض تطبيق الشرع طاعة إذا كانت المصلحة في ذلك.

القول الثاني: أن المشاركة في ذلك لا تجوز، وهذه المشاركة من باب الذنوب والمعاصي وليست من باب الكفر والردة، لأن المشارك حقق البراءة اعتقادًا ولم يطبقها عملًا.

۞ موقف الدعوة:

ترىٰ الدعوة عدم المشاركة في هذه المجالس المسماة بالتشريعية سواء بالترشيح أو الانتخاب أو المساعدة لأي من الاتجاهات المشاركة فيها، وذلك لغلبة الظن بحصول مفاسد أكبر بناء علىٰ الممارسات السابقة، وإن كنا نقر أن الخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة خلاف معتبر، ولو تفاوت بين الطاعة والمعصية، لأن كلا الفريقين يريد خدمة الإسلام ويقر بالبديهيات والمسلَّمات التي ذكرناها في أول كلامنا، وما نراه اليوم في الجزائر رأينا مثله بالأمس في تركيا وكيف أن الديمقراطية مثل صنم العجوة الذي كان يصنعه المشرك فإذا جاع أكله، فالحكام العلمانيون إذا أحسوا بأي خطورة علىٰ مواقعهم وأن الإسلاميين علىٰ مقربة من الحكم سيسارعون بحل المجالس النيابية والأحزاب ويكون الجيش مستعدًّا دائمًا وفورًا لإجهاض هذه الديمقراطية التي اخترعوها، لهذا وغيره نرىٰ أن الحل البرلماني علىٰ ضوء ما طرحناه ليس هو الطريق[1].

---

(1) والآن وبعد ثورة 25 يناير، اختلف رأي برهامي – وبعض ممن معه – في جواز دخول المجلس التشريعي، بل وجواز تكوين أحزاب سياسية مشاركة في الحياة السياسية!

۞ ثانيًا: من يرى حتمية المواجهة العسكرية:

يرىٰ فريق آخر أن تغيير الوضع الحاضر للمسلمين لا يمكن أن يتم إلا من خلال المواجهة العسكرية المسلحة مع الحكومات المعاصرة ولابد من بث روح الجهاد في المسلمين للخروج علىٰ الحكام المرتدين وإعداد العدة لهذا الأمر، ويرىٰ أن هذا هو أولىٰ أولويات العمل الإسلامي، بل قد يذهب البعض إلىٰ الحكم بأن كل ما سواه خيانة للدين، ونحن نحب أن نقرر هنا جملة أمور:

1. أن حب الجهاد فرض علىٰ كل مسلم، لا يفقد من قلبه إلا بنقص الإيمان أو زواله بالكلية نعوذ بالله من ذلك، وتذكير المسلمين به وبدورهم في إعلاء كلمة الله في الأرض كلها ومحاربة الشرك والكفر حتىٰ يظهر الإسلام من أهم الأمور التي يجب الاعتناء بها في إيقاظ الأمة، فإنها ما ذلت إلا بمخالفة الشرع ومنه ترك الجهاد في سبيل الله.

2. الجهاد ماض في هذه الأمة إلىٰ يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين علىٰ من ناوأهم إلىٰ يوم القيامة» رواه مسلم.

3. أن الإعداد للجهاد والأخذ بأسباب القدرة والقوة واجب علىٰ الأمة بحسب الاستطاعة، خاصة عند العجز عنه، مع لزوم تحديث النفس به والحزن علىٰ فواته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: 92]، وينطبق علىٰ الإعداد ما ينطبق علىٰ الجهاد من شروط القدرة ومراعاة المصلحة.

4. مراحل تشريع الجهاد: في السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال وأوجبه بقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: 216]، وقد مر الجهاد بعدة مراحل:

الأولىٰ: الكف والإعراض والصبر علىٰ الأذىٰ مع الاستمرار في الدعوة.

الثانية: إباحة القتال من غير فرضية.

الثالثة: فرض القتال علىٰ المسلمين لمن يقاتلهم فقط.

الرابعة: قتال الكفار ابتداءً.

وقد استقر أمر الجهاد علىٰ المرحلة الأخيرة التي ذكرت في سورة التوبة وهي قتال المشركين حتىٰ يسلموا وقتال أهل الكتاب والمجوس، حتىٰ يُسلموا، أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار -علىٰ الخلاف المشهور في جواز قبول الجزية من الكفار غير اليهود والنصارىٰ والمجوس- وقد فهم البعض القول بالنسخ فهمًا غير صحيح فأنكر المرحلية بالكلية، وهذا ما قرره أهل العلم، يقول ابن تيمية: (فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

والنسخ عند السلف يشمل التقييد والبيان والتخصيص، ولا خلاف بين العلماء في العمل بمراحل الجهاد، وإلا فالسلف لا يكلفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشابهة بحال النبي ﷺ في مكة بالقتال، وإنما الواجب عليه أن يجتهد لكي يصل إلىٰ حال قوة يجاهد فيها الكفار، وكيف يكون الجهاد واجبًا علىٰ الناس وهم غير قادرين ولا مستطيعين؟ فالواقع هو الذي يحدد أي الأحكام هو الأنسب في مراحل الجهاد، وأن التطبيق بحسب الظروف الموجودة، فلا بد من النظر بعين الاعتبار لحالة المسلمين وماهم عليه من ضعف أو قوة.

وقد تكلم العلماء في جواز مهادنة الكفار بمال عند ضعف المسلمين، قال ابن قدامة: (لا يجوز المهادنة مطلقًا من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلىٰ ترك الجهاد بالكلية وتجوز مهادنتهم علىٰ غير مال، لأن النبي ﷺ هادنهم يوم الحديبية علىٰ غير مال لهم، ويجوز ذلك علىٰ مال يأخذه منهم، فإنها إذا جازت علىٰ غير مال فعلىٰ مال أولىٰ، وأما إن صالحهم ببذله لهم، فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه، وهو مذهب الشافعي، لأن فيه

صغارًا للمسلمين، وهذا محمول علىٰ غير حالة الضرورة، فأما إذا دعت إليه ضرورة وهو أن يخاف علىٰ المسلمين الهلاك أو الأسر، فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال، فكذا ههنا، ولأن بذله المال وإن كان فيه صغار، فإنه يجوز تحمله لدفع صغار أعظم منه، وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلىٰ كفرهم)، وهذا الكلام من الأئمة الأعلام رد بليغ علىٰ التهور والاندفاع المفضي إلىٰ الشر والفساد.

وقد بيَّن أهل العلم أن العجز كما يشمل العجز الحسي، كالأعذار المنصوص عليها في القرآن، من المرض والعمىٰ والعرج والضعف وعدم النفقة، فإنه يشمل كذلك مسألة الضرر والهلاك الذي يغلب علىٰ الظن حصوله لضعف المسلمين، ونقص قوتهم عن نصف قوة عدوهم، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: 66]، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (روضة الطالبين 10– 248): (إذا زاد عدد الكفار علىٰ مثلي المسلمين جاز الانهزام..)، وقال: (وإذا جاز الفرار نظروا إن غلب علىٰ ظنهم أنهم إن ثبتوا ظفروا استحب الثبات، وإن غلب علىٰ ظنهم الهلاك ففي وجوب الفرار وجهان، وقال الإمام: إن كان في الثبات الهلاك المحض من غير نكاية وجب الفرار قطعًا وإن كان فيه نكاية فوجهان)، وهذا الذي قاله الإمام النووي هو الحق، وأصح الوجهين أنه لا يجب، أي: الفرار ولكن يستحب، ومن هذا يتضح أن الجهاد بمفهومه الصحيح في واقعنا اليوم لن يقوم علىٰ أكتاف أفراد قلائل بلا قوة، بل إن جهاد المئة والمئتين ضرره أكثر من نفعه.

۞ هل الجهاد هو الخروج على الحكام فقط؟

الجهاد إذا أطلق، فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالىٰ، ولا ينصرف إلىٰ غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل علىٰ المراد، فهو كما يقول ابن القيم أربع مراتب: (جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين، فجهاد النفس مقدم علىٰ جهاد العدو، فإن من لم يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله

لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكن جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله؟!، ويقول الشيخ ابن باز: (الجهاد جهادان جهاد طلب – أي طلب الكفار في عقر دارهم –، وجهاد دفاع، والمقصود منهما جميعًا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، وإعلاء دين الله في أرضه وأن يكون الدين لله وحده)، ومن هنا تكون الدعوة إلىٰ الله جهادًا شرعيًّا قال تعالىٰ: {فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان: 52]، والآية مكية، وعلينا أن ننظر إذا أتىٰ الحاكم ما يستوجب العزل هل عندنا الاستطاعة علىٰ عزله أم لا، وهل المصلحة متحققة بهذا العزل أم أن هذا المنكر سيزول بمنكر أعظم؟ فقد نزيل كافر أو نستجلب الشر والبلاء علىٰ البلاد والعباد ويتسلط الكفار علىٰ رقاب الناس، ومن المعلوم أن شرع الله مصلحة كله ولذلك لم يقتل النبي ﷺ ابن سلول – رأس المنافقين– وقال: «كيف إذا تحدث الناس أن محمدًا قتل أصحابه؟».

❁ الجهاد له سبيله وصراطه:

حاجتنا شديدة لسلوك صراط الله المستقيم حتىٰ ننتقل من ضعف إلىٰ قوة ومن ذل إلىٰ نصر، ولا بد في ذلك من اتباع السياسة الشرعية في حال الضعف والقوة، وهذه السياسة يجب أن تكون ربانية وعلىٰ منهج الأنبياء، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة بل الغاية والوسيلة كلاهما يجب أن تكون مشروعة، وليس التمكين في الأرض بغاية مقصودة لذاتها بل هي من وسائل الدعوة لتحقيق العبودية لله في أكمل صورها، وهو في ذات الوقت منة من الله ليس بيد أحد سواه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، والواجب علينا أن نعيش طاعة الوقت سواء مكن لنا أو لم يمكن، ونحذر الابتداع والانحراف، وأول ما بدأ به الرسل في دعوتهم: الدعوة إلىٰ الإيمان والتوحيد، يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواجب هو العمل للأهم فالأهم، والأهم هنا هو إصلاح عقائد المسلمين وتزكية النفوس والدعوة علىٰ أساس التصفية من البدع والتربية علىٰ

التوحيد).

ولا بد لنا أن نتعلم أحكام الجهاد، فلا بد من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة، وكما أن للصلاة شروطًا يحرص المسلم علىٰ تحقيقها؛ كالطهارة واستقبال القبلة وستر العورة ودخول الوقت فكذلك لا يصح الجهاد بغير تحقيق شروطه، والقتال إنما يكون بين معسكرين وجيشين وفريقين أحدهما مسلم والآخر كافر أو مستحقه للقتال، وأما عند الاختلاط فلابد أن تضيع دماء المسلمين وتحدث المفسدة ولا تتحقق الغاية.

لهذه الأسباب وغيرها بدأ النبي ﷺ جهاده بالدعوة وإعداد المؤمنين إعدادًا روحيًّا وبدنيًّا لتحمل أعباء الجهاد بالسيف، ثم كانت الهجرة حيث بدأ جهاده بالسيف، وتوالت عليه أحكام الجهاد، فينبغي علينا أن نتعلم سنن الجهاد حتىٰ لا تتحول ديارنا إلىٰ ساحة حرب بين المسلمين أنفسهم، وحتىٰ لا يكون حماسنا وطموحنا علىٰ حساب سنن الله في النصر والهزيمة، ولا يدفعنا التهور إلىٰ الوقوع فيما وقع فيه غيرُنا، وقد نهي النبي ﷺ عن دخول مكة في السنة السادسة عام الحديبية حفاظًا علىٰ حرمة المسلمين الذين كانوا سيقتلون مع من يقتل، وتأخر بذلك الفتح سنتين علمًا بأن مكة يومئذ دار حرب والكعبة كانت مليئة بالأصنام، ولو حدث قتال - يوم الحديبية - لانتصر المسلمون علىٰ المشركين وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفتح: 22]، واليوم نحتاج لدعوة تضيف لإمكانات العاملين لكي نحبس بها دماء المسلمين وحتىٰ لا نخرج من نكبة إلىٰ نكبة ومن فتنة عمياء إلىٰ أخرىٰ أشد عمىٰ، ونكون كمن يلدغ من نفس الجحر ألف مرة، فالمنكر يخلفه من المنكرات والآثام والمصائب ما يتضاءل أمامه المنكر المزال، وبذلك نخرج من بلاء أقل إلىٰ بلاء أعظم وينفر الناس عن الدين الذي يرونه وسيلة للفتنة والقتل.

۞ ثالثًا: من يرى التركيز على العمل الفردي في الدعوة والتربية:

يتبنىٰ هذا المنهج بعض الدعاة الذين يرون أن الدور الأساسي للدعاة والعلماء هو إصلاح أفراد الأمة -مع الاختلاف حول أولويات الإصلاح-، فالبعض يراه في إصلاح

العقيدة ونشر العلم، والبعض يراه في التربية علىٰ العبادة والذكر وفضائل الأعمال، ويرون أن انتشار الأفراد الصالحين في مجتمع كفيل بإصلاحه تلقائيًّا، ومن بين أصحاب هذا المنهج من لا يرون مشروعية العمل الجماعي أو علىٰ الأقل يحصرونه في صور محدودة لا يتعداها، ويرون أن مضار الجماعات الإسلامية - خاصة الحزبية والتعصب وكونها مستهدفة من الحكومات العلمانية - أكثر من منافعها، ولقد حقق هذا المنهج بعض الإيجابيات منها: إيجاد أفراد ملتزمين ونشر العلم ومبادئ الإسلام وأحكامه بين قطاعات من الأمة، وأيضًا التركيز علىٰ عدد محدود من الأفراد يمكن إعدادهم إعدادًا جيدًا من خلال المعاشرة الطويلة والمتابعة المستمرة، وكان للابتعاد عن الأحداث السياسية المعاصرة حتىٰ بمجرد التعليق أثره الواضح في توفير قدر كبير من الحماية ضد ضربات الأعداء، ويؤخذ علىٰ هذا الاتجاه قصور النظر إلىٰ نوع واحد من الواجبات الشرعية وإهمال واجبات أخرىٰ نص عليها الكتاب والسنة، وأجمع أهل العلم علىٰ فرضيتها ووجوب السعي إلىٰ إقامتها مع كون الكثير من هذه الواجبات يمكن القيام به أو بشيء منه علىٰ الأقل إذا اجتمعت الجهود وتضافرت، إذ إن فروض الكفاية من التعلم والتعليم، والحسبة وسد حاجات الفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم، وفصل الخصومات وفق شرع الله، وإيصال الحقوق إلىٰ أصحابها، والسعي إلىٰ إقامة الخلافة والجهاد، وغير ذلك من فروض الكفاية المضيعة - التي استفاضت أدلة كلٍّ منها كتابًا وسنة - لا يمكن أن يقام إلا علىٰ جهة الاجتماع والتعاون الملزم، وليس المطلوب إقامته في جزء صغير من الأمة، بل الواجب شرعًا إقامة كل ذلك في كل مكان وزمان تمكن إقامته فيه، وفي كل القطاعات من المجتمع وعلىٰ أوسع نطاق ممكن في المسجد والمدرسة والجامعة والمصنع وأصحاب المهن وغير ذلك.

كما يؤخذ علىٰ كثير من أصحاب هذا الاتجاه ترك الإنكار علىٰ المنكرات التي تتبناها الحكومات وتنشرها بين الناس، كقضية الحكم بغير ما أنزل الله، ومسائل الولاء والبراء، ونشر الغزو الفكري، والتعبية للمبادئ الوضعية للغرب، ولا يصح التعلل بتوفير الحماية

للدعوة فإن الدعوة تفقد هويتها إذا رأت الناس يقعون في الضلال بل في الشرك وهي لا تحرك ساكنًا، وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد.

كما يؤخذ علىٰ أصحاب هذا المنهج المبالغة في تضخيم سيئات الجماعات الإسلامية والإجحاف بمنافعها ومحاسنها، فجعلت علاج المريض قتله أو إيقاف قلبه، إذ إن جماعات الصحوة الإسلامية هي قلب الأمة النابض بالحياة، بعد أن فقد الجسد كله مظاهر الحياة، وكم كانت هذه الجماعات الإسلامية سببًا لهداية الشباب والشيوخ والنساء والأطفال وعودتهم إلىٰ دينهم.

۞ الدعوة السلفية والتغيير:

وقبل أن نطرح تصورنا في التغيير نقرر أن واقعنا لا يزال أصغر بكثير من منهجنا، وأن حالنا أبعد عما نعلم أنه يلزمنا أن نكون عليه، ولكن الواجب النصيحة، والأمل في أن يكون الجميع علىٰ الطريق المستقيم -ولو كان سيره بطيئًا لا خارجًا عنه- الذي يدفعنا إلىٰ هذا الطرح، فمنهج الدعوة السلفية يمكن تلخيصه في الآتي:

أولًا: الدعوة إلىٰ الإيمان بمعانيه وأركانه كلها من معرفة الله بأسمائه وصفاته، والتعبد له بها وتوحيد الربوبية والألوهية والكفر بالطاغوت ومحاربة الشرك في كل صوره القديمة والحديثة من شرك القبور والخرافات، وشرك الحكم والولاء وغير ذلك، وكذا الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وما يتبع ذلك من قضايا الاعتقاد في الصحابة ومسائل الإيمان والكفر، وتحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة، وتقرير مناهج الاستدلال وتحقيق التزكية عبادة وخلقًا ومعاملة والسير في طريق الدعوة وإقامة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، كل هذا علىٰ وفق منهج أهل السنة والجماعة إجمالًا وتفصيلًا.

نقرر أن الدعوة إلىٰ الإيمان بهذا المفهوم الشامل هي أصل دعوة الرسل، وهي الطريق الذي سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته، فهذا المنهج هو أولىٰ الأولويات في العمل، والذي لا يتحقق أي واجب بعده بدون هذا الواجب الأول، وهذا المنهج تجب

الدعوة إليه بكل الطرق وتربية الناس عليه بالوسائل العامة، كالخطبة والدرس الجامع والكتاب والنشرات العامة وقوافل الدعوة، وغير ذلك من الوسائل الخاصة؛ كالدرس الخاص والمعاهد العلمية والمجموعات التربوية وغيرها.

۞ ثانيًا: إيجاد الطائفة المؤمنة:

إن إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام -عملًا من أجله- المجتمعة علىٰ إقامة فروض الكفاية المضيعة، وبكل ما أوتيت من قدرة، والساعية في نفس الوقت لتحصيل أسباب القدرة فيما تعجز عنه في الحال -تحديثًا للنفس به وحبًّا للخير وحرصًا عليه ونصيحة للمسلمين واهتمامًا بشأنهم- نرىٰ أن إيجاد هذه الطائفة المؤمنة علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، والتي يجتمع عليها باقي أهل السنة هو من أهم الواجبات والأولويات، وهذه الطائفة تسعىٰ إلىٰ أن يكون أفرادها في خاصة أنفسهم يؤدون الواجبات العينية عليهم في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة والخلق، ويتركون المحرمات، كما أنهم ملتزمون بالتعاون المنضبط علىٰ إقامة الفروض التي خوطبت بها الأمة ككل؛ كالتعلم والتعليم قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 122].

وللعلم منزلة خاصة وأهمية كبرىٰ في دعوتنا إذ عليه تقوم، وبدونه تفقد هويتها وانتمائها للسلف، ولا بد أن يكون هذا الأمر علىٰ كل المستويات، للصغار والكبار للرجال والنساء وفي سائر قطاعات المجتمع، وكالحسبة والدعوة، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 104].

ولابد في هذا الباب من مراعاة المصالح والمفاسد وفق ما تأمر به الشريعة وعلىٰ ميزانها، وكالواجبات الاجتماعية من سد حاجات الفقراء والمساكين، ورعاية اليتامىٰ، وحث الأغنياء علىٰ الزكاة والصدقة، ومعاونتهم في إخراجها علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، وعيادة المرضىٰ ودعوتهم إلىٰ الله، وإحياء الروابط الأخوية بين المسلمين من

اتباع الجنائز، والتعزية في المصائب، وإجابة الدعوات، والتهنئة في الأفراح وغير ذلك، وكالسعي إلىٰ إيجاد نظام المال الإسلامي لإبعاد الناس عن الربا والريبة وسائر المعاملات المحرمة.

وكذا تربية الأمة علىٰ روح الجماعة برد الناس إلىٰ أهل العلم منهم، وجمعهم عليهم ونهيهم عن التفرقة، وكذا إقامة الجهاد في سبيل الله طالما وجدت مقوماته وشروطه والسعي إلىٰ أسبابه عند العجز عنه، فما تعلمه المسلمون في أفغانستان مثلًا هو من أعظم الواجبات والقربات، وكذلك تعليم الناس لزوم التحاكم إلىٰ الشرع برد موارد النزاع إلىٰ أهل العلم الذين يجب وجودهم والسعي إلىٰ إيجادهم في كل مكان لفض الخصومات وفق الكتاب والسنة بعيدًا عن القوانين الوضيعة الطاغوتية، وهذه وغيرها من فروض الكفاية كإقامة الجمع والجماعات والأعياد يمكن للمسلمين إذا اجتمعوا وتعاونوا علىٰ إقامتها كما أمرهم ربهم فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2] أن يقوموا بأضعاف ما يقومون به الآن من غير مفسدة ولا مضرة بإذن الله، وما قاوموا به من الحق كان سببًا لتمكين الله لهم مما عجزوا عنه فإن الطاعة سبب للطاعات.

۞ ثالثًا: كيفية التمكين:

وأما نهاية المطاف وكيف تقام دولة الإسلام بعد ذلك، فنحن لا نوجب علىٰ الله أمرًا معينًا نعتقد حتميته ولزومه، وأنه لا سبيل سواه، بل قد قص الله علينا من قصص أنبيائه ورسله من آمن قومه كلهم بدعوته بالحكمة والبيان، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات: 147، 148]، ومنهم من نصره الله بإهلاك أعدائه بقارعة من عنده أو بأيدي الرسل وأتباعهم، وقد جعل سبحانه وتعالىٰ في سيرة نبينا ﷺ هذه الأمور أيضًا، ففتح الله عليه المدينة بالقرآن، وكذا فتح عليه البحرين واليمن وكثيرًا من جزيرة العرب، كما فتح عليه مكة بالسنان، وفتح علىٰ أصحابه العراق وما وراءه والشام ومصر وغيرها بالسنان كذلك، وله الحمد سبحانه علىٰ كل حال، فالتمكين منة من الله ووعد غايته تحقيق العبودية لله -للفرد وللأمة-.

والأخذ بالأسباب المقدورة لنا واجب علينا والنصر من عند الله لا بالأسباب، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) ﴾ [النور: 55]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) ﴾ [الأنبياء: 105]، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) ﴾ [التوبة: 33].

❀❀❀



السلفيون بعد الثورة



هيَّأت الثورة المصريَّة الطريقَ أمام كثير من التيَّارات الإسلامية للانخراط في العمل السياسي، بعد أن كان هذا الطريق مقتصرًا علىٰ بعض التيارات الإسلامية المعروفة تاريخيًّا بتوجُّهها السياسي، والتي تقوم في أساسها علىٰ فكرة التغيير من خلال الانخراط في العملية السياسيَّة، رغم ما جرَّ هذا التوجُّه عليها كثيرًا من التضييق والخناق؛ فقد كان الإطار العامُّ لكثيرٍ من سياسات الدُّول العربية والإسلاميَّة غالبًا ما يَحُول بين التيارات الإسلاميَّة والتعاطي السياسيِّ، وعانت بعضُ التيَّارات بسبب تعاطيها للسِّياسة - بل لِمُجرد خطابِها السياسي - كثيرًا من التضييق والخناق، والحَظْر والمنع، والعداء الإعلاميِّ من أنظمة كثيرة في عالَمِنا العربي والإسلامي.

ومع هذا التحوُّل الذي أحدثَتْه الثورة المصريَّة، أصبحَت الساحة السياسيَّة مفتوحةً علىٰ مصراعيها أمام تيَّارات المجتمع كافَّة؛ إسلاميَّة كانت، أو غير إسلامية، والتصنيف هنا تصنيفٌ فكري، وليس تصنيفًا دينيًّا، ووجد التيار السلفيُّ نفسَه أمام حالة جديدة لم يعهدها من قبل.

والتيار السلفي من التيَّارات الإسلامية الفاعلة والتي كسبت أرضًا واسعة، واستقطبَتْ جمهورًا عريضًا في الفترة الماضية؛ لأسبابٍ قد تكون سياسيَّة أو فكريَّة، أو بِفِعْل تحوُّلات مجتمعيَّة - ليس هذا محلَّ بحثها - لكنه بالفعل تيار موجودٌ وبقوَّة في المجتمعات العربية والإسلامية عامَّة، وفي المجتمع المصريِّ بصفة خاصة.

وقد حظي التيَّار السَّلَفي بأرضية واسعة لخطابه المُحافظ، القائم علىٰ تصحيح الاعتقاد، وإحسان العبادة، وتبَنِّي الآراء الفقهيَّة التي تتبنَّىٰ الأخذ بالأدلَّة دائمًا، مع الالتزام بالهدي الظاهر، والاهتمام بالعلم الشرعيِّ بروح تُراثيَّة مُجرَّدة، فبدا خطابه في

إطاره العامِّ أمام بعض فئات المجتمع خطابًا ماضَوِيًّا، أو علىٰ الأقل نخبويًّا، منعزلًا في بعض أطروحاته عن الواقع، ولم يُعطِ الخطاب السلفيُّ مجالًا واسعًا للانخراط المجتمعي أو السياسي، بل بدَتْ هذه الأمور هامشيَّة في خطابه.

ولم يكن التعاطي السياسيُّ مطروحًا في العقل السلفي، حيث كان يرىٰ أن الأولويَّة للدعوة القوليَّة، والتربية القلبية والعِلْمية، والاهتمام بتهذيب النَّفْس وإصلاحها، بعيدًا عن أحداث المُجتمع ومستجدَّاته، وتُترك السِّياسة لأهلها، ويبقىٰ عليه دور النُّصح ما لم يأت بصدامٍ مُباشر، فإن أدَّىٰ النُّصح إلىٰ صدام فتُقَدَّم المصلحة؛ عملًا بقاعدة: دَرْء المفسدة مقدَّم علىٰ جلب المنفعة، ويكفي استغلالُ المساحة المُتاحة من العمل الدَّعوي.

كان هذا هو التوجُّهَ العامَّ للتيار السَّلفي، ومع تحوُّلات الحياة السياسيَّة في مصر، بدأت فكرةُ التعاطي السياسيِّ تداعب العقل السلفيَّ، وتشغله، فوجدنا رموزًا سلفيَّة تُبدي رأيها في كثير من القضايا السياسيَّة المطروحة علىٰ الساحة، وبدأت دعوات سلفيَّة للمشاركة في العملية السياسيَّة، بل تناقلت وسائلُ الإعلام نوايا صريحةً وواضحة من خلال رموز سلفيَّة للانخراط السياسيِّ للتيارات السلفيَّة. كما طرحت بعض الأسماء السلفية للترشح في المجالس النيابية أو حتىٰ رئاسة الدولة، وصار التيار السلفي - أو علىٰ الأقل بعض فئاته - طرفًا في كثير من الأحداث التي شهدها المجتمع المصري في الفترة الأخيرة.

ومع هذا التحوُّل السلفيِّ، فإن هناك كثيرًا من الإشكاليَّات التي قد تواجه التيار السَّلفي في العملية السياسيَّة، وتُطْرَح هنا عدة تساؤلات، تعبِّر عنْ هذه الإشكاليات:

• ما البرنامج السياسيُّ الذي يمكن أن يَحْمله التيَّار السلفي؟ وربما يكون موقف العقل السلفيِّ رافضًا لكثير من الأدوات والأوعية السياسيَّة المعاصرة.

• وهل سيكون دور التيار السلفيِّ دورًا مُساعدًا، أم دورًا أصيلًا له خصوصيَّته؟ بمعنىٰ هل يكتفي التيار السلفيُّ بدفع ومُناصرة بعض التيَّارات الإسلامية الموجودة، والمعروفة تاريخيًّا بدوزها وتعاطيها السِّياسي، وهناك حالة من الخِلاف الفكريِّ المعروف بينه وبين

هذه التيَّارات؟ أم هل سيدخل التيار السلفيُّ ويلعب دورًا أصيلًا ومنافسًا للتيارات السياسية المختلفة؟

• وهل سينخرط السلفيون في الحياة السياسية برُمَّتها؟ أم سيكتفون بالعمل المجتمعيِّ القائم علىٰ نشر الثقافة السياسيَّة في الإسلام دون المشارَكة الفعليَّة، أم سيَظلُّ الدور السلفيُّ - كما كان سابقًا - دورًا مقتصِرًا علىٰ الدعوة القوليَّة، والتوجيه الدَّعوي للمجتمع بكافة أطيافه، ومنها العاملون في السِّياسة، دون الانخراط في العملية السياسية؟

• وإذا انخرط السلفيُّون في السياسة، فهل سيكون في الإطار الحزبي القائم علىٰ المنافسة السياسية أمام تيَّارات أخرىٰ تحمل خلفيَّات فكرية، ربما تكون متناقضة - في كثيرٍ من أحوالها - مع الفكرة الإسلاميَّة عمومًا، إن لم تكن منافِسةً لها، عاملة علىٰ إقصائها، أو علىٰ الأقل إضعافها؟

• وكيف سيكون موقفها وتعاملها مع التيارات المناهضة للفكرة الإسلاميَّة، سواء العلمانيَّة، أو الليبرالية، أو اليساريَّة، أو غيرها؟

• وما موقف السلفيين مثلًا إذا انتخبت الجماهير حزبًا مناهضًا للفكرة الإسلامية؛ فهل سيقرُّون بهذا الحزب، ويعطون له ولاءهم، أم سيخرجون عليه؟!

وتساؤلات عديدة تحتاج إلىٰ إجابات، وقبل الإجابة تحتاج إلىٰ تفكير واعٍ؛ حتَّىٰ لا يجد التيار السلفيُّ نفسه مندفِعًا في الساحة السياسيَّة دون أن يكون له هدفٌ محدَّد، وبرنامجُ عملٍ يستطيع من خلاله أن يُقنع الجماهير الغفيرة المتعاطفة معه، والتي رُبَّما تأثَّرت به لخطابه المُحافظ - بالتعبير العصريِّ للكلمة - فرُبَّما إذا أخذ هذا الخطاب شكلًا آخر ربما تخف درجة هذا التأثير، وأيضًا فإنَّ عليه إقناعَ التيارات المُجتمعيَّة والسِّياسية المختلفة سواء الموازية له، أو المناوئة والمتخوفة أساسًا من وجود أيِّ تيار إسلامي في الساحة السياسيَّة، أو حتىٰ المجتمعية، بحيث لا يكون عبئًا علىٰ العمل السياسي الإسلامي.

والأهم من هذا وذاك: هل ستكون عنده القدرة علىٰ الحفاظ علىٰ خطابه المُحافظ،

والذي يبدو في بعض الأحيان متشددًا في بعض القضايا التي رُبَّما تحتاج إلىٰ قدرٍ من المُرونة النَّابعة من رُؤًىٰ شرعيَّة معتبَرة؟ وهل ستكون عنده القدرة علىٰ رسم ملامِح للعمل السياسيِّ النابع من السياسة الشرعيَّة، والمُراعي لمتغيِّرات المجتمعات المعاصرة، بحيث يكون نَمُوذجًا يُحتذَىٰ في العمل السياسيِّ بصفة عامة؟

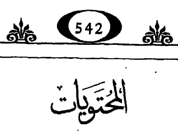
ومن هنا يحتاج التيار السلفيُّ إلىٰ تأنٍّ وتريُّث وبلورة لأفكاره قبل التفكير في الانخراط السياسي، دون أن تكون عنده الدُّربة السياسية الكاملة والتجربة التطبيقيَّة، كما أنه يحتاج إلىٰ رؤية تنظيرية واضحة يهيئ بها المجتمع لاستقباله سياسيًّا حيث فرضت عليه الظُّروف السياسية السابقة خطابًا وعملًا كان فيها بعيدًا تمامًا عن التعاطي السياسي، ومن هنا فإنه إمَّا أن يدخل الساحة السياسية مُجازِفًا بفكره وخطابه، ومتخففًا في كثير من الأحكام التي كان يتبناها، فيأتي علىٰ حساب خطابه الفكريِّ والدَّعوي، فيخسر خطابَه الدعويَّ الذي استقطب جمهورًا عريضًا، وإما أن يظل علىٰ كثيرٍ من أطروحاته الفكريَّة التي ربما تصطدم بثوابت سياسيَّة ومجتمعية معاصرة، فيخسر نفسه سياسيًّا، وإما أن تكون عنده حالة من التوازن بين قناعاته الفكرية وبين متغيرات السياسة، وهذا ما نرجوه ونأمله.

والإجابة عن تلك الاشكالات، وغيرها فيما يستجد في الأيام المقبلة، سيكون الكتاب التالي: «السلفيون في مصر. بعد ثورة 25 يناير» يسر الله إتمامه وإخراجه إن كان في العمر بقية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكان الفراغ منه في

يوم الأحد 8/ 10/ 2011م




المحتويات

الموضوع	الصفحة

هل السلفية تنظيم؟

سلفية الشيخ أسامة عبد العظيم

سلفية الشيخ أسامة القوصي

سلفية الشيخ أبي إسحاق

سلفيات لا سلفية واحدة

مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع

٢ درب الدرديري من شارع البيطار خلف الجامع الأزهر